

مصطفى أمين

مطبوعات

سبيل اليوم

يصدر عن مؤسسة اخبار اليوم

الكتاب
الممنوع

الجزء الأول



تسجيل: شمسور الأزيكية

تليجرام : هنا سور الانبياء
أكبر مكتبة رقمية

مصطفى أمين

الكتاب المنوع

أسرار ثورة ١٩١٩

الجزء الأول

■ **المشرف على التحرير : جمال الفيصلاني**

● العدد ٤ ● ١٥ يناير ١٩٩١ ●



مطبوعات

كتاب اليوم

انتبه

مطاني أمين وعلى أمين

سلسلة الشوامخ

رئيس مجلس الإدارة

محمّد منقّبل

العدد جمادى الآخرة ١٤١١ هـ

١٥ يناير ١٩٩١ م

كانون الثاني

المصحّلة ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط



محمّد خطاب

هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون



الكتاب المتنوع !

في عام ١٩٦٣ تمت بيعت عن ثورة ١٩١٩ وأسرار الجهاز السري للثورة ،
من مذكرات أعضاء الجهاز السري أنفسهم ومذكرات زعيم الثورة سعد زغلول .
وبدأت نشر التحقيق الواسع في جريدة « الأخبار » .
وكنت استأذنت الرئيس جمال عبد الناصر في النشر ، وأذن . . .
ثم قال لي الرئيس جمال عبد الناصر إنه تلقى تقارير من الأجهزة المختلفة يقول
بعضها إن الغرض من هذا التحقيق الكبير هو التقليل من قيمة ثورة ٢٣ يوليو . .
وأضاف الرئيس أنه لا يعتقد صحة ذلك ، وطلب مني أن أستمروا في النشر . .
ثم اتصل بي الرئيس وقال لي أن بعض الأجهزة تؤكد أن الغرض من هذا
التحقيق إثبات أن في قدرة الشعب الأعزل أن يثور على الجيش المسلح . . . لكن
الرئيس طلب مني أن أستمروا مع ذلك - في النشر . . .

وفجأة قامت قيامة مراكز القوى ، وادعت أن الغرض من هذا التحقيق هو
تحريض الشعب على الانقضاض على الثورة . . . وصدر الأمر بوقف النشر في
صحيفة «الأخبار» !

وتوقفت عن النشر . . .

واتفقت مع الدكتور «السيد أبو النجاء» (المشرف العام على دار المعارف)
على نشر هذا التحقيق في كتاب . . .

وتم ذلك الاتفاق في شهر يوليو سنة ١٩٦٣

وفجأة صدر أمر بعدم طبع الكتاب . . .

واستمر المنع ١١ عاماً !

دخل الكتاب إلى السجن في عام ١٩٦٣

دخلت أنا إلى السجن في عام ١٩٦٥

ثم جاء عصر العبور . . .

وتم الإفراج عني . . .

وكان لا بد أن يتم الإفراج عن الكتاب المنوع !

مصطفى أمين

تليجرام : هنا سور الانبيكية
أكبر مكتبة رقمية

كلمة لا بد منها . .

كان موضوع رسالتى فى الماجستير فى جامعة (جورج تاون) بالولايات المتحدة هو «سعد زغلول وثورة ١٩١٩» . وكانت الرسالة باللغة الإنجليزية ، وتبلغ مع ملحقاتها حوالى الألف صفحة . . .

جمع ذلك أحسست دائماً أن ثورة ١٩١٩ فى حلجة إلى أن تشرح فى عدة كتب
وصلة مجلدات ا

وكان الدافع إلى اهتمامى بثورة ١٩١٩ أننى ولدت فى بيت الأمة ، بيت سعد زغلول ، وكان هذا البيت هو مركز قيادة الثورة ، وأننى عشت مع قائد الثورة ١٣ سنة فى بيت واحد . فقد كان سعد زغلول خال أبى ، وكان قد تبنّاها بعد وفاة أبيها . وكنت أنادى سعد زغلول : « يا جدى » ، وأنادى زوجته أم المصريين صفية زغلول : « يا سنى » . . . وعشت أحداث الثورة يوماً بيوم : حضرت مواكبها وحتازات شهدائها ، عاصرت انتصاراتها وهزائمها ، رأيت المعارك بين الإنجليز المسلمين بالمنازع وبين المصريين المسلحين بالطوب ا .

ثم أطلعت على مذكرات سعد زغلول ، ومذكرات قادة الثورة .

وأذكر أننى رأيت فى أوراق سعد زغلول الخاصة أوراقاً فهمت منها أن الأستاذ عبد الرحمن الرافعى كان عضواً فى المجلس الأعلى للاغتيالات أثناء ثورة ١٩١٩ !
وذملت ا .

فلأننى قرأت كل الكتب التى ألفها المؤرخ الكبير ، ولم أجد إشارة واحدة إلى هذا

الموضوع . وكنت أعرف عبد الرحمن الرافعي معرفة عائلية ، فقد كان شريكاً لوالدي في مكتب للمحاماة في المنصورة ودمياط ، وكانت تربطنا صداقة عائلية ، وكثيراً ما حضرته وهو يتبادل ذكرياته ، ولم يذكر مرة واحدة أنه كان عضواً هاماً في الجهاز السري للثورة .

وذهبت إليه وسألته : هل كان حقيقة عضواً في المجلس الأعلى للاغتيالات ؟ قال : نعم . قلت : لماذا لم تذكر هذا في كتبك ومذكراتك ؟ . قال : لأنني أقممت اليمين ألا أفتتح في ما دمت حياً ، قلت : لماذا لا تكتب هذه الأسرار وتطلب ألا تنشر إلا بعد موتك ؟ . قال ضاحكاً : لو كتبت ذلك أكون قد حدثت في اليمين .

وقد استطعت أن أحصل على مذكرات كثير من أعضاء الجهاز السري ، وهي شهادات هامة للتاريخ . . .

إن ثورة ١٩١٩ كانت ثورة شعبية أصيلة . خرجت من القرى والكفور ، قبل تخرج من المدن والبتادر . انطلقت من الأزقة والحواري قبل أن تنطلق من الشوارع المفتوحة والميادين الواسعة . كانت ثورة شعب بأكمله لا ثورة فريق دون فريق . جمعت فقراء والأغنياء . الأميين والمتقنين . الرجال والنساء . الباشوات والفلاحين . الموظفين والعمال .

إن قيمة هذه الثورة في أنها قامت بعد أيام من خروج بريطانيا من الحرب العالمية الأولى ، وهي أقوى إمبراطورية في العالم ، الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس . فلم ينقض الشعب المصري على مهزوم ، وإنما انتفض على أعظم دولة متصرة في تاريخ العالم !

وسبقت مصر في ثورتها الهند وسوريا ومراكش وليبيا ، وجميع الدول العربية ،
واستطاعت أن تؤثر في كل ثورات المنطقة . . .
وأحب أن أوضح أنني لم أكتب عن هذه الثورة بالأسلوب التقليدي ، بل تركت
الوقائع حية تتكلم ، وتحكى ، وتروى ، وتكتب . . .
غير أن كتابة تاريخ الثورة بهذا الأسلوب المتحرك قد حثمت تدخل الوقائع في
بعضها البعض ، وتشابك الأحداث في نتائجها وترابطها ، لأن الثورة كانت مشوبة
متدفقة على أوسع نطاق وفي أكثر من مكان . وهذا هو السبب في أنك تجد
شيئا من التكرار في عرض بعض الوقائع التي تضمنتها الوثائق والتقارير .
ولعل أكون قد أدبت بعض الواجب الذي في عني نحو ثورة ١٩١٩ .

تليجرام مكتبة غوامر في بحر الكتب

تليجرام : هنا سور الأزبكية
أكبر مكتبة رقمية



الفصل الأول

■ حاول الإنجليز القضاء على ثورة ١٩١٩
■ فلقوا الزعيم الثورة بعرش مصر
■ سعد زغلول يعمل لإعلان الجمهورية

هل حاول الإنجليز القضاء على ثورة ١٩١٩ بتعيين زعيم الثورة ملكاً على مصر ؟ وهل عرض عرش مصر على سعد زغلول ؟

هذا سؤال لم يجب عنه التاريخ بعد ، ومن واجبنا ونحن نفحق ثورة سنة ١٩١٩ أن نكشف الستار عن هذا السر !

في أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ زار مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية السابق مدينة القاهرة . وفي يوم الأحد ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ أقام عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية مأدبة غداء كبرى في فندق هليوبوليس بالاس لتكريم الضيف الكبير . وحضر للمأدبة سير إرنى لورين المندوب السامي البريطاني ، والوزراء ، وكبار رجال قصر الملك فؤاد ، وكبار رجال دار المندوب السامي البريطاني . وفي أثناء الغداء تبسط لويد جورج في الحديث والتفت إلى الوزراء وقال لهم :

« إن هنالك سراً كبيراً عن مصر لا تعرفونه ! لقد كنت رئيس وزراء بريطانيا أثناء ثورة مصر ، وذات يوم جاعني لورد كيرزون وزير الخارجية وبعده مجموعة برقيات من لورد ألنبي المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، وإذا بلورد ألنبي يقول إن سعد زغلول يريد أن يقوم باقتراب في مصر كاقتراب هراي باشا ، وبعد ذلك

جاء تلغراف بأن ثورة دموية هائلة ستحدث إذا بقي سعد زغلول في مصر . وأن هذه الثورة ستنتهي في خلال ٢٤ ساعة إذا نفيناه من مصر ، ووافقنا على نفيه إلى جزيرة سيلان . . . وقد كنت أظن أنها جزيرة تشبه جهنم إلى أن زرتها قبل أن أحضر إلى القاهرة ووجدت أنها جميلة جداً !

وما كدنا نوافق على نفي سعد زغلول حتى جاءت البرقيات متتابة : كل يوم يقتل الإنجليز في القاهرة في رابعة النهار ولا يعثر على القتلة ! وخشيت أن يثور الرأي العام البريطاني بعد أن كذبت نبوءة لورد ألنبي بانتهاء الثورة بعد ٢٤ ساعة من نفي سعد زغلول . ورأيت أن أظن " ثورة مصر بطريقة حاسمة — كما استطعت في تلك الأيام نفسها أن أظن " ثورة أيرلندا بعمل اتفاق مع زعماء الثورة — فوضحنا خطة بأن نرسل أحد ضباط المخابرات الذين يخدمون العربية إلى عدن ، بعد أن نعطيهم تعليمات بأن يعرض على سعد زغلول أن يكون ملكاً على مصر ، على أن يقبل بقاء الحماية البريطانية ، ويقبل فصل السودان عن مصر !

وأبرقنا إلى حاكم عدن بأن يبقى سعد زغلول معتقلاً عنده ، ولا يرسله إلى (سيلان) إلى أن يصل ضابط المخابرات من لندن إلى عدن ومعه التعليمات اللازمة . وذهب ضابط المخابرات إلى عدن ، واجتمع بسعد زغلول وعرض عليه أن يتولى عرش مصر ، ورفض سعد زغلول . . وأبرق ضابط المخابرات بنتيجة مسعاه ، وعندما علمت بذلك أمرت بأن ينقل سعد زغلول فوراً إلى سيلان ، بل إلى جزيرة أسوأ منها في المحيط الهندي هي جزيرة (سيشل) ، وقد اخترتها لأن أحد أصدقائي مات فيها !

ثم ضحك لويد جورج وقال : « وأنا مندهش لأنني لا أرى تمثالاً لزغلول هنا .. لولاه لما كنتم هنا أيها السادة ! »

ونزل هذا الكلام كالصاعقة على الوزراء الموجودين ، وكثير رجال قصر الملك

هؤلاء . . . وأراد سير برسي لورين - المتعوب الساق - أن يقعد الموقف ، فهمس في أذن لويد جورج بأن هؤلاء خصوم سعد زغلول ، وأنهم هم الذين رفضوا أن يقيموا له مثالا !

وضحك لويد جورج ، وأراد أن يتصل من المرح فقال : « على كل حال لو قبل زغلول هذا العرض لما كان هناك أى خطر عليكم ! فقد حدث في ديسمبر سنة ١٩٢١ - قبل حكاية زغلول بثلاثة أشهر - أن وقعت اتفاقاً مشابهاً مع زعماء ثورة أيرلندا الأربعة : وإذا بواحد منهم يدس له للناس السم ليموت ، والثاني يضطر إلى الحرب إلى روما ، والثالث يقتله الشعب رداً بالرصاصة ، والرابع يقتله أنصاره بملغم رشاش ! »

ويومها لم يستطع واحد من الوزراء وكبار رجال القصر الحاضرين أن يضحك من النكتة ، فقد كان معنى ذلك أن يشتهه الملك هؤلاء !
وكانت هذه التصريحات يومها ملحقة . . . وقال الوزراء وكبار رجال القصر في تبريرها إن مستر لويد جورج شرب قبل الغداء وأثناءه ، كمية كبيرة من الخمر ، وأنه كان غموراً وهو يتكلم ، وإن الذى قاله كلام طرغ ، وفي الوقت نفسه توأصى للوزراء بالكتمان !

ولكن توفيق دوس باشا وزير المواصلات ، وكان وزيراً جريئاً وصديقاً حميماً للويد جورج ، روى لى القصة ، وقد كان حاضراً هذا الغداء ، وكانت ابنته الآتية ليلى دوس حاضرة فى أثناء روايته هذه القصة الملحة !

هذه القصة كانت تتناقلها الأفواه فى تلك الأيام ، ولكن لا يمكن التورخ أن يحدد عليها لأنها قصة بلا مستندات .

عراي رقم ٢

وقد حدث بعد ذلك أن سمحت الحكومة البريطانية للمؤرخين بالاطلاع على بعض — لا كل — البرقيات السرية التي تبادلها لورد ألكني مع لورد كيرزون وزير الخارجية أثناء الثورة . . فلماذا في بعض هذه البرقيات ما يؤيد الرواية التي رواها مستر لويدي جورج في القاهرة . .
مثلا برقية هذا نصها :
دار الحماية — القاهرة

١٨ أبريل سنة ١٩٢١

من لورد ألكني المندوب السامي
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية
إنني أعتقد أن سعد زغلول في حالة من الزهو والترفع حتى إنه لا يستبعد أن يقوم بانقلاب كاتقلاب عرابي باشا .

ألكني

ثم أرسل لورد ألكني برقية أخرى :
دار الحماية — القاهرة

٨ ديسمبر سنة ١٩٢١

من لورد ألكني المندوب السامي
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية

أُلبس سعد زغلول الموقف في مصر . وصل إلى درجة الغليان . أطلب تفويضاً
بإذاره هو وثمانية من أنصاره ، بمنعه من الخطابة ، ومن شهود أى اجتماع عام ، ومن
استقبال الوفود ، أو أن يكتب في الصحف ، أو أن يقوم بأى عمل من الأعمال
السياسية ، وأن يغادر القاهرة فوراً ، ويقيم في منزله في الريف تحت رقابة البوليس !
أَللّٰهِي

ثم أرسل لورد أَللّٰهِي برقية ثلاثة :
دار الحماية - القاهرة

٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

من لورد أَللّٰهِي المندوب السامى
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية
وجهت اليوم إلى سعد زغلول إنذاراً نهائياً . . إذا لم يخضع هو وثمانية من زملائه
فوراً فسأقبض عليهم وأنفيهم في الحال خارج مصر !

أَللّٰهِي

وفي اليوم التالي أهرق لورد أَللّٰهِي :

٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

تم القبض على سعد زغلول . الحالة هادئة جداً .
إن سيلان أوفى مكان ، لأنها مقرونة في الأذهان باعتقال عرابي باشا ، واسمها
سيحدث في الشعب تأثيراً عظيماً .

أَللّٰهِي

وبعد يومين أبرق لورد ألكني برقية جديدة :
دار الحماية - القاهرة .

٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢١

من لورد ألكني المندوب السامي
إلى لورد كيرزون وزير الخارجية
هذا بيان الأمكنة الموجود بها التسعة الأشخاص الذين أمرتهم بالكف عن
الأممال السياسية . . . ستة منهم الآن في السويس ينتظرون الإبحار من السويس
على باخرة تطل في ٢٨ ديسمبر . وثلاثة أطلعوا أمرى وهم تحت مراقبة البوليس .
عيد ميلاد سعيد .

ألكني

هذه البرقيات المستيرية كلها تؤيد رواية لويد جوزج عن الحالة التي كان فيها
اللورد ألكني المندوب السامي البريطاني في مصر
وهذا جزء من الرواية . . ولكن ما هو نصيب بقية الأجزاء من الصفحة ؟
إن مستر سيلفستر - السكرتير الخاص للويد جوزج - ألف كتاباً بعنوان « لويد
جوزج الحقيقي » جاء في صفحة ٦٦ منه عن زعماء ثورة أيرلندا الذين وقّعوا الاتفاق -
الذي أشار إليه لويد جوزج - قوله بالحرف الواحد :
« إنهم وقّعوا المعاهدة . ولكن ماذا حدث ؟ . . » جريفت « مات مسموماً ،
و » كولتر « ضرب بالرصاص : و » دافى « فر إلى روما ، و » بارتون « قتل ،
و » تشيلنز « قتل أيضاً » .
ولكن أين هي الوثيقة التي تدل على أن العرش عرض على سعد زغلول ؟ إن

الصحف والمجلات بقيت صامته لا تستطيع أن تفتح فيها . فنذكر أو نشير إلى السر الخفي !

ومات الملك فؤاد . .

وبعد وفاته خرجت مجلة (آخر ساعة) في يوم ١٤ يونيو سنة ١٩٣٦ . وألقت القنبلة ! . . . فقد كتبت تقول بالحرف الواحد : « هناك صفحة من تاريخ مصر الحديث ضائعة . أو حلقة مفقودة في التاريخ السري للثورة المصرية الأخيرة . ولا نعرف هل آن أوان نشر هذه الصفحة أم لا ، ولا نعرف كيف ستقابل هذه المعلومات من حضرات الزعماء ومن رجال السراى . ولكنها خدعة نقدمها لأولادنا الذين سيكتبون غداً تاريخ مصر كما يجب أن يكون !

والسؤال هو : « هل عرض عرش مصر على سعد زغلول ؟ »

والجواب : « نعم ! » . وهناك شهود أحياء ووثائق تاريخية لهذا العرض الذى تم في عام ١٩٢٢ : فعندما نفت السلطة العسكرية سعداً إلى سيشل ، تقدم إليه في مدينة عدن مندوب رسمى من حاكم عدن ، وطلب مقابلته مقابلة خاصة .

وكان أن أبلغ مندوب الحاكم العام سعد زغلول أن الحكومة البريطانية تعرض عليه أن يختار لنفسه أمراً من اثنين : أن يصير على الاشتغال بقضية الاستقلال . وسوف تكون نتيجة هذا الإصرار نفيه إلى سيشل ليبقى بها مدى حياته . (وذكر له المندوب مدى الأحوال التى سوف بصادفها !) . . . أو أن تنصبه الحكومة البريطانية سلطاناً على مصر تحت الحماية البريطانية ، وتضمن له استقلالاً ذاتياً فى حدود هذه الحماية ! .

وأجاب سعد زغلول بلا تردد : « إننى أفضل أن أكون خادماً فى بلادى المستقلة ، على أن أكون سلطاناً فى بلادى المستعبدة المحتلة ! »

وسأله مندوب الحاكم : « هل هذا هو الرد الأخير ؟ »

فأجاب سعد : « إنه كذلك »

وهكذا انتهت المقابلة الخطيرة .

ولقد دون سعد هذه المقابلة في مذكراته بتفصيل دقيق ، وصحبتها أنا شخصياً من المغفور له فتح الله باشا بركات ، وأنا أعرف أنه دونها في مذكراته ، للوجود الآن عند الدكتور بهي الدين بك بركات .

وأعرف أن أم المصريين تعرف هذه القصة بالتفصيل من سعد زغلول . وأعرف أن عدداً من أعضاء الوفد وعلى رأسهم الرئيس الجليل ، ومعالى مكرم عبيد باشا يعرفون القصة (وهما الوحيدان على قيد الحياة من زملاء سعد في سيشل)

انتهت الكلمة التي نشرتها مجلة (آخر ساعة) في العدد ١٠٦ الصادر يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٦ في الصفحة ١٢ ، منذ ٣٨ عاماً ! .

٥ أزمة في القصر !!

وقيمة هذه الرواية في أنها نشرت والمالك السابق فاروق ، ابن الملك فؤاد ، لا يزال ملكاً ! . . وأن الشهود الذين تحدثت عنهم آخر ساعة كانوا موجودين : فإن صفية زغلول كانت على قيد الحياة . . ومصطفى النحاس كان رئيساً للوزارة . . ومكرم عبيد كان وزيراً للمالية . .

ولكن الذي حدث يومها أن الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية احتج على هذا النشر ، وتحدث في ذلك إلى عبد الفتاح الطويل الوكيل البرلماني لوزارة القصر ، وتحدث أيضاً إلى مكرم عبيد باشا ، فقال له مكرم : « إن الرواية صحيحة مائة

في المائة ! » وقال الأمير محمد على يومها إنه لا يعترض على صحة الرواية، ولكن نشرها فيه إساءة للأسرة المالكة !

ولم ينشر تكذيب لهذه القصة !

وما كاد الأمير محمد على يتنفس الصعداء ، حتى ظهر كتاب « سعد زغلول » للأستاذ عباس العقاد ، وقد جاء في صفحة ٤٠٥ منه ما يأتي :

« نزل سعد وأصحابه في قلعة عدن ، فلم يلبثوا قليلا حتى جاءهم رسول من مصر هو موظف سوري كبير كان يعمل في دار الحماية ، فاستأذن في لقاء سعد على انفراد وخرج معه في ركبه الرياضي ، وافتتح معه حديثا وجيزاً عن المفاوضات والحلول المعروضة . . ثم فاجأه بكلمة مقتضبة لا علاقة لها بمحدثه السابق ، قائلا : « ستكون ملكاً على مصر ! . . . »

فدهش سعد لهذه المفاجأة ، وأجاب في حدة واستغراب : « مالنا ولنا ؟ وما شأني أنا والملك ، ولست إلا واحداً من الرعايا ؟ » فعاد الرجل إلى الكلمة يكررها وأضاف إليها : « إنك زعيم الأمة الذي لا ترضى سواه ، ولو قبلت ما يعرضه الإنجليز عليك وعلى الأمة لما خالفك أحد » . فاختصر سعد هذه المفاداة ، وقال للرجل : « إنني أفضل أن أكون فرداً في أمة مستقلة على أن أكون ملكاً لبلاد مستعبدة في ظل حماية أجنبية ! » ولزم الصمت في هودته إلى القلعة ، بعد أن قال له — على ما أذكر — : « إنني أحب لو أنني لم أسمع شيئاً مما تقول ، ولا أود أن اسمع مرة أخرى ، منك أو من سواك » .

هذا هو ما كتبه الأستاذ العقاد . والعقاد حجة في تاريخ سعد زغلول . . . ولكن الموزع يبحث دائماً عن مستند مكتوب . . فإن أحداً من أبطال القصة لم يتكلم . . . ويزيد في أهمية هذا التحقيق أن سعد زغلول لم يكن قبل الثورة . :

هو بعد الثورة . . كان قبل الثورة فرداً ، وبعد الثورة زعيماً وقائداً ! . . كان يقف وحده ، ثم أصبح يقف معه الملايين . : ومن هنا يتغير الرجل ، فإن ثقة الشعب وإيمانه يرفعان الرجل من الأرض ، ويجعلانه فوق الرءوس . .

فقد كان سعد زغلول قبل الثورة يطمح في أن يكون وزيراً للأوقاف في وزارة حسين رشدي ! . . وقد رشحه رئيس الوزراء للسلطان فؤاد ، ووافق السلطان وبقي سعد زغلول ينتظر ، بل إنه اعترف بأنه كان لا ينام الليل وهو يفكر في هذا المنصب : يتولاه أو لا يتولاه . .

ثم جاء الرد من نائب ملك إنجلترا برفض ترشيح سعد زغلول وزيراً . . ونزل النائب كالصاعقة على سعد زغلول ، واعترف بأنه تضايق لأنه لم يصبح وزيراً للأوقاف ! وكان هذا قبل الثورة بشهور . .

وقبل ذلك رشح وزيراً للزراعة في عهد السلطان حسين . . فقد حدث أن انتحرت إحدى السيدات ، وظهر أن لها علاقة بوزير الزراعة في تلك الأيام . . وكانت السيدة ابنة أحد زملاء وزير الزراعة وزوجة لأحد كبار الموظفين . . ثم ضبقت السيدة مع وزير الزراعة . . واضطر وزير الزراعة أن يستقيل من الوزارة استقالة مشهورة . .

ورشح سعد زغلول وزيراً للزراعة خلفاً للوزير المستقيل . . ورفض لورد كتنشر - نائب الملك في ذلك الحين - تعيين سعد زغلول وزيراً للزراعة ! . . واعترف سعد زغلول بأنه كان يأمل أن يكون وزيراً للزراعة . . وأنه أصيب بخيبة أمل عندما رفض لورد كتنشر تعيينه في هذا المنصب . . بل إن لورد جورج لويد ، المندوب السامي البريطاني ، قال في صفحة ١٨١ من مذكراته التي نشرها بعنوان : « مصر منذ عهد كرومر » :

« إن سعد زغلول في أثناء الحرب طمع في أن يعين مديراً لمكتب البعثات في باريس خلفاً ليعقوب أرزين باشا . . وإن لورد كتشنر المندوب السامي البريطاني يومها رفض أيضاً تعيينه في هذا المنصب . . وإن السر هو أن سعد زغلول كان يهاجم لورد كتشنر ولا يحترمه ! »

سعد فكر في أن يهاجر من مصر

ولقد اعترف سعد زغلول مرة بأنه فكر في أن يهاجر من مصر — في أثناء الحرب العالمية الأولى — بعد أن أفضلت جميع الأبواب في وجهه ! . . كانت الأحكام العرفية معلنة ، ولا يستطيع أحد أن يفتح فيه ! وكان السلطان معيناً بقرار أصدره وزير الخارجية البريطانية ! كانت الرقابة مفروضة على الصحافة . . كان القصر يكرمه ، وكان الإنجليز يمحنتونه . . وكان يشعر أنه أصبح متعللاً بلا عمل ! ومن هنا كان يطمع في أن يكون وزيراً !

فكيف أصبح هذا الرجل — بعد عامين اثنين من هذه الرغبة في الحصول على منصب وزير الأوقاف — يرفض أن يكون ملكاً على مصر ! . . ؟ إن هذه الرواية لا تزال في حاجة إلى مستند .

إن رواية لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا هي أنه عرض العرش على سعد في عدن . . ولقد بقي سعد زغلول في عدن من أوائل يناير إلى ٢٨ فبراير — وهذا يؤيد رواية لويد جورج بأن أمراً صدر إلى حاكم عدن باستبقاء سعد زغلول فيها — فلو أنه تقرر سفره إلى سيلان أو سيشل كما أعلن أولاً ، فلماذا بقي في عدن طوال

هذه المنة ، إلا إذا كان هناك حقيقة سبب لهذا الاستثناء ١٩
إذن فالسبب في بقائه هو أن يستطيع «الرسول» أن يسافر من لندن إلى عدن
ويجتمع بعد زغلول ، كما ورد فيما ذكر من هذا الاجتماع الخطير ١

مذكرات فتح الله بركات

ولنبحث عن مذكرات الذين كانوا متقيين مع سعد زغلول في عدن . . لقد
حصلنا على مذكرات فتح الله بركات باشا السرية ، وفيها يقول في صفحة ٦ تحت
عنوان «تابع يوم الاثنين ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢» ما يأتي :

«تم حضر الكاين استيل مرة ثانية . . وسأل الرئيس إذا كان
يريد التريض اليوم أو غداً . فقال الرئيس : أريد اليوم . وتعينت الساعة الرابعة
بعد الظهر موعداً له . وفي الموعد عاد الكاين وقول مع الرئيس . وفي أثناء نزولهما
قابلهما رجل طويل القامة ، عليه بذلة ملكية وبريطة عسكرية ، أشقر اللون
مع ميل إلى الصفرة ، تناهز سنه الستين ، فحسبه الرئيس أولاً صاعداً عند
الفرقة العسكرية النازلة معنا . ولكنه بعد أن قدمه الكاين استيل للرئيس عاد
غترل معهما ، وتكلم بعربية فصيحة عن اللواء والصنعة ، حتى وصلوا إلى السيارة
فركب مع الرئيس ، وانصرف استيل بدون كلام . .

«وأخذ الرجل يتكلم بالعربية كما ابتداءً ، وليس من للتيسر إثبات ما دار
من الكلام حسب ترتيبه ، ولكن يمكن تلخيص أهم نقطته في أن الرجل أخذ بعد
الكلام عن اللواء والصنعة - يسأل من راحته ، وما إذا كان الرئيس ورفاقه
يخرجون الرياضة ويقومون الجولات . فأجابه الرئيس بأنه لم يحصل الإذن له بالرياضة

إلا هذه المرة : بأنه لم يخرج من السجن من بعد دخوله إلا ميتين فقط لزيارة أحد رفقاته في الاستبالية التي كان قد نقل إليها . فقال الرجل : « إنكم تكرهون الإنجليز ! » . فجاوبه الرئيس : « إن الأمة المصرية لا تذكر أمة من الأمم إلا من يريد التغلب عليها وحكمها . وهي بالعكس تريد محالفة الإنجليز ومصادقتهم ، ولكنهم هم يريدون حكمها » .

وقال الرجل : « إن المصريين يسبون الإنجليز ! » . فأجابه الرئيس : « إنهم ليسوا بسباين . ولكنهم يفضيئون لإرادة التسلط عليهم » . قال الرجل : « إن الإنجليز أمة ظلمة ! » . فأجابه الرئيس : « أنظن ؟ » . قال الرجل : « نعم ، وإنى أحب الترك والعرب . وكنت منع الجيش التركي ، وإنى هنا مدة ست عشرة سنة وفي مصر ثلاث سنين » . فقال الرئيس : « إن المصريين لا يحبون الترك ، ولا يحبون أحداً يتسلط عليهم لا من الترك ولا من الإنجليز ! » . قال الرجل : « إن هناك قلقاً عظيماً في الهند . وإن الهند تطلب الاستقلال » . قال الرئيس : « هل هذا حقيقى ؟ » . فأجابه : « نعم » ، وأضاف أنه كان في الهند وعاد منها منذ خمسة أيام فقط ، وأن ما تطلبه هو حقها . فلم يجبه الرئيس عن ذلك بشئ .

وسأل عن السلطان الحالي وعن اسمه . فلم يحضر الرئيس اسمه (اسم السلطان) وأخذ يتذكره ، وبعد قليل - بعد التذكر - أوردته . فقال الرجل : « نعم » إنه فؤاد . ماذا تقول فيه ؟ . فأجابه سعد : « من أى جهة ؟ » . قال : « هل هو محبوب وله نفوذ ؟ » . فأجابه الرئيس : « إن الناس لا يفكرون في شأنه ، وليس له نفوذ ولا أهمية » . ثم سأل عن عبد الله باشا . فأجابته بأنه لا أهمية له ، وليس رئيساً للحزب .

فسأله إذا كان متفقاً الآن مع الرئيس ؟ فأجاب بأن لا أهمية لاتفاقه أو خلافه ما دام لا حزب له ، والبلد كله كتلة واحدة ، لاختلاف فيه ويريد الاستقلال ، أى أن يحكم نفسه بنفسه ، مع مخالفة الإنجليز ومصادقهم . قال الرجل : « لا أظنك تحب أن تبقى بعيداً عن بلادك ، لا بد من العودة عاجلاً أو آجلاً » . ثم قال في موضع آخر : « لا بد أن تصبح ملكاً » . فأجابه الرئيس : « إني لا أبحث عن ذلك ، ولكن الذى أبحث عنه هو استقلال بلادى » فكرر الرجل ذلك مراراً ، فلم يظهر الرئيس اهتماماً . . وجاء فى كلامه أنه موظف فى الأمور السياسية ، وأن له ابناً ضابطاً فى الجيش المقيم بطنس . وجاء فى كلامه أنه يعرف اللورد ألنبي ، وامتنحه .

انتهى نص ما كتبه فتح الله بركات عن مقابلة سعد زغلول مع الرسول الذى أرسلته إليه حكومة لندن . .

ولكن فتح الله بركات لم يحضر المحادثة الخطيرة .

ولا بد أن يعتمد المؤرخ على رواية أحد الشخصين اللذين حضرا هذا الاجتماع . إنهما الرسول الإنجليزى ، وسعد زغلول ! .

ولكن هل كتب سعد زغلول فى مذكراته عن عدن قصة هذا الاتصال ؟

إن سعد زغلول دون فى مذكراته عند نفيه إلى مالطة كل التفاصيل الدقيقة . .

فلا بد أنه فعل ذلك عندما كتب عن قصة نفيه إلى عدن ، ثم إلى سيشل . .

الملك مرقى القنبر !!

وهنا تظهر مفاجأة ملحلة . .

إن الكراسة التى فيها مذكرات سعد عن القبض عليه فى مصر ، ونفيه من مصر ،

وسجنه في عذق .. مخفية ! .. ولقد قيل هذا يوم تسلم الدكتور بهي الدين بركات - باسم ورثة سعد زغلول - هذه المذكرات من خزنة بنك مصر التي أودعها فيها الرئيس السابق مصطفى النحاس . وكانت محكمة مصر قد حكمت بهذا التسليم .

قيل إن الدكتور بهي الدين بركات سجل في محضر الاستلام أن هناك مائتي صفحة اختفت ! .. وأثبت الدكتور بهي الدين بركات في المحضر أن سجلات البنك لا تقول إن الخزاة الخاصة المودعة فيها المذكرات قد فتحت منذ أودعت فيها المذكرات عام ١٩٢٧ .. في حين ثبت أن هذه المذكرات فتحها الرئيس السابق مصطفى النحاس أكثر من مرة ..

فهل فتح مجهول هذه الخزانة وأخذ منها جزءاً من المذكرات وهو الخاص بعرض العرش على سعد زغلول ؟

إن الرئيس السابق مصطفى النحاس ليس صاحب مصلحة في إخفاء هذه الحقيقة ..
فن هو صاحب المصلحة فيها ؟ . من هو الذي يعرف أن هذا الجزء بالذات يحوى
مستنداً مختصرة جداً هى عرض العرش على سعد زغلول ؟ . ألا يجوز أن يكون
صاحب المصلحة فى ذلك هو القصر الملكى ؟ ! .. وألا يجوز أن يكون أحد كبار
رجال قصر الملك فؤاد الذين كانوا موجودين فى الحفلة التى أقيمت لعيد جورج
فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ قد أسرع وأبلغ الملك فؤاداً ما قاله لويد جورج عن عرض
العرش على سعد زغلول فى عيد ؟ !

والأخير أن يكون الملك قواد قد استطاع بوسائله الخاصة أن يفتح خزائنه بنك مصر المودعة فيها مذكرات سعد زغلول ، وأن أحد رجاله انتزع الكراسة التي بها الجزء الخاص بنفى سعد زغلول إلى عدن ، وعرض العرش عليه ، وبذلك يستطيع أن يخفى إلى الأبد أن فلاحاً أبى أن يجلس على عرش مصر في ظل حراب الانجليز ؟ !

إن الثابت أن كراسة تبدأ صفحاتها من صفحة ١٤٢٦ إلى صفحة ١٤٨٢
قد اختفت من خزانة بنك مصر ! . . . إن هذا أكثر من مجرد استنتاج .. إنه
حقيقة ، لأنه لا يوجد سبب وجيه لأن يحتفى من مذكرات سعد زغلول الجزء الخاص
بغية في عدن ؛ إلا أن يكون الملك فؤاد أو أحد رجال القصر أراد أن يخفى عن
التاريخ إلى الأبد هذا الجزء الخطير من تاريخ مصر ! . . . إن هذه الست والخمسين
صفحة المختفية يمكن أن تكون هي الحاوية لهذا الحدث الخطير المجهول ! .

ولكن هناك مفاجأة أكبر !

إن الذى سرق هذا الجزء من المذكرات لم يخطر بباله قط أن سعد زغلول قد دون
القصة في جزء آخر ! إنه لم يتكلم أثناء حديثه عن نفيه إلى سيبل ، وعرض
العرش عليه ، مجرد حديث شغوى . . . ولكننا عثرنا على القصة الكاملة « بخط سعد
زغلول نفسه » ! . . . إنه كتبها وهو منفى في جبل طارق ، بعد ذلك بأشهر . . . كتب
سعد زغلول بالحرف الواحد في صفحة ٢٥٠٤ من المذكرات :

جبل طارق

يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٢

« ذكرت اليوم أمام حري وصاحبتهما فهيمة « ثابت » قصة « يعقوب » التى
قابلنا في عدن ، وركب معى فى الأنوميل ، وتكلم فى شئون مصر ، ولح لى بقرب العودة
وزوال الشدة ، وأنى أصبح ملك مصر ، فقلت له إنى لا أبحث عن « وظيفة » ،
ولا أبنى إلا استقلال بلادى ، أما السودان فإنه لازم لمصر ، ولا يمكنها الاستغناء
عنه !

فقلت فهيمة إن اللورد أَلْنِي أشار في كلامه مع وفد السيدات إلى هذه المقابلة ، بقوله إننا رغبتنا في الاتفاق معه هنا وفي غدن فلم يقبل . وقالت حري إنه قال لهذا الوفد : إننا لا نعرف ماذا يريد ، وهو لم يقبل الاتفاق معنا .

« فتأكدت من ذلك أن ما ظننته وأصحابي عن هذه المقابلة كان صحيحاً ، وأن يعقوب هذا كان رسولا ، وأن حضوره بعد ذلك في الباخرة الحربية لم يكن إلا سراً لتلك المقابلة ، مع إثباتها بالإمضاء الذي رجائي في توقيعه على الدفتر ، وكل الدلائل تدل على صحة هذا الظن ، لأنه لم يكن يؤذن لي في الخروج للترهة مع شدة إلحاحي في طلبه ، ولكن في يوم تلك المقابلة عرض عليّ الضابط استئيل المكلف بشئوننا أن نخرج في ذلك اليوم أو غده . فاخترت ذلك اليوم في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وفي هذه الساعة نزلت معه إلى أسفل المكان أو « القلعة » التي كنا سجناء فيها . وفي أثناء ذلك قابلنا يعقوب هذا صاعداً ، فلما قابلنا عاد معنا ، وسبقنا الضابط استئيل نازلاً . فتكلم معي بالعربية . . . ولا وصلنا إلى الأوتومبيل انصرف الضابط استئيل ، وذهبنا بالأوتومبيل إلى الترهة ، وفي أثناء ذلك حدثت تلك الحادثة .

« ولا عدت في الساعة الخامسة انصرف هو ، وصحبني الضابط النوبتجي الذي كان في انتظارى ، ولا وصلت إلى إخواني قصصت القصة عليهم فأعجبوا كل الإعجاب بكلامى فيها ، وقد أملتيتها على مصطفى بك التحاش فأثبتها عنده ، كما كتبها فتح الله ماشا ، ولا أذكر تاريخ اليوم بالضبط ، وربما كان في أوائل فبراير .

« وقد صرح لي الرجل بأنه كان ضابطاً في الجيش ، ثم خرج منه ، والتحق بالوظائف السياسية ، وأن له ابناً ضابطاً في الجيش ، ومع ذلك فإن قومندان الباخرة أنكر أنه موظف ، وقال إنه انفصل من الخدمة منذ زمان طويل .

« ولا أنعمت القصة لحرى وحدها قبلتى ، وأبدت إعجابها بتعفى وزهادتى ،
وقالت : الآن أفهم أن الإنجليز لا يسمحون بعودتك ، لأنهم اعتقدوا أن إرضاءك
ليس فى مقدورهم ، ما داموا لا يفرطون فى مصر ، وهذا هو الرأى الراجح ، فقلت
لها : إنه لا بنية لى فى هذه الحياة إلا أن أرى بلادى مستقلة ، وكل ما دون هذه
الغاية ضئيل فى عيني ، مهما علا شأنه وحظ قدره ، وإن تلك القصة على أهمية
ما عرض فيها وخلايقته ، لم يؤثر على شئ ، بل كنت قد نسيت أمرها كل النسيان ،
وما تذكرته إلا لما جاءت مناسبة لذلك . »

قلت لها : « وإلى إذ مات الآن لموت مستريحاً من جهتك ، فقد عرفك الناس ،
وأخلت بينهم مكانة عليا ، فلست كتغيرك من السيدات : شخصيتك متطورة فى
شخصية زوجك ، وتندرج فيها ، بل إن لك شخصية قائمة بذاتها ، صفات عالية
عرفها الناس فيك ، فلا ضمير عليك بعدى . . . »

هذا هو ما دونه سعد زغلول بالحرف الواحد فى مذكراته .

ولكن ، هل انتهت القصة ؟

لا تقبل هذا السلطان !

صفحات ممزقة من مذكرات سعد

في ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ تناولت الغداء مع أحمد باشا الباسل وكيل الوفد المصري على مائدة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجليلي مدير إدارة المساجد بوزارة الأوقاف في تلك الأيام . وكان معنا المرحوم الأستاذ توفيق صليب ، والمرحوم كامل الشناوي ، وعلى أمين .

وبعد الغداء جلس حمد باشا يروي ذكرياته السياسية الممتعة . قال إنه كان مع الوفد المصري في باريس سنة ١٩٢٠ . ولاحظ أن نفوس الأعضاء لم تكن متألقة . كان الأعيان من الأعضاء يقولون إن سعد زغلول يريد إعلان الجمهورية في مصر ، ويعتقدون أنه بذلك سيخرب البلد ، ولم يكن سعد زغلول في أول الثورة من أنصار الجمهورية . ولكن بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها . والسبب أننا كنا منفيين في مالطة وجاءت بريقة تقول إن إحدى المديريات أعلنت استقلالها وأعلنت الجمهورية .

واهتم سعد زغلول بهذا النبأ ومكث يحدثنا فيه حتى الصباح . وكنت أنام مع إسماعيل صدقي في غرفة واحدة . وقلت له إنني شعرت أن رأس سعد زغلول دار بفكرة الجمهورية ، وكان من رأي صدقي أن إعلان الجمهورية كارثة . وعندما ذهبنا إلى باريس كان سعد يلمح إلى ذلك ، وقد رفض يوماً اقتراحاً بأن يتكون برلمان بعيد انتخاب السلطان فؤاد سلطاناً . وقال إن البلد هو الذي ينتار نوع الحكم بعد الاستقلال . وكان أعضاء الوفد - وخصوصاً الأعيان منهم - يرون أن هذا أتباع جنوني . وأنه سيؤدي

إلى انقضاء الأعيان عن الثورة وإلى قيام البلشفية ، وقال عبد العزيز فهمي :
« إذا كنا لا نستطيع أن نحتمل سعد زغلول كرئيس وقد فكيف نحتمله لو أصبح
رئيس جمهورية ؟ »

وكان سعد يسمى المعارضين في خلق السلطان : « جمعية عبيد السلطان ! »
وقال حمد باشا : « ذهبت إلى سعد باشا وقابلته منفرداً ، ونصحتة بأن يعمل
على تصفية القلوب ، وأن الأعضاء يشكون في نواياه ، وأنه يحسن أن يصحب الجرحى
قبل سفر الوفد المصري إلى لندن للمفاوضة مع ملتر ، ويضمد الجروح . ولكن
سعداً لم يهتم كثيراً برأيي ، ولم يكن يعتقد أن الأمر سيؤدي إلى انشقاق . . وسافر
الوفد إلى لندن ، وفي أحد الاجتماعات اختلف الأعضاء على من يتولى مفاوضة اللورد
ملتر ، فقد خشي أن يثير سعد زغلول مسألة الجمهورية — مخالفاً أغلبية الوفد —
وكان على حد قال إن سعداً أثارها في مقابلة مع اللورد ملتر ، بغير اتفاق معنا :
وقال سعد إن من رؤية أن الاستقلال هو أن يختار الشعب بنفسه النظام الذي يراه ،
جمهورياً أو ملكياً ، ويجب أن ينص على هذا في المعاهدة . وقال إن من رأيه عزل
السلطان باعتباره أثراً من آثار الحماية ، وأن الشعب ينتخب حاكمه بعد الاستقلال :
واشتدت المناقشة بيننا . . واهتما سعد بأننا نعارض في خلق السلطان وإعلان
الجمهورية ، من أجل مصالحنا الشخصية !

قلت : « أنا طلبت من سعد باشا في باريس أن يفتش عن الشيوخ ويلحمها
قبل سفرنا إلى لندن ! »

قال سعد باشا متضيقاً : « شيوخ إيه ؟ »
قلت : « الشيوخ التي في الوفد يجب أن تفتش عنها . »
قال سعد باشا : « أنا يا سيدى عملتك أنت الفتش . »

وأجاب حمد باشا : « إذن أنا أقبل الوظيفة : . لكن أول من سأقشعه هو أنت ! »

فتضايق سعد باشا وقال : « أنت لا تفهم ما تقول . . . » فثرت في وجهه ، وقامت مناقشة عنيفة بيننا اشترك فيها سينوت حنا بك . وقلت لسعد باشا : « إن رأينا فيك أنك مجنون ، وأنتك تريد أن تخرب الحركة بإثارة هذه المسألة ، وإن عدلى باشا قال إن الإنجليز مصممون ألا يعقدوا محادثة إلا مع السلطان ! » .. وقال سعد زغلول إنه لا يعترف بالسلطان ، وإن السلطان موظف إنجليزي ، وإنه يجب أن يخرج بخروج الموظفين الإنجليز ، وإن السلطان هؤلاء مجرد جندي في جيش الاحتلال ، ويجب أن يخرج مع جيش الاحتلال ! .. وثار واصل غالى ضللى ، وثار على ماهر ضللى :

« وخرجت من هذا الاجتماع وأنا متعصب على السفر في اليوم التالي إلى مصر . ولكن حمد محمود باشا والمرحوم عبد اللطيف للكياتى بك أقتعاني بأنى على خطأ في توجيه هذه العبارات العنيفة إلى سعد زغلول ، وأن الواجب أن أعتذر لسعد . وقال لي باقى أعضاء الوفد نفس هذا الكلام ، ونزلت على رأى الأغلبية :

وفي اليوم التالى دخلت اجتماع الوفد فوجدت جميع الأعضاء موجودين قلت : « سلامو عليكم . . . فقال الأعضاء : « عليكم السلام . . . قلت : « يظهر أنى كدريت صفوفكم أمس ، وأنا أعتذر لكم عما بدر من جانبي . . . فقال سعد باشا : « هذا الكلام ما ينفعش . تعال هنا . . . قلت له : « أنا لا أوجه الكلام لمعاليك ، وإنما أوجهه للجميع . . . فقال سعد باشا : « تعال اقعد بجانبى . . .

ثم وقف سعد وقال : « ليس حمد باشا هو الذى يجب أن يعتذر ، بل أنا الذى يجب أن أعتذر ، فأنا الذى بدأت بالعنوان ، ولهذا أقدم لصديق حمد أسنى واعتذارى ، وأنا متمسك برأى ، ولكنى أحترم رأيه ولا أقره . »

هذا ما قاله حمد الباسل باشا يومئذ : ولكن هل يمكن للمؤرخين أن يكتبوا بشهادة الذين حضروا هذه الرواية ، للتليل على أن سعد زغلول كان فعلا يريد إعلان الجمهورية ؟ . . ذلك أنه ليس في أقوال سعد المنشورة أى كلام عن إعلان الجمهورية ، أو ما يوحى بأن ثورة سنة ١٩١٩ كانت متجهة إلى الجمهورية ، وأنه لولا الأعيان وكبار الإقطاعيين من أعضاء الوفد لانتجعت ثورة سنة ١٩١٩ إلى الجمهورية !

ترى هل كانت مصالح الإقطاعيين هى التى منعت الثورة من هذا الاتجاه الثورى ؟ وهل معنى هذا أن ثورة ٢٣ يوليو كانت على حق عندما بدأت أولا بتصفية الإقطاع ، ثم أعلنت الجمهورية بعد ذلك ، وأنها لو لم تفعل ذلك لما استطاعت أن تعلن الجمهورية ؟ وهل كان الشعب المصرى فى تلك الأيام مستعداً لإسقاط الحكم الملكى ، والاتجاه إلى النظام الجمهورى ؟

إن الرد على هذه الأسئلة الخطيرة لا يكفى فيه برواية مثقولة غير مكتوبة ، وخاصة أن هذه الواقعة بالذات - برغم تأكيد حمد الباسل باشا لها - لم تذكرها أو تشر إليها أى جريدة من الجرائد . صحيح أن شركة روفر وزعت بوقية فى أوائل يناير سنة ١٩٢٠ على جميع صحف العالم هذا نصها : « صرحت جريدة "التيمس" بأن لديها وثائق تثبت أن قلب السلطة المصرية سيكون من أولى نتائج انتصار المتطرفين فى مصر . . . ولكن جريدة "التيمس" يومها لم تنشر هذه الوثائق ، وقيل إنها أرادت بذلك إيقاع الخلاف بين الأمراء وبين سعد زغلول الذى كانت تسميه جريدة "التيمس" «زعيم المتطرفين» ! .

إذن لابد من مستند لتركز عليه هذه الواقعة التاريخية . فهل هناك مستند ؟ نعم .. إن بين يديّ مذكرات المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا عندما

كان رئيساً لتحرير السياسة . إنه يتحدث عن المعركة الانتخابية لانتخاب أول مجلس نواب بعد ثورة سنة ١٩١٩ ، وكيف حاول الأحرار الدستوريون وقف سعد زغلول ، وإذا به يكتسحهم اكتساحاً لم يسبق له مثيل في التاريخ . . حتى بعد أن اتهموه بأنه يريد خلع الملك فؤاد !

كتب الدكتور هيكل في مذكراته يقول : « لست أقف عند ما قيل في هذه الخطب ، اللهم إلا خطاباً ألقاه محمد على علوية بك كان له شأن خاص . كان علوية بك سكرتير حزب الأحرار الدستوريين ، وكان قبل ذلك أمين صندوق الوفد حين كان الوفد في باريس . فلما ألقى خطابه وجه إلى سعد باشا شخصياً تبهما اهتز الحاضرون لسماهما ، وكانت عبارته ” إلى أنهم سعد زغلول باشا علناً . . “ ، وهو يلقيها بصوته الجمهوري ، تقابل بالكثير من الدهشة لتصرف رجل يسميه أنصاره ” نبي الوطنية “ . . فقد اتهم سعداً بعدة تهمة ، منها أنه استول لنفسه على مال الوفد وقدره ثلاثة وثمانون ألفاً من الجنيهات ، ومنها أنه أثناء محادثات ملر طاب عزل السلطان فؤاد ، بحجة أنه أثر من آثار الحماية !

وخرجنا بعد هذا الخطاب ، والناس يتهاسون : ” بماذا عسى أن يواجهه سعد هذه التهمة ؟ “ . سألتى الدكتور حافظ عفيفي إذا كنت سأنشر هذا الخطاب كما هو في جريدة السياسة التي تصدر صباح السبت - فلم تكن السياسة تصدر صباح الجمعة - وأجبتني بكل بساطة أنني سأنشر الخطاب كما هو ، فحمد على علوية عام كبير ، وكان عضواً في الجمعية التشريعية ، وعضواً بالوفد ، وعضواً بالجنة الدستور . ثم إنه السكرتير العام لحزب الأحرار الدستوريين ، فلا يجوز ألا ينشر خطابه كما هو . فقال الدكتور حافظ : ” يحسن أن تقابل عدلى باشا ، وتحدث إليه في هذا الأمر “ . قلت : ” فليكن “ . . وعلمت في الصباح أن عدلى باشا

يتظننى بمنزله فى الساعة الحادية عشرة قبل ظهر ذلك اليوم .

وقابلت عدلى باشا ، وذكرت له ما ذكرته للدكتور حافظ عفيفى ، فطلب إلى أن أتلو عليه فقرات الاتهام . فتلوتها أكثر من مرة . وتداولنا الحديث . قلت : " لعل الفقرة الوحيدة التى يصح حذفها هى المتعلقة بحديث سعد مع ملز حول السلطان فؤاد ، وذلك احتراماً لمقام المجلس على العرش ، لا لأى اعتبار خاص بالمسئولية " .

لم تنته إلى رأى فيما ينشر أو لا ينشر ، واستصحبنى عدلى باشا إلى " كلوب محمد على " ، وسأل عن ثروت باشا وصدق باشا ، وتقدمنى إلى غرفة خاصة . وجاء صدق باشا وهدنا إلى الحديث فى خطاب محمد بك على علوبة ، فأبلى صدق باشا تردده فى صواب النشر ، وفيما قد يترتب عليه من مسئولية . أما ثروت باشا فقبل إنه ترك منزله ذاهباً إلى " الكلوب " . . .

وبينا أنا أحاول إقناع صدق باشا برأى ثروت باشا ، واشترك معنا فى الحديث ، ثم تناول الخطاب وتلا فقرات الاتهام فقرة بعد فقرة ، فكان إذا فرغ من إحداها قال : إنه لا بأس مطلقاً من نشرها . فلما وصل إلى الفقرة الخاصة بالسلطان فؤاد ، قال : " أنا أشارك الدكتور هيكل فى أن المجاملة تقتضى الاكتفاء بالإشارة إلى هذه الفقرة . أما سواها فالدكتور هيكل على حق فى وجوب نشرها " .

واقترع عدلى باشا وصدق باشا برأى ثروت باشا .

وخرجت وذهبت إلى (السياسة) ، ودفعت بالخطاب إلى المطبعة ، بعد أن وضعت بين أقواس ، فى مكان الفقرة الخاصة بالسلطان أنه لا ننشرها " تأديباً وبجاملة " !

• • •

هنا ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته بالحرف الواحد ! : •

فهل يمكن الاكتفاء بهذا كستند عن اتجاه سعد زغلول في شأن الجمهورية ؟ . .
 إن المؤرخ لا يستطيع أن يقبل أى شيء على عواهنه، بل قد يسأل : « ألا يكون
 كلام الدكتور هيكل هو كلام خصم عن خصم ؟ ألا يحتمل أن يكون هذا الاهتمام
 ملفقاً ، وأن الأحرار الدستوريين تصوروا أنه يسمى إلى سعد زغلول أمام الشعب ،
 ففوجئوا بالشعب يسقطهم جميعاً في الانتخابات ، بعد أن ظنوا أنهم يوجهون لسعد
 زغلول تهمة الخيانة العظمى عندما يقولون إنه طالب بخلع السلطان فؤاد باعتباره أثراً
 من آثار الحماية ؟ ١٩ . . صحيح أن رواية الدكتور هيكل تؤيد رواية حمد الباسل
 باشا . . ولكن هل يمكن أن يكون هذا دليلاً على أن سعد زغلول كان يفكر في أن
 تتجه الثورة نحو الجمهورية ؟ . . صحيح أن سعد زغلول طالب بخلع السلطان . .
 ولكن ربما لأنه كان يريد أميراً آخر ليتولى العرش بدلاً من الملك فؤاد . .

ربما كان يريد الأمير عمر طوسون مثلاً !

ربما كان يريد الحديوي عباس .

فما هو الدليل على أنه كان ضد الأسرة المالكة كلها ؟

وما هو الدليل على أنه كان يريد أن يكون رئيس الدولة بالانتخاب ، كما
 يقضى النظام الجمهوري ؟

الرسائل السرية

لقد حصلنا على نص الرسائل السرية المتبادلة بين سعد زغلول وبين عبد الرحمن بك
 فهمي الذي كان يرأس الجهاز السري للثورة ، (فقد كان سعد في باريس يحاول عرض
 قضية مصر على مؤتمر الصلح ، وكان يدير الثورة من باريس)
 وقصة هذه الرسائل مثيرة : كان سعد زغلول يكتبها بالخبز السري في باريس

فوق مجلات فرنسية : . وكان يحملها رسول من باريس إلى القاهرة . . وكان الدكتور أحمد ماهر هو المسئول عن عملية حل الشفرة . وكانت طريقة حل الشفرة عجيبة : وهي أن يمرر الدكتور ماهر مكواة ساخنة على الورق ، فتظهر رسالة سعد زغلول على الفور . ولكن العين المجردة ما كانت تستطيع أن ترى الحبر السري ، بل إنك تقلب المجلة فتجد صفحاتها عادية لا كتابة فيها !

إن هذه الرسائل السرية تدل على أن سعد زغلول كان يرى أن يكون رئيس الدولة في مصر بالانتخاب ، لا بالتميين ، ولا بالوراثة ، وهذا هو النظام الجمهوري . أو كما يقول في إحدى هذه الرسائل السرية بالحرف الواحد : « يجب التحذير من الاقتراب من هذا المركز - مركز رئيس الدولة - إلا بإرادة الأمة ، وبناء على انتخابها ، بعد الحصول على استقلالها التام . وإن كل قبول لهذا المركز تحت سلطة الإنجليز مهما كان اسم هذه السلطة يعد " حماية " : أو " مخالفة " . . يعد خيانة للأمة ! »

ولكن نصوص الرسائل السرية أقوى من هذا التلخيص . . إنها تدل على أن سعد زغلول كان يعطى من باريس تعليقات بلنهاز الثورة في القاهرة : بأن يحاربوا السلطان فؤاد . وأن يحاربوا الخديو عباس ، وأن يحاربوا الأمراء جميعاً . . وهذه نصوص الرسائل السرية الخطيرة :

لا نريد أن نخرج من رق الممالك إلى رق الأمراء !

٢٧ يناير سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة .
« سرنا أن ظهر الآن بعض من أعيان الشأن - الأمراء - في الميدان ، بعد أن

لبثوا في الخفاء كثيراً من الزمان ، بل بعد أن عاكس بعضهم الحركة بأقواله وأمواله .
أظهروا سرورنا بدخولهم فيما أرسلناه لكم ونشرتموه في الجرائد ، ولكننا وجلنا تصرفهم
خالياً من ذكر الوجد ، ولم يتصل بنا أنهم تكلموا عليه بشيء من أموالهم . وبلغنا أنه
اتفق اجتماع عند بعضهم في الإسكندرية بقرار فيه إسناد الزعامة إليه — عمر طوسون .
إن الأمة أجمعت أمرها قبل دخولهم على طلب الاستقلال التام ، وسارت في الطريق
شوطاً بعيداً بلونهم ، كأنهم لم يكونوا موجودين ، فدخلهم في الحركة بعد ذلك إن لم
يكن لصالح يملونه ، أو توكيل يعطونه ، فما ذا تكون القائمة من انضمامهم الآن ؟
وهل يستتبع من ذلك أنهم أرادوا المنازعة في الزعامة لتكون الرئاسة لهم ؟ . . وهل يكون
دخولهم على هذه التنية في صالح القضية ؟ أم يكون يعلم عنها أفيد لها ؟
ربما كان محمد سعيد باشا يد في هذه الحركة ، كما يرضع لذلك ، بما تكتبه
جريدة « الأهالي » لسان حاله يوماً فيوماً عن الوجد وموقفه والأمراء ودخولهم في الحركة ،
فهل أنتم مترقبون لهذه الأحوال واهتمون على أسرارها ، وعاملون على اتخاذ الوسائل
لمنع أضرارها ؟ . . إن الرئاسة لا تنهني في شيء ، ولكن يهمني أن تبقى في الأمة هذه
الروح التي أدهشت العالم بجلالها وكاملها . . وأن تبقى الحركة قومية ، ترمي إلى تحرير
البلاد من ربق الاستعباد ، وأن تمتع بالحرية الحقيقية لا أن نخرج من رقب للماليك
إلى رقب الأمراء !

محمد زغلول

٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠

سري

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى محمد زغلول في باريس .
« إن الأمراء بعد صلور يئسهم لم تبد منهم أي حركة يفهم منها انضمامهم إلى

القائمين بالحركة ، وهذا هو السر في عدم نشر صورة جوابكم الذي أرسلتموه إلى
الأمراء لغاية الآن . إننا تأكدنا من أن الأمير عمر طوسون مشايخ لحمد سعيد باشا .
ونخشينا أن تؤثر عليه أقوال سعيد فيصدنا بجواب ينشره في الجرائد بعد نشر جوابكم
ولا يكون في مصلحتنا ، ولذا تريثنا حتى يعود الأمير يوسف كمال من الوجه القبلي .
ونتفق معه على نشر الجواب !

عبد الرحمن فهمي

احلروا الأمير عمر طوسون !

پاریس فی ۱۱ أبريل سنة ۱۹۲۰

سری

من سعد زغلول فی پاریس إلى عبد الرحمن فهمی فی القاهرة
: : : هل للأمیر عمر طوسون غایة تعلمونها ؟ أو یمكنكم أن تعرفوها ؟ إلى
أشکرکم كثيراً إذا کلتم أنفسکم أن تحیطونی علماً بالحقیقة ! ،

سعد زغلول

۱۴ أبريل سنة ۱۹۲۰

سری

من عبد الرحمن فهمی فی القاهرة إلى سعد زغلول فی پاریس
«حامت الظنون حول مسلك الأمير عمر طوسون نحو الوفد وخطته ، أردت أن

أقف على الحقيقة تماماً . طلبت من إخواني الذين توجهوا إلى (الرحمانية) أن يضعوا
في برنامجهم موعداً لزيارة الأمير ويتكلموا معه في المسائل الهامة ، فإن وجدوه مؤيماً
بأعمال الوفد يطلبون منه مساعدته المالية ، وبذلك يقضى على كل ظن سيئ نحوه .
وبالفعل زاروه ، وتكلموا معه طويلاً ، فقال لهم الأمير بصريح العبارة إنه ليس
لديه ثقة في نتيجة أعمال الوفد . وبذلك ترون أن الرأي القائل باشتراكه مع محمد
سعيد باشا ، وبأنه المورد الثاني الذي يدور عليه المال ، فكر صائب .
عبد الرحمن فهمي

الهدف للخديو في الثورة

٢٠ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس
ظهرت في الأيام الأخيرة حركة غريبة جداً ، وهي الهدف للخديو « عباس
حلمى » . . . وبالبحث علمنا أن من بين المشجعين عليها الحزب الوطني ، ولا أعلم
إن كانت يد الإنجليز هي المحركة من بعيد لهذه الحركة أم أن سخافة أعضاء الحزب
الوطني هي التي دفعت بعض القوم إلى ذلك ، وهكذا تتنوع الحركة المضادة لمصلحتنا
العامة ، وتلبس كل يوم ثوباً جديداً . . . نحن نخشى اتساع هذه الحروق التي
تعملها يد النساء ، ونقود الأعداء نرجو التعجيل بتوفير المبالغ اللازمة للأعمال
السرية حتى يمكن مكافحة هذه الحركات الجديدة ، والقضاء عليها .

عبد الرحمن فهمي

١١ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة
أرجو أن تكونوا وقفتم على مصدر الحركة المالية للخديو عباس ، وعلى القائمين
بها ، وأمل أن تبدلوا همكم في القضاء عليها ، لأنه لا شيء ينوه حركتنا ، ويعضل
سير قضيتنا أكثر من أن تنسب إلى عامل أجنبي . أو عامل ذي سلطان سابق .
أو طامع في سلطان لاحق !

سعد زغلول

٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس
... بحثت عن سبب المناذاة بحياة الخديو عباس ، فوجدت أنها دسيسة
آتية من محمد سعيد باشا ، باتفاقه مع أعضاء الحزب الوطني ... الصوفاني .
فحاربها بحاربة شديدة إلى أن زال أثرها والحمد لله .

عبد الرحمن فهمي

الشعب يهتف بسقوط السلطان !

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس
أعدت السراى صورة خطبة ، وأرسلتها إلى وزارة الأوقاف ليختب بها خطب .

٣٨١

المساجد يوم الجمعة ٢٦ مارس ، وهو عيد ميلاد السلطان . كانت وزارة الأوقاف طبعت الخطبة ووزعتها على خطباء مساجدها . ولكن ياليتها ما فعلت ! النتيجة أتت بعكس ما كان يأمله واضع الخطبة على خط مستقيم : حيث حصل في جميع المساجد مظاهرة ضد السلطان ، وفادى الجمع المحتشد في معظمها بسقوطه ! وفي بعضها أنزل الخطيب قهراً من فوق المنبر الذي علاه غيره وخطب خطبة اعتيادية — وذلك بمسجدي الأزهر والسيدة زينب — أما في باقي المساجد فالخطباء لم يرددوا في إطاعة نداء الجمهور وطويت خطبة وزارة الأوقاف ، وخطبت خطبة اعتيادية ، بعد أن زلزل الجمع جوانب الجامع بصوته العالي متادياً بسقوط السلطان !

عبد الرحمن فهمي

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة
إن السخط الذي قام به المصلون لتغيير خطبة الجمعة . وما ترتب عليه ،
أوجب كل ارتياح لدينا ، لدلالته على شدة تغيظ الأمة ، وتمكن روح التضامن
فيها . ندعو الله أن تبقى هذه الروح وأن يبعد عنها إفساد المفسدين المضللين .

سعد زغلول

تشريقات السلطان !

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة
لم نخبرونا عن سبب تشريقات السلطان ، التي دعا الناس إليها في الإسكندرية
خلاقاً لما وعدتم . أرجو أن توافقونا بما وصل إليه خلعكم في هذا الموضوع .

سعد زغلول

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من عبد الرحمن فهمى إلى سعد زغلول
أعلن عن تشريفات عامة لتقديم التهنئة والتبريك للسلطان يوم الجمعة ٢٦ مارس
وهو عيد ميلاده ، ولكن لم يحضرها إلا التزور القليل جدا ، لأن أقاليم برمتها لم يحضر
منها إلا مديريها ، وأقاليم لم يحضر مع مديريها إلا ما يعد على أصابع اليد الواحدة
أو اليدين ! ولم يحضر التشريفات من رجال الجمعية التشريعية إلا أربعة مع مظلوم باشا
وهم : مرقس سمكة باشا ، ويوسف قطاوى باشا ، وخالد لطفى باشا ، وحسن باشا
توقى ، وكلهم من المعينين من قبل الحكومة . قامت مظاهرات كثيرة حول السراى
تنادى بسقوط السلطان تارة ويسقط الوزارة تارة أخرى !

عبد الرحمن فهمى

أصابع الأمراء !

١٣ فبراير سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى في القاهرة
... علمنا من بعض الجرائد الإنجليزية أن حركة قامت في الإسكندرية ضد
محمد سعيد باشا لأنه يدس النسايس للوفد ويسعى لتسوية سمعته ، فاعلمكم تكتبون
إليتنا بتفصيل عن هذه الحركة ، وما زلنا نتظر رأيكم فيما يختص بالأمراء وانضامهم
للحركة ؟

سعد زغلول

أول مارس سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زعول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة
أشركم في رسالتكم إلى عودة محمد سعيد باشا إلى بث بذور الفتنة ، ودرس
دسائس الشقاق ، وأنكم يجتهدون في إحباط عمله وتخريب أمله : وقد شعرنا من زمن
بأن لبعض الأمراء يدأ معه في هذه الدسائس ، أو أنه هو يدهم .

وفي الإعلان الذي صدر منهم ، ما كان جوابنا لكل منهم إلا جساً لتبضهم ،
وطلباً للوقوف على حقيقة أمرهم ، حتى إذا نشروه علمنا أن ذلك وهم منا ، وإذا
طوره وكتبوه تحقق لدينا ما فهمنا . ولكن إبراهيم سعيد باشا كتب إلى بأن هذا
الجواب لم يصلهم ، فمع أنه أرسل إلى كل منهم مؤمناً عليه ، فإذا كانوا مستمرين
في كتمانهم ، فما ذلك إلا لما أشرنا إليه . وعلى كل حال نرجو أن تجلوا لنا الحقيقة
بتفاصيلها .

سعد زغلول

الشعب ينتخب حاكمه

١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

سرى

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة . . . إن الأفكار الإنجليزية لا يبعد أن تكون متجهة إلى تعيين الأمير عمر طوسون خلفاً للسلطان فؤاد ، وهماً منهم بأنه بواسطه ميل الأمة إليه ونفوذها فيها ، وما له من الأعوان بين رجالها ، يمكن أن يجعل الأمة تقبل النظام الذي يريدون وضعه لمصر ، على مبادئ بعيدة عن الاستقلال التام في الباطن . وقرينة منه في الظاهر . وأن يكون انضمام الأمير للأمة إنما هو تمهيد لهذا التعيين . فهل عندكم شعور بشيء من هذا ؟ إلى أخشى كثيراً أن يكون هناك سمي في هذا الموضوع ، لأنه إذا تحقق ترتب عليه على الأقل انقسام في الأمة ، وكل انقسام مضر بالقضية المصرية ضرراً كبيراً ، لأنه ليس لما من معين غير الاتحاد والتضامن بين أفرادها ، فأى انقسام يطرأ عليها يؤثر تأثيراً كبيراً فيها .

وفي ظني أنه يمكن محاربة هذا المشروع بالنشرات السرية التي تحت على التحذير من الاقتراب من هذا المركز إلا بإرادة الأمة وبناء على انتخابها بعد الحصول على استقلالها التام ، وأن كل قبول لهذا المركز تحت سلطة الإنجليز مهما كان اسم هذه السلطة - « حماية » أو « محالفة » - يعد خيانة للأمة . .

أرجو ألا تعلموا أحداً بهذه الفكرة ، وأن يكون ما تفعلونه أمام غيركم ممن تثقون به ، كأنه صادر منكم أنتم ، لا بناء على رأينا . أرجو أن تقيدوني بكل ما يتعلق بهذا الموضوع سريعاً .

سعد زغلول

سرى

من عبد الرحمن فهمى فى القاهرة إلى سعد زغلول فى باريس
لم يهنا لى نوم قبل أن أقف على الرسالة الأخيرة . وبالفعل حالت رموزها ليلا .
ستبقى التعليلات محفوظة لا تتمدى ذا كرتى . سأنفذها بنىام الدقة والعناية .

عبد الرحمن فهمى

• • •

ولكن هل كان سعد زغلول عندما قاد الثورة يفكر فى أنه سينادى فيها بالجمهورية؟
إن سعد زغلول فى مذكراته كان يهاجم الخديو عباس ، وكان يهاجم السلطان
حسين ، وكان يهاجم الملك فؤاد ، ولكنه لم يتحدث قبل الثورة عن الجمهورية . .
لأنه لم يكن يتصور أن الثورة ستكون بهذه القوة ! . . فلقد كتب فى مذكراته
، أثناء تقيته فى مالطة يعلق على ما سمعه لأول مرة عن انتصار الثورة فيقول :

الطلة فى ٢ أبريل سنة ١٩١٩

« أخبار ما حصل من المظاهرات عقب قيامنا ، ومن أجل إبعادنا ،
ملأت قلوبنا سرورا وابتهاجا ، حتى كادت تحجب السجن إلينا ، وأفعمتنا شكرا
لأمتنا ، وهانت علينا نفوسنا ، نفدى بها هذه البلاد .
نعم ، مازج هذا السرور كثير من الأسف على النفوس التى أزهقت ،
والمالدين التى أحرقت ، ولكن أى مجد قام بغير هذه الضحايا ، وأى أمة بلغت
منها ، بغير أن يخاطر أبناؤها بأعز ما لديهم ؟ . . لقد ساءنا أن نداخل بعض
الأشرار فى الحركة وارتكبوا جرائم فظيمة ، ولكن متى هاجت الأمم فلا يعلم
إلا الله مقدار هيجانها ! ولكن المسئول عن هذا الاختلال هم الذين أساءوا
إليها من قبل .

زعم بعض رجال السياسة في مجلس العموم أننا هددنا السلطان ، وعطلنا تشكيل الوزارة ، ولكن سياستهم الخرقاء هي التي ترتب عليها هذا التعليل ، لأنهم منعونا من السفر لإبداء مطالب قومنا ، واستعفت الوزارة الرشدية بسبب هذا المنع . ولم يكن في مصر بعد هذا الاستعفاء ، لهذا السبب ، من جرؤ على قبول الوزارة : لا خوفاً منا . بل خشية أن تخقره أمته ، التي سودرت في إرادتها . والسبب الذي حمل رشدي باشا على الاستعفاء هو الذي منع غيره من أن يخل عمله !

والكتاب الذي أرسلته للسلطان لا شيء فيه من التهديد ، بل هو مملوء من الأدب معه والاحترام لشخصه والحرص على مقامه ، وإيقاظه على ما في نفوس أمته . فإن كان بعد رفع رغبات الأمة إلى سلطانها تهديداً له ، فنعم هذا التهديد . ومن الفخر الكبير أن نتحمل مسئوليتنا أمام أية سلطة شرعية . ولقد توهم حزب الاستعمار أن يتلع مصر بمجرد أن يبعد بعض أبنائها عن بلادهم . ولكن ساء فأنهم فإن البلاد من أقصاها إلى أقصاها تطلب الاستقلال . ولا تحمل للظالمين فيها إلا كل حقد وضغينة . وهما كانت طبيعة الحوادث التي حصلت في مصر بعد قيامها فإنها جاءت فارعة وشديدة ، فوق ما كان يقدر المقادرون ، وعكست القصد على حزب الاستعمار ، فألفتنا منهم كله إلى أن هناك أمة مظلومة تطلب الإنصاف .

هذا هو ما كتبه سعد زغلول عن أثر انفجار الثورة في نفسه . وفي نفس . وم كتب سعد . عن فكرة الجمهورية لأول مرة فقال :
« وما يدهش القارئ ما روته جريدة " التيمس " من أنه نودي في القرايين بأنها جمهورية ! فهل تبدلت الأمة المصرية في هذه البرهة

الوجيزة التي مضت منذ سفرنا من البلاد ؟ أو أن القوم يكبرون في الحوادث
ويبالغون في شأنها بغية الوصول إلى غرض يرمون إليه ؟ »

(انتهى بالنص ما كتبه سعد زغلول)

إن هذه الفقرة من كلام سعد زغلول تؤيد ما قاله حمد الباسل باشا بعد ذلك

بعشرين سنة :

« لم يكن سعد زغلول في أول الثورة من أنصار الجمهورية . ولكن
بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها ، والسبب أننا كنا متفين في مالطة وجاءت
برقية تقول إن إحدى المديرينات أعلنت استقلالها وأعلنت الجمهورية ،
واهتم سعد زغلول بهذا النبأ . ومكث يحدثنا فيه حتى الصباح ، وكنت أنام مع
إسماعيل صدق في غرفة واحدة وقلت له إن رأس سعد زغلول دار بفكرة
الجمهورية . وكان من رأى صدق أن إعلان الجمهورية كارثة » .

ولكن هناك جزءاً هاماً لم يثبت بعد من رواية حمد الباسل باشا ، وهو : هل آثار
سعد زغلول وهو في أوربا مسألة حتى مصر في أن تعلن نفسها جمهورية ؟ وهل ما قاله
محمد علي علوبة صحيح من أن سعد زغلول طالب بعزل السلطان ، بحجة أنه أثر
من آثار الحماية ؟ أو كما قال لحمد الباسل أنه « موظف إنجليزي يجب أن يخرج
من مصر مع الموظفين الإنجليز . وجندى في جيش الاحتلال يجب أن يخرج مع
جيش الاحتلال ؟ ! »

ان في مذكرات سعد زغلول مفاجأة في هذا الموضوع :

لولا الإقطاعيون لأعلنت ثورة ١٩١٩ الجمهورية ! رسائل سرية تلذع لأول مرة

فتح
مجهول الكراسة التي فيها مذكرات سعد زغلول ، عن أسرار ثورة سنة ١٩١٩ ،
واخترق بأصبعه إحدى الصفحات ، وقطع بيده هذا الجزء من وسط
الصفحة . وجزءاً صغيراً في أعلى الصفحة نفسها ، وقطع بيده الصفحتين التاليتين
في الكراسة !

إنه فعل ذلك على عجل ، لأنه لو كان لديه وقت لهذه العملية البسيطة لقطع
هذا الجزء بموسى ، أو بمقص . أو على الأقل شطب بالخبر على هذه الكلمات
التي يريد أن يخفيها من المذكرات ، ولكن يبدو بوضوح أنه فعل ذلك متعجلاً ،
كأنه يخشى خطراً داهياً . أو كأنه يتوقع أن أحداً سيفتح عليه الباب وبراه يرتكب
هذه الجريمة !

ذلك لأن الجزء المقطوع والصفحات المتزوعة هي أخطر ما في

مذكرات سعد زغلول عن ثورة سنة ١٩١٩ !

إنه الجزء الخالص بيوم ٨ يوليو سنة ١٩٢٠ - ويسميه سعد زغلول في المذكرات
(٨ منه) - إنه الجزء الذي كان يتكلم فيه سعد زغلول في مفاوضات ملتر عن حق
مصر في أن تكون جمهورية ، وعن طلب الأمة عزل السلطان فؤاد . إنها الحملة التي
أشار إليها حمد الباسل عندما قال إن سعداً كان يقول إن السلطان فؤاداً جندي بريطاني
وإنه يجب أن يخرج مع جيوش الاحتلال ، وهي الحملة التي أشار إليها خصومه
باعتبارها جريمة الخيانة العظمى ، عندما وقف محمد على علوبة باشا بعد ذلك بأربع

سنوات يقول : « إنى أنهم علنا سعد زغلول باشا بأنه فى أثناء محادثات ملر طلب عزل السلطان فؤاد لأنه أثر من آثار الحماية ! »
 إن معنى هذا أن شخصاً مجهولاً أراد أن يخفى هذا السر الخطير الكبير من أسرار ثورة سنة ١٩١٩ .

ولا يمكن أن يكون هذا المجهول فأراً ، لأن الدائرة المتروعة قطعت بالأصبع ، وليس فيها أثر أسنان فأر . وليس من المعقول أن فأراً يأكل الصفحتين التاليتين ، ولا يترك فيهما أثراً .

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن موظف القصر الذى فتح خزانة بنك مصر الخاصة بعد وفاة سعد زغلول . وانتزع منها الكراسة التى تحوى قصة عرض العرش عليه ، والتي تبدأ أرقامها من صفحة ١٤٢٦ إلى صفحة ١٤٨٢ هو نفسه الذى قام بعملية حذف الصفحة الخطيرة . ونزع الصفحتين التاليتين !

ولكن المفاجأة الثانية أن هذا الحادث الخطير لم يقع بعد وفاة سعد زغلول ، وبعد تسليم المذكرات للرئيس السابق مصطفى النحاس وإيداعها فى بنك مصر . . فبعد وفاة سعد زغلول مباشرة تسلمت صنية زغلول المذكرات . وتولت الآتسة « فريدا » وصيفة سعد زغلول ترقيمها باللغة السريسية فى وجود صنية زغلول . فالأرقام التى وضعها الوصيفة متتابعة : إن اجتماع سعد زغلول مع ملر فى صفحة ٢٢٥٢ بخط الآتسة فريدا ، والصفحة التالية هى صفحة ٢٢٥٣ . ومعنى ذلك أنه لم تنتزع أى صفحة من المذكرات بعد أن تولت الآتسة فريدا ترقيمها ! . . ولكن الأرقام التى وضعها سعد زغلول بخط يده هى غير المتتابعة ! فإن القصة تبدأ فى صفحة ٥٩ ، وفجأة تجد نفسك فى صفحة ٦٢ ! و صفحة ٥٩ هى التى فيها الجزء المتروك !

ولكن صفحة ٦٠ غير موجودة ، و صفحة ٦١ غير موجودة أيضاً ! . . ومعنى

هذا أن عملية اختفاء وتشويه هذه الصفحات تمت في حياة سعد زغلول .
 فهل هو الذى انتزع هذه الصفحات ، وهل هو الذى أراد أن يطمس معالمها ؟
 هل ندم على أنه طالب بخلع السلطان ، وإعطاء مصر الحق في إعلان الجمهورية
 فبادر بحرق بأصبغ هذه الصفحة ، ومزق الصفحتين ؟ إنه لو أراد ذلك لاستطاع أن
 يصل إلى النتيجة نفسها ، لو أنه أمسك قلمه وشطب بالحبر على الأجزاء التى يريد
 أن يخفيها . . ولاستعمل مقصاً أو موسى ، ولا ترك هذا الأثر الذى يدل على أن
 شيئاً غير عادى حدث في هذه المذكرات !
 أم أنه خشى أن يعثر السلطان على هذه الوثيقة فيعلم أنه طالب بخلعه ونادى
 بالجمهورية . . ويريد على ذلك بأن سعد زغلول لم يقل ما قاله سراً ، وإنما قاله أمام
 شهود ، فإنه ذكره أمام أعضاء الوفد ، وذكره أمام عدلى يكن ، وذكره أمام لورد
 ملر ، وكل هؤلاء شهود عدول عليه !

فتشوه ١٣ مرة !

إذن لا بد أن سعد زغلول خشى أن تغش السلطة البريطانية دأره ، وتحصل
 على المذكرات ، وفيها يخط يده أنه طالب بخلع السلطان ! . . فالتأبأت التاريخي
 أن بيت سعد زغلول فتشه الإنجليز ١٣ مرة في أثناء الثورة . وكان الجنود الإنجليز
 لا يكتفون بالتفتيش العادى . والاستيلاء على الأوراق الموجودة . بل إنهم كانوا
 يفتشون جسم الموجودين في البيت . وكانت سيدة إنجليزية تحضر معهم لتولى التفتيش
 الذاتى للسيدات ، للبحث عن وثائق سرية مخبئة ! . . فهل خشى سعد زغلول أن
 يقع هذا الجزء في يد السلطات البريطانية . أو السلطات المصرية التى تقوم بالتفتيش .

أو السلطان . . فتولى نزع الصفحات الخطيرة التي تؤكد أنه من أنصار الجمهورية ، وأنه يطالب بخلع السلطان ؟

وقد يقال هنا إنه بعد هذه المفاوضات التي طالب فيها بخلع السلطان عاد إلى مصر وقبض عليه الإنجليز بعد عودته ، فقد تكون مخبرات الثورة علمت بأن الإنجليز سيقبضون عليه ، أو أنها حصلت على البرقية السرية التي أرسلها لورد ألنبي المندوب السامي البريطاني في ٨ أبريل ١٩٢١ إلى لورد كيرزون وزير الخارجية ، والتي قال فيها إن سعد زغلول سيقوم بانقلاب في مصر كاتقلاب عرابي باشا . . ولهذا السبب أسرع ونزع هذه الصفحات ، وقطع بيده الجزء الذي يتحدث فيه عن خلع السلطان ، وعن الخلاف الذي حدث في الوفد بشأن الجمهورية ؟ . . وربما نسى سعد زغلول في عجلته أن يقطع الورقة الثالثة التي تحوى قصة الخلاف في الوفد بشأن خلع السلطان ، والتي رواها حمد الباسل وقال فيها . إن سعد زغلول كان يسمى المعارضين في خلع السلطان أعضاء جمعية « عبيد السلطان » . . وأنه عندما شتم حمد الباسل سعد زغلول غضب على ماهر وغضب محمد محمود ، وتدخل واصف غالى ، وأن لطفي السيد اعترض على تصرف سعد زغلول ، وأن سعد زغلول اتهمهم بأنهم يحشون على مصالحهم الشخصية إذا تم خلع السلطان !

حديث مع « ملتر »

ذلك أنه في صفحة ٥٩ التي فيها حديث سعد زغلول مع ملتر عن السلطان ، وقول ملتر إنه لا يستطيع تحمل مسئولية البحث في خلع السلطان ، نجد أن الصفحة تنتهى بكلمة على لسان ملتر ، يقول فيها « فكذلك أقول لك » . . وفجأة ينقطع كلام ملتر ، وينتقل إلى الخلاف الذي حدث في الوفد ، فيقول سعد زغلول بالحرف الواحد :

وقلت ذلك استمراً في الفكر من غير التفات إلى ما أضمره السائل ،
وإلى ما أستحسنه ، وبلغت بعد ذلك أن هذا الرأي أثار في غير أعضاء
الجمعية منهم تآثره الغضب ، واتخذ لطفى السيد وسيلة للتنديد بي ، ويظهر أن
"على ماهر" اشتد في القول معهم ، كما اشتد محمد محمود ، ودخل فيها واصف
غالى . ولا يلقى هذا الاضطراب أخذ مني الاستغراب من قوم يغضبون من لم
يرد إغضابهم ، وينظرون لصوالجهم الشخصية من نوافذ المصلحة العامة .

ولكن هذا الاستنتاج أيضاً لم يثبت أمام البحث والفحص . . فإن المفروض
أن سعد زغلول - وهو كاتب المذكرات - يعرف أين هي الأمكنة التي دون فيها هذه
الآراء الخطيرة فيحذفها . . ولكن الصفحات التالية بعد ذلك تشير إلى رأى سعد
زغلول في خلع السلطان ، ولو أن سعد زغلول هو الذى حذفها لحذف بطبيعة الحال
ما جاء في الصفحات التالية عن هذا الموضوع الدقيق ! . . ثم إن سعد زغلول ما كان
في حاجة إلى أن يقوم بهذه العملية لو أنه أراد أن يخفى المذكرات . . كان يستطيع
أن يخفيها عند أحد أصدقائه ، أو عند شخص فوق الشبهات . . والثورة التي استطاعت
إخفاء القنابل والمسدسات والمنشورات ، والتعليقات السرية ، وأسماء أعضاء الجهاز
السري ، لا تعد وسيلة لإخفاء كراسة فيها مذكرات سعد زغلول !

ولكن المفاجأة الكبرى أن سعد زغلول ليس هو الذى قام بهذه العملية ، بل دليل
أن هذا الجزء المخلوف كله موجود بكامله في كراسة أخرى من مذكرات سعد زغلول
عن مفاوضات ملر ، ولو أنه أراد أن يحذف هذا الموضوع ، لحذفه من الكراستين
مباً : : في يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب سعد زغلول يصف جلسة المفاوضات في
وزارة المستعمرات - وكان الحاضرون : سعد زغلول ، وعلى يكن ، ومحمد محمود ،

« بلطفي السيد ، من المصريين : « ولورد ملتر وزير المستعمرات ، سير روفيل رود -
كتب سعد زغلول يقول ، في صفحة ٢٠٢٣ من المذكرات :

« قال لورد ملتر : « لا نريد أن نتدخل في النظام الدستوري ، ولكن
في مبادئه الأولى » : قلنا : « إنه لا مانع أن تشمل المعاهدة على التصريح
بأن مصر دولة حرة مستقلة ، دستورية ، جمهورية أو ملكية . لا مانع من
اشتمال المعاهدة على هذا » .

وكان هذا الذي قاله سعد زغلول في المفاوضات قبله ا : : إنها أول مرة يطالب
فيها سعد زغلول بحق مصر في أن تكون جمهورية أو ملكية ا : : بل إنها أول مرة
ذكر فيها احتمال أن تصبح مصر جمهورية ا

وأثار هذا الرأي دويما ا . . ويبدو ان أحداً من المفاوضين لم يتوقع هذا من سعد
زغلول ، لأن أعضاء الوفد دهشوا أن يتكلم سعد زغلول عن الجمهورية ، في مفاوضات
رسمية مع لورد ملتر ا : : وفي هذا يقول حمد الباسل : « إن الأعيان من أعضاء
الوفد غضبوا لأن سعد زغلول يثير مسألة الجمهورية ضد رأيهم ، ومن غير استشارتهم ،
وأنه اتهم المعارضين للجمهورية بأنهم يعارضونها لمصالحهم الشخصية ، أو كما قال
في مذكراته :

« أخطئ الاستغراب من قوم يغضبون ممن لم يرد إغضابهم ، وينظرون
لمصالحهم الشخصية من فوائد للمصلحة العامة » ا

وكان سعد زغلول قد تحدث في هذا مع بلطفي السيد في باريس ، فقد كان
سعد يرى أن من الديمقراطية أن يختار الشعب حاكمه ، وإذا بلطفي السيد يجد حلا

للخلاف بين سعد وزملائه . وفي مذكرات سعد زغلول قصة هذا الخلاف قبل ذلك بشهور :

إن سعد زغلول يريد أن يكون رئيس الدولة بالانتخاب ، وعدد من أعضاء الوفد يعارض في أن يمس العرش بسوء ويوجد لطفي السيد حلاً وسطاً : وهو أن تؤلف هيئة شعبية من العلماء ورجال الدين وأعضاء الهيئات النيابية ، وهؤلاء يجتمعون ويقررون تأييد انتخاب السلطان فؤاد سلطاناً .. وبذلك نكون أرضينا «مالك وإبن حنبل» أي جعلنا اختيار رئيس الدولة بالانتخاب ، وفي الوقت نفسه احتفظنا بالسلطان ورفض سعد هذا الحل !

وهذا هو ما كتبه سعد زغلول عن هذا الحل الوسط الذي اقترحه لطفي السيد . فقد جاء في مذكرات سعد زغلول في ٥ يناير سنة ١٩٢٠ (صفحة ١٩٧٣) ما يأتي بالحرف الواحد : «قرأ لطفي السيد على مشروعي ، وضعه بنية النظر فيه ، عرض تأييد انتخاب السلطان ، من العلماء والرؤوس الروحانيين وأعضاء الهيئات النيابية ، ثم انتخاب وزارة ، وهيئة تشريعية ، وعندئذ تحصل المفاوضات بالطريقة الشرعية . فلاحظت له على التعضية الأولى فتأييد انتخاب السلطان » فقبل حلفها :

موقف «الأرستقراطيين»

ولقد كان واضحاً منذ كان الوفد في باريس أن عدداً من أعضاء الوفد لا يتصور أن تمس الثورة السلطان ، أو أن تجعل من أهدافها أن يكون رئيس الدولة بالانتخاب :: فلم يكن من المعقول مثلاً أن يقبل على يكن باشا - وهو من أصحاب الأسرة المالكة ، ويمثل أرستقراطية الأسرة الحاكمة - أو يتصور أن يخرج حكم مصر من يد هذه الأسرة !

لم يكن من المعقول كذلك أن يتصور مليونير من أعضاء الوفد - هو على شعراوى باشا الذى يملك أكثر من عشرين ألف فدان - أن من الممكن التخليص من الأسرة المالكة والسلطان . . وهنا يبرز السر في أن ثورة سنة ١٩١٩ فشلت في تحقيق هذا الهدف . فلولا أن أغلبية أعضاء الوفد كانوا من طبقة ملاك الأراضي ، لما ترددوا في الإقدام على المطالبة بالجمهورية . . ولو أن سعد زغلول ، عزل هؤلاء في الحال عن قيادة الثورة واعتمد على المحرومين الذين كانوا وقود الثورة وضحاياها ، لفضت الثورة في تحقيق هذا الانتصار الشعبي العظيم . .

ومن أخطاء ثورة سنة ١٩١٩ أنها لم تكشف عن هدفها هذا ، وأخفته : « صحيح أن الرسائل السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي أوضحت اتجاه سعد زغلول ، ولكن الثورة نفسها لم تعلن هذا الاتجاه ، اللهم إلا بعد ذلك بخمس سنوات عندما استقال سعد زغلول من رئاسة الوزارة احتجاجاً على اعتداء الملك فؤاد على الدستور ، وخرجت جماهير الشعب تحاصر قصر عابدين وتهتف : « سعد أو الثورة » بصوت كالرعد ، حتى اضطر الملك إلى الخضوع ورفض استقالة سعد زغلول ، وأجاب كل مطالبه !

جورج الخامس يفاوض جورج الخامس !

ولقد كان واضحاً أن الخلاف بين زعماء الثورة كان على مسألة واحدة : « هل الشعب هو الذى يختار حاكمه ومثليه ، أو هو السلطان ؟ » . كان سعد يقول إن السلطان معين بقرار من وزير خارجية إنجلترا ، فكيف يفاوض الموظف رئيسه ، وإلا فيكون جورج الخامس هو الذى يفاوض جورج الخامس !

وقد اعترف عبد العزيز فهمي باشا في مذكراته بهذا فقال بالحرف الواحد :
 « استقبل الشعب سعد زغلول استقبال الفاتحين . أى أنه لم يبق في البلد أمير ولا وزير
 ولا حقير إلا هرع للملاقاة ، بل حتى إخوانه الذين هدمهم من قبل كانوا في الإسكندرية أول
 المستقبين له عند رسو الباخرة . رؤوس عالية تنحني ، وزينات تقام ، فزاد ذلك من
 اعتداد سعد . . فلما جاء دور الكلام عن وفد المفاوضات تشبث سعد بأنه رئيس
 الأمة ، فله رئاسة الوفد ، فنبه عدلى إلى أن دعواه خطيرة ، لأن للأمة رئيساً واحداً ،
 وهو إذ ذاك عظمة السلطان فؤاد ، وإلى أن التقاليد توجب أن يكون رئيس الحكومة
 هو رئيس الوفد في الخارج !

وعلى الرغم من ذلك أى سعد إلا الرئاسة ، ولا كانت إجابته إلى طلبه مستحيلة ،
 يأبأها كل نظام ، فقد رفضها عدلى ، عندئذ قامت القيامة . . وأخذ سعد يخطب
 قائلا عبارته المشهورة : « إن حورج الخامس يفاوض جورج الخامس ! »

هنا ما قاله عبد العزيز فهمي . . وهو كلام صريح لا يحتاج إلى إيضاح .
 ولقد أخطأت ثورة سنة ١٩١٩ عندما لم تكشف الحقيقة للشعب ، وهو أن
 الخلاف لم يكن بين سعد وعدلى ، وإنما كان بين حق الشعب وحق السلطان .
 ولو أن سعد زغلول يومها أعلن هذه الحقيقة بصراحة لوقف الشعب معه ، ولو أنه
 قرن هذه المطالبة بمطالب التغيير الاجتماعي ، وبالمطالبة بالقضاء على الإقطاع ،
 لكانت ثورة ١٩١٩ أذى مما كانت . . فلقد كان واضحاً من اليوم الأول أن الشعب
 في معسكر ، والسلطان والإقطاعيين في معسكر آخر . . وأنهم لم يتصوروا يوم
 قيام الثورة أنها ستطور إلى موجة ثورية . ويقوم فيها هذا النضال الشعبي العنيد .
 ولكن سعد زغلول لم يفعل ذلك ، ولعله لم يتصور أن الشعب كان مستعداً أن
 يقف معه . ! والأسرار التي عرفت بعد ذلك كشفت أن طبقة الإقطاعيين قرعت
 من قطور الثورة . .

« في هذا اليوم حصلت هذه الزيارة الخصوصية فاستقبلنا اللورد استقبالا حسنا ، وبعد تبادل الكلام في السفر وما فيه من راحة ومشقة دار الكلام في موضوع المسألة المصرية . . . وخلاصته أن في مصر نظاماً موحداً ، وأنهم يريدون أن تغيروه فجأة ، فما هو النظام الذي يريدون أن تضعوه مكانه ؟ » . قلت : « أنا أريد نظاماً دستورياً تكون فيه الحكومة مصرية صرفة ، مؤلفة من برلمان ، ووزارة مشولة ، وحاكم » . : فقال : « وهذا يخشى من حصول اضطرابات إذا حصل هذا التغيير فجأة ، ويحدث في مصر ما حدث في غيرها من البلاد الشرقية كالترك مثلاً ؟ » .

وفي صفحة ٢٠١٦ كتب سعد زغلول يقول إن لورد ملر قال له : « يهنا جداً أن تكون مصر هادئة منتظمة متقدمة ، حتى لا يحدث في مملكتنا أقل اضطراب منها ، وإتنا نخشى كثيراً من حدوث الاضطراب فيها عند تغيير نظامها فجأة ، وكذلك نخشى أن يعتدى الغير عليها كالإتاليان واليونان وغيرهم . . . »

وفي ١٤ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب اللورد ألنبي إلى لورد كيرزون وزير الخارجية يقول : « أبلغني المسيو جاك سواريس قنصل البرتغال أنه اجتمع اليوم بالسلطان ، وأن السلطان قال له إن الإنجليز يفاوضون زغلول من وراء ظهري ، وإن معنى ذلك أنني أصبحت كية مهملة ، وأنتي إذا ذهبت فلن يستطيع الإنجليز البقاء بعدى ، وأنه يجب أن يكون للسلطان ممثلون في المفاوضات » .

السلطان ، وفصالح ذوي الأملاك !

وفي يوم ١٦ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب ألنبي إلى وزير الخارجية البريطانية يقول : « زارني مسيو نخاليه معتمد إسبانيا في القاهرة ، وذكر أنه في مقابلته مع السلطان شعر منه أنه قلق جداً بسبب ما يتلقاه من أبناء عن نوايا المصريين في لندن نحو

العرش ، وأنه سمع أن زغلول سيثير مسألة العرش والوراثة على العرش ، وأن السلطان يرى أن أى تغيير فى الحالة الراهنة للعرش يعرض مصالح الأجانب ومصالح ذوى الأملاك للخطر . وأبدى كبار رجال الجالية البريطانية فى القاهرة والإسكندرية أنهم - مع كراهيتهم للسلطان ومعرفتهم بأغلاطه - يرون أن بقاءه على العرش هو الضمانة للمصالح البريطانية . وأن تسليم الحكم للوطنيين بغير بقاء العرش بصفة (قراصل) سيؤدى إلى أسوأ النتائج ، وطلبوا ضرورة بقاء الموظفين الإنجليز فى الحكومة ، وبقاء موظف إنجليزى فى الداخلية ووزارة المحاسبة ليكون فى ذلك ضمان للأمن والعدالة بالنسبة للأجانب ، وبالنسبة لكبار أصحاب الأملاك الذين سوف يتعرضون للخطر فى حالة تولي الوطنيين الحكم .

وفى يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٠ كتب لورد ألباني إلى وزير الخارجية البريطانية يقول إن الكولونيل « دى ستر يورك » ياور جلالة الملك - ملك إنجلترا - قابل السلطان ، وأن السلطان قال له إن بريطانيا أخذت كالبترقالة ومعنى ، ثم تريد أن ترمى ، وإن السلطان يشكو أنه بعد أن وقف مع بريطانيا منذ قيام الحرب ، وكسب كراهية المصريين لهذا السبب ، وعداوتهم لعدم تشجيعه الثورة ، أصبح الآن يشعر أنه أصبح صفراً على الشمال ، وأن المفاوضات تجري مع من ليس لهم صفة ، وأنه كان يتوقع أن تجعل الحكومة الإنجليزية وجوده على العرش شرطاً للاتفاق مع مصر ، وأنه يهمة أن يتولى لورد ملتر لفهام زغلول صراحة أن بريطانيا متمسكة بالسلطان ، وذكر السلطان أنه خسر كثيراً جداً بسبب التضحية التى قدمها بوقوفه مع الحلفاء من اليوم الأول ومقاومته سياسة الخديو المشايعة للألمان ، وأن الموقف الرامن أضعفه كثيراً . وإلى أزيد وجهة نظر السلطان تمام التأييد ، وأعتقد أن التخلي عنه معناه التخلي عن جميع مراكزنا ، وخاصة أن الوطنيين غير موثوق بهم ، ولا تطمئن

الجناليات الأجنبية إلى نوابهم بالنسبة لأموال الأجانب ومصالحهم ، بل لأموال كبار المصريين أنفسهم . وقد علمت أن الأمير عمر طوسون نفسه يرى أن تسليم الأمور لزغلول وشيعته عمل جنونى ، وقد أبدى هذا الرأى عدد من الأمراء الذين اجتمعت بهم . :

ولم تكن هذه الأبناء غريبة عن سعد ، ولا مفاجئة له ، فقد كان سعد يعتقد أن السلطان لا يريد استقلال مصر . وأنه مستعد أن يقبل أنصاف الحلول ، بشرط أن يبقى على العرش ! وكان يستند فى رأيه هذا إلى معرفته الشخصية بالسلطان فؤاد . وكان يستند إلى المقابلة الباردة التى فאלه بها السلطان بعد أن تقدم فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ بمطالب مصر . وكان يستند إلى الأخبار التى يتلقاها من الجهاز السرى للثورة فى القاهرة . .

فى أثناء وجوده فى باريس تلقى سعد الرسالة التالية :

١٧ مارس ١٩٢٠

مصرى

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس . . قال السلطان فؤاد لمحمود بك فايد من الوفد : دول طالين الاستقلال التام ، والإنجليز الأمة العظيمة الكبيرة دى كيف أنها تخرج من هنا ؟ إحنا يرضينا خمسين فى المائة من حقنا أو حتى ٤٥ فى المائة : : :
خرج محمود بك فايد من عند السلطان وأتى لنا ليلا وقص علينا كل هذه الحكاية .

عبد الرحمن فهمى

سرى

مايو سنة ١٩٢٠ (ليس في الرسالة تحديد اليوم) :

من عبد الرحمن فهمى فى القاهرة إلى سعد زغلول فى باريس

السلطان يتميز غيظاً من اتجاه مفاوضة الإنجليز للوفد ، بدون أن يلتفت أحد إليه ، وهو يعمل على السعى فى إيجاد حزب بالبلد ينادى بتوكيله ، وإنابته فى المفاوضة . . هذه الفكرة هى التى دعت إلى تغيير الوزارة . يقولون إن نسيم باشا تعهد للسلطان ببذل الجهد لتحقيق هذه الغاية . . نحن لا نخشى نتيجة هذه اللسياسة الجديدة . الحكومة مهما تدرعت بوسائل الوعود والوعيد فلن يمكنها أن تصل إلى نتيجة تفخر بها ، ولكن على كل حال لاشك أن هذا المظهر الجديد — إذا قدر ووصل إلى شىء ولو تافه من النجاح — فإنه يظهر الأمة بمظهر الانقسام : لذلك ستتخذ احتياطات فوق العادة لإخفاق هذه اللسياسة الجديدة ، وإلحاقها بغيرها من الدمائس السابقة .

عبد الرحمن فهمى

وفى أثناء المفاوضات وصل إلى لندن فجأة واصف غالى عضو الوفد . . وكتب

سعد زغلول فى ٩ يونيو سنة ١٩٢٠ فى صفحة ٢٠٢٠ :

« حضر أمس واصف بك غالى ، وأكد بأن الحالة حسنة فى مصر ، ولكن هناك دمائس تبث من ناحية السراى وغيرها لعرقلة أعمال الوفد ، وبلغه أنهم يسعون فى (تخنيم) الناس على أوراق ضد (الوفد) وأنه ثقة أخيره عن زيور باشا أن المفاوضات لا يمكن أن تم بدون أن يحضرها بعض الوزراء الحاليين » .

ولكن ماذا فى الصفحتين المختفتين من مذكرات سعد زغلول ؟

^١ إن كل ما ذكرناه موجود في المذكرات وليس في الصفحات المتروكة ! ولكن كل هذا ليس أخطر ما في المذكرات . . ففي صفحة ٢٠٤٨ كتب سعد زغلول يقول تحت عنوان (٧ منه) ، أى ٧ يوليو :

« حضر مستر ولرنند (مندوب اللورد ملتر) الساعة السادسة مساء ، وأخبرنى بأن اللورد ملتر كان أرسل تلغرافاً إلى اللورد ألابي (المندوب السامى البريطانى فى مصر) فى ٣٠ يونيو ، جواباً على أسئلته المتكررة عن سير المفاوضات . وأطلعنى على هذا التلغراف بالإنجليزية ، وترجمه هو بمساعدة محمد محمود باشا . وجاء فى التلغراف : « الغرض الذى نرى إليه هو عقد محالفة بين بريطانيا ومصر تضمن إنجلترا بواسطتها استقلال مصر وسلامة كيائها بصفة كونها مملكة ملكية ودستورية »

وجاء فى التلغراف : « كل معاهدة من هذا القبيل ستأخذ شكل محالفة بين جلالة الملك والسلطان ، ويصير من الضرورى تدخل السلطان عند انتهاء المفاوضات بمجرد تحقق اللجنة من أن زغلول وزملاءه يؤيدون هذه المعاهدة ، ولم يحصل الكلام فى جميع المحادثات التى جرت عن مركز السلطان ولا عن قانون الوراثة . وكان المتفق عليه فى أول الأمر أن هذه المحادثات لا تكون إلا جسماً للنقض ، ثم إذا أخذت شكلاً مرضياً — كما هو المنتظر — يكون من الضرورى تجاوز هذا الدور إلى الدور الرسمى مع مندوبين رسميين يتعينون من الحكومة المصرية لوضع مشروع معاهدة يعرض على الجمعية التشريعية . ويلزم أن يكون تعيين هؤلاء المندوبين بواسطة السلطان الذى يحتل المكان الأول فى المفاوضات . ومن البديهي أن « زغلول » وواحداً أو اثنين من زملائه ، وعلى يكن باشا — الذى كان لوجوده تأثير حسن — يحتل — يلزم أن يكونوا من ضمنهم . ولا شك فى أن السلطان يريد أن يعين من له ثقة بهم مثل « ظالم باشا . ومن المهم أن يكون هؤلاء من الذين يعطفون على السياسة المتبعة الآن :

فليتكلم المندوب السامى حالا مع السلطان ، ويعرض عليه الحالة الموجودة الآن ،
ويقنعه بأنه لم يكن فى نية حكومة جلالة الملك فى وقت من الأوقات أن تصل إلى حل من
وراء ظهره ، وهناك بالطبع تفاصيل كثيرة يمكن حلها عند الوصول إلى وضع المعاهدة •
ملتر

وكتب سعد زغلول فى صفحة ٢٠٥١ يقول بالحرف الواحد : « فاعترضت
أعراضاً شديداً على ما تضمنه هذا التلغراف . وقلت لمستر ولرند : " إذا كان اللورد
ملتر أطلعنى عليه قبل إرساله لكان غير مضمونه . وإذا لم يكن أطلعنى عليه ، فلم
يكن لى من حق فى تقديمه . أما وقد أرسله لى . فقد حق لى الاعتراض عليه بأننا
لم نقبل ولن نقبل أية تسوية تقتضى أية مراقبة لإنجلترا على مصر . لا باطنة ولا ظاهرة .
ونعتبر الشعور الذى قام باللورد ملتر مجرداً عن كل أساس . ثم إننا لا نقبل بأى حال
من الأحوال بقاء عسكري واحد من جيش الاحتلال ، كما لا نقبل وضع نظام
خاص للبوليس . . وكذلك نرفض أن نتفاوض بأمر السلطان بالاشتراك مع أى
إنسان كان . بل لا نقبل هذا السلطان " .

ثم استطرد سعد فى مذكراته : « وأنصرف (مستر ولرند) مندوب اللورد ملتر)
بعد أن أبدى من الأحوال ما لا يضبط . ولا يمكن حصر معناه ، ثم بلغت إخوانى
الحبر فاستاءوا له . إلا لطفى السيد فإنه قال إنه فى مجمله حسن ، ولا شىء فيه يستغرب .
حكى ذلك على طريقته من الاستخفاف . فأثر ذلك فى نفسى أسوأ أثر ، ثم طلب
على أن يحضر للعشاء عندى . وهو ما لم يسبق له به عادة ، يعنى أنه لم يدع نفسه
لدى إلا هذه الدفعة : ففهمت أنه يريد الوصول بهذه الملاطفة إلى غاية ، وكتب
دعيات إلى العشاء سينوت حنا . فلما علم بأمر هذه الدعوة . وأن القصد منها حناوة ،
تنحى .

واختليتا ، وفهمت منه أن التلغراف عرض عليه قبل يوم . وأنه لم يقاتحنى فيه ، لأنه لم يندلنى وحدى ١ . . ولكنه اعتذار غير وجيه . وقد أخبرته بما دار بينى وبين ولرند (مندوب التورد ملتر) فأعطانى فيه حقاً . ولكنه كان يحاول من بعد تلصيف الأمر . وانتهى الأمر بأن طلبنا مقابلة ملتر ، فقابلناه فى الساعة السادسة فى وزارة المستعمرات فى يوم ٨ منه (يوليو ١٩٢٠) . فقالت له (ملتر) : « إن مستر ولرند أطلقنى على تلغراف منكم للورد ألنسى ، وهو على قسمين : الأول لا يحق لى أن أتدخل فيه . لأنه كلام بيتك وبين زميلك ، والعبرة فيه عدى هو ما يتم بيننا ويقع الاتفاق عليه ، لا بما يحكيه للوزير أحدنا . وأما القسم الثانى فهو المتعلق بالانتداب مع بعض زملائى من السلطان للمفاوضة الرسمية ، لأننى لا أقبل هذا الانتداب بل لأقبل أن أتعين مكان السلطان » : فقال ملتر : « إن السلطان يلزم أن يكون فى المفاوضة ، وليس إبعاده فى إمكانى . بل هو فوق ما أقدر عليه ، ولو كلفت لخرجت من حدود وظيفتى ، والتزمت أن أنتحى عن المفاوضة لغيرى » . قالت : « لا أريد أن تصل الحال إلى هذا الحد » . قال : « إن السلطان ينبغي أن يستند أديباً ، ولا يمكن التعدى عليه ، إلا إذا تعدى على النظام ، إذ لا تسمح إنجلترا به بذلك ، وهى ضامنة استقلال مصر » . قلنا : « لم تقبل هذا الضمان ، ولم تناقش فيه » .. قال : « حقيقة » .

ثم طلبنا أن تعين وزارة موثوق بها غير الوزارة الحالية . فاستصعب ذلك الآن . وحصلت المذاكرة فيما إذا كا ينبغي أن يشتمل الاتفاق على مبادئ فى النظام المصرى ، فعارضت فى ذلك ، « لكونه مسألة داخلية ، ولا ينبغي التعرض لها » .

وكان هذا الذى قاله سعد لمندوب ملتر ، وملتر نفسه ، مفاجأة لمدل يكن والمفاوضين . فقد كانوا لا يريدون إثارة هذه المسألة . . وكانوا يرون أن سعد زغلول لا يتدرم رأيهم فى المناقشات . بل حدث أن عرض ملتر مشروعاً . قبله كل أعضاء

الوفد ورفضه سعد ! .. وأبلغ سعد ملتر أنه يرفض هذا المشروع لأنه « حماية » ، لأنه لا يوافق على بقاء قوة عسكرية ولا على وجود موظف إنجليزي في وزارة الداخلية ووزارة الحفانية ، وأنه متمسك بإعلان إلغاء الحماية . فإذا وافقت إنجلترا على ذلك أصبح المشروع قابلاً للعرض .

وهنا ندع سعد زغلول يروي ما حدث له في صفحة ٢٢٨٩ من المذكرات :
« وحضر عبد اللطيف المكباتي وسألني سؤال السيد للعبد . والحاكم للمحكوم : كيف أتى أبديت تلك الملاحظات للأعرج (مندوب لورد ملتر) من غير علم الوفد ؟ قلت : « إنها ملاحظات قررها الوفد » . قال : « ولكنك إذا أخذ الأعضاء قال شيئاً من غير اطلاعك تغضب » . قلت : « نعم ، ما قاته هو باطلاع الوفد ، ومع ذلك ماذا تريد ؟ » . قال : « هذا لا يصح ! » قلت : « قد أخطأت وأعتذر عن خطئي » . قال : « ولكن ياباشا لم يكن يصح .. » قلت : « وماذا تريد بعد ذلك ؟ إن كان ذلك لا يوافقكم فافعلوا ما تريدون ! » .

فانصرف .. وقال واصف غالي : « إن الأمر ليس ما قاله المكباتي ، بل الأمر هو أنك قلت للمندوب ملتر إن المشروع بعد قبول هذه الملاحظات يعد قابلاً للعرض من الوفد ، وبدونها غير قابل للعرض ، لأنهم يقولون إن ما بها مقبول وهم يعضونه ، وبغيرها يكون قابلاً للعرض » . قلت : « لا خطر ، فلم أفوت عليهم نفعاً ، فما على الذين يريدون قبوله إلا أن يقبلوه ، والقوم يتقبّلون منهم ذلك بالأحضان ، وما فعلت إلا ما يوافق الكرامة » .

واستغربت جداً من هذه الحركة ! .. ثم حضروا (أعضاء الوفد) وكان في مقدمتهم حمد الباسل (باشا) ، فقلت : « ما الخبر ؟ » . قال : « الخبر كثير » . قلت : « ماذا ؟ » . فأعاد ما رواه واصف غالي . قلت : « الأمر سهل هين . إن

كنتم مع قبول تلك الملاحظات تمضون ، فهذا شأنكم ولا حرج على حريرتكم ! . .
 قل قائل منهم : « ورأيتك أنت ؟ » . قلت : « إني لا أقبله ولا أمضيه » . قالوا :
 « كيف تحالف الإجماع ؟ » . قلت : « أخائف كل إجماع في مسألة أساسية .
 وهذه من أخص المسائل الأساسية ، فلا أطيع فيها غير صوت ضميري » . قالوا :
 « ولكن مبدأ التضامن ؟ ماذا تقول فيه ؟ » . قلت : « لاتضامن مطلقاً في مخالفة الأساس ،
 ولا اتضامن مطلقاً في هذا . وما تغدروا عليه فلنكم فعله ، من محاكمة فحاكموا ،
 أو تأديب فأدبوا ، أو رقت فارقتوا ! ولكن شيئاً واحداً لا يمكنكم ، وهو أن تفهروني
 على الإمضاء ، فإن هذا ليس في استطاعتكم ، وما أقيد حرية أحد منكم . ولا أسمع
 لواحد من خلق الله أن يعتدي على حريتي في اعتقادي . وافعلوا ما شئتم ، وقولوا
 ما شئتم ! » .

هذه صورة للصراع الذي كان موجوداً في داخل قيادة ثورة سنة ١٩١٩ . كانت
 أغلبية أعضاء الوفد من طبقة كبار الملاك في ناحية . وكان سعد والجهاز السري
 للثورة في ناحية أخرى . ولعل قصة الجهاز السري هذه تعتبر من أخطر أجهزة
 ثورة ١٩١٩ وأقواها ! : إنه الجهاز الذي كان لا يعلم أعضاء الوفد عنه أي شيء . .
 في حين كان الجهاز هو الذي لعب الدور الأول في الثورة ! .
 ولعله الجهاز الذي أخفى المذكرات طوال مدة الثورة !

الفصل الثاني

الجهاز السري لشورة ١٩١٩ كيف تم تكوينه وما هي أعماله ؟

ذلك في يوم الخميس ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ .

كان

وكت أقيم في بيت سعد زغلول .

وكان مكتب سعد زغلول مزدحماً بكبار الزائرين . فجأة دخل إلى البيت شيخ وقور في الستين من عمره ، له لحية بيضاء طويلة جداً ، يرتدى الملابس البلدية ، وتقدم إلى الحاج أحمد عثمان تابع سعد زغلول الخاص ويهمس في أذنه بيبضع كلمات ! وسمعت الحاج أحمد عثمان يقول : " الباشا مشغول جداً " . وإذا بالشيخ الوقور يهمس في أذن الحاج أحمد عثمان مرة أخرى ، فيصيح الحاج أحمد عثمان بصوت عال : " ١٣ يوليو إيه ! " ، وإذا بالرجل الوقور يهمس في أذن الحاج بهدوء وبخزم . . .

ويهرج الحاج أحمد رأسه في ذهول ، ويضرب كفّاً بكف ، ثم يدخل مكتب سعد زغلول ويسر إليه ما قاله الشيخ هازناً ، وإذا بسعد يقوم من مكتبه ، ويدخل الغرفة الجانبية للمكتب ، ويهرول الحاج أحمد عثمان ويستدعي الشيخ إلى الدخول ، وبعد خمس دقائق يخرج الشيخ الوقور وفي يده لفافة ، ويمشي بخطوات سريعة في الظلام ! .

ويقول لنا الحاج أحمد عثمان إن الرجل قال له : « قل للباشا : (الشيخ ١٣ يوليو يريد أن يقابلك) » . وأنه ما كاد سعد يسمع هذا حتى هرع إلى مقابلته . وعلق الحاج أحمد عثمان على ذلك بأن هذا الشيخ لابد من أولياء الله الصالحين ، وأن الباشا استقبله ليتبرك به ، يتلقى الدعوات الصالحات !

كان عمرى يومها ثمانى سنوات ، وبني اسم « الشيخ ١٣ يوليو » في ذاكرتى . . وفى اليوم التالى قبض الإنجليز على سعد زغلول ونفوه إلى سيشل . ولم يظهر الشيخ ١٣ يوليو مرة أخرى !

ولكنه ظهر بعد ذلك بأكثر من عامين . حضر الشيخ في أحد أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣ — عقب عودة سعد زغلول من منفاه في جبل طارق — وكان معه لفافة أيضاً ، وقابل سعد زغلول في غرفة المكتبة ، ثم انصرف . . ولم نر الرجل بعد ذلك إلا في شهر مايو سنة ١٩٢٦ ، فقد جاء الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى والمتهمون الذين حكم لهم بالبراءة في قضية الاغتيالات . . وكان بينهم هذا الشيخ الوفور . . وما كاد يراه سعد زغلول حتى دهش وصافحه ، ولكن الشيخ اكنى برديد آيات من كتاب الله ، ولم يقل أى كلمة . .

وعرفنا بعد ذلك أن هذا الشيخ هو « الحاج أحمد جاد الله » الذى كان متهماً بأنه أحد زعماء حركة الاغتيالات السياسية ! . . وعرفنا أن سعد زغلول لم يكن يعرفه ، ولم يكن يعرف أنه متهم في قضية الاغتيالات السياسية ، وأنه عندما قابله في ديسمبر سنة ١٩٢١ أبلغ سعداً أنه سيقبض عليه ، وسأله عما إذا كان يريد أن ينقل ورقاً معيناً من بيت الأمة لأنه سيفتش في اليوم التالى ، فسلمه سعد بعض الأوراق ، ثم أعادها إليه بعد الإفراج عنه . .

وعند مراجعة أوراق سعد زغلول الخاصة ، ظهر أن كلمة (١٣ يوليو) هي

كلمة السر بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي ! . ولكن عبد الرحمن فهمي كان مقبوضاً عليه في ديسمبر سنة ١٩٢١ ، فمن الذي أرسل الحاج أحمد جاد الله إلى سعد زغلول ؟ إنه ليس عبد الرحمن فهمي قطعاً ! لابد أنه جاء بأمر رئيس الجهاز السري الذي خلف عبد الرحمن فهمي بعد القبض عليه !

ولكن ما هي الأوراق التي تسلمها ، ثم سلمها بعد ذلك !

إنني أستنتج الآن أنها مذكرات سعد زغلول السرية . .

ولكن كيف ائتمن سعد زغلول الحاج أحمد جاد الله - العامل بالعنابر - على هذه الأوراق الخطيرة ، ولم يأتمن عليها أعضاء الوفد ؟

أعتقد أن سعد زغلول كان يرى أن كل أصدقائه عرضة للتفتيش . وأن هذا العامل الشيخ ليس محل شبهة . ولو أنه كان يعلم من هو هذا العامل ، بما هو دوره الخطير في الجهاز السري ، لتردد في أن يسلمه هذه الأوراق الخطيرة . . فإن الحاج أحمد جاد الله كان هو الذي يتولى اختيار العمال الذين يشتركون في عمليات إطلاق الرصاص على الإنجليز ، وكان هو الذي يتولى صنع القنابل التي يلقونها على الوزراء !

ولقد بقيت هذه المقابلة العجيبة تثير الشكوك في نفسي ، هل كان سعد يعلم أو لا يعلم ؟ . . هل كان يعلم أن مذكراته مخفية في بيت صغير في شبرا مجاور لبيت الشيخ أحمد جاد الله ، الذي تعرض لتفتيش دقيق في أيام الثورة ، ولم يعثر عنده على شيء ، سوى مسابيح وسجاجيد للصلاة والقرآن الكريم ! . . والشيء الذي لم يعرفه سعد زغلول في ذلك الوقت أن الشيخ أحمد جاد الله زار بيت الأمة بعد أن قام بعمل هام . . ففى نفس اليوم أشرف على عملية اغتيال جنديين إنجليزيين في السبتية ، بجوار بيته في شبرا ، ونجا جميع المعتدين ، ثم ذهب الشيخ أحمد جاد الله

إلى بيته وتوضاً وصلى . ثم حضر إلى بيت سعد زغلول . . .
 فهل يتمكن أن نستج من ذلك أن سعد زغلول كان يعلم ببرامم الاغتيال
 السياسي ، أو كان يقرأها !
 إن التاريخ يقف هنا حائراً .
 ونضطر أن نفتح قوساً كبيراً ! لأننا يجب أن ندرس أولاً وثائق التاريخ ، بغیر
 أن نعتد على رواية نحتل الصدق والكلب ، وإذا كان القاضي لا يحكم بعلمه ،
 فإن المؤرخ أيضاً يردد قبل أن يقرأ المستندات التاريخية ، ويبحثها . . . والتاريخ
 لا يتكلم بالألسنة ، وإنما يتكلم بالورق المكتوب !

اغتيال الوزراء !

وهنا يبرز السؤال الحائر : ما هو رأى سعد زغلول في الاغتيالات ؟
 حدث في صيف عام ١٩٢٠ أن كان سعد زغلول يفاوض ملتر ، وكان الإنجليز
 غاضبين للاعتمادات على الإنجليز وعلى الوزراء المصريين الذين قبلوا الاشتراك في
 الحكم ورغم أن قيادة الثورة حذرتهم من الاشتراك في الحكم قبل إلغاء الحماية :
 ففي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على إسماعيل سرى باشا وزير
 الأشغال . وفي ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على محمد شفيق باشا
 وزير الزراعة . وفي ٨ مايو سنة ١٩٢٠ ألقى أحد الشبان قنبلة على حسين درويش
 باشا وزير الأوقاف . وفي صفحة ٢٠١٩ من مذكرات سعد زغلول يكتب سعد
 ويقول إنه كان مجتمعاً مع لورد ملتر في يوم ٧ يونيو ، « وقال لورد ملتر : " إن
 صحافة مصر سيئة » . قلت : " وما الذي توجب على سوئها ؟ " . قال : « التحدي

على الوزراء وقتل الأبرياء !” قلت : « إن هذا ليس نتيجة الصحافة . ولكن في كل بلد يوجد متحمسون متهورون ، كما وجد في فرنسا ، وكما وجد في إنجلترا حيث حصل الاعتداء على لويد جورج (رئيس الوزراء) ، وفي غيرها من البلاد حصل الاعتداء على كثير من أكابر الرجال ، فلا يعيب مصر أن يوجد فيها أمثال أولئك المعتدين ، وإن الاضطرابات التي حدثت في مصر والدماء التي أريقَت لم تحصل إلا في المظاهرات التي تدخل البوليس فيها ، أما غيرها فلم يحدث فيه شيء من المكدرات ! ” . قال : ” هكذا يزعم بعض الناس في روسيا ، وفي غيرها من البلاد التي اختل النظام فيها ! ” . قلت : ” لا أعرف ما جرى في روسيا ، ولكن ما حدث في مصر كان كما ذكرته ، حيث قتل الآلاف من النساء والرجال والأطفال أثناء المظاهرات بيد البوليس ، وعجيب أن تهتم بحياة أفراد ، ولا تهتم بحياة شعب بتمامه إن الصحافة المصرية كان يمكن أن يقال إنها كونت شعوراً مضرًا ، ولكن من أي جهة ضرر هذا الشعور ؟ من جهة المناداة بالاستقلال ؟ إنني لا أرى في هذا ضرراً . بل أراه واجباً ولازماً ، وأما القوة فترى هذا مضرًا بها ” .

وعند ذلك تغير الحديث !

وفي صفحة ٢٠٣٢ كتب سعد زغلول يقول في مذكراته : « تقابل عدلي باشا مع لورد ملتر قبل الظهور ، وكلمه في التعديلات التي تصيب وزراء مصر ، وعما إذا كان من الممكن أن أصدر أنا بلاغا بعدم استحسانها واستهجانها لما ؟ ، فقال عدلي لورد ملتر : ” إن سعد يستهجن هذه الخطوة ويستنكرها ، ولكن بلاغا مثل هذا يعرضه لظمن المتحمسين المتهورين ، ويساعد على رواج دساتيمهم هذه ” . . وبعد خمسة أيام من هذا الحديث أُلقيت قبلة في يوم ١٢ يونية سنة ١٩٢٠ على توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء !

وكل هذه الحوادث التي أشار إليها اللورد ملر في حديثه مع سعد زغلول كانت من عمل الجهاز السري للثورة !

فهل كان سعد يعرف ما يفعله جهاز الثورة السري ؟ هل هو الذي كان يصدر إليه التعليمات والأوامر ؟ أو أن الجهاز السري كان يتصرف كما يشاء ؟ هنا يحسن أن تبحث الجهاز السري لثورة ١٩١٩ ، وهو جهاز خطير . فقد كان عبد الرحمن فهمي بك هو رئيس الجهاز ، وكان هذا الجهاز ينقسم إلى عدة فروع : كان في هذا الجهاز إدارة مخابرات الثورة ، وقد كان للثورة عملاء في كل مكان . كانت لها عيون في قصر السلطان ، وعيون في دار الحماية ، وعيون في قيادة جيش الاحتلال ، وعيون على الوزراء ، وكبار السياسيين !

وكان في هذا الجهاز إدارة للاتصالات الخارجية ، لها عيون في إنجلترا ، وفي سويسرا ، وفي إيطاليا ، وفي باريس . . وكان في هذا الجهاز إدارة لتحريك المظاهرات والاضطرابات ، وقطع السكك الحديدية والمواصلات ، وعمليات التخريب ، وكان في الجهاز أيضا إدارة للدعاية تشرف على توجيه الصحف وتزويدها بالأخبار . . . ثم هناك إدارة للاغتيالات !

. . وكان الذين يعملون في كل إدارة من هذه الإدارات لا يعرفون شيئا عن باقي الإدارات . . لا يعرفون أسماءهم ، بل لا يعرفون أن هناك إدارات بهذا الاسم . . وفي أثناء محاكمة عبد الرحمن فهمي أمام المحكمة العسكرية البريطانية ، وقف المستر مكسويل المدعى العام البريطاني يطلب الحكم بإعدام عبد الرحمن فهمي ! وقال في جلسة يوم السبت ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ : إن الجهاز الذي يشرف عليه عبد الرحمن فهمي مكون من ثلاثة أقسام ، قسم خاص بالمشورات ، وقسم للقنابل والقتل ، وقسم لشراء الأسلحة ، وقال إن السلطة العسكرية البريطانية صارت

في الأوراق المضبوطة عند المتهمين على مستندات تثبت أن الجهاز له عيون في كل مكان . وأن له اتصالات في أفريقيا ، ودمشق ، وتركستان ، والعراق . وسويسرا . واليابان ، وإيطاليا ، وتركيا ، والسودان ، وإنجلترا ، والهند . وأن الجهاز له فروع في جميع المديريات ، وله عيون في كل الأحزاب ، وفي كل قسم في الجيش والإدارة والمخافطات . حتى في مكتب المفتي ! وذكر أن الجهاز له فروع تصدر المنشورات باسم اللجنة المستعجلة ، والشعلة ، والمصري الحر ، واليد السوداء !

وكان عبد الرحمن فهمي يشرف على هذا الجهاز الخطير ، وكان الجهاز له صيغة عسكرية ، أعضاؤه لا يعرفون بعضهم بعضاً ، ولكل منهم مهمة لا يتعداها ، ولا يتصل بأحد من أعضاء الوفد !

لماذا عبد الرحمن فهمي ؟

ولكن لماذا اختار سعد زغلول عبد الرحمن فهمي لهذا العمل ؟ إن قصة حياته ترد على هذا السؤال : كان عبد الرحمن فهمي في ذلك الوقت يبلغ من العمر ٤٩ سنة ، ومكث ضابطاً في الجيش مدة ثمان سنوات ، وخرج منه في عام ١٨٩٨ برتبة يوزباشي ، وحصل في تلك الأثناء على الوسام الممجد وهو ملازم ثان ، وعلى النجمة المصرية ، وميدالية الحرب المصرية ، ونيشان الامتياز من تركيا ووسام السيف السويدي - تقديرًا لبطلته في حروب السودان - ثم عين مأموراً لمركز سمالوط ، ثم وكيلاً لمديرية القليوبية ، ثم الدقهلية ، ومكث ١٨ سنة وكيلاً للمديريات . ثم عين مديراً في عام ١٩٠٦ ، وأصبح مديراً لبنى سويف ، ثم الجيزة ، ثم عين وكيلاً للأوقاف ، ثم أراد الخديو أن يشتري من ديوان الأوقاف صيغة ٢٣٠٠ فدان في المطاعنة ، ورفض عبد الرحمن فهمي الموافقة على الصفقة ، وكان للخديو مصلحة

فيها ، وقابله الخديو وحاول أن يقنعه بالموافقة ، فأصر على الرفض ، فرفته الخديو !
 . . . وهكذا رأى سعد أن هذا الرجل هو أصلح شخص لتولى هذه المهمة :
 إنه رجل عسكري منظم ، درس المديرية دراسة كاملة ، عرف الشخصيات
 الموجودة في كل إقليم ، وضع إصبعه على نقاط الضعف والقوة في كل مكان :
 في الجيش ، في البوليس ، في الإدارة ، ثم إن صلاته تجعل له سيطرة كاملة على
 الجهاز ! . . . وكانت هناك شفرة خاصة بين القيادة - في المنزل رقم ١٥٠ شارع
 قصر المعيني ، حيث يسكن عبد الرحمن فهمي - وبين فروع الجهاز في كل
 مكان ! . . . وكان بين سعد وعبد الرحمن فهمي عدة شفرات : شفرة بالجبر
 السري ، وشفرة بالحروف ، وشفرة بالأرقام !

ولعل أغرب شيء في الجهاز أن أغلب أعضائه لم يضبطوا مطلقاً ! وقد قبض
 على عدد منهم ، ولكن كانت التهم التي وجهت إليهم بشأن أشياء بعيدة عن العمل
 الذي يقومون به فعلاً ! . . . فهل كان سعد زغلول يعرف بهذا الجهاز ، وبتفصيله ،
 وبدقائقه ؟ الثابت أن أعضاء الوفد كانوا لا يعرفون شيئاً عن هذا الجهاز ، على
 الرغم من أنهم قادة الثورة . ولكن هل كان يعرف زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ما يحدث في
 هذا الجهاز ؟

إن رسائل سعد زغلول السرية تروى أشياء غريبة عن هذا الجهاز العجيب !

حامي قصر !!

ولنبداً بالصحافة : إن ثورة ١٩١٩ لم تستطع في أول قيامها أن تعتمد على
 الصحافة ، فاعتمدت على المنشورات . إن الثورة قامت فعلاً يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ .
 حينما ذهب سعد إلى دار الحماية وطلب الاستقلال . وكانت الصحافة يومها

تحت الرقابة ١ ومنعت الرقابة نشر أنباء الثورة ، بل إنه بعد حوالى شهر من قيام الثورة في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، فتفتح أكبر مجلة أسبوعية في مصر ، فتجد عنواناً ضخماً يعرض صفحتها الأولى : (استقبال عاصمة البلاد لحامى مصر وفتح الشام) .

فلن عدد مجلة (اللطائف المصورة) الصادر في يوم الاثنين ٩ ديسمبر سنة ١٩١٨ ينشر صورة ضخمة لوصول اللورد أللبي إلى القاهرة . وكانت حكومة إنجلترا أرسلت اللورد أللبي ليقضى على الثورة : فإذا قالت أكبر مجلة في مصر يومها ؟ إنها كتبت في الصفحة الأولى تقول بالحرف الواحد :

« من أجمل المشاهد التي شهدتها سكان القاهرة ، وأبهجها منظراً ، دخول فخامة الجنرال أللبي في يوم الأحد ٢٤ نوفمبر إلى مدينة القاهرة ، عائداً من ميدان الحرب في سوريا وفلسطين ، بعد أن أنهى مهمته العظيمة الشأن ، وختم فعاله الباهرة التي كللت بالنصر التام . ولقد شاءت حكومتنا السنية ، والسلطة الحربية البريطانية ، أن يكون دخول فخامته العاصمة بيئته رسمية ، فدعت كبار رجالها وأعيان مصر ، من وطنيين وأجانب . لاستقبال فخامته على رصيف المحطة ، عند وصوله بالسلامة ، فلبوا الدعوة . وهب أهل العاصمة على بكرة أبيهم للاشتراك في استقباله ، فاحتشدوا على جانبي الطريق المؤدية من المحطة إلى سرايه في الجزيرة ، وقفوا على الشرفات والتوافذ والسطوح في البنايات التي تطل على الطريق . وكانت الأعلام تنفخ فوق الدور والمنازل والمخازن ، وهي أعلام مصر والدول المتحالفة ، فكان منها منظر مهرجان عظيم . والحق يقال إنه كان يوم عيد كبير ، واصطف جنود الجيش البريطاني على جانبي الطريق الذي اجتازه الموكب . . ووصل القطار قبل الساعة الواحدة ، فنزل القائد العظيم ، وصافح فخامته نائب الملك ، وصاحب السعادة المندوب

السلطاني ، وكبار المستقبليين . ثم فتش قره قول الشرف من الحرس السلطاني ، وخرج من المحطة : وركب أوتومبيلًا جميلًا ، وحف به الحرس على موتوسكلاتهم ، وتبعه في أركان حربه سبعة أوتومبيلات ، وكانت الطيارات البريطانية حائمة فوق العاصمة ، مشتركة بالاحتفال . وخرج الموكب من المحطة سائرا الموبنا ، والناس تهتف وتصفق للقائد العظيم : ولا بلغ شارع كامل (نوبار الآن) نثرت عليه السيدات الأزهار . وإجمال القول أن العاصمة استقبلت فخامة الجنرال الاستقبال اللائق بالملك الكبار ، والقواد العظام القاضين ، ولا غرو فخامته حامى الديار ، وفاتح الأقطار والأمصار .

وقد صور مصور اللطائف فخامة الجنرال في موكبه ، وتعلمت فخامته فأدار وجهه الكريم إلى جهة المصور ، كما ترى في الصورة .

هذا هو نص ما قالته مجلة اللطائف المصورة ، أكبر مجلة في مصر يومئذ ، بعد أن تحرك الشعب المصري في ١٣ نوفمبر يطالب باستقلاله التام . . . ولهذا كان من الطبيعي أن يتجه الجهاز السرى للثورة إلى الصحافة . والرسائل السرية التي أرسلها عبد الرحمن فهمي إلى سعد زغلول تكشف عما كان يفعله جهاز الثورة في مجال الصحافة :

سرى

٢٢ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس
أمكننا الآن أن نضم إلينا ثلاث جرائد وهي : جريدة مصر ، وجريدة

وادی النيل ، وجريدة النظام ، لتأييد مبدأ الوفد . . الحمة مبدولة لضم غيرها .
عبد الرحمن فهمي

سرى

١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بإقامة إلى سعد زغلول في باريس
المرائد تطورت حركتها تطوراً وطنياً خالصاً، وتطورنا نحن معها في المعاملة
أيضاً ، وأصبحت تأتمر بما نبينه لها ، بما ينفع الحركة ، والابتعاد عما يضرها .
كنت أصير كثيراً إلى هذه النتيجة ، وكنت أظن أنني لا أبلغها إلا ببذل آلاف
الجنيهات . ولكن ضيق ذات اليد اضطرني إلى البحث عن طرق أخرى غير طريق
المال ، وقد الحمد نجحت فيها ، وأصبحت قابضاً تقريباً على ناصية الصحافة .
عبد الرحمن فهمي

احترسوا . . من « صلق » !

سرى

أول أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول بإريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة
إسماعيل باشا صلق وعمود أبو الفتح مكاتب جريدة وادی النيل وشخص
ثالث يدعى أحمد السيد ، يصلون مصر في نفس المركب التي يسافر عليها بدر بك .
نرجو ألا تنهوا بما يمكن أن يقوله أي واحد منهم ، ولا بما يكتبه محمود بك
أبو النصر . لأن الحلة التي اتبعوها جعلتهم على الأكل عملاً للشك ، وعلى الخصوص

أحمد السيد الذى بالرضم من أنه يكتب أحياناً فى الجرائد مقالات فى مصلحة مصر ،
يقوم شخصياً بأعمال ضد هذه المصلحة !

سعد زغلول

سرى

١٨ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول بياريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة
لم ندر سبب كتابان أمر (عمود أبو الفتح) مكاتب جريدة وادى النيل ، مع أنه أخذ
يكتب لجريدته بما يفيد التحريض بالوفد ، ولابد أن تكونوا اطلعتم على شيء من ذلك ،
وهو من أذئاب محمود أبو النصر ، وأصدقاء أحمد السيد اللذين اشتغلا كثيراً ضد
الوفد ، فلا ينبغي كتابان أمر هؤلاء عن الأمة ، بل يجب كشف الستار عن حقيقة
أمرهم ، حتى تحذرهم الأمة ، ولا تغتر بأضاليلهم ، التى عقدوا النية على بثها عند
عودتهم !

سعد زغلول

. راقبوا الأمراء . . وسعيد باشا .

وكانت مهمة الجهاز السرى للثورة أن يحرس الثورة من الذين يخرجون عليها ،
أو يحطمون صفوفها ، أو يشككون فى قيادتها ، كما يبدو من هذه الرسائل
السرية :

سرى

٢٧ يناير سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة
ألفت نظركم إلى محاولة الأمراء الوصول إلى قيادة الحركة . ربما كان
لمحمد سعيد باشا يد في هذه الحركة ، كما يروشح لذلك ، بما تكتبه جريدة الأهالى
لسان حاله يوماً فيوماً ، عن الوفد وموقفه ، والأمراء ودخولهم في الحركة . . هل أنتم
متربصون بهذه الأحوال ؟ واقفون على أسرارها ؟ عاملون على اتخاذ الوسائل لمنع
أضرارها ؟

سعد زغلول

سرى

١٨ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس
كنا مراقبين من قبل حركات وسكنات محمد سعيد باشا . أعددتا له العدة ،
منتظرين أن يبدأ بحملاته التى رتبها فى طى الخفاء . . مجرد أن ظهر بجريدة
الأهالى مبدأ هذه الحملة أرسلت جنودنا إلى مدينة الإسكندرية ، بعد أن سهل لنا
الطريق ، وحملت عليه حملة صادقة عقب صلاة الجمعة ، بجميع مسلحة الإسكندرية
الشهيرة . بدأ الخطباء قولهم بفهم العامة حقيقة أعمال الوفد ، وما وصلت إليه القضية
بفضل مجهوداته ، وما يريده الأكافكون الآن من الحط من قيمة هذه المجهودات ،
والخطر الذى يتناول القضية برمتها إذا أضفت الأمة لأقوال هؤلاء الأكافكين ،
ثم بين الخطباء أن هذه اليد الأتيمة هى يد « محمد باشا سعيد » ، ولسانه الذى ينطق به

هو جريدة الأهالى . واستنزوا اللعنات عليه ، وعلى من يحذو حذوه ، وأسقطوهم من كل مقام ومقال . ثم خرجت المظاهرات من الجوامع القريبة إلى إدارة جريدة الأهالى ، ونادت عليها بالسقوط والموت ! وأخذ عاهد الخطباء كل الموجودين فى الجوامع بالألقاب وجريدة الأهالى . ومن ذلك التاريخ ثابت جريدة الأهالى إلى رشدها ، وانقطعت عن الغمز واللمز ، الذى اعتادته دائماً ، عندما تشير إلى عمل يتعلق بالوفد ! وكنا نظن أن الحالة تحتاج إلى تكرار هذه الحملات ، ولكن لله الحمد فقد أمأتهم الحملة الأولى ،

عبد الرحمن فهمى

وكان الإنجليز فى حيرة من قوة الجهاز السرى للثورة ، وخبرته ، وكفائته . وكانوا فى ذهول من سيطرته الخطيرة على الثورة ، وقيادته لها ، وكانوا يسألون : من الذى يقود هذا الجهاز ؟ من الذى يصدر إليه التعليمات ؟ وكانت المخابرات البريطانية تراقب سعد زغلول فى باريس فلا تعلم إلا أن أعضاء الوفد مختلفون ! وكانت المخابرات تراقب عبد الرحمن فهمى فى القاهرة فلا تجد دليلاً على أنه على اتصال مع سعد زغلول ! وكان ينهلهم قدرة الجهاز على الاتصال بفروعه فى الأقاليم ، على الرغم من أن السلك الحديدية مقطوعة ، والتليفونات مراقبة ، والبريد مراقب ، ورجال الثورة مراقبون . . . ولعل هذه الرسالة السرية تمكينا بعض هذه القصة :

سرى

١٧ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بلندن

أستلفت نظركم إلى ما بعث به مكاتب رويتر في القاهرة إلى الصحف الأوربية تلغرافيا حيث جاء في آخر التلغراف المذكور ما يأتى : « إن تشكيل الوفد وهيئته التنفيذية - الطلبة - بحالة من الضبط بحيث إن كل الأوامر والتعليقات يمكن توزيعها وتنفيذها في جميع أنحاء مصر في ٢٤ ساعة ! » .

وهذه أعظم شهادة تدل على كفاءة المصرى ، وأحقته فيما يطلب من الاستقلال والحرية ، ما دام أنه رغم القيود المقيّد بها ، ورغم القوانين الاستثنائية ، ورغم سلطة جيوش الاحتلال المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، متيسر لهيئة الوفد التنفيذية أن تبلغ أوامرها وتعليقاتها في جميع أنحاء القطر في أربع وعشرين ساعة !

عبد الرحمن فهمى

ولقد كانت قيمة هذا الجهاز فعلا أن كل من فيه من المصريين ، ليس فيهم أجنبي واحد ، وليس فيهم أحد تدرب على هذا النوع من العمل . ولم يكشف التاريخ حتى الآن كيف اختار سعد زغلول عبد الرحمن فهمى بالذات لرأس هذا الجهاز . إن المعروف أن سعداً كان يثق به ، وبكفايته في التنظيم أيام كان موظفاً ، وأنه استدعاه في يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وطلب منه أن يشرف على العملية وينظمها ، ولا يتصل بأحد سواه ، وألا يعرف أحد ما يقوم به . وكانت ميزة عبد الرحمن فهمى الكبرى أنه كئوم ، وأنه قادر على ضبط عواطفه ، وبدأ عمله بالإشراف على

عملية جمع التوكيلات من الشعب لسعد زغلول . ثم كلفه سعد زغلول بطبع المنشورات الأولى للثورة ، ثم كلفه بمراقبة الوزراء والكبراء الذين يقاومون الحركة ، وفكر في أن يختاره عضواً في الوفد ، ثم عدل عن ذلك ، وقال إن المصلحة أن يبقى رئيس الجهاز السرى في الظلام ، وأن يكون بعيداً عن الأضواء ، حتى إذا اعتقل قادة الثورة بقيت الثورة تعمل . وكان سعد يجتمع بعد الرحمن فهمى يومياً على أفراد قبل نفيه إلى مائدة ، ولم يترك سعد في مذكراته شيئاً عن هذه الاجتماعات ، ولم يترك عبد الرحمن فهمى شيئاً عن اللحظة التي اتفق عليها ، ولكن ظهر أن عبد الرحمن فهمى عندما كان يقوم بعملية جمع التوكيلات في الأقاليم - وهي عملية بريئة - كان يكون في أثناءها أجهزة سرية تتصل به مباشرة ، وعند نفي سعد زغلول إلى مائدة ، انقطع الاتصال بين عبد الرحمن فهمى وسعد . واستمر هذا الانقطاع لمدة شهر ، ثم استؤنف بعد ذلك بانتظام حبيب مثير . . وكان من أقوى صفات عبد الرحمن فهمى أنه يشك في كل شخص ، ويراقب كل شخص ، الأصدقاء والأعداء ، وكان لهذا يستطيع أن يتغلب بخصوم الثورة قبل أن يتعشوا به ! وكانت مخابرات الثورة أكثراً من المخابرات البريطانية ، بالرغم من جيش الاحتلال ، بقيادة هذا الجيش ، وفار الحماية ، وسيطرة الإنجليز على الوزارات ! وليس أدل على ذلك من أن لندن فحشت بالثورة .

ان البرقيات الرسمية البريطانية تفصح هذه الحقيقة :

سرى

١٦ فبراير سنة ١٩١٩

من سبر ميلين شيتهم نائب المندوب السامى بالقاهرة

إلى لود كيرزون وزير الخارجية بلندن

« يسرنى أن أخبرك أن سعد زغلول لم يعد موضع ثقة أحد . إن التهجيج الذى نظموه يلفظ أنفاسه ، أو أنه أحمد على أية حال فى البلاد بصفة عامة . من الأمور الجديرة بالملاحظة أن هذا التهيج كان منذ البداية ذا طابع سلمى كلية »

ولا يزال علينا ولا شك أن نحسب حساب عدم الرضا بين الطبقات العالية ، وأصحاب الأراضى ، وأرباب المهن ، وأغلب هؤلاء الناس يرغبون بصورة مبهمه فى شكل ما من الحكم الذاتى ، مما يجعلهم أكثر أهمية كأفراد ، ولكن يبدو لى أن الموقف يختلف مادياً عنه عام ١٩١٤ عندما رفض الأمير حسين كامل وكبار الوزراء فترة طويلة أن يقبلوا حماية ، دون امتيازات لم يكن فى استطاعتنا تقديمها . ومع ذلك فالحركة الحاضرة لا يمكن أن تقارن فى أهميتها بحركة مصطفى كامل ، ولا يبدو أن هناك أى سبب يجعلها تؤثر على قرارات حكومة صاحب الجلالة الملك حول الشكل المناسب الذى يعطى للحماية . »

شيتهم

وأصدرت الحكومة البريطانية بعد ذلك بثلاثة أسابيع الأمر بالقبض على سعد زغلول ونقله إلى مالطة ، وهى تظن أن شيتاً لن يحدث على الإطلاق . »

وفجأة انفجرت الثورة في كل مكان ، بينما كان نائب المندوب السامي البريطاني
نائماً على (معدة) من ريش النعام !
وإذا به يرسل نص هذه البرقية العجيبة :

سرى جلدًا

٩ مارس سنة ١٩١٩

من سير ميلين شيتهم نائب المندوب السامي . القاهرة

إلى لورد كيرزون وزير الخارجية - لندن

« الحركة معادية لبريطانيا ، ومعادية للسلطات ، ومعادية للأجانب ، وهي
ذات ميل بلشفية (شيوعية) وتستهدف تدمير الممتلكات والمواصلات أيضا
وهي منظمة ، ولا بد من . أنه يتفق عليها . وهناك شكوك قوية حول نفوذ أجنبي
فيها . ويميل المسؤولون البريطانيون إلى الظن أنه مهما كان هناك تحريض وطني في
الشهور القلائل الماضية ، فإن الشعور الذي ظهر الآن لا بد أنه كان ينمو خلال
سنوات عديدة ، وأن وقوع انفجار في وقت ما كان أمرا لا مناص منه . »

شيتهم

وتصور أن نائب المندوب السامي في القاهرة اعترف بعد أسبوعين اثنين أنه
كان مغفلا ! .. ولكن البرقية السرية التالية أعجب :

سرى جداً

٩ أبريل سنة ١٩١٩

من سير ميلين شيتهم نائب المندوب السامى . القاهرة

إلى لورد كيرزون وزير الخارجية - لندن

« سرعان ما سيظهر الدليل على أن خطة الثورة قد دبرت ونفذت من قبل
بعثية ، ويجدر بنا أن نلاحظ أن الخطة التي نفذت تطابق البرنامج الذى وضعه الألمان
وحزب « تركيا الفتاة » لشن هجوم حربي في بحريف سنة ١٩١٤ والذي كشف عنه
السلطات المصرية الجاسوس الألماني « مورس » الذى اعتقل في الإسكندرية أثناء
الحرب . وعندما درسنا الحالة الذهنية ، والشعور بالقلم بين الفلاحين فإن هذه
الأشياء لا تكفى لتحليل انفجار الثورة الحالية الخطيرة للمنظمة ، التي يمكن أن يشاهد
فيها بوضوح يد تركيا الفتاة ، بل والعملاء الألمان » .

شيتهم

ويظهر أن وزير خارجية بريطانيا ، ومجلس الوزراء البريطانى اكتشفا بعد
فوات الوقت سداجة نائب المندوب السامى ، وجهل قلم المخابرات البريطانى ،
لأنهما أرسلتا له البرقية السرية التالية في نفس اليوم :

سرى جداً جداً

٩ أبريل سنة ١٩١٩

من لورد كيرزون وزير الخارجية . لندن

إلى سير ميلين شيتهم نائب المندوب السامى . القاهرة

« إن السلطات الإنجليزية المصرية أثبتت أنها بعينها جداً عن إدراك الشعور الوطنى .

أظهرت جميع السلطات افتقاراً تاماً للمعرفة وجهلاً بالموقف . وهذا هو السبب الذي جعلنا نقرر الإفراج عن سعد زغلول باشا وزملائه في مملكة .

كيرزون

ولكن الجهاز السري الثورة سنة ١٩١٩ لم تكن مهمته الأولى أن يعرف ما كان يدور في دار الحماية ، وفي قيادة الجيش البريطاني ، بل كانت له مهام أخطر من هذه .

الفصل الثالث

■ الرّسول الخفي بين القاهرة وباريس!

■ الثورة تتردّ على الارهاب الانجليزى

وإذا كان الجهاز السرى لقيادة ثورة ١٩١٩ حيرَ المخابرات البريطانية في القاهرة ، وحير المخابرات الفرنسية الى كانت تتعاون في باريس مع المخابرات البريطانية لمراقبة قادة الثورة أثناء وجودهم في فرنسا لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ، فإن هذا الجهاز حير أعضاء الوفد أنفسهم ! كانوا لا يعلمون شيئاً عنه . بل إن قيادة الثورة في القاهرة لم تكن تعرف شيئاً عن طبيعة أعمال الجهاز السرى للثورة ، ولا عن حقيقة العمليات السرية التي كان يرسلها سعد زغلول من باريس إلى عبد الرحمن فهمى في القاهرة !

وأتعبت هذه العمليات عبد الرحمن فهمى ، فقد كان تنفيذها يتطلب مالا للقيام بها وهو لم يكن غنياً ، ويتطلب من لجنة الوفد المركزية في القاهرة اعتمادات مالية لهذه الأعمال ، وتسأله اللجنة ما هي أعماله ، فيرفض الإجابة ! وكانت الرسائل السرية تنتقل بين القاهرة وباريس بعدة طرق ، ولعل أغربها أن عبد الرحمن فهمى اختار شاباً لم يكن له أى نشاط سياسى ، وغير مشتهر فيه ، وطلب إليه أن يتظاهر بأنه من « أولاد الحظ » الذين يحبون السهرات ويجلسون مع الغانيات ويهويون الرقص !

واختاره عبد الرحمن فهمى ليكون الوسيط السرى بينه وبين سعد زغلول وينتقل بين القاهرة وباريس موهباً أصداقاه أنه يحب فتاة باريسية لا يستطيع

أننا نتحمل فراقها ! ولا يكاد يصل إلى باريس حتى يلعب إلى الفتاة التي يحبها ، وينضم معها إلى المطاعم والملاهي ، ثم تنفذ تقوده فيعود إلى القاهرة من جديد . ويكون في هذه الفترة قد اتصل بسعد زغلول ، وسلمه رسالة عبد الرحمن فهمى السرية ، وتسلم رسالة سعد زغلول إلى عبد الرحمن فهمى ! ولا يعرف أحد من أعضاء الوفد المقيمين مع سعد زغلول في باريس بما يحدث ، ولا يتصور واحد منهم أن سعد زغلول الرجل الوقور ، وعبد الرحمن فهمى المدير السابق ، قد اشتركا في وضع خطط جاسوسية ، واتفقا على طريقة شفرة ، ووضعها هذه الطريقة العجيبة للاتصال !

وكان سعد زغلول يكتب تعليماته السرية على ورق عجيب لا يخطر ببال أنه يكتبها بالخبز السرى ، في داخل صفحات مضبطة مجلس العموم البريطاني . وعندما يقتبس الإنجليز الرسول السرى ، ويفحصون ما معه من أوراق ، لا يخطر ببالهم أن مضبطة مجلس العموم البريطاني تحوى تعليمات سرية إلى ثورة مصر . فإحدى هذه الرسائل السرية ، المؤرخة في ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠ ، مكتوبة بالخبز السرى فوق صفحات مضبطة مجلس العموم البريطاني المتخذ في يوم الأربعاء ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ .

وتقلب صفحات المضبطة فلا تجد فيها شيئاً . إلى أن تصل إلى صفحة ١٧٧١ وهنا تجد الصفحة الخامسة من تعليمات سعد زغلول السرية ، مكتوبة بالخبز السرى ، الذى لا يظهر إلا إذا مرت فوقه مكواة ساخنة . ثم لا تجد شيئاً في الصفحة التالية ولا التى بعدها ؟ ولا التى بعدها ، ولكن في صفحة ١٧٨٠ من المضبطة تجد الصفحة الرابعة من تعليمات سعد زغلول السرية . ثم لا تجد شيئاً في الصفحة التالية ، ولا التى بعدها ، ولكن في صفحة ١٧٨٧ تجد الصفحة الثالثة من التعليمات السرية .. وهكذا !

وتستغرق التعليقات في هذه المصبطة ٥ صفحات ، ولكن العين المجردة أو النظارات
المكبرة لا تستطيع أن تلاحظ شيئاً مكتوباً فوق مناقشات أعضاء مجلس العموم البريطانى
المكتوبة باللغة الإنجليزية . . ولكن إذا مرّت عليها المكواة الساخنة ظهرت فجأة
تعليقات سعد زغلول ، مكتوبة باللغة العربية !

وبلغ من حرص سعد زغلول أنه كان معه في باريس بعد بداية الثورة بشهر
سكرتير خاص يثق به كل الثقة هو المرحوم محمد بدر بك ، وبقي هذا السكرتير يعمل
مع سعد زغلول ليل نهار عدة شهور . ثم عاد السكرتير إلى القاهرة ، وقابل عبد الرحمن
فهى بك . . وترك الرسائل السرية تروى ما حدث — (ونحب أن نقول إن النقط
الموضوعة بين قوسين هي اسم الرسول السرى !)

مصرى

٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس
زارنى أمس محمد بدر بك — (سكرتير سعد الخاص) — ودار بينى وبينه
الحديث الآتى :

بدر : أرجو أن تبلغوا الرئيس أن يحرس من (. . .)

أنا : لماذا ؟

بدر : لأن كثيرين أخبرونى أنه جاسوس .

أنا : وما دليلهم على ذلك ؟

بدر : الدليل هو أن (. . .) لا قدرة له على المعيشة بفرنسا الآن .

أنا : هل لاحظت وأنت بأوروبا أنه يصرف بغير حساب كما هي عادة

الجواسيس ؟

بدر : لا . . . ولكن هذا لا يمنع أنه يتظاهر بالصرف الضيق نى لا يلاحظ
أحد شيئاً عليه .
أنا : سأكتب ذلك للرئيس .
وأنا مسرور جداً لأن مأمورية (. . .) لم تتجاوزكم ، وهذا يجب أن
يكون .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى : القاهرة
عجبت من حديث محمد بدر عن (. . .) لأنى لم أشعر منه مدة وجوده
هنا بشئ من ذلك . ومرسل لكم جواب خصوصاً في هذا الموضوع .

سعد زغلول

نحن هو ؟

ولكن من هو هذا الرسول الخفى المجهول ؟ من هو « الثلاث نقط » الموضوعة
بين قوسين في الرسائل السرية ؟ إننا نكشف اسمه لأول مرة في التاريخ !
إن اسمه « محمد وجيه » . وكان في ذلك الوقت موظفاً صغيراً مجهولاً معدوماً ،
« كان معروفاً بين أصدقائه بأنه لا يعرف شيئاً في السياسة » ، ولا يهتم بها ، ولا يخالط
السياسيين ، وكان يقوم بهذه المهمة الخطيرة التى لو علم بها الإنجليز لحكروا على
بالإعدام ، وقتلوا الحكم على القور ، والعجيب أنه بقى بعد ذلك ، وبعد أن

انتهت الثورة ، وبعد أن بدأ الذين لم يشاركوا في الثورة يفاخرون بما عملوا ، بقي صامتاً ، لا يتكلم ولا يفتح فيه ، فعل ذلك لمدة ٣٧ سنة ، حتى مات عام ١٩٥٦ ، ورأى الناس يتكالبون على غنائم الثورة ، فلم يقلم كشف الحساب ، ولم يطالب بعلاوة أو مكافأة ولا بمنصب كبير ، حتى بعد أن أصبح رجال الثورة وزراء ورؤساء وزارات ! لقد فضل أن يكون متروياً ، متسياً ، قائماً بأنه قام بدور خطير ومجهول ، وأسامى في هذه الثورة !

هذا الرسول الخفي للمجهول شاب عصامي ، بدأ حياته في مدينة الإسكندرية في وظيفة صغيرة في مصلحة البريد بمرتب قدره جنيهان في الشهر وراح يعلم نفسه ويجاهد حتى عين سكرتيراً للجامعة الأهلية سنة ١٩١٧ ، وهناك توقفت العلاقة بينه وبين سعد زغلول ، كان هنا من بين الأسباب التي جعلت الاختيار يقع عليه لهذه المهمة الخطيرة . واستمر يقوم بهذه العملية الخطيرة دون أن يعلم أحد بما يفعل . واستطاع الجهاز السري بعد ذلك أن يضع محمد وجيه في منصب خطير بطريقة لم يكشف الستار عنها حتى الآن ، وهو منصب السكرتير الخاص لرئيس الوزراء عبد الحفيظ ثروت باشا أكبر أصدقاء سعد زغلول خلال الثورة — واستمر الاتصال مستمراً بين وجيه والجهاز السري ، ولم يعرف ثروت أن سكرتيه هو تلك الشخصية الخطيرة . ولكن « وجيه » استطاع أن يقدم خدمات ضخمة للثورة وهو في هذا المنصب .
النتيجه !

وفي نهاية الثورة قتل إلى وزارة الخارجية ، ووصل إلى منصب مدير الإدارة السياسية ، ثم قتل إلى مصلحة البريد وعين وكيلاً لهذه المصلحة ، ثم عين مديراً للسياسة في وزارة الخارجية ، وعند إنشاء الجامعة العربية عين مديراً للإدارة العامة بها بمرتب ٨٣ جنيهاً في الشهر ، وذلك في ١٩ يونيو سنة ١٩٤٥ ، وظل بها إلى عام

١٩٥٢ إلى أن وصل راتبه إلى ١١٥ جنيها . ثم وقع خلاف بينه وبين مجلس الجامعة فاستقال ، وتوفي عام ١٩٥٦ ، وكان عمره وقتئذ ٧٠ سنة . وفي كل هذه الأثناء لم يقل كلمة واحدة عن دوره الخطير !

ولكن كيف اختير محمد وجيه لهذا الدور الضخم ، ومن الذى اختاره ؟ إن الدكتور أحمد ماهر كان مساعد عبد الرحمن فهمى فى إدارة الجهاز السرى ، وهو أول من فكر فى اسمه . وتولى تزكيته الأستاذ محمد صادق فهمى أستاذ الحقوق فى الجامعة المصرية القديمة وقتئذ - والذى أصبح فيما بعد مستشاراً بمحكمة النقض والإبرام - وكان محمد وجيه يومها سكرتير الجامعة ، ومشرفاً على مكتبها . وبطريقة عجيبة منحت الجامعة محمد وجيه إجازة ثلاثة أشهر ، ثم مدت الإجازة ..

وكانت الثورة لا تكتفى برحلات هذا الرسول الخفى ، بل كانت تستعمل البوستة العادية . كانت تعليقات سعد زغلول تكتب من باريس بالجبر السرى ، وترسل بعنوان مكتبة الجامعة المصرية القديمة داخل كتب علمية ، وكان يتسلمها الأستاذ محمد صادق فهمى الأستاذ بالجامعة الذى كانت مهمته استلام الكتب الجامعية المرسلة للجامعة من أوروبا . ثم يحمل الرسالة السرية إلى بيت عبد الرحمن فهمى ويجلس أحمد ماهر ومحمد صادق فهمى يجلان الشفرة . ثم سافر إلى باريس بعد عدة شهور من الثورة الأستاذ محمد كامل سليم ، وتولى هو كتابة تعليقات سعد زغلول السرية . وكانت الشفرة التى يقيم فيها بباريس هى العنوان الذى تصل إليه رسائل عبد الرحمن فهمى المكتوبة بالجبر السرى .

وكانت الثورة تستعمل أنواعاً مختلفة من الشفرة ، يحملها الرسل المجهولون ،

ويهربونها تحت أنظار رقابة السلطة العسكرية البريطانية ، وكانوا يخاطرون
بأجانيهم ، متحدين رقابة المخابرات البريطانية الشديدة !

امرأة تحمل الرسالة السرية !

واستعملت الثورة مرة سيدة لتقوم بهذه المهمة الخطيرة ، وهي قرينة الدكتور
عمود عزى الذى أصبح صحفياً كبيراً ، ومات وهو ممثل مصر فى الأمم المتحدة ،
وقد ورد اسمها فى الرسالة التالية :

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول فى باريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة
مدام عزى وصلت . نقلت إلينا ما كلفت بتبليغه بخصوص الحوادث الجارية
عندكم .

سعد زغلول

واستعملت الثورة أشخاصاً مجهولين ، كانت تطلق عليهم أسماء مستتارة ، لم
نستطع حل رموزها ، كاسم « مسيو سيمون » الذى لم نستلك من الأوراق على
شخصيته الحقيقية !

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول فى باريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة
مسيو سيمون أوصل المستندات وغيرها مما سلم له . وصل متأخراً . اعتذر

عن سبب ذلك باضطرابه للاعتذار في يوم سعيد أكثر من ٤٠ يوماً قبل أن يجد له خلافاً للركب .

سعد زغلول .

أزمة . . في القاهرة !

وكان مركز عبد الرحمن فهمي حرجاً . المفروض أن قيادة الثورة تتولاها في مصر لجنة الوفد المركزية . ويتولى رئاستها بالنابة إبراهيم باشا سعيد . وهو أمين الصلتوق الذي يصرف أموال الوفد . ويتقدم إليه رئيس الجهاز السري يطلب أموالاً . ويسأل إبراهيم سعيد باشا : لماذا . . . ويجب عبد الرحمن فهمي إنها عمليات سرية ! ويأني إبراهيم سعيد باشا أن يدفع أموالاً لشيء لا يعرفه ! ويصر على أن يعرف ، ويصر رئيس الجهاز السري على الرقض ! ويقول نائب رئيس لجنة الوفد : « أريد أن أرى خط سعد باشا ! » ، ويرفض عبد الرحمن فهمي أن يطلعه على التعليلات ، لأنه لا يريد أن يكشف سرها . . . قبل سلسلة من المراسلات :

مري

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس
اشد الخلاف بيني وبين إبراهيم سعيد باشا ، إنه يريد معرفة الطريقة التي أناطكم بها . يريد معرفة تفاصيل المضروقات التي أصرفها . لا يخفى على سعادتك ما في ذلك من الخطر على القضية ، وعلى الأشخاص الذين عاونوني للحصول على

كل المستندات والأوراق التي أرسلها لكم ، رجوته أن يرحل هذا إلى وقت آخر أي إلى عودة سعادتك . لم يفتن . وهو يظهر لرائيه جلساته عدم ثقته بالأخبار التي أقدمها له ، ورجته الوحيدة أنها ليست بخطكم ولا بمضاهة منكم ، ويعتقد أنه بذلك يسىء إلى ، والله يعلم أنه يسىء إلى الأمة بأسرها .

ولما لم أنجح معه في أخذ النقود اللازمة للصرف توجه إليه أمين سعادة محمود باشا سليمان مع أمين الرافعي بك ، تكلموا معه طويلاً في ذلك ، لم يقبل ، وقال إنه لا يعطى شيئاً إلا بأمر من الوفد بمضاهة سعادتك . تأكدوا أنه لولا أن الظروف خدمتني ، بل خلعت القضية — لأن شخصاً أحضر لي ألفاً وخمسمائة جنيه يوم سفر الوفد من هنا ، باشرت بها العمل — لما كنا تحصلنا على شيء مما أرسلناه لكم ، وما كان يتيسر لي إرسال المندوب القائم بتوصيل الأخبار بيننا .

وأشياء أخرى عملت هنا لصالح القضية لا يصح ذكرها ، بل إنني سأوضحها لكم بالتفصيل عندما تعودون إن شاء الله . وما أنا وطدت العزم للاستمرار على صرف الضروري للحصول على كل ما يفيد قضيتنا ، فإن كنتم سعادتك راضين عن الأعمال التي قمت بها لغاية الآن فأرجو إجراء ما من شأنه كف إبراهيم باشا سعيد عن التنديد بها ، وتفهمه بأن عدم ثقته بالتقارير الواردة بواسطة مندوبنا بالطريقة الرمزية يضر بالقضية ، قبل أن يضر بي .

أرسلوا لي مبلغاً من المال أسدد منه الألف وخمسمائة جنيه لإبراهيم باشا سعيد ، وأصرف الباقي ، وعند عودتكم إن شاء الله أقدم لكم حساباً دقيقاً عن كل قرش ، بحيث أن أي مبلغ ترون أنه صرف في غير محله أو أنه أكثر مما كان يجب ، أكون ملزماً بدفعه .

عبد الرحمن فهمي

ويتلقى سعد زغلول هذه الرسالة فلا يعرف ماذا يفعل .. إنه أعطى تعليمات إلى إبراهيم سعيد باشا أمين الصندوق بأن يدفع لعبد الرحمن فهمي المبالغ التي يطلبها ، ولكنه لم يشرح له ماذا يعمل عبد الرحمن فهمي ، ولا ماذا يكلف به . إن هذه المسائل تتطلب السرية التامة ! لا يستطيع مثلا أن يقول إن الثورة لها عملاء في قصر السلطان : أحدهم واحد من خدمه الخصوصيين ، والثاني موظف في سكرتارية السلطان ، ولا يستطيع أن يقول إن الثورة تشتري مستندات خطيرة هي أوراق سرية في قيادة الجيش البريطاني . إنها تحاول أن تعرف التعليمات والأوامر . إنها تحصل على نبض التحقيقات السرية . إنها تقوم بعمليات تخريب في المكسرات . إنها تدفع مبالغ لأسر للشهداء ، إنها تدفع ثمن الطعام الذي يقدم للمسجونين داخل المعتقلات . وهناك عمليات أخطر من هذه يقوم بها الجهاز السري ، وليس من المصلحة أن يعرفها أحد من خارج الجهاز السري ، حتى لو كان هذا الشخص نائب رئيس لجنة الوفد وأمين صندوق اللجنة !

ويتذكر سعد أن هناك كلمة سر بينه وبين محمود سليمان باشا رئيس اللجنة ، وإبراهيم سعيد باشا نائب الرئيس ، فيرسل إلى القاهرة الرسالة التالية :

مري

٢٥ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمي في القاهرة
يمكنكم أن تخبروا سعادة إبراهيم باشا سعيد وسعادة محمود باشا سليمان بعبارة
(١٣ يوليو) ويلزم إبداء ذلك لهما لأنه برهان على صدق المراسلات بيننا .

سعد زغلول

ويتصور سعد أن رئيس لجنة الوفد وأمين الصندوق سيفهمان الغرض من كلمة السر . فهو لا يريد أن يكتب بخط يده أن هناك أعمالاً سرية ، وأن هناك أموالاً تنفق ! إن الشعب كله راح يتبرع للثورة . حتى نساء الفلاحين بمن حليهن الذهبية وتبرعن بها للثورة . العمال دفعوا يوماً من أجرم الأسبوعي . إن الدعاية للقضية المصرية في الخارج تحتاج إلى أموال طائلة ، ولكن الجهاز السري في الداخل لا يستطيع أن يعمل بغير وقود !

ولو اطلعنا على مصاريف هذا الجهاز لوجدنا أنها ملائم بالنسبة للعمل الضخم الخطير الذي كان يقوم به ! والسر في هذا أن روح التضحية كانت تسود كل من يعمل في هذا الجهاز ! كان خصوم الثورة ينتفون الملايين لوقفها والقضاء عليها . . وكان الثوار ينتفون قروشاً يهزمون بها هذه الملايين !

وكانت المخابرات البريطانية مهتمة بمعرفة من يقوم بعملية التمويل ! وكانت تبحث هنا وهناك عن مصادر أجنبية تعين الثورة ! ولكن الثورة كانت مصرية مائة في المائة ، ولم تلتق أى مساعدات من أى بلد أجنبي ! وكانت كل بلاد العالم في تلك الأيام ترتعد من اسم بريطانيا العظمى ، التي كسبت الحرب والتي قهرت أكبر إمبراطورية .

مصرى :

٤ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول ياريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة
« نأسف على وقوع الخلاف بينكم وبين سعادة إبراهيم باشا سعيد ، ولكن نشتم أنه بعد ١٣ يوليو يعمل عن خلافه معكم ، ويتفق بما تروونه له عن الوفد . كتبنا له اليوم كتاباً خصوصياً بالبوستة تضمن العبارة الآتية (ومصادقة الصديق على

ما يتم عمله من جانب صديقه ، ومساعدته عند الحاجة) . والمقصود بها أن يصدق
لكم على حساب ما صرفتم للآن ، وأن يصرف لكم ما يلزم .

سعد زغلول

ووصلت رسالة سعد زغلول السرية إلى عبد الرحمن فهمي ، ووصلت رسالة
سعد زغلول التحريرية إلى إبراهيم سعيد باشا أمين صندوق الثورة . . وأعلم أن
سعد زغلول إلى أن التعليقات التي أرسلها وصلت إلى أصحابها !
وبعد ذلك فوجيء سعد بالرسالة التالية :

سري

١٠ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس
... قلت لمحمد سليمان باشا وإبراهيم باشا سعيد كلمة السر (١٣ يوليو)
وقلت إنها رمز من الوفد يبرهن لكم على صدق المكاتبه بيبي وبينه ، فبعد أن تفكر
كل منهما كثيراً أجابا بأنهما لا يذكران شيئاً من هذا . . فالرجاء إرسال جواب
رأساً لكل منهما بما ترونه ، حفظاً لمركز الوفد ، وعدم زعزعة اللجنة ، وبقاء الثقة
قائمة عند الناس فيما أنشروه عليهم من أخبار !

عبد الرحمن فهمي

ويجلس سعد زغلول يبحث عن طريقة تفهم منها لجنة الوفد المركزية في القاهرة
أنه يجب أن تضع تحت تصرف الجهاز السري ما يريد من مال . . . إنه
لا يستطيع أن يرسل برقية ، لأن البرقيات مراقبة ، ولا يستطيع أن يرسل خطاباً ، لأن

البريد مراقب ، ولجنة الوفد المركزية تفتش كل يوم ، وليس من مصلحة الثورة أن يقع في يد الإنجليز ما يدل على أن هناك جهازاً سرياً يعمل في الخفاء !
وهو لا يستطيع أن يرسل رسولا شفويا إلى أمين الصندوق ، لأن أمين الصندوق يصير على أنه لابد أن يتلقى شيئا مكتوباً وبخط سعد زغلول ، ليصرف !
ثم يتلقى سعد الرسالة التالية :

سرى

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس
كنت أظن ألا أجد صعوبة عند إبراهيم سعيد باشا في الحصول على ما يلزم للعمل من النقود ، بعد أن اطلع على نص الجملة الواردة بموجبي ، وبالاجواب الوارد لسعادته ، خصوصا أنه وقت وصول الجواب ، ومراجعة ما به على ما جاء بجوابه ، أظهر استعداده لدفع المطلوب .

ومررت عليه مرارا بعد ذلك ، وكررت الطلب ، فكان جوابه في كل مرة لا يخرج عن : « حاضر ، لا تجني فلوس » أو « لا يجي ابني مصطفى من الإسكندرية لأن النقود مودعة باسمه في البنك » أو « النهارده رجلى وجعنى موش قادر أمشي » . . . وهكذا حتى مضت ١٧ يوما بدون أن يعطيني شيئا ، وأخيرا قال لي أمس إنه لا يمكن أن يدفع لي إلا ما أحتاج إليه شهرا بشهر ! أما ما صرفته من عندي بعد نقاد ١٥٠٠ جنيه فلا يمكن دفعه ! فغضبت جدا من هذه المعاملة السيئة ، البعيدة عن كل جمالة وأمانة ، وعزمت على ألا أطالبه بشيء قط ، وأن أستر في الصرف على المسائل الهامة الضرورية عن عندي ، إلى أن ترسلوا له جواباً تعلنونه فيه

بتسليمى مبلغاً ما على الحساب . (مع العلم بأنى صرفت من عندى للآن نحو ٣٣٠ جنيهاً)

أماى أشياء هامة جداً سأجتهد فى الحصول عليها . وهى صور محاضر المجالس العسكرية بمرتها ، لإرسالها لكم ، لأن بها من المستندات والبراهين ما يظهر المظالم البريطانية بأجلى معانيها . وفى العثم الحصول عليها إن شاء الله مهما كلفنا ذلك .

عبد الرحمن فهمى

وإذا بسعد زغلول يتلقى خطابى احتجاج من القاهرة . . خطاباً من محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية يشكو من عبد الرحمن فهمى ، إنه لا يريد أن يخبره عن الأعمال التى يقوم بها . أليس هو رئيس اللجنة : ونائب زعيم الثورة فى القاهرة ؟ فكيف لا يأتمنه عبد الرحمن فهمى ، ولا يثق به . فإذا لم يكن موضع ثقة فهو مضطر إلى الاستقالة من منصبه ليتولى رئاسة اللجنة من يكون موضع ثقة !

ويتلقى سعد زغلول فى الوقت نفسه خطاباً من إبراهيم سعيد باشا أمين صندوق اللجنة . إنه يرى فى تصرف عبد الرحمن فهمى بك إهانة له ، ومساساً بكرامته ، فهو يعرض حياته للخطر ، وهو يعتقل كل يوم من السلطات الإنجليزية . وهو مهلد فى ماله وأسرته ، فكيف لا يوثق به ، ولا يؤتمن على الأسرار ! وما هى هذه الأسرار ؟ وكيف يجوز أن يقوم عبد الرحمن بك فهمى بأعمال لا تعرض على اللجنة المركزية للوفد ، ولا يناقش فيها ، ولا يصدر قرارات فيها تسجل فى المحاضر !

ويكتب سعد الرسالة التالية :

مصرى

١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة

تأسفنا على وقوع الخلاف بينك وبين إبراهيم باشا سعيد ، وكنا نظن بأنه انقسم بما كتبناه لكم ولسعادتكم . لا أظنك ترى ماننا من أن تعرض عليه وعلى سعادة محمود سليمان باشا الأعمال التي تريد مباشرتها لمصلحة الوفد ، لأن كتابنا في الحقيقة عنهما يوجب استياءهما . ولك أن تكتم أسماء من يقومون بهذه الأعمال ، إن كان في إفشائها ما يضر بإتمامها . وأرجو أن تفهمهما أن الطريقة التي نراسل بها طريقة لا يمكن معها الإمضاء ، وأن إخفاءها كان بناء على اتفاق بيني وبينك ، ولأنى لم أخبر إخواني بها خوفا على ذلك الاتفاق . وكنت كتبت لسعادتكما إشارة إلى ذلك ، وهذا نص العبارة التي كتبناها إلى إبراهيم باشا سعيد : « وقد كتبت إليه أن يعرض عليكم السبب في عدم إطلاعكم على أصول ما أكتبه إليه ، فأرجو أن تصدقوه ، وأن تصرفوا له المبالغ التي صرفها ويحتاج إلى صرفها في أعمال الوفد » .

سعد زغلول

وفهم عبد الرحمن فهمى « إشارة » سعد زغلول . . أنه فهم منها أن المطلوب . أن يطلعهما على بعض الأشياء بغير المهمة !
ويبدأ يطلعهما على بعض الأشياء . ولكن إبراهيم سعيد باشا لا يقتنع بهذه الأشياء . ويمتنع عن الدفع . . ويعود عبد الرحمن فهمى يكتب لسعد زغلول :

مصرى

٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس
لغاية اليوم لم يقم إبراهيم سعيد باشا بدفع المبلغ الذى طلبناه . آخر عذر
اعتل به أنه ينتظر أن يتفاوض مع شعراوى باشا ، لا أعرف نتيجة مفاوضاتهما ،
بلغ ماصرفته بن عندى للآن فوق الأربعمئة جنيه .

عبد الرحمن فهمى

ويشور سعد زغلول من باريس . . ويرسل إلى القاهرة أحد أعضاء الوفد ، معه
تعليمات مشددة لإبراهيم سعيد باشا بأن يدفع هذا المبلغ فوراً لأنه دين شخصى على
سعد زغلول ! ويعد سعد زغلول بأن يرد الدين لإبراهيم سعيد باشا عند عودته إلى
مصر !

ويقنع إبراهيم سعيد باشا ، ويصرف المبلغ المطلوب !

مصرى

١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس
لإبراهيم باشا سعيد دفع الحساب لغاية ٢٥ أكتوبر ، وانتهى الإشكال ، وأحوال
اللجنة سائرة الآن على ما يرام والحمد لله .

عبد الرحمن فهمى

حرب ضد الإنجليز !

وفي الوقت الذي كان فيه الجهاز السري في هذه الحالة من الضنك ، كان يعمل ليلا ونهارا ، وكان قد جعل حياة الإنجليز في مصر لا تحتمل ! . . وفي يوم ٢٠ نوفمبر يكتب اللورد ألباني البرقية التالية :

مصرى

من لورد ألباني بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن
اليوم أصدرت أمراً بالقبض على محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية لإبراهيم سعيد باشا نائب الرئيس وعبد الرحمن فهمى سكرتير اللجنة بسبب الاضطرابات التي تتفاقم يوما بعد يوم . وقد حذرتهم قبل ذلك فلم يحدث تغير في الموقف . وأعتقد أنه بعد القبض عليهم سيهدأ الموقف .

ألباني

مصرى

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩

من لورد ألباني بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن
قتل اليوم الكابتن كوهين من ضباط الجيش بوحدة العمال بجوار مستشفى شبرا . حرب الفاعلون وبدأت عمليات إرهاب .

ألباني

مصرى

٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٩

من لورد ألنبي بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن

أطلق الرصاص اليوم على خمسة جنود بريطانيين بمحار مباحة السكك الحديدية بالقاهرة . أصيب أحد الجنود إصابة خطيرة ، فر القاعلون . فى نفس اليوم قتل ثلاثة ضباط بريطانيين بمحار قشلاق العباسية ، اعتداءات مستمرة على رجالنا .

ألنبي

مصرى

٢ ديسمبر سنة ١٩١٩

من لورد ألنبي بالقاهرة إلى وزير الخارجية . لندن

قتل ضابطان بريطانيان بمحار محطة كوبرى اليمون بالقاهرة . وهرب الماعاون بدأت حرب الاغتيالات تتطور تطوراً خطيراً .

ألنبي

وهكنا تضاعفت الحوادث بعد اعتقال عبد الرحمن فهمى ، ولم يبق عبدالرحمان فهمى فى السجن سوى بضعة أيام ، وخرج ليستأنف نشاطه !

مصري

٢٦ مارس سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة

حضر سينوت بك حنا (عضو الوفد) واستلمنا ما معه من الأوراق . علمنا
منها شفها أنه يلزمكم تقود للصرف منها على الضروريات ، فيمكنكم أن تأخذوا
ما يلزمكم من إبراهيم باشا سعيد بإيصال ، أو إيصالات تكتبون فيها أنكم استلمتموها
لإرسالها إلى الوفد ، بطريقة غير طريقة البنوك ، وحيث يسهل العمل من غير أن يكون
عليكم مسئولية .

سعد زغلول

ولكن هذه الرسالة تتأخر فى الوصول إلى عبد الرحمن فهمى الذى كان أرسل
لسعد الرسالة التالية :

مصري

٤ أبريل سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس

يسوفنى جدا أن أعرف مساحتكم أن الحالة بدأت تظهر بغير المظهر الذى يرضيكم ،
ويرضى كل محب لبلادنا العزيزة ، لأن خصوصنا السياسيين يشتغلون بجد ، ويصرفون
عن سعة ، وكذلك أعداؤنا الحقيقيون ، يبعثون المال ، ذات اليمين وذات الشمال ،
بجميع أمكنهم أن يستخدموا كثيرين ممن كانوا من العاملين المخلصين للتجسس ،

والإيقاع بغيرهم . كل هذا يحصل حولنا ، وعلى مسمع منا ، ولا يوجد من جهتنا حركة مضادة لهذه الأعمال الشيطانية ، وذلك لقلة المال .

عبد الرحمن فهمى

وعلم عبد الرحمن فهمى بأن بعض الكلمات بدأت تتناثر عن مهمة الجهاز
السرى .

واشتدت الرقابة عليه فجأة !

وأرسل إلى سعد زغلول يبلغه أنه قرر ألا يتقاضى أى مبلغ من أحد من أعضاء
الوفد فى القاهرة ، ويبادر سعد ويرد عليه :

سرى

١١ أبريل سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمى فى القاهرة

« أجبستم فى إعلانكم التوقف عن الصرف وعن استلام شىء من النقود من إبراهيم
باشا سعيد ، ولكنى سأرسل إليكم من طرف آخر نقودا بالطريقة التى كنتم أوضحتوها ،
وبهذه الكيفية يمكنكم أن تشتغلوا من غير أن يعلم أحد بشغلكم ، بمن تشبهون فيهم ،
ولا تودون أن يعلموا شيئاً من حركاتكم .

وعند استلام النقود من الذى سيعطيها لكم ، نهوا عليه بأن يكون أمرها
بينه وبينكم ، وأن يرسل إلى فوراً الإيصال الذى تكتبونه له باستلامها .

سعد زغلول

وتقابل هذه الرسالة في الطريق ، برسالة من عبد الرحمن فهمى : إنه خطير
ببالة أنه إذا كان الرجال الكبار يثرثرون فيمكن الاعتماد على شاب كمحمد محمود
باشا . . فيكتب إلى سعد :

مصرى

١٢ أبريل سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى في القاهرة إلى سعد زغلول في باريس :

علمنا أن محمد باشا محمود سيحضر لمصر لتمضية مدة بها . أطلب بإلحاح
أن تعطوه التفويض الكافى لإنهاء المسألة المالية ، وما نحتاج إليه من الصرف . مع
العلم أننا اضطررنا لتقليل الأعين الساهرة على مصلحة القضية ، التى كانت مكلفة
بمراقبة خصوصتنا وأعدائنا ، حيث لا قبل لنا على الاستمرار على الصرف عليها من
جيبنا الخاص . كما كان الحال قبل أن تنفذ نفوذ الوفد ، وكذلك قللنا شيئا ليس
بالقليل من الأعمال الأخرى .

عبد الرحمن فهمى

ولكن سعد زغلول لم يقبل أن يكلف محمد محمود باشا بهذه المهمة !
لماذا ؟

إن سعد زغلول لم تكن علاقته طيبة بمحمد محمود في باريس ، وهذا يفسر ما
كتبه سعد زغلول في مذكراته في يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ : « قال لى محمد
محمود : « إذن كنت تحمل المسافرين (يعنى ويصا واصف وحافظ عفيف) رسالة
إلى القاهرة على أن يمتهدوا فى الإكثار من القنابل ! » . قلت له : « إن هذه السياسة

١٠٨

أُفقتها، ولا أرجو إلا الشيء المشروع فقط ، وكل ما أطلب أن يتحد الناس على
محبة الاستقلال ، وأعلم أن طريقة الإرهاب إذا وقعت مرة فإنها تفسر مرات ،
وإذا كانت اليوم لك ، فإنها تنقلب عليك غدا ، والملاك يجب التحذير منها ،
والبعد عنها . فسكت ، ولونه أصفر .

فهل كان سعد زغلول ينفذ سياسة العنف ؟

وهل كانت عمليات الجهاز السري تدور بغير علمه ؟

هنا هو السؤال الذي لم نجيب عليه بعد !

١٠٦

الفصل الرابع

حرب القنابل والاعتقالات!

ذهب « سير شيهام » المندوب السامي البريطاني إلى فراشه ، وتعمد في سريره هائثاً قريراً سعيداً ! إنه قضى على ثورة مصر وانتهى منها ! إنه قبض في ذلك اليوم على سعد زغلول وزملائه الثلاثة ، وهم الآن في طريقهم إلى الماطة . . . التقارير وردت من أنحاء القطر بأن كل شيء هادئ تماماً . وكان المندوب السامي قد أقام ليلتها حفلة في قصر البوابة (جاردن سيتي) ، حضرها القواد وكبار رجال دار الحماية . وتبادلوا الأناخاب احتمالا بقتل الثورة في مهدها !

وكتب اللورد جورج لويد - المندوب السامي البريطاني - في مذكراته « مصر منذ كرومر » صفحة ٢٨٩ من الجزء الأول يقول : « لا يمكن إنكار أن المسئولين البريطانيين في مصر يستحقون اللوم . إنهم حتى اللحظة الأخيرة لم يروا الخطر الذي يهددهم . لم يخطر المندوب السامي ووزارة الخارجية البريطانية بأن الموقف يتطور تطوراً يهدد بكارثة . والواقع أنه لا البريطانيون المدنيون ولا العسكريون البريطانيون عرفوا هذه الحقيقة ! حتى اللحظة الأخيرة كانوا يؤكدون في تقاريرهم أنه ليس هناك أي خطر ! »

وهكذا نام سير شيهام المندوب السامي في ليلة ٨ مارس سنة ١٩١٩ مقتبلاً .
« ضربة المعلم » التي قضى بها على أحلام شعب !
ولكنه استيقظ في صباح يوم ٩ مارس ليجد مصر أخرى ، غير مصر التي تركها في الليلة الماضية -

وندع اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني يصف ما حدث ، مستنداً إلى الوثائق والتقارير التي وجدها في الأرشيف السري لدار المندوب السامي ، عندما تولى منصبه بعد قيام الثورة بست سنوات . كتب لويد في مذكراته صفحة ٢٩٧ من الجزء الأول يقول : « أشعل اعتقال هؤلاء الرجال الأربعة النيران . . . في صباح يوم ٩ مارس هجر الطلبة دروسهم . تفرقوا في الشوارع يحملون مشعل الاضطراب في كل مكان . . . وفي المساء بدأت أعمال التخريب . وفي صباح يوم ١٠ مارس هاجمت جماهير غير منظمة الممتلكات والمباني . كان لا بد من استدعاء الجيش البريطاني لمساعدة البوليس . وفي يوم ١١ مارس تحول الموقف إلى أسوأ . أضرب الحامون . ترك الموظفون أعمالهم . تكررت الاضطرابات بين الجماهير الثائرة والجيش البريطاني والبوليس . . . وفي يوم ١٢ مارس اضطرت الأقاليم بالثورة : وقعت اضطرابات في طنطا . اضطرت قوات الجيش البريطاني إلى إطلاق النار لصد هجوم على محطة السكك الحديدية . . واضطرابات في الزقازيق . . واضطرابات في دمنهور . واضطرابات في المنصورة . انتشرت الاضطرابات بسرعة في جميع أنحاء الدلتا ، كما انتشرت الاضطرابات في الصعيد !

« وفي ١٧ مارس عزلت القاهرة عن بقية أنحاء مصر . دمرت الخطوط الحديدية . قطعت أسلاك التلغراف والتليفون . اضطرابات مستمرة في الإسكندرية . اضطرابات في جميع المدن الهامة بين قوات الجيش البريطاني والشعب . قوات الجيش البريطاني لا تستطيع أن تفعل شيئاً للسيطرة على بعض المناطق . القوضى تسود مدن الدلتا ، الموقف في الصعيد خطير بنفس الدرجة . حوصرت وحداتنا العسكرية . انتهت كل سلطة للحكومة !

وفي نفس اليوم - ١٧ مارس - وصل الجنرال « بولفين » لتولي القيادة . شكل

طواير متحركة من قوات الجيش . الثورة تحكم مصر . الممتلكات مهددة . خسائر ضخمة في الأرواح ! . . وفي يوم ١٨ مارس ، نشبت ثورة في أسبوط . . قتلت الجماهير الثائرة ثمانية من الإنجليز . الشعب شرس . ٣ ضباط و ٥ من صف ضباط الإنجليز كانوا مسافرين بالقطار من الأقصر . الجماهير في كل محطة تهددهم ، وتبيدهم في ديروط . تعرض القطار المسلح للهجوم . اقتحم الشعب العربية . فتك الشعب بالإنجليز العسكريين الثمانية . في (دير مواس) هجمت الجماهير ومزقتهم إرباً . تركت جثثهم المشوهة تستقبل في كل محطة يمر بها القطار . وصل القطار إلى المنيا . أخذت البلط ودفت!

« الصعيد يلهب بقوة أكثر عنفاً . البدو من الغرب يتقدمون بأعداد كبيرة نحو المدن . السكان الإنجليز في المنيا محاصرون ومعرضون لخطر عاجل . لجأ جميع الرعايا الأجانب في أسبوط إلى مبنى واحد تدافع عنه فصيلة من جنود (البنجاب) . . لم يستطع الطابور البريطاني أن يصل إلى أسبوط لتعزير هذه الفصيلة إلا يوم ٢٥ مارس ! » .

هذا ما دونه لورد لويد في مذكراته ، نقلا عن الوثائق الرسمية في دار الحماية !

وأسرعت بريطانيا ترسل قوات من جميع أنحاء العالم إلى مصر : من الهند . من عدن . من سنغافورة . . وأرسل الجيش البريطاني يستنجد بأكثر عدد من رجال المخابرات البريطانية . . ولكن الثورة استمرت ، واستمر الجهاز السري للثورة يعمل ، ويفسد جميع المحاولات التي تبذل لإخماد الثورة ! . . وكانت الاتصالات والتعليقات مستمرة بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي منذ أبريل سنة ١٩١٩ ، وعندما اضطر

الإنجليز للإفراج عنه ، وسافر إلى باريس ليعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح
المنعقد في قصر فرساي . .
وهذه الرسائل السرية المتبادلة تحكى قصة الثورة :

انتحار وكيل مديرية !

مصرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبدالرحمن فهمى بالقاهرة .
بلغنا من بعض المصريين أنهم (الإنجليز) بدأوا يجلدون النساء . وأنهم قتلوا بعض
القضاة والمحامين ضرباً بالرصاص . إذا كان هذا الخبر صادقاً — وهو مالا نعتقد —
فرجوكم أن ترسلوا لنا كل التضميلات المحلية .

سعد زغلول

مصرى

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .
لا حصة لنا بلفكم بخصوص جلد النساء ، وكذلك قتل القضاة والمحامين ، غير أنه
حصل اعتقال كثير من القضاة وأعضاء النيابة وغيرهم ، وكذلك وكلاء المديريات
مسامورى المراكز . . وبينهم من أهين إهانة زائدة حتى آل الأمر معه إلى الانتحار ،

الكوكيل مديرية النيابة (محمد حمدي بك) : ، أو إلى الاستقالة بعد الإفراج عنه ككاتب
نيابة النيابة .

عبدالرحمن فهمي |

قتل فلاح ، لأنه سرق بروسيا !

سري

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول في باريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة .
بلغنا أن « أرمينيا » مرتديا ثياب ضابط بريطاني عين في وظيفته في مركز من
مراكز مديرية الجيزة ، وأنه مطلق التصرف هناك ، وأنه قتل بمسدسه شخصا أشبه
بسرقه قليل من الرسم . هل هذا صحيح ؟

سعد زغلول

سري

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس .
الأرميني المرتدي ثياب ضابط إنجليزي هو شخص اسمه « حكيمان » عين بصفة
ضابط قضائي بمركز العياط ، وله مسائل عديدة جداً . أرسلنا من يلزم لتحريرها وجمع
أدلتها بدقة . وسنرسل لسعادتكم تقريراً وافياً عنها . أما مسألة الرسم الواردة في رسالتكم
فهي حقيقة .

عبد الرحمن فهمي

أحزاب إنجليزية . . بأسماء مصرية !

وبدأ الإنجليز يحاولون ضرب الثورة . اتصلوا بعدد من الأعيان والإقطاعيين ،
محاولين إقناعهم بأن يخرجوا على الثورة ، ويطالبوا بالاستقلال الذاتي بدلا من الاستقلال
التام . . . وبدأت هذه المراسلات :

سرى

٤ يوليو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول إلى باريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة :
ما مبلغ صحة ما يقال من أن فكرة الاستقلال الذاتي تحت الحماية (البريطانية)
بدأت تتشر في بعض الأندية ؟ ومن هم مروجو هذه الفكرة ؟ نرجو إفادتنا عن
تفاصيل ذلك .

سعد زغلول

سرى

٢٢ يوليو سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .
فكرة الاستقلال الذاتي لم يروجها إلا الخوذة الأندال والمأجورون . ولكنها على كل
حال لم تلق قبولا . السواد الأعظم جدا من الأمة لا يريد غير الاستقلال !

عبد الرحمن فهمى

وقررت إنجلترا إرسال لجنة تحقيق برياسة لورد ملتر لسؤال المصريين عما يريدون .
وطالب سعد زغلول من الشعب أن يقاطع لجنة ملتر ، وأن يطلب من هذه اللجنة أن
تتحدث إلى سعد زغلول لأنه يمثل الشعب المصري الوحيد :

سرى

٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس :
حيا الله الأمة المصرية . نقلت إرادتها التي أعجبت الوفد . أحسكت مقاطعة
لجنة ملتر إحكاماً شديداً جداً . راقبت مراقبة شديدة ذوى النفوس الصغيرة الذين كان
يظن أنهم سيتقدمون للتكلم مع اللجنة مخالفين قرار المقاطعة :
حلت أعصاب الحزب المستقل الحز الذى كونه يد العاصب وأمواله لهذه الغاية :
لم يجرؤ أحد من هذا الحزب الضئيل الحقيق أن يتقدم لهذه اللجنة . ليس هذا فقط ،
بل إن رجال الأمة العاملين انقلبوا من الطرق والأساليب ما جعل معظم أعضاء هذا
الحزب ينفضون من حول مؤسسه الخونة . اضطرب الحزب أخيراً أن يعلن في جريدته
الساقطة (المنبر) الانضمام في آرائه إلى وفدنا المحبوب . .

عبدالرحمن فهمى

سرى

٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس :
بعد أن أراحنا الله من نادى الأعيان أولاً ، ثم من حزب الأحرار ثانياً . عاد
محمد إبراهيم هلال إلى عمل جمعية سماها « جمعية الاتحاد الوطنية » ، وظاهرها حلو

وهو الدعوة إلى الاتحاد والوثام والسعى في استقلال مصر بالطرق المشروعة • ولكن
باطلها السم الزعاف - حيث أن أساس عملها الداخلي هو الطعن على الوفد ، والتشهير
به لإسقاطه ، وتوكيل وفد آخر برئاسة محمد سعيد باشا - ومن معه من أقطاب
المناسين . ولقد أدخلت في الجمعية أكثر من شخص لإمكان الوقوف على أسرارها ،
وأعمالها ، حتى تأتينا التقود . والحمد لله ، ها هي وصلت فسنحاربها بحاربة تلحقها
بالحرب الحر المستقل . إن لم يكن بأكثر من هذا . فاطمئنا . ولا تشغلوا بالكم
بداخليتنا . والوقوف على شيء من أعمال هذه الجمعية : أرسل لكم تقريراً مفصلاً عن
انتدبناهم للانخراط في سلك الجمعية : للوقوف على ما يدور فيها من الأسرار والمناسات
والسعيدة !

عبدالرحمن فهمي

مصر

٧ يناير سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول في باريس .
يسرني أن أعلن سعادتك أن كل الإجراءات التي اتخذت للقضاء على الحزب
الحر المستقل نجحت نجاحاً باهراً . تفكك أعضاؤه . أصبح أثره بعد عين . لا يزال
العمل جارياً لحذف ما بقي من اسمه وجذرائه !

عبدالرحمن فهمي

نقابات العمال

وفي أواخر سبتمبر سنة ١٩١٩ . أرسل سعد زغلول إلى عبدالرحمن فهمي توجيهاً
سرياً بعمل تنظيم النقابات ، ويسأله رأيه في ذلك ، واستطاع عبدالرحمن فهمي أن
ينجح في هذه العملية نجاحاً ضخماً :

مصرى

١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بإريس .
عممنا إنشاء النقابات بطول البلاد وعرضها . أثمرت المجهودات التى بذلناها فى
سبيل ذلك والحمد لله . تشكلت لكل حرفة نقابة . لم يبق فى مصر حرفة أو صناعة
إلا ولها نقابة . لم تعترف الحكومة بهذه النقابات حتى الآن . ليس منظوراً أن تعترف
بها فى الظروف الحاضرة . نقابات العمال مفيدة جداً للحركة الوطنية وهى سلاح قوى
لا يستهان به فى الملمات ، يجب نداء الوطنية بأسرع ما يمكن .
عبد الرحمن فهمى

منشورات تهديد بالشيوعية !

وبداً الجهاز السرى يصدر منشورات مختلفة الاتجاهات ليشير الرعب فى قلوب
الاحتلال : فيظهر فيها أن الألمان يؤيدون الثورة ، أو أن الشيوعيين يؤيدون الثورة ،
ولكن سعد زغلول اعترض على هذا الاتجاه فكتب يقول :

مصرى

٢٣ يونيو سنة ١٩١٩

من سعد زغلول فى باريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة .
الوفد غير راض عن المنشورات التى تميد اعتماد المصريين على الألمان ، وتتضمن

انتصاراً للشيوعية ، فإن هذه المنشورات يستفد منها أعداؤنا ، للقول بأن الحركة المصرية لها اتصال بالألمان والحركة البلشفية . وهذا يضر بقضيتنا .

سعد زغلول

لا أمل في الاستقلال !

مع الإرهاب ، واعتراف الدول بالحماية على مصر ، بدأ بعض أعضاء الوفد المؤيدين لسعد زغلول يقولون إنه لا فائدة من المطالبة بالاستقلال !

سرى

٢٣ يوليو سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .
سبق أن ذكرت لسعادتكم ، أكثر من مرة ، أن روح الخطابات التي ترد من بعض أعضاء الوفد لا تتفق مع روح الكتابات التي ترد لنا من الوفد . ولم أذكر أسماء مرسلها ، تقادياً من وقوع أى خلاف . أما الآن وقد أتى مكتوب أنخيراً بصفة لا يمكن السكوت عليها ، إذ به الحملة الآتية « الآن لا أمل ولا عمل ، فيا ليتنا نسعى للمفاوضة في الاستقلال الداخلي » . هذا المكتوب ورد للدكتور محمود عزى من صديقه على حافظ رمضان بك . ويقول عزى إنه ورد مكتوب مثله لمحمد حافظ رمضان بك . نعم إن على بك حافظ ليس من أعضاء الوفد . ولكنه بعد أن قرر الوفد ضمه لسكرتاريته ، وسافر معه بالفعل ، أصبح منسوباً إليه . ولا يخفى على سعادتكم ما يحمله مثل هذا الكلام من الأثر السيئ في النفوس وبخصوصاً أن الحقنة ورئيسهم

الأكبر (الاسم الذى كان يطلق على السلطان فؤاد) لا سلاح لم الآن إلا مثل
هذه الجوابات !

أرجو العمل على ملافاة ذلك حرصاً على النفوس ، ومنعاً لتسليح الخونة .
عبد الرحمن فهمى

أنخفينا أعمالنا عن صدق باشا ! _

وبعد ذلك مباشرة بدأ الانقسام فى الوفد ، وفصل سعد زغلول إسماعيل صدقى باشا !

سرى

١٨ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول ياريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة .
يحسن أن نخبركم أن رجلاً يدعى « صباغ » ، كان موظفاً عند المرحوم البرنس
حسين ، ويظهر أنه مخبر للإنجليز فى باريس ، عرض وساطته بيننا وبين المستر بلفور
(وزير خارجية بريطانيا) ورغب أن أزور هذا الأخير ، وبأن أترك له ورقة زيارة
وأطلب فى الوقت نفسه بواسطة سكرتير الوفد مقابله . وذلك عقب أن قرر المؤتمر
شروط الصلح التى تضمنت ما تعلمونه عن مسألة مصر (الاعتراف بالحماية البريطانية
على مصر) . وكان هذا بالاتفاق بينه وبين إسماعيل صدقى باشا وحسين واصف باشا
على غير علم منا ، فلمدم الثقة بهذا الرجل من جهة ولا رتيابنا فى هذا الاتفاق : وعدم
الوقوف على السبب فيه ، ولأن طلب مقابلة مثل هذا الوزير عقب قرار مؤتمر
الصلح لا يتفق مع طلب الاستقلال التام ، وحفظاً لمبدأ الوفد وكرامة الأمة- قرر الوفد
رد هذه الوساطة ؟

من هذا الحين غضب إسماعيل باشا صدقي ، وصار يبذل جهده في عرقلة مساعي الوفد ، حتى اضطر الوفد أن ينجي عليه أكثر أعماله ، خشية أن تداع بمعرفته معرفة محمود بك أبو النصر الذي كان شريكاً له في جميع التصرفات .
سعد زغلول

الوساطة المفروضة !

وبدأ خصوم الثورة يهاجمون سعداً ، ويلومونه لأن : فيتريلوس رئيس وزراء اليونان أبدى استعداداً للوساطة بين الثورة والإنجليز ، فرفض سعد زغلول !

مصرى

٢٤ أغسطس سنة ١٩١٩

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة .
قرأنا في بعض الجرائد أنه حصلت مناقشة بشأن توسط المسيو فيتريلوس (رئيس وزراء اليونان) بين الوفد ووزير خارجية إنجلترا . حقيقة هذه المسألة هي أن بعض كبار اليونانيين عرض أن المسيو فيتريلوس يتوسط عند الحكومة الإنجليزية في إعطاء مصر حقوقها . فطلب مسيو فيتريلوس أن أكتب له خطاباً التمس وساطته لإعطاء مصر نظاماً موافقاً تحت الحماية ، ولا كان هذا مخالفاً لمبدأ الوفد ولكرامة الأمة التي يمثلها الوفد ، ولا يتفق مع الإجابة التي أجبناها للسير ونجيت (نائب ملك إنجلترا) عندما طلب منا أن نقدم طلباتنا بالكتابة في دائرة الحماية كما تعلمون — لم نر بداً من الامتناع عن التدخل في مثل هذه المناقضة .

سعد زغلول

الاحتلالات السياسية !

واستمر الإرهاب البريطاني ضد الثورة . حكمت المحكمة العسكرية بإعدام ٥١ مصرياً اشتركوا في ثورة (ديرموا) . ثم عدلت عقوبة الإعدام بالنسبة لـ ١٦١ منهم ، بينما نفذ حكم الإعدام في ٤ ٣ منهم من بينهم البكباشي محمد كامل مأمور أسبوط الذي قاد ثورة أسبوط . . كما نفذ حكم الإعدام في ثلاثة مصريين قادوا ثورة الواسطي . مئات من المصريين حكم عليهم الإنجليز بالإعدام ، وبالأشغال الشاقة المؤبدة ، وجلدوا ألوف المصريين ، وملأوا السجون بالوف الوطنيين . . وبدأ بعض السياسيين يدعون للتسليم ١١

وبدأت الثورة تتجه إلى الاحتلالات السياسية ، وليس في الخطابات السرية ولا في مذكرات سعد زغلول ، بما يدل على أن سعد زغلول هو الموعز بهذه الاحتلالات ! . ولكن في الوقت نفسه لم نجد في تعليقات سعد زغلول السرية كلمة واحدة عن أنه لا يوافق على هذه الاحتلالات . . بل إن صحيفة الرسائل السرية التي يرسلها عبدالرحمن فهمي تدل على أنه يحمل بشري إلى قائد ثورة ١٩١٩ ، وأنه يطلق على الذي حاول اغتيال رئيس الوزراء بأنه « يتقد حمية ووطنية » . . وأنه في « غاية الجرأة » . و « لا تسألوا عن ثباته وشجاعته » وأنه « الجريء » . ونحن لم نستطع في تحقيقاتنا أن نجزم برأى سعد زغلول في هذه الاحتلالات ، وإن كنا نميل إلى أنه كان يرحب بها في تلك الأيام . فلم يكن في استطاعة الشعب أن يقاوم الطغيان وأحكام الإعدام بالجملة إلا بهذه الطريقة . خاصة أن سعد زغلول أعلن أن كل مصري يتولى رئاسة الوزارة في ظل الحماية البريطانية هو خائن لبلاده . . وأدى هذا الإعلان إلى

قرار الحكومة البريطانية بنفيه إلى مالطة ! . . وهذا هو النيب في أن الجهاز السرى
حاول اغتيال كل رئيس ووزارة تولى الحكم بعد هذا الإعلان !
ويحسن هنا أن نترك الوثائق تتكلم :

قنبلة على سعيد باشا !

سرى

أول سبتمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالة امرة إلى سعد زغلول پياريس .
علمت الساعة أن بعضهم ألقى قنبلة على محمد سعيد باشا صباح اليوم أثناء
خروجه من منزله ، فلم تصبه .

عبدالرحمن فهمى

سرى

٨ ديسمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول پياريس إلى عبدالرحمن فهمى بالقاهرة .
أعجبت كل الإعجاب بما قام به الأقباط من المظاهرات ، والتبرؤ من رئيس
الوزراء (يوسف وهبه باشا) وما كتبه « ويصا واصف بك » في جريدة (الحورنال
ديجيت) من الاعتراض الشديد عليه . أرجوك أن تلغ شكرى لكل من تقابله من
هؤلاء الأقباط عموماً ، ولخضرة ويصا واصف بك خصوصاً .

سعد زغلول

مصرى

١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .
 ألقى طالب قبلى من كلية الطب قنبلتين على رئيس الوزراء (يوسف وهبه باشا)
 ولكنه أخطأه ، وضبط ذلك الشاب ، وهو يبلغ نحو عشرين سنة ، يتقد حمية
 ووطنية . من عائلة كبيرة بجهة ميت غمر . اسمه « عريان يوسف سعد » - ابن سعد بك
 وهبه . الشاب المذكور فى غاية الجرأة . اعترف بجريمته وبسببها بلا مبالاة ، ولا يزال
 مصرا على أقواله .

عبدالرحمن فهمى

مصرى

٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .
 أبلت ممنونة سعادتكم لويصا واصف بك ولكل من قابلته من إخواننا الأقباط ،
 وطلبت منهم تليته للآخرين .

عبدالرحمن فهمى

مصرى

١٤ يناير سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .
 حددت السلطة العسكرية البريطانية يوم ١٦ يناير لمحاكمة عريان أفندى يوسف
 سعد الجريء أمام مجلس عسكرى . قيل لنا إن يوسف باشا وهبه (رئيس الوزراء)

سعى سعيًا حثيثاً لدى السلطات لمحاكمة المذكور أمام المحاكم الأهلية فلم يفلح . وكان ذلك تحت تأثير شديد من كتب التهديد التي وصلته .

عبد الرحمن فهمي

سرى .

١٧ يناير سنة ١٩٢٠

من عبدالرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بياريس .
 حوكم الشهم الشجاع عريان أفندي يوسف سعد أمس بوزارة الحفائفة . من قنرب أن المحاكمة تمت في يوم واحد . لا تسألوا عن ثبات جأش هذا الشاب ، وشجاعته التي أظهرها أثناء المحاكمة ، فكلها مما يفخر بها المصري . أينما كان وخجلاً كان . أسأل الله السميع القدير ألا يجعل هذه الحادثة خاتمة أعماله لبلده .

عبد الرحمن فهمي

سر الجريمة ١٩

وننتقل إلى ما بعد ذلك بعامين ..
 حدث في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أن أطلق مجهولون الرصاص على حسن عبدالرازق باشا واسمه اصيل زهدى بك في أثناء خروجهما من جريدة السياسة بشارع القبتديان ، عقب اجتماع مجلس إدارة حزب الأحرار الدستوريين ..
 وتوفي الاثنان على الأثر ..
 ودهش الناس يومها لهذا الحادث ، فإن الرجلين اللذين اغتيلتا ليس لهما نشاط

كبير في السياسة . ومن غير المعقول أن يفكر إنسان في اغتيال رجل طيب كرم مثل حسن عبدالرازق باشا أو رجل ممتاز مثل إسماعيل زهدى بك . وقيل إن جهاز الاغتيال قرر اغتيال عدلى يكن وحسين رشدى باشا ، وأخطأ نظراً للشبه بينهما وبين حسن عبدالرازق باشا واسم اعيل زهدى بك فأطلق عليهما الرصاص !

وتواترت هذه الرواية . . ولكن أحداً لم يسأل نفسه هذا السؤال : كيف أن تنظيمًا سريًا خطيراً كالذى كشفت عنه تحقيقات الاغتيالات يخطيء في معرفة عدلى يكن ورشدى ؟ . . لقد كان عدلى يكن رئيساً للوزارة . وكان حسين رشدى رئيساً للوزارة قبل ذلك . . . وكان بين أعضاء الجهاز عدد من طلبة المدارس العليا والمدارس الثانوية والعمال المثقفين . فهل هؤلاء لا يستطيعون أن يعرفوا ملامح عدلى يكن أو رشدى ؟ إن صورهما كانت تظهر في كل الصحف والمجلات ! فهل من الممكن لأشخاص يشتغلون بالسياسة ألا يعرفوها !

ثم إن هناك مفاجأة أخرى : إن حسين رشدى باشا لم يكن عضواً في حزب الأحرار الدستوريين . ولم يكن يردد على جريدة السياسة ، مركز حزب الأحرار ! فهل لا يعرف الجهاز المنظم هذه الحقيقة ؟ وهل كان من الممكن للجهاز الذى كان له حيون في القصر الملكي ، وفي دار الحماية ، وفي قيادة الاحتلال ، ألا يعرف أن رشدى مثلاً لا يزور جريدة السياسة ؟ !

وهل إذا ثبت أنه في يوم ارتكاب الجريمة كانت أنوار جريدة السياسة مضاءة ، وأن ملامح حسن عبدالرازق تخالف ملامح عدلى يكن ، ولامح إسماعيل زهدى تخالف ملامح حسين رشدى . . هل يمكن القول إنه حدث خطأ !

ولكن الرسائل السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي قد تفسر لأول مرة هذه الجريمة الغامضة : فقد حدثت في يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٩ مظاهرة

ضخمة في الإسكندرية . وجاءت فرقة من الجيش البريطاني وأطلقت الرصاص على المتظاهرين فقتلت خمسة وجرح ٤٠ . وانفجرت مدينة الإسكندرية ، وهاجم الشعب في اليوم التالي سيارة بريطانية مسلحة ، وأطلق الإنجليز رصاصهم على الجماهير فأصابوا عشرة ، وقعت معركة بين الشعب والجنود الإنجليز سقط فيها عدد كبير من القتلى . .

وهنا تبدأ القصة :

سرى

١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩

من عبدالرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول پياريس .

إن المظاهرات التي حصلت أمس بالإسكندرية ، قويات بعنف وشدة متناهية . الأخبار متناقضة عن عدد القتلى والجرحى . لم تتمكن من ذكرها بالتلغراف الذي أرسلناه لسعادتكم اليوم . أهم شيء في الموضوع هو نص استقالة حسن عبد الرازق باشا محافظ الإسكندرية التي يقول فيها حرفياً : « إن الرصاص يطلق في شوارع المدينة من غير داع . وقد ارتكب أحد المفتشين الإنجليز خطأ لا مبرر له . ولم أبلغ شيئاً من الحوادث . ولهذا أقدم استقالتي » .

وحقيقة الحال أن المفتش الإنجليزي المذكور أمر أحد صف الضباط بأن يطلق الرصاص على المتظاهرين ، فأبى ذلك ، فما كان منه ألا أن قتله بمسدسه ! . . والأبناء مختلفة عن ضحايا هائلة من القتلى والجرحى ، وسنفيدكم بها متى وقفنا على حقيقتها . والشعب متبجح جداً ، لما رآه من تصف الإنجليز واستهتارهم : والجيش

الإنجليزية تطلق الرصاص بلا حساب ولا مبالاة !
لا يعلم إلا الله نتيجة هذه المأساة ، فنسأل الله الخلاص .

عبد الرحمن فهمي

سرى

٨ ديسمبر سنة ١٩١٩

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة .
استغربنا جدا للمحادثة التي جرت بين محافظ الإسكندرية حسن باشا عبد الرازق
ومكاتب جريدة « الريفورم » وخصوصاً أننا كنا استندنا على استعفائه (من منصب
محافظ الإسكندرية) فيما قدمناه من الاحتجاجات على القذائف التي ارتكبها العساكر
الإنجليز في الإسكندرية . فجاءت هذه المحادثة بكذبة لهذا السند . ومثبتة بأشنع
صورة تعدى المصريين . وأحقية الإنجليز فيها استعماله معهم : وزادت بأن نسبت
للمصريين التعدي على حياة الإسرائيليين وأموالهم . ولم نر مصرياً طعن أمته بمثل هذه
الطعنة التي أصاب بها حسن عبد الرازق كبذ أمته . سامحه الله .

سعد زغلول

سرى

٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .
حقاً إن حسن عبد الرازق أتى أمراً إدّاءاً ، وطعن أمته طعنة الخائن الأثيم ، ولولا
ما أعرفه عنه من العبط . وقصر النظر : لكان في نظري من أكبر الخائنين . والكل
هنا ساخط عليه .

عبد الرحمن فهمي

فهل هذا هو السبب في اغتيال حسن عبد الرازق باشا ؟ وهل هو السبب في هذه الجريمة الغامضة . . وهل ذهب إسماعيل زهدى ضحية أنه كان مرافقاً لحسن عبد الرازق باشا المقصود بالاغتيال ؟

ويرد على ذلك بأن هذه البرقيات تبودلت في نوفمبر عام ١٩١٩ ، والاغتيال وقع في نوفمبر عام ١٩٢٢ . أى بعد ذلك بثلاث سنوات تماماً : وأن عبد الرحمن فهمي كان في ذلك الوقت في السجن ، منذ أول يوليو سنة ١٩٢٠ . وأن الجهاز السري بقى يعمل بعد اعتقاله . . وكل ذلك يضعف هذا الشك . .
ولكن مع ذلك - تبقى هذه الجريمة تستحق التساؤل !

كيف كان الجهاز السري يعمل ؟

وهنا سؤال لا بد أنه ألح على الأذهان كثيراً : إنه السؤال الذي عجزت المخابرات البريطانية ، وعجزت سلطات الأمن البريطانية والمصرية . عن الوصول إلى الجواب عليه ، على الرغم مما أنفق من كلفة الجنيئات : وما ارتكب من الشنائع ، واتخذ من الأساليب الماكرة والعاذرة ، وهو : كيف كان الجهاز السري لثورة ١٩١٩ يعمل ؟ وكيف كان يدبر خططه ، ويختار أعضائه ، وينفذ هذه الخطط والاغتيالات ضد الحكومة والكفار ؟ . . لقد كان من الممكن أن يبقى الجواب عن هذه الأمثلة من أسرار التاريخ التي تذهب بها الأيام ، وأن يبقى هذا العمل الثوري الوطني مجهولاً في كثير من نواحيه ، لولا أنني تمكنت من الاتصال بعدد من أعضاء هذا الجهاز الذين اشتركوا في تدبير خططهم وتنفيذها ، وكانوا من الأبطال الرئيسيين في حروب القنابل والاغتيالات . وقد قدموا إلى مذكراتهم ورسائلهم ، وما لديهم من وثائق ، لتكون شهادة حق وصدق للتاريخ والوطن . وحتى يعرف الأبناء ما قدمه الآباء !

وأول المتكلمين هو « محمد صادق فهمى » الذى ورد اسمه فى أوراق سعد زغلول الخاصة بأنه كان يشترك فى حل رموز تعليقات الثورة السرية مع الدكتور أحمد ماهر . وهو قد بعث إلى رسالة بأقواله :

الرجل الذى كان يفك رموز الثورة

وهذه هى رسالة الدكتور محمد صادق فهمى المستشار بمحكمة النقض سابقاً :

« لم أفتح فى لمدة ٤٤ سنة ، ولكن اضطررت أن أفتح فى ، لأول مرة ، بعد أن ورد اسمى فى أوراق سعد زغلول السرية ، التى ينشرها السيد الأستاذ مصطفى أمين فى « أنخبار اليوم » . ولهذا قبلت مضطراً أن أذكر لأول مرة فى حياتى قصة التعليقات السرية التى كان يرسلها سعد زغلول من باريس إلى قيادة الثورة بالقاهرة . . . وهذه هى قصة تلك التعليقات السرية التى كان يرسلها إلى الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ : بدأت القصة بأن سعد زغلول أراد أن تكون بينه فى باريس ، وبين عبدالرحمن فهمى المشرف على العمليات فى القاهرة حلقة اتصال ، وكانت الرقابة شديدة جداً على الرسائل والبرقيات . وكان لا بد من إيجاد وسيلة للاتصال . . فاجتمع ثلاثة منا ، هم « الدكتور أحمد ماهر » المدرس بمدرسة التجارة العليا ، و « محمد وجيه » ، وكانت وظيفته سكرتيراً للجامعة المصرية ولم تكن حكومية ، وأنا ، وقد كنت مدرس القانون الدستورى والقانون المدنى فى قسم الحقوق بالجامعة ، وكنت صديقاً لأحمد ماهر ، وكان أحمد ماهر هو العقل المدبر فى تلك الحركة السرية .

وكان البحث يدور حول كيف يمكن ألا تعمل السلطة العسكرية إلينا ، وإذا وصلت إلى الرسائل السرية فلا يمكن أن نفهم شيئاً . : ولو قبض علينا وعثرت السلطة البريطانية على أوراقنا لا تستطيع أن تعرف تعليقات سعد زغلول ولا التقارير السرية

وكننا نعلم أنه لو ضبطنا الإنجليز لحكموا علينا نحن الثلاثة بالإعدام ، وأعدموا أيضاً .
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي !
وأخذنا عهداً نحن الثلاثة ألا نقشي سراً .

وطالت اجتماعاتنا . . وأخيراً توصلنا إلى استعمال ماء البصل بدل الخبز السري ،
وأقلام رفيعة جداً ، وتأخذ كتاباً مطبوعاً لا تزال أوراقه مجموعة في فرخ الطبع ، حتى
لا يشك أحد أنه فتح ، وكانت هذه فكرة أحمد ماهر ، ثم وضعنا مفتاحاً عبارة عن
عمل خط على الحرف المطلوب قراءته ، وعمل نظام في تحديد الحروف التي تجمع وتكون
الكلمة ، وهذه الحروف كانت تؤخذ بطريقة معينة ، مثال ذلك أن تترك أول تأشير
على الحرف ، وتأخذ الثانية ثم بعد ذلك تؤخذ التالية ، وتترك التي بعدها ، وهكذا .
وكان نظاماً دقيقاً يصعب الوصول إلى حله .

وكان أحمد ماهر هو الذي اكتشف استعمال ماء البصل بدلاً من الخبز السري .
وكانت الكتب التي نختارها باللغة الإنجليزية أو الفرنسية . وكان سعد زغلول يرسل هذه
الرسائل بواسطة محمد وجيه ، الذي اشترك في وضع المفاتيح ، والذي لعب دوراً خطيراً
في تفصيل المخابرات البريطانية ، وكان سعد يرسلها من باريس أحياناً بالبريد إلى
سكرتير الجامعة المصرية في القاهرة . . وكانت إدارتها أيام الثورة بشارع الفلكي وتطل
على ميدان الأزهار . . واتفقنا على أن يكون محمد وجيه هو الرسول الأول إلى باريس ،
واستطعنا بحيلة أن يصدر قرار من مدير الجامعة الأستاذ علي بهجت بأن يمنحه إجازة
خارج القطر ! وأمكنتنا بنفس الحيلة أن نستصدر قراراً بمن يحمل محل « وجيه » ، وهو
أن أندب أنا سكرتيراً للجامعة فأتولى أعمال محمد وجيه أثناء غيابه .

ولم يعرف مدير الجامعة شيئاً مما يحدث ، وتصور أنني تبرعت بالقيام بأعمال
صديقي الغائب ، ولم يتصور مدير الجامعة ما يدور في الغرفة المجاورة له ، وأن سراً

خطيراً يحدث فيها . ، وأن الجامعة هي التي تتلقى تعليمات الثورة السرية ، في غفلة من الحكومة والسلطة البريطانية والمخابرات البريطانية !

وبدأت تصل التعليمات السرية من سعد زغلول بهذه الطريقة العجيبة التي لم تكشفه طوال الثورة ، ولم يتكلم عنها أحد إلى يومنا هذا . . . وكنت أستلم الكتب التي تصل إلى مكتبة الجامعة ، وأحتفظ بكل كتاب صادر من باريس . وكانت مكتبة الجامعة مشتركة في عدد كبير من الكتب والمجلات الفرنسية .

وكنت أعر على الكتاب السرى ، وأتصل على الفور بأحمد ماهر بطريقة شفوية ، وبعبارات عادية أقولها بالتليفون يفهم منها تحديد المقابلة في مكان معروف وهو منزل عبدالرحمن فهمى بشارع القصر العيني . هذا دون أن نذكر في التليفون اسم عبدالرحمن فهمى ، أو الموعد ، أو ما يستطيع أن يفهم منه رقيب التليفونات أى شئ . . . وملتقى في غرفة خاصة في الدور الأول بمنزل عبدالرحمن فهمى ، لا يدخلها الزوار ، ولا أفراد العائلة ، فنجد مائدة وعليها مكواة ، ووابرو سبرتو لتسخين المكواة ! - فقد كانت الغرفة مخصصة لكي الملابس ! - ونجىء بالمكواة ، ونكوى صفحات الكتاب كلها ، فنظهر التاشيرات على الأحرف في صفحات معينة ، ومتابعة ، ونطبق المفتاح بأخذ بعض الأحرف ونترك البعض الآخر ، فتكون الكلمات المطلوبة . ولا أذكر مطلقاً أننا أخطأنا ، ويمكن بمراجعة الرق الذي اطلعت عليه عندكم ، والورق الموجود عند الأستاذ مراد فهمى نجعل عبدالرحمن فهمى بك ، أن تجلبوا أن الرسائل التي كتبناها مطابقة للرسائل التي تسلمها سعد زغلول ! .

وكانت تعليمات سعد زغلول من باريس إلى جهاز الثورة لا تنهى . إنها تعليمات متتابعة ، تشبه تعليمات قائد جرحى إلى أركان حربه وإلى قواده في مختلف الأسلحة . . . وكانت عملية فك الرموز مرهقة وشاقة ومضنية ، ولكننا لم ننعب . . . كنا نجد هنا

وسعادة في هذا العمل . وبعد ذلك تبينت لنا صعوبة الطريقة ، والوقت الطويل الذي كنا نصره ، فقد كنا في بعض الأحيان نحصى سبع ساعات لمدة يومين لقراءة رسالة سرية واحدة ، لصعوبة مفاتيح الشفرة ودقتها . وكنا نرغب أن تكون عملية حل التعليمات سريعة ، ليكون التنفيذ سريعاً . وكانت تعليمات الثورة في أول الأمر باللغة الفرنسية ، وكنت أقوم بترجمتها للغة العربية . . ورأينا لعدم ضياع الوقت ، ولأن عمليات الثورة تتطلب السرعة ، أنه بعد أن أحكمنا طريقة الاتصال بالكتاب والمجلات والرسول السري ، لم يكن هناك مانع من الكتابة باللغة العربية بماء البصل .

وبدأنا بهذه الطريقة الجديدة بعد أن مكثنا شهوراً تتبع الطريقة الأولى منذ قيام محمد وجيه بهذه المهمة . وسهلت الطريقة الجديدة العمل علينا ، وبذلك أمكن لإبراهيم تعليمات سعد زغلول بسرعة منذ عدولنا عن استعمال طريقة الشفرة المعقدة . . واستمر العمل بهذه الطريقة إلى أن قبض على عبدالرحمن فهمي ، وكنت إذ ذاك مريضاً ، ثم شفيت وأصبحت محامياً عن عبدالحليم عابدين أحد زملاء عبدالرحمن فهمي في القضية . وفي أثناء محاكمة عبدالرحمن فهمي وقف المدعى العسكري العام يواجههما خطيرة جداً إلى عبدالرحمن فهمي . ولكنه لم يجد مستنداً واحداً ، أو وثيقة واحدة تؤيد هذه الاتهامات الخطيرة . ولم تظهر تعليمات سعد زغلول السرية في القضية ، ولم يستطع أحد أن يعرف أن الجهاز كان يعمل بتعليمات مباشرة من سعد زغلول ! ولو كانت هذه التعليمات السرية الخطيرة وقعت في يد العدو لكانت كارثة . وبينما كان المدعى العام يواجه تهمة الخطيرة ، ولا يجد دليلاً واحداً على الإثبات ، كنت أنا جالساً في مقعد المحامين . . وكان الدكتور أحمد ماهر جالساً ورأى في مقاعد المتفرجين وكان الدكتور أحمد ماهر يضحك ، ويزغولني أثناء تلاوة الاتهامات ! !

الرجل الثاني : عريان يوسف سعد

وهذه هي رسالة الأستاذ عريان يوسف سعد ، عن الجهاز السرى الذى ألقى قبلة على رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا عام ١٩١٩ :

كان ذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٩. واجتمع ٤٠ طالباً من طلبة كلية الطب فى منزل الطالب محمد حلمى الجيار ، وأقسموا البين على كتمان سر الاجتماع ، وبحثوا فى كيفية استمرار إضراب الطلبة . ووقفت وقت : لا بد من القتل ! قتل الخونة وقتل الإنجليز . هذا هو السلاح الوحيد الذى يؤدى لإخراج الإنجليز من بلادنا . وإذا بطالب يقاطعنى : « هذا كلام لا يقال ! مفيش كلام زى ده ؟ نحن نؤمن بالأعمال السلمية فقط ! » . وصاح طالب آخر : « هذا كلام فارغ ! نحن ضد القتل السياسى ! » :

واضطرت إلى السكوت وأنا فى الاجتماع ، وإذا بالطالب الذى قاطعنى واسمه محمد حفى يحيى إلى ويقول لى : « هل أنت جاد فيما تقول ؟ » وأخذ يناقشنى فى عدة مسائل . ثم عاد محمد حفى بعد يومين وقال لى إلى أصبحت عضواً فى جمعية اليد السوداء . وطلب منى أن أولف بخطة سرية أخرى ، واستمرت اجتماعاتنا ، فى انتظار تعليمات . وقد اكتشفت بعد ذلك أن الطالبين اللذين قاطعانى فى أثناء اجتماع الطلبة ، وهما محمد حفى وعاجمانى لأننى أطالب بالاعتقال ، وعارضوا فكرة الاعتقال - وهما محمد حفى ومحمد حلمى الجيار الطالبان بمدرسة الطب - كانا فى الواقع عضوين فى الجهاز السرى للثورة ، وفى شعبة الاغتيالات بالذات .

ثم ألف يوسف وهبه باشا الوزارة ، مخالفاً قرار سعد زغلول بأنه لا يجوز لمصرى

أن يؤلف الوزارة في ظل الحماية ، وشعرنا أن تعيين قبلي رئيساً للوزارة هو لإيقاع الخلاف بين المسلمين والأقباط ، وإثارة فتنة تقضي على وحدة الأمة في ثورة ١٩١٩ . وقلت لزيملي محمد حفي : إني مستعد لاغتيال يوسف وهبه . وذهب محمد حفي إلى قيادة الجهاز السري ، ثم عاد وقال : إن هذه العملية مستقوم بها خلية أخرى . قلت : إن مصلحة الثورة أن قبلياً هو الذي يقتل رئيس الوزراء القبلي ، حتى لا تتكرر الفتنة التي حدثت بين المسلمين والأقباط بعد أن اغتال إبراهيم الورداني رئيس الوزراء القبلي بطرس باشا غالي .

وفي اليوم التالي عاد محمد حفي وأبلغني أن جهاز الثورة اختارني للقيام بالحماية ، وأحضرتني قبلة يلوية سرقها الجهاز السري من الجيش البريطاني ، وأحضرت غلاف قبلة من صنع الجهاز ، وفصلت الثانية لأنها أكبر ، وطلبت قبيلتين .. ولم يكن هناك جهاز للتدريب وقتها ، وتولى محمد حفي إطلاعي على كيفية استعمال القبلة : ثم عاد في يوم آخر وأخبرني أن فرعاً آخر في الجهاز حصل على جميع المعلومات عن المواعيد التي يخرج فيها رئيس الوزراء من داره ، والشوارع التي يمر بها .

وتم اختيار ميدان سليمان باشا (طلعت حرب الآن) لإلقاء القبلة . وتحدد يوم ١٤ ديسمبر لاغتيال رئيس الوزراء . . وذهبت ، ولكن لم يحضر رئيس الوزراء ! . وفي اليوم التالي - ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ - ذهبت وجلست في حديقة كافيه ريش بشارع سليمان باشا ، أمام الميدان ، ومعى قبيلتان ومسدسات ، أخفيتهما في جيوب الجاكتة تحت المعطف . وجلس زميلي محمد حفي الطالب بكلية الطلب على مقعد زخاى كان يحيط بتمثال سليمان باشا ، في مواجهة شارع قصر النيل ، لكي يرى سيطرة رئيس الوزراء عند خروجها من شارع شواربي إلى شارع قصر النيل . وكانت الإشارة المتفق عليها عند ظهور السيارة أن يقف صاحبي على قدمي ، وينصرف ،

بدين إعطاء أى إشارة حتى لا يلتفت النظر ! - ومن الطريف أن غمراً سرياً كان يجلس بجواره فى ذلك الوقت ! - وعندما قلمت السيارة ، ورأيت الإشارة ، تقدمت إلى منتصف الشارع ، وألقيت القنبلتين على رئيس الوزراء !

وقبض علىّ فى الحال ، ثم أدخلونى إلى مكتب رئيس الوزراء ، وكان مضطرباً ، وجلس بجواره يحيى باشا إبراهيم وزير المعارف ، ومحمود فخرى باشا محافظ القاهرة ، وقال لى رئيس الوزراء : « ليه ياشاطر بتعمل كده ! » . قلت : « أنت خرجت على إجماع الأمة ، لأن البطريرك طلب منك عدم تأليف الوزارة ، وجاء لك وفد من الأقباط وطلب منك أن ترفض تأليف الوزارة ، فرفضت مقابلته ، وأرسلت لك برقيات من جميع الشعب ألا تؤلف الوزارة ، وأنا أرسلت لك برقية باسم طلبة كلية الطب ، ولكنك تعديت كل هؤلاء وألفت الوزارة ! » .

قال يوسف وهبه باشا : « وكيف عرفت أننى لا أعمل لمصلحة البلد ؟ » . قلت : « قرأت فى الأهرام برقية من روتر أن جريدة التيمس ذكرت أن الوزارة المصرية الجديدة ستعمل على تحقيق الأمانى البريطانية فى مصر . والأمانى البريطانية فى مصر ليست هى الأمانى المصرية ! » . قال يوسف وهبه باشا : « لو كنت أنا مت . . ألم يكن غيرى سيؤلف الوزارة ؟ » . قلت : « كنا نقتله . . كما حاولنا قتلك ! » . قال رئيس الوزراء : « ما اسمك ؟ » . قلت : « عريان يوسف سعد . قبطى ! » قال : « طيب . . اتفضل ! » .

وأدخلنى البوليس ، وبدأ التحقيق ، وحاول المحققون أن يعرفوا شركائى ، ولكنى رفضت أن أفتح فى ا وحكم علىّ بالسجن عشر سنوات ! وبعد أن أفرج عني سعد زغلول فى عام ١٩٢٤ ، قابلت زميلى محمد حنفى ، وإذا به قد سافر بعد الحادث إلى ألمانيا ، وحصل على دبلوم الطب ، وعين طبيباً فى

الجيش المصري برتبة ملازم أول . وقابلات شفيق منصور ، حيث كان يجتمع جميع القذائين بعد الإفراج عنهم ، وقابلات محمد جلال الموظف في وزارة الزراعة ، فروى لي أنه اشترك في صناعة القنبلتين ، وأن الدكتور ماهر رأى ألا توضع في القنبلة الشحنة الكاملة من المفرقات ، لأنه كان يرى عدم قتل رئيس الوزراء ، وإنما الاكتفاء بإرهابه !

وهنا لا بد من الإشارة إلى اللقطة التي كان يتوخاها الجهاز السري في اختيار الأشخاص لإلقاء القنابل والقيام بمهمة الاغتيال . . لقد كان الجهاز يراعى الاعتبارات السياسية والوطنية حتى لا يضرب بالوحدة الوطنية العظيمة التي أقام دعائمها سعد زغلول ، فاختار عريان يوسف سعد لإلقاء القنبلة على رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا ، لا لأنه مجرد شاب وطني شجاع ، بل لأنه بالدرجة الأولى شاب قبطي ، ولأن رئيس الوزراء قبطي ، خوفاً من أن يستغل الاستعمار الموقف (لو أن الجهاز السري اختار شاباً مسلماً لهذه المهمة) في إثارة روح التعصب ، مثل استغلاله لحادث اغتيال إبراهيم الورداني لبطرس غالي باشا ، ولهذا كان عريان يوسف سعد حريصاً على أن يرد على رئيس الوزراء حين سأله عن اسمه ، قائلاً : « أنا عريان يوسف سعد . قبطي » .

الطالب الأزهرى الفقير ، الذى رفض ألوف الجانيات !

ولكنى نعرف كيف كان يعمل الجهاز السري في ثورة ١٩١٩ ، لا يصح أن نعلم على الرواية وحدها ، وإنما يجب أن نستند إلى الوثائق المكتوبة . إن أبطال الجهاز السري لم يكتبوا مذكراتهم ، ولم يتركوا مستندات عن أدوارهم يستطيع التاريخ أن يعرف منها كيف كان يتم تنفيذ عمليات هذا الجهاز . . ومن بين الرسائل السرية رسالة من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩١٩ إلى سعد زغلول في باريس يقول فيها : « علمت الساعة أن بعضهم أتى قنبلة على محمد سعيد باشا

صباح اليوم أثناء خروجه من المنزل ، فلم تصبه .
 إنه أول حادث محاولة اغتيال رئيس الوزارة في ثورة سنة ١٩١٩ . فمن هو
 بعضهم ؟ الذى لم يرد اسمه في البرقية السرية ؟ وكيف تم ترتيب هذا الحادث ؟
 إن بين يدي وثيقة تاريخية . إنها مذكرات المرحوم سيد على محمد التى أودعها عندي
 وهي مكتوبة بخط يده ، وهي تروى بتفصيل كامل كيف كان الجهاز السرى للثورة
 يعمل ، ويدبر ، وينفذ . . . إن هذه المذكرات مودعة عندي ، وقد اطلع عليها
 المرحوم محمود فهمى النقراشي باشا ، وقال إنها صحيحة ، ولكنه طلب ألا تنشر وهو
 على قيد الحياة ، ولا تنشر إلا بعد وفاته بخمسة عشر عاماً — ولست أعرف لماذا
 حدد هذه المدة بالذات ! — وقد استجيت لرجائه ، والآن أرى من واجبي ، وأنا
 أسجل أسرار ثورة سنة ١٩١٩ ، أن أذيع لأول مرة قصة أول حادث محاولة لقتل
 رئيس الوزراء في عهد الثورة ، بخط الرجل الذى أتى القنبلة ! !

ولقد وضعت هذه المذكرات الخطيرة ، بأصولها ، تحت تصرف اللجنة التى
 تألفت لإعادة كتاب تاريخ ثورة سنة ١٩١٩ . كتب الأستاذ سيد على محمد
 يقول :

« نادت الثورة بأنه لا يجوز لمصرى أن يقبل رئاسة الوزارة في ظل الحماية
 البريطانية . وظلت الوزارة المصرية شاغرة . وإذا بمحمد سعيد باشا يؤلف الوزارة في
 ٢١ مايو سنة ١٩١٩ . وكان في كثر الزيات تاجر ، كان مدرساً قبل ذلك ، فافترسنا
 — أنا وأصدقائى الطلبة — عليه أن يكون مندوباً عن كثر الزيات ليصل ما بيننا
 وبين القيادة المصرية العامة للثورة في مصر . وكان الاتصال تاماً وحقيقياً . كل يوم
 تصلنا أنباء الحركات القومية في القاهرة ، الخفية والظاهرة ، وأعداد جريدة (المصرى
 الحر) ، وهي منشورات ملتبهة تكتب بقلم من نار . وفي أحد الأيام جهر

المتدرب متعللاً مبشراً بأنه انضم إلى جمعية سرية قوية ، وأنه أدرج أسماءنا فيها . وفي أحد الأيام قال لي إن الجمعية السرية التي ينتمى إليها في حاجة إلى شاب جريء فعدائى ليغال رئيس الوزراء ، لأن الحركات التي قامت لاغتياله فشلت . قلت : « وهل أصلح أنا لهذه الأمور ؟ » . قال : « سأعرض الأمر على الجمعية في مصر ، وستقوم بعمل قرعة ، وصاحب النصيب تصيبه القرعة » .

وتمكننى فكرة التضحية ، فكرة لقاء القنابل على محمد سعيد باشا ، فلم أفكر ماذا يصيبني من هذا العمل الجريء . كانت عاقبة أمرى أن أموت من القنابل ، أو شتتاً . ما هو الموت ؟ أليس هو انتقالاً من حال إلى حال ؟ ثم ماذا . . أليست شهيداً من شهداء الوطن . أليس يموت كل يوم برصاص الإنجليز ، في الشوارع والطرق ، مئات ومئات من الطلبة والعمال ؟ . . ووطدت النفس أن أقوم بلقاء القنابل على محمد سعيد باشا ، وجعلت عاقبة أمرى الموت ، ولم أحفل لما دونه . فأنا ميت منذ اليوم . وقال مراسل الأهرام في طنطا بعد وقوع الحادثة : « إنه ليس للمتهم ولا لأهله شأن في كسر الزيات ، وهم من عامة الشعب » . صدق مراسل الأهرام ، فأنا من عامة الشعب ، ودماؤهم حلال نافذة !

وتوالت الرسائل بين الجمعية في القاهرة وبينى في كسر الزيات . وتم اختيارى لهذه المؤامرة ، يا اختيارى . . وأخلت الجمعية في تجهيز القنابل اللازمة لتنفيذ المؤامرة . فكيف صنعت القنابل ؟ وما هي أجزائها ؟ ! هذه القنابل تسمى قنابل الشعلة ، وتتكون من أقسام ثلاثة : الجزء العلوى وبه أنبوبة لاصقة بجوار القبلة ، والأوسط وبه حامض الكبريتيك وحامض البكريك ، والأسفل به الديناميت وبعض القطع الحديدية . فإذا وضعت أجزائها وتم تركيبها ، وضعت أنبوبة زجاجية في الأنبوبة العليا ، بها حامض البكريك ، وبذلك تكون القبلة مستعدة للانفجار بمجرد الاهتزاز .

وتردد المندوب بين القاهرة وكفر الزيات مرات . وجاء بعض أعضاء الجمعية إلى كفر الزيات لمقابلي ، والتأكد مما أنتويه ، وكانوا يخفون عن أسماعهم . ولكن المندوب كان يهمس إلى بها ، وفيهم بعض الشخصيات الكبيرة في ذلك الوقت . وفي الواقع لم أكن أهتم بمعرفة أحد ، سوى ذلك الذي يوصلني إلى إتمام المؤامرة . ملكت الفكرة على مشاعري ، ولأنت جوارحي ، فكنت لا أمشي إلا لها وبها ، ولو أنني منعت من القيام بهذا العمل لانتحرت فوراً . لم أشرط شرطاً ، ولم أقترح رأياً ، وتركت أصحاب الشأن ينظمون الأمور كما يشتهون . وفي بعض المصانع البسيطة في كفر الزيات صنعنا خطاه القنبلة الحديدية ، وغلافها الزنك ، وسافر بها المندوب إلى القاهرة .

ومرت الأيام ثقيلة مملة ، وأنا أستعجل الأمور ، وانتقلت الوزارة إلى الإسكندرية فانتقل النشاط إليها . وبعد انتظار طويل جاء اليوم الموعود ، وحضر إلى كفر الزيات أحد أعضاء الجمعية الذي كلف بمرافقتي إلى الإسكندرية لإتمام هذا العمل ، وهو الأستاذ محمد شكري الكرداوي . وبات ليلة في كفر الزيات ، وفي صباح يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ أفهمت أهل أني مسافر إلى دسوق ، وركبنا القطار من كفر الزيات حتى وصلنا ميدى جابر . وكان رئيس الوزراء يقيم بمقره في محطة جناكليس ، فقال لي صاحبي : « سأتركك الآن تزور منطقة منزل رئيس الوزراء ، وتتعرف طرقها ودروبها ، حتى أن تكون المقابلة بجهة الإسكندرية » . وركبت الترام إلى محطة جناكليس . . فنزلت ، وسرت أتحمس الشارع والدار ، وإذا بها تقع على مرتفع يقابل سكة حديد ترام الرمل ، فإذا أراد رئيس الوزراء المرور ، فلا بد له من انحراف بوابة محطة الترام بجناكليس . فالتحرت هذا الموقع ، ورأيت أنه خير مكان ألقى فيه القنابل على رئيس الوزراء ، وحين انخرقت سيارته للبوابة فإن السائق سيتهمل .

ولا شك ، حين ينطفئ من منزل رئيس الوزراء إلى شارع جناكليس ، ماراً بالبوابة .

ولكني لا أعرف سيارة رئيس الوزراء ! ولا يمكن أن أقف بجوار المنزل حتى أراه وهو يركب سيارته . فهذه مخاطرة جنونية ! - إذن كيف أستطيع التعرف على السيارة دون أن ألفت الانتظار ؟ . . وأجلت بصري فإذا بيائع تلج وكازوزة ، بصندوقه الذي يبعد عن البوابة بضعة أمتار . ذهبت إليه . كان شكله العام لا يلفت الانتظار . أنا طالب أزهرى .. ألبس عمامة وجلباباً أصفر اللون من التيل الرخيص ، وأتمل حذاء . أنا صغير السن ، عمرى ١٧ سنة ، نحيف . . . فقدت إحدى صفي .

وجلست عند بائع الكازوزة أستفسر منه عن سيارة الرئيس دون أن أثير شكه . عدلت إلى الإسكندرية في الغرام . وفي المساء قابلت زميلي ، فأوصافه ألا أحتك بإنسان في هذه المنطقة ، لأنها مليئة بالحواسيس . ونزلت الليلة الأولى في لوكاندة « المدينة المنورة » ، وهي لوكاندة من الدرجة التاسعة . وأحب أن أقرر هنا مسألة هامة هي أن التعليقات كانت أن القنبلة التي سألقيها على رئيس الوزراء ستكون مهبتها نفس سيارة رئيس الوزراء ، ومن فيها ، ونسئ أنا أيضاً ، بحيث لا يبقى أحد منا على قيد الحياة . وقد سافرت مع زميلي من كفر الزيات على هذا الاتفاق ، ولم يكن مغتائلاً ، أو رسائل أو شيء مما يشبه فيه . كانت القنبلة أسترسل لنا من القاهرة إلى الإسكندرية مع غصوص . وكنت أنبئ في شوارع الإسكندرية ذهاباً وإياباً ، لم يبق لي في الحياة إلا يوم أو يومان . كنت أستعجل النهاية مشتاقاً إلى لقاء الموت . ما أجمل الشعور الوطني في عام ١٩١٩ . ولست أدعي أني كنت أقدر بهلك الشعور .

كان كل مصري يود أن يبذل حياته من أجل خلاص الشعب من الاحتلال
البيغس . لم أكن أنتظر أن أرى حولي محامياً يدافع عني ، أو حزبياً يناصري .
كنت أشعر أنني جندى من جنود مصر يؤدى واجبه ، ويموت كما يموت أى جندى .
ربما مجهولاً ، مغموراً ، فى زوايا النسيان !

فى الصباح توكلت على الله ، وذهبت لأستقل الترام خلال شارع جناكليس ،
لأعابن المكان من جديد . وذهبت إلى بائع الثلج ، فسلمت عليه ، وطلبت منه
زجاجة كازوزة ، وشربتها وأنا أجلس بجواره على كرمى محط ، ثم طلبت أخرى ،
وأخذنا نتجاذب الحديث . سألته ببلاهة أهل الريف : « أظن ناظر النظار اسمه
محمد رشدى باشا ! » ، فضحك بائع الثلج النوبى طويلاً ، وقال مزهواً بمعلوماته
القيمة : « ناظر النظار هو محمد سعيد باشا يا شيخ » . قلت : « ولكن محمد سعيد
باشا ده رئيس الوفد ، وموجود فى بلاد بره ! » . فضحك النوبى مرة أخرى وقال :
« لا يا شيخ .. محمد سعيد باشا هو ناظر النظار ! » وأضاف النوبى : « إن منزله
قريب من هنا ! » . قلت : « أظن أن ناظر النظار شخص طويل ، أطول من هذا
العمود (مشيراً إلى عمود النور) » . فتعجب بائع الكازوزة النوبى لشدة بلاهتى
وقال : « إنه سيمر الآن من هنا فى سيارة حمراء ، وسترى أنه قصير القامة ! » .
وبعد ربع ساعة مريت سيارة رئيس الوزراء ، ورأيتته جالساً فيها ، وتحدثت من
بائع الكازوزة أنه يمر من هذا المكان كل صباح ، فى الساعة الحادية عشرة والنصف .
واستقر رأيى أن ألقى على رئيس الوزراء القنابل من جوار بائع الثلج ، لأنه يقع على
مفرق ثلاثة شوارع ، تضرع إلى محطة الترام ، وإلى كازينو سان استافانو ، وإلى
شارع آخر . ثم إن المكان يكاد يكون خالياً من السكان فى مثل هذه الساعة ، لأن
الجميع يكونون فى نزهتهم على شاطئ البحر .

وعدت ثانية إلى الإسكندرية . وقابلت زميلي ، وأخبرته باكتشافي . قال :
« يجب أن نلزم جانب الحذر في أحاديثك مع الناس ، لأن كثيراً من المارة بهذه
المنطقة من البوليس السرى ! » .

ومرّ يوم آخر لم يتم فيه شيء . . . ولم تحضر القنابل من مصر . وكنت أعيش
حياة عادية ، أجلس في المقاهي ، وأدخل السينما ، وأقضي نهارى متنزهاً ، خالى
البال ، كأننى لست على موعد مع الموت ! . لم أفكر مرة واحدة في النكوص والإحجام ،
لقد تعهدت للجمعية السرية باغتيال رئيس الوزراء ، وهذه كلمة الشرف التى لربطت
بها مع أشخاص مجهولين لا أعرفهم ، ولم أر كثيراً منهم ، ولكننى عاهدتهم
على أن أقوم بهذا العمل الوطنى المقدس ، فأنا أسير إلى حتى ، هادئ النفس ،
رابط الجأش ، مطمئن الخاطر ، أحمل روجى على كفى ! . . . وقابلت صاحبي
فسألته : « ألم تصل القنابل بعد ؟ » . قال : « إنها ستصل حالا . . . فهل ضجرت ؟ »
قلت : « لئننى أريد أن أنتهى من هذه المأمورية ، خوفاً من أن يعثر بي أحد من
أهل أو أصدقائى ، فلا يمكننى الفرار منهم ! » .

ولا أذكر ماذا صنعت فى أيام الانتظار الأربعة ، كنت أسير شبه حالم ،
لا صلة بينى وبين هذه الدنيا ، كأننى أطل عليها من كوكب آخر . ولم أصنع شيئاً ،
كنت أجلس ، وآكل ، وأشرب ، وأنام !

وفى يوم الاثنين أول سبتمبر سنة ١٩١٩ قابلنى زميلى ، وقال : « تهباً لخبر
جميل ! » . قلت : « خيراً . . . » . قال : « إن القنابل وصلت ! . سنستلمها فى
الساعة الثامنة مساءً ، على طريق الميناء الشرقية ، من الرسول الذى أحضرها من
القاهرة » . . وفرحت فرحاً لا مزيد عليه . أى والله فرحت جداً لهذا النبأ السار . إذا
عجبت لهذا الفرح الذى أصابنى بلوصول الآلة التى سأموث بها نفساً أو شفقاً
فاذكروا الروح الوطنية فى سنة ١٩١٩

وفي الساعة الثامنة من مساء الاثنين تقابلت مع صاحبي ، وإذا به يقف مع شخص آخر ، ربة القامة ، ممتلئ الجسم ، وكان يتأبط صندوقاً من الورق ملفوفاً وربوطاً بخيط . وسلمت عليهما . وقال : « هلم هـي القنابل (مشيراً إلى الصندوق) » . قلت : « أعطها لي » . قال : « لماذا ؟ » . قلت : « لأقبلها » . ثم انصرفت مع زميلي ، ولم أتحدث مع الشخص الآخر بكلمة واحدة . ولكني عرفت من صاحبي أنه هو المندوب الذي أحضر القنابل من القاهرة . وسألته سؤالاً عابراً : « ما اسمه ؟ » . قال : « محمود فهمي النقراشي » . ولم أكن أعرف حينذاك من الأشخاص البارزين إلا أمثال محمود سليمان باشا ، وإبراهيم سعيد باشا ، وفتح الله بركات باشا ، أعرفهم بأسمائهم ، لأنهم أعضاء لجنة الوفد المركزية ، ولم أقابل أحداً منهم . فلم أعلق على اسم المندوب الذي حضر من القاهرة .

وأحب في هذا المقام أن أذكر أن صاحبي الذي حضر معي ليشاركني في إلقاء القنبلة على رئيس الوزراء ، لم يكن يمنحني كل ثقته . كنا لا نتحدث مطلقاً في أمر الجمعية وأشخاصها . ولم يذكر لي أي شيء عن المندوب الذي سيحضر من القاهرة . كان يتوجس خيفة كلما رأي ألح عليه في الأسئلة ، ويتلفت ذات اليمين وذات الشمال . وكنت لا أثقل عليه بالأسئلة ، فإنه لم يسبق تعارف بيننا قبل وصوله إلى كفر الزيات وسفره منها معي . وكان من أخلاق الثورة أن يشترك اثنان في جريمة كبرى دون أن يعرف أحدهما الآخر ، أو توجد بينهما رابطة ، سوى رابطة الوطنية .

ملحوظة من مصطفى أمين

عرضت هذه المذكرات ، وبالذات هذه الواقعة ، على المرحوم محمود فهمي النقراشي باشا في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، في داره بمصر الجديدة ، بعد انتهائه

من رئاسة مجلس الوزراء الذى كان منعقداً فى ذلك اليوم . وقرأ النقراشى المذكرات
وهى فى ١١٠ صفحات بالقطع الكبير . . وقال : « إن المذكرات صحيحة مع خطأ
واحد ، وهو أننى ، فى شهر سبتمبر عام ١٩١٩ ، عندما قدمت للشيخ سيد على
محمد القنابل قلت له : « أنا محمود فهمى النقراشى » . وذهل الشيخ سيد على محمد
عندما ذكرت له اسمى . فقلت له : « إننى أردت أن أقول لك اسمى ، لتعرف أننا
ننق بك ! . . ويظهر أن الشيخ سيد كان مضطرباً فى تلك اللحظة ، فلم يذكر
حديثى ، أو أنه لم يشأ أن يجرئنى بذكر الواقعة كاملة » .

وقال النقراشى يومها : « إن قيادة ثورة ١٩١٩ قررت قبل التنفيذ بأيام أن المقصود
ليس قتل محمد سعيد باشا رئيس الوزراء ، وإنما إزهاجه فقط ، لأنه خالف قرار سعد
زغلول بأنه لا يجوز لمصرى أن يؤلف الوزارة إلى أن تلغى الحماية البريطانية ، وأنه
لوحظ فى طريقة حشو القنبلة قبل تسليمها للشيخ سيد ، أن تحدث انفجاراً هائلاً
خفيفاً ، ولا تقتل أحداً . . ولكن الشيخ سيد لم يعرف بهذا القرار » .
وطلب منى النقراشى ألا أنشر هذه المذكرات إلا بعد ١٥ سنة ، ولم يشأ أن
يذكر لى السبب الذى جعله يصر على تحديد هذه المدة بعينها ! . . ولطئه المناسبة
سلمنى النقراشى مذكراته هو ، وهى مكتوبة بخط يد النقراشى نفسه . ومذكرات
النقراشى موجودة عندى ، وهى تحت تصرف اللجنة التى مسئولى إعادة كتابة تاريخ
مصر .

مصطفى أمين

ونعود مرة أخرى ، وترك الشيخ سيد على محمد عضو الجهاز السرى يتم مذكراته
الخطيرة . . كتب الشيخ سيد على فى مذكراته يصف سروره عندما تركه النقراشى
يقبل بشفتيه القنبلة التى سلبها على رئيس الوزراء : « وانصرف صاحبي يحمل قنابله

وواعدنى على اللقاء. فى محطة الرمل فى الصباح . وعدت أدرأجى إلى (لوكانده
المدينة المنورة) وقبلى مقيم الغبطة وسرورا . وقضيت الليل نائما ملء جفونى . وفى
الصباح الباكر ذهبت إلى حمام (القبضية) فاستحممت ، واغتسلت غسل الموت ،
قائلا : « لعل القنابل لا تترك من جسدى إلا عظاما وأشلاء » . . . ثم سرت إلى
موعد صاحبى بعد تناولى طعام الإفطار ، فوجدته أمام محطة الرمل ، يحمل سببنا ،
مغطى بفوطه جميلة بيضاء . . . وركب صاحبى الترام ، وركبت فى أثره ، وجلسنا
متباعدين . . . وأخذت أصلى فى نفسى صلاة الجنائز ، مكبرا أربع تكبيرات ، قارئا
بعض الآيات . وكان بعض الركاب ينظرون إلى متعجبين ، يظنون أننى أخذت الدراويش
ونزلنا فى محطة سان استافانو . . . ودخلنا إلى كازينو سان استافانو ، ومظهرى
لا ينبئ من أننى من زبائن الكازينو الفخم ، وجلست فى أحد المقاعد بالصالة ،
وطلبت من أحد الخدوشات أن يحضر لى قهوة ، فتظر الخدوشة إلى مشمرا ، وانصرف
ولم يحضر لى شيئا . . . ودخل زميلى إلى دورة المياه ، فوضع حامض البكريك فى
الأكبوبة ، ووضع حامض الكبريتيك فى مكانه . وغطى القنبلة ، وكان يضع فوقها
عنبا ، ثم سلمنى السبب الذى يحمل الموت الزؤام ، وكانت تكنى هزة بسيطة من
يدى لتنفجر القنبلة !

وتركنى زميلى عند الباب وانصرف .

وشرعت أخرج من الكازينو ، وإذا ببواب الفندق . . . وهو يونانى قصير القامة .
يعترضنى قائلا : ماذا منك ؟ (مشيرا إلى السبب) . قلت فى ثبات وهدوء : « عنب . .
تأخذ شوية » . . . فضحك البواب ، وانصرف عني . . . واخترق الشارع إلى
جناكليس ، حتى وصلت إلى محطة الترام ، فأجبت أن أقف هناك لألقى القنبلة على
السيارة أثناء مرورها بالبوابه ، ولكنى وجدت رجلا من مخبرى البوليس يقفون فى

المحلة ، فحادثتهم قليلا ، ثم تركتهم ، وسرت إلى أن وصلت إلى بائع التلج والكاروزة النوى ، فسلمت عليه ، وعرفني من عيادة الأمس التي أظهرت له فيها بلاهتي ، فرحب بي ، وحطبت أشرب الكاروزة ، وآكل العنب ، منتظراً مرور سيارة دولة رئيس الوزراء !

واقرب الموعد . . واخترق سيارة رئيس الوزراء البوابة وهي مسرعة في طريقها إلى الديوان . ونهضت بمحركة آلية ، وحملت السبيل بين يدي ، وخطوت خطوة واحدة ، فإذا أنا بمحاذاة السيارة ، وصحت بصوت عال :

— خطها يا خائن !

وإذا بصوت الانفجار يدوي هائلا مرعباً ، كأن السماء انطبقت على الأرض ، والدخان الكثيف ينتشر . . وإذا بي لا أزال في مكاني لم يصبنى شيء ، ولم تمزق أعضائي ، ولم أقتل كما كنت أنتظر !

وإذا بسيارة رئيس الوزراء تمرق في طريقها كالسهم الخاطف ، وسعيد باشا في داخلها ، يعيل على السائق ليأمره بسرعة السير !

أصابني ذهول حجب عني معالم الرشد . وقفت في مكاني أنظر عينا وشمالا كالمجنون . لم يكن في الخطة التي رسمت احتمال نجاتي من القنبلة ، ولم تقدر النجاة — لا لي ولا لسعيد باشا — ولهذا تعطل تفكيري ، ولم أعرف ماذا أفعل بعد أن فشلت القنبلة في قتل وقتل رئيس الوزراء ! . . فاستسلمت إلى العسكري الذي هرع نحوي ، قائلاً له : « نعم أنا الذي ألقيت القنبلة . . وخلاص ! » .

وخضر للملازم سليم زكي الضابط المتدرب لحراسة رئيس الوزراء ، وكان بادي الغضب ، ثائراً ، وفي يده كرباج ، فقال له العسكري : « هذا هو يا حضرة الضابط الشخص الذي ألقى القنبلة على دولة رئيس الوزراء ! » ، فإذا بالكرباج

يهرى على حتى مرة ، ثم مرة ، ثم مرات ! . وأنا لا أدفع عن نفسي ، بل
لأنهم ولا أشعر بأذى لهم ! . كنت في غيبوبة روحية ، ولو أنهم قطعوا أعضائي
عضواً عضواً ، ما أحسست وما تألمت ! . وإذا بظامد محمد سعيد باشا ، ويدهي
« محمد أبوربه » ، يهجم على هائجاً مائجاً ، يقبض على عنقي ، وحاول حتى ،
ثم صفني صفعات قوية . . وكانت الأغلال في يدي ، وصحت فيهم : « أيها
البلهاء ! تضربوني وأنا مكبل بالحديد » ! . . . وإذا بسليم زكي يميل على
الحامد ويقول : « إنا نريد أن نستقيح حيا لنقف على أسرار الجمعية التي
حرضته على هذا العمل » ! . . خرق الحامد عن قتل ! . . ولم تمض بضخ لحظات
حتى جاءت السيارة التي كانت تقل رئيس الوزراء والتي أقيمت عليها القنبلة ولم تصبها ،
وقال راكبها : « إن دولة رئيس الوزراء يريد أن يرى الجاني ، إذا كنتم قبضتم
عليه » ! . . وأركبني في السيارة التي كنت أريد لما للملك !

وكانت أول مرة في حياتي أركب فيها سيارة !

صارت السيارة بنا حتى وصلت إلى دار الحكومة في « بولكل » ، وأحاط بي
الضباط والجنود ، وخرج الوزراء من مكاتبهم يرونني . . . وهجأة صاح بي أحد
كبار الموظفين : « أنت الذي أردت قتل دولة رئيس الوزراء يا أمور . . يا ابن
الكلب » ! . . فصحت فيه : « أنتم ورؤس وزرائكم كلاب » ! .

ودخلت إلى غرفة رئيس الوزراء ، كان جالساً في مقعده ، يكاد الرعب يلعب
برشده ، وقف يحواره الوزيران إسماعيل سرى باشا ، وتوفيق نسيم باشا ، وغيرها
من الوزراء . وما كاد محمد سعيد باشا يراني حتى قال : « أيوه هود ده » ! . ثم قال
في غممة يلعب عليها الحطف والشفقة : « ليه يا ابني تعمل كده » ! . قلت ، في
لمحة تحد واستغزاز : « الله أمرني بذلك » ! . فصاح إسماعيل سرى باشا غاضباً :

« يعني جالك الرحى يا أنسى ؟ . ليه تعمل كده ؟ » . قلت في هدوء : « ربنا قال لي
اعمل كده » . . . فصاح إسماعيل سرى باشا : « اخرجوه ! طالعوه برة ! » .

وجاء توفيق رفعت باشا ، النائب العمومى ، وأدخلنى إلى مكان الحادث ، لأصور
لم كيف وقع . . . وإذا بمن يحىء ويقول إن عطمة السلطان فؤاد سيمر من هنا في
طريقه إلى رئيس الوزراء لتهنئته بفتحته . . . فأسرع بى النائب العام إلى أجزائخانة
في أول شارع جناكليس فأدخلونى فيها . ومرت سيارة السلطان ، ووقفت يحوار
الأجزائخانة ، وجاء الشرى فاقى يقول إن عطمة السلطان يريد أن يراقى ، فأخرجونى
إلى باب الأجزائخانة ، وأنا مكبل بالحديد ، وأطال عطمة السلطان فؤاد من نافذة
السيارة ونظر إلى ملياً ، ثم أشار السلطان إلى الركاب بالمسير !

ورفضت أن أخضع فى وأقول أى كلمة عن الجهاز السرى للثورة ، من شريكى ؟
من الذى أصلاى القنبلة ؟ . من رسم الخطة ! . . . وترغبت لتعليب ضخم ، لكنى
لم أخضع فى !

وجاموا بأبى وأبى مقبوضاً عليهما . . . وقال النائب العام لأبى : « قل له إنه إذا
أصرف على شركائه فسوف تنفجر عنه ، ولكنه إذا أصر على الإتكاف فسوف يشق ! »
ثم أضاف مخاطباً أبى وأبى : « سأتركه لكما لتحاولا إقناعه » . . . ثم خرج النائب العام
من القاعة . ولا اتقدنا قال لى أبى فى صوت هامس : « اسمع يا سيد ! . إراك أن
تتهم أحداً ، كن رجلاً . واحمل مسئولية عمالك وحملك ! . وإنى أستودعك الله » . .
لما أبى فلم تتكلم . . . كانت تيكى بلا انقطاع .

وخرجنا ، وقال أبى للنائب العام إنه يصر على أن ليس له شركاء ! . . . واستمرت
التحقيقات ، والتهديدات ، والوعيد : الشنى أو الاعتراف . . . ولكنى لم أخضع فى . . .
واستدعانى أحمد ذو القنار باشا وزير الحفانية ، فى وجود النائب العام ذات ليلة ،

وسألاني : هل كنت تقصد قتل رئيس الوزراء أم كنت تقصد إرهابه فقط ؟ .
قلت : أقصد قتله . . وأعادوا السؤال ، وأعلنت الجواب .

وحدثت الجلسة لها كفى أمام محكمة الخنايات .

واستدعى محمد سعيد باشا للشهادة ، وكان قد استقال من رئاسة الوزراء .
وقال في نهاية شهادته : « لى رجاء أوجهه إلى المحكمة ، وهو أن هذا المتهم معذور في عمله هذا ، هو متأثر بالرأى العام المصرى ، الذى كان ضدى تقريباً ، وأرجو استعمال الرأفة معه بقدر ما يمكن . »

وهنا صفق الحاضرون . . ووقف النائب العام يقول : « هذا المتهم ليس عنده انخلاق » . ولم أستطع أن أمك قسى ، وقمت من مقعدى ، وضربت على حافة القفص بيدى ، واثقت إلى النيابة أقول : « أنتم السفلة . أنتم المجرمون . أنتم الذين بتم أنتم بالامهيات . أنا لا أبالي أن يحكم على بالإعدام ، ولكنى لا أطيق أن أسمع من سافل مثلك هذه الإهانات ! »

وحدثت ضجة في قاعة الجلسة ، وصاح محمد بك أبو شادى ، الحامى عنى :
« لك حق يا سيد ! » وانطلقت أصوات الحاضرين تقول له : « له حق ! »
له حق ! . فليسقط النائب العموى . . ونخيل إلى أن النائب العام « توفيق رفعت باشا »
انتخباً تحت المكتب !

ورفعت الجلسة . . ثم أعيدت بعد الظهر . . ووقف محمد بك أبو شادى يقول :
« أطلب البرائة للمتهم » . . فقال المستشارون ضاحكين : « وكيف ذلك ؟ »
قال الحامى : « لأن الشعب حكم على محمد سعيد باشا بالإعدام . ، والمتهم قدز
حكماً أصدره الرأى العام ! » .

وحكمت المحكمة بما يقتضى بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات . . وصاح صائح :
« ليحيى العدل ! . . . وصاح آخرون : « يسقط الظلم ! » .

ووضعت في السجن ، وقللت إلى لبنان أبي زعل ، أكسر الحجارة . . وضمت
٥ سنوات في هذا العذاب ، بلا أمل ! . . وحينما قيل سعد زغلول الحكم عاد الأمل
لنا . . . وفي يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٤ فتح باب السجن . . وفجئت وقابلت
سعد زغلول ، وشكرته على الإفراج عني .

وبعد عام قبض عليّ من جديد . . وكانت قد وقعت حادثة السردار . . وقبض
على ماهر والنقراشي . وجاء سليم زكي وعرض عليّ ٢٠٠٠ جنيه إذا اعترفت بأن
النقراشي هو الذي سلمني القنبلة يوم حادث إلغائي القنبلة على محمد سعيد باشا ،
فرفضت ! . ثم بعد أيام أخذوني إلى مكتب رئيس النيابة « مصطفى حقى بك » ،
فرايت شخصاً عليه مظاهر اليأس والشقاء . قال لي رئيس النيابة : « أتعرف هذا ؟ » .
قلت : « لا أعرفه ! » . قال : « إنه محمد شكرى الكرداوى ، زميلك في الحادثة » .
قلت : « كلا ، ليس هذا ! » . قال : « إنه يقول ويعترف صراحة بأنه شريكك في
إلقاء القنبلة على محمد سعيد باشا ، وأن النقراشي وأحمد ماهر معكما ، وأن النقراشي
هو الذى أحضر القنبلة من القاهرة إلى الإسكندرية ! » . قلت : « إنه كذاب ! » .
أنا لم أر هذا الشخص قبل هذا اليوم ! . قال : « إنه اعترف بذلك » . . قلت :
« هذا شخص لم أره قبل الآن ، إن لي شريكاً كان يسمى بهذا الاسم ، ولكن
ليس هذا الشخص ! » . ولا بد أنه اسم مستعار ! . . وإذا بشكرى الكرداوى ينكني
على وجهه ياكياً ويقول : « نعم أنا كاذب في كل الذى قلته ! » . الله يخليك يا شيخ
سيد ! . لقد أفهموني أنك اعترفت على . أنا كاذب ! . أنا كاذب ! .

فقال لي رئيس النيابة وقد ظهر عليه الغضب : « إذن أين شريكك محمد شكري الكرداي ؟ » . قلت : « إذا أحضرته فلن أتعرف عليه » . فخطب رئيس النيابة كفاً على كف وقال : « لقد أفسدت محضر القضية » . قلت : « إنني لست مسئولاً عن نجاح التحقيق » .

وكان محمد شكري الكرداي هو نفسه الذي واجهوني به ، وأنكرت معرفتي به . ولقد قبض عليه القلم السياسي ، وكان محكوماً عليه بالسجن خمس عشرة سنة في قضايا الاغتيال ، وكان المحكم غيباً لأنه اختفى . ثم صدر عنه عفو من سعد زغلول . ثم قبض عليه البوليس بعد القبض على ماهر والنقراشي ، واعترف تحت التعذيب اعترافاً كاملاً بكل ما يعرفه عن حوادث القتال عام ١٩١٩ . واتهم ماهر والنقراشي . ولكنه عند ما رأي أنكر ، عاد وأنكر أمام المحق بكل كلمة ظلمها أمام البوليس السياسي .

سيد علي محمد المحامي

كفر الزيات في ١٩٤٨/٩/٤

• • •

هذه صفحات من مذكرات سيد علي محمد ، المحامي للشرعي ، أقتلها بحروفها ، كما هي ، على الرغم من أن صاحب المذكرات ترك لي حرية التصرف فيها كما أشاء « بالزيادة أو النقص ، بالنشر أو الإغفال ، بالتقديم والتأخير ، والتحويل والإبدال ، والإعلال والقلب » كما جاء في خطابه لي (المنشورة صورته الفوتوغرافية مع هذا الكتاب) .

فلم تكن كلمات صاحب المذكرات في حاجة إلى تغيير ، إن حروضا تنبض بالصدق ، وأحداثها متتابعة كلغف رشاش ، ولما أنشروا كما هي . . وأودع أصل المذكرات لدى اللجنة التي مستولى إعادة كتابة تاريخ مصر . .

وهذه المذكرات التي يكتبها رجل مات منذ بضع سنوات ، تصور قصة الجهاز السرى ، الرجال الذين يعملون في صمت ، الفقراء الذين تعرض عليهم ألوف الجنيحات ، فلا يقتحمون أفواههم بالسر الرهيب ، ولا يطلبون مكافأة على عملهم الوطنى العظيم !

أمر بقتل السلطان !

وهذا أحد أعضاء الجهاز السرى ، وحنلى من جنود حرب القنايل والاختيالات ، يقدم وثيقة تاريخية خطيرة من مذكراته عن دوره وبعض زملائه في أعمال الاختيالات . إنه « محمد محمد خليفة » الذى كشف عن سر خطير ، لعله يلما لأول مرة ، وهو الأمر الذى أصدره الجهاز باغتيال السلطان ، والمحاولات التى يلما الملك . وفيما يلي ما كتبه محمد محمد خليفة في مذكراته :

« أنا تاجر كفر الزيات محمد محمد خليفة ، الذى أشار إليه الشيخ سيد على محمد الذى أتى القنلة على محمد سعيد ياشا في عام ١٩١٩ . قال في مذكراته : إننى كنت الوسيط بينه وبين الجهاز السرى في القاهرة . فعلا ، وكانت لي صلة بمحادث الاختيالات ابتداء من حادث إطلاق الرصاص على السلطان حسين في عابدين ، وقد قام بالصليحة محمد خليل من المنصورة ، من سلسل أخفاه في باقة ورد ، وحكم عليه بالإعدام وقتل في الحكم . وعند قيام الثورة عام ١٩١٩ تعرفت بأحمد ماهر ،

والنقراشى ، وحسن كامل الشيشينى ، والدكتور سيد باشا ، ويوسف العبد ، وعبد الرؤوف العبد ، وهؤلاء كانوا يكونون خلايا فى الجهاز السرى . وقرر الجهاز السرى قتل محمد سعيد باشا فى القاهرة ، لأنه خالف قرار سعد زغلول بأنه لا يجوز لمصرى أن يؤلف الوزارة فى ظل الحماية .. واتصل بنى النجراشى .. وافق ملى على أن تخرج شقة فى شارع الشيخ ربحان ، فى طريق مرور رئيس الوزراء إلى مكتبه .. وصنعنا قنبلة فى بيت النجراشى ، وكان عبارة عن شقة فى الحلمية الجديدة . وحملت القنبلة فى المغرب من بيت النجراشى ، إلى الشقة التى استأجرها ، وكان لى فى الجهاز السرى اسم حركى هو محمد على ، وكان لكل واحد منا اسم آخر . وطلب النجراشى أن تكون عملية الانتقال فى ساعة المغرب بالضبط ، وذلك أننا كنا فى رمضان ، وقال إن فى هذا الوقت يكون جميع الناس ، حتى المساكين ، مشغولين فى تناول الإفطار ، وكنت صاعماً ، فأعطاني النجراشى تمراً ، لأتناول الإفطار فى أثناء انتقالى من بيته إلى الشقة التى اتخذناها لنلقى منها القنبلة . وكان النجراشى صاعماً أيضاً .. وصرت على قدى حاملاً القنبلة ، ووضعناها فى الشقة ..

وكانت هذه هى أول محاولة لاغتيال رئيس وزارة فى ثورة ١٩١٩ .. ورأى النجراشى أن يشترك اشتراكاً فعلياً فى العملية . وجاءنا من الجهاز السرى بيان بمواعيد مرور رئيس الوزراء .. وعرفنا أنه سيمر فى شارع الشيخ ربحان فى ساعة معينة . وكانت الخطة أن يقف النجراشى فى الشارع ، قريباً من المنزل ، وأن يشير إشارة معينة فى اللحظة التى يرى فيها سيارة رئيس الوزراء قادمة .. وكلف شخص اسمه أحمد ، بأن يتولى هو إلقاء القنبلة .

وأقبلت سيارة رئيس الوزراء .. وأعطى النجراشى الإشارة ، ولكن أحمد لم يلق القنبلة ، وقال إنه لم ير إشارة النجراشى .. وفى نفس الوقت أيضاً حدثت محاولة

أخرى لإلقاء قبلة على محمد سعيد باشا عند كوبرى قصر النيل ، وكان الذين سيتولون إلقاء القبلة هما الدكتور سيد محمد باشا والمرحوم أحمد عبد الحى العبد الطالب بمدرسة الحقوق ، ولكن البوليس قبض عليهما واختفى سيد محمد باشا بعد أن أفرج عنه .

وفشلت العمليات في القاهرة . . . وانتقل محمد سعيد باشا مع الوزارة إلى الإسكندرية ، وانتقلت معه مؤامراته . . . وطلب منى التقرائى وأحمد ماهر أن يختار شخصاً يلقي القبلة على محمد سعيد باشا في الإسكندرية . . . وكان الطالب الأزهرى ، الشيخ سيد على محمد عضواً في الخلية السرية التي ألقيت في كفر الزيات ، فاختبرته لتنفيذ هذه العملية في الإسكندرية . وأبلغت التقرائى وأحمد ماهر أننى اخترت الشيخ سيد ، الذى كان يبلغ عمره ١٧ سنة . . . وتوليت عمل اختبار له ، وفتح الشيخ سيد في الاختبار . . . وقمت بصنع الغلاف الخارجى للقبلة في كفر الزيات في عدة ورش صغيرة ، ثم حملت الغلاف إلى القاهرة . وطلب منى التقرائى أن أفرى مواد كيميائية عنها ، من أنجزات مختلفة في القاهرة ووطنها . من كل أجهزة مادة معينة ١ - وكان التقرائى قد درس الكيمياء والعلوم ١ - وتم شحن القبلة بالمرقعات في بيت التقرائى بالحلمية الجديدة .

ولم يكن البوليس في ذلك الوقت يعرف أى شىء عن التقرائى أو أحمد ماهر . . . فقد كانت الرقابة مفروضة على زعماء الوفد ، وكان غير معروف ههما أى نشاط ، واستطاع أن يضللا المخابرات البريطانية والسلطة العسكرية البريطانية مدة طويلة .

واتصلت بمحمد شكرى الكرداوى الطالب ، وعضو الجهاز السرى ، واستدعيته إلى كفر الزيات . وعرفته بالشيخ سيد على ، فقد قرر الجهاز أن يشرك الكرداوى في العملية أيضاً . وفي الإسكندرية تسلم محمد شكرى الكرداوى القبلة . وفي الوقت نفسه كلفنا محمد محمد السراج - وهو مصرى كان ضابطاً في الجيش التركى ، وقد

ضممته الجهاز السرى - أن يأتى قنبلة أخرى ، إذا تراجع الشيخ سيد على محمد عن إلقاء القنبلة .

والذى الشيخ سيد القنبلة . . وقبض عليه . وتعرض لتعذيب بشع . . وتحت التعذيب اعترف باسمى ، وباسمى محمد السراج ومحمد شكرى الكرداوى . . وأبلغ الجهاز السرى شكرى الكرداوى بأن الشيخ سيد اعترف ، فاحتفى ا . . ولكن التبليغ تأخر فى الوصول إلى ، وقبض على ، وعلى محمد محمد السراج الذى أنكر ، وأفرج عنه قاضى الإحالة . وقدم سيد على محمد ومحمد خليفة حضورياً ، ومحمد شكرى الكرداوى غيابياً ، إلى محكمة الجنايات .

وحكمت محكمة الجنايات على الشيخ سيد على محمد بالأشغال الشاقة عشر سنوات ، وعلى محمد شكرى الكرداوى غيابياً بخمس عشرة سنة ، وحكم ببراءتى ، لأن الشيخ سيد عدل عن اعترافه فى التحقيق ، وقال إنه اعترف تحت التعذيب وإن محمد خليفة يرى ا . . . والذى حدث أن الجهاز السرى اتصل فى السجن بمرىان سعد المتهم بضرب يوسف وهبة باشا بالرصاص وطلب إليه أن يتصل بالشيخ سيد ليعدل عن أقواله ، ففعلها فقد الشيخ سيد تعليقات الجهاز السرى ، وعدل عن اعترافاته بالنسبة لى ، وبرأئى المحكمة .

ومضت الأيام ، وفى عام ١٩٢٥ فوجئت بسيدة لا أعرفها تتصل بى ، وكانت السيدة جميلة ، وطلبت أن نقابلنى فى مكان عيته . . وذهبت إلى المكان ، وإذا بها تدعونى لأن أشرب معها ، وحاولت أن تسكرنى ا . . وتبينت أنها تريد أن تعرف معلومات عن صلة القرابى وأحمد ماهر بمحادث القنابل . . وأحسست أن الإنجليز المشرفين على التحقيق يومها ، يريدون أن يحصلوا على معلومات تؤكد اتهام ماهر والقرابى بدورهما فى قضايا الاختيالات ا . . . ولم تلبث السيدة أن سكرت هى ، واعترفت

بأن الضابط سليم زكي الذي يعمل مع « إنجرام بك » هو الذي أرسلها إلى لتحصل
منى على هذه المعلومات ! . . وفي اليوم التالي قابلني سليم زكي ، وطلب مني في
صرامة أن أعترف على التقرائي وهاجر ، وأن هناك أدلة ثابتة عليهما ، وأن شهادتي
مطلوبة ، ووعظني بمكافأة ضخمة ! .

ورفضت هذا العرض . . لأن اللذين باعوا أرواحهم للوطن ، لا يمكن أن يبيعوها
مرة أخرى للشيطان !

أخطر محاولة في ثورة ١٩١٩ !

ومضى يقول :

ولكن هناك محاولة خطيرة ، لم تسجل في أوراق التحقيق ، ولم يكشف أحد
الستار عنها حتى الآن ! . . إنها في رأي أخطر محاولة حدثت في ثورة عام ١٩١٩ ،
نظراً للغة الترتيبات التي أعدت لها : فقد حدث بعد أن صكر الحكم على بالبرامة
في قضية محاولة اغتيال محمد سعيد باشا ، أنني استأققت على الفور صلاتي بالجهاز
السري . . وعلمت أنه تقرر اغتيال السلطان فؤاد في أثناء زيارته للبيشة (المنصورة)
في يوم السبت ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وأنه تقرر أن أقوم أنا بهذه العملية ، نظراً
لخبرتي بمدينة المنصورة . وكانت قيادة الجهاز السري للثورة قد أصدرت أمراً بضرورة
قتل السلطان ، والتخلص منه فوراً ، لأنه يتولى العرش في ظل الحماية البريطانية ،
ولأنه يجب أن يكون حاكم البلد منتخباً من الشعب ، بعد أن تحرر البلاد من الاحتلال
البريطاني . .

وكان الجهاز السري قد وضع خطة لاختيال السلطان ، بعضها في القاهرة ،

وبعضها في الإسكندرية . . ولكن هذه الخطط فشلت واحدة بعد أخرى ، وكان السر في هذا أن السلطان كان قليل الظهور في الأماكن العامة ، وإذا ظهر تكتم موعد ظهوره ، وموعد خروجه من قصره ، وموعد عودته إلى قصره ، وتكتم أيضاً الشوارع التي يمر منها . . وفي كل مرة ، كان يعد كل شيء للاغتيال ، وإذا بالرتيب المعد يفشل ، لأن السلطان عدل عن الخروج ، أو غير طريق مركبه ، أو ألغى الزيارة التي كان قد قررها من قبل . . وكان كل شيء يعد : القنبلة ، والأشخاص الذين سيتولون مهمة الاغتيال . . ولكن السلطان لا يحضر في الميعاد !

ولكن . . حدث في أول ديسمبر سنة ١٩٢٠ أن وضعت خطة كاملة اشتركت فيها عدة فروع الجهاز ، فقد وقع في يد الجهاز السرى البرنامج الكامل لزيارة السلطان المنصورة . . وفيه يحدد الساعة التي سيصل فيها قطار السلطان إلى محطة المنصورة ، والساعة التي سيتحرك فيها منها ، والعمية المختطوور التي سيركبها ، وكل شارع سيرمر به ، وكل مكان سيزوره ، وعدد الحراس الذين سيمشون أمامه ، وعدد الحراس الذين سيمشون ورائه . ومن الذي سيركب معه في المختطوور ، وتفاصيل دقيقة غريبة لا يعرفها إلا عدد قليل جداً ، فقد كانت السلطة البريطانية تتخذ احتياطات شديدة للمحافظة على حياته ، وأعتقد أن الجهاز السرى حصل على هذه المعلومات الدقيقة من أحد عميل الجهاز في مكتب كبير أثناء السلطان ! . وبدأت الترتيبات بسرعة ملحظة .

وأعد القرائش القنبلة التي سألقها على السلطان ! . . وتم الاتفاق على أن أسافر إلى المنصورة قبل الحادث ، لأعرف المكان الذي سأأتي منه القنبلة ، في أثناء مرور المركب ، وتلقيت تعليمات تقضى بأن أذهب قبل وصول السلطان إلى المنصورة بعدة ساعات ، إلى محطة (كفر شكر) ، وأنتظر في المحطة في ساعة معينة — واختارت

الخطبة هذه المحطة بالذات لأنها ليست تحت الرقابة - أنتظر قدوم قطار سكة حديد الدلتا ، ووقوفه في محطة (كفر شكر) . وكان من ضمن الخطبة أن يركب حسن كامل الشيشي هذا القطار من القناطر الخيرية ، وفي محطة كفر شكر يطل الشيشي من نافذة القطار ، ويسلمني سبباً ، وهذا السبب فيه القنبلة ، المخططة بالقواكه ، التي سألقها على السلطان ! . . ثم أحمل أنا السبب ، وأعود إلى المنصورة ، فأصل إليها في وقت معين ، وأنجز موقفي في المكان المحدد لي ، قبل مرور السلطان بدقائق . .

وفي الساعة المعينة التي حددها الجهاز السري سافرت إلى المنصورة ، وبدأت أستخدم لعملية التنفيذ ، ووجدت أن كل شيء معد لإعداداً محكمة . . وأردت أن أذهب إلى كفر شكر لأتسلم القنبلة ، وإذا بمحمد بدر الدين يراني في أحد شوارع المنصورة ! . . وكان محمد بدر الدين هو مفتش عام الأمن العام ، جاء إلى المنصورة قبل السلطان ، ليشرف على عملية حراسته ، ولا رأي ، وتذكر أنني أنا المتهم في قضية اغتيال محمد سعيد باشا الذي أصدرت المحكمة حكماً ببراءته ، أمر بالقبض علي ! . .

وفشوني فلم يجدوا معي شيئاً ! . . وتوصلت إليهم أن يطلقوا سراحي لأنني برىء ! ولكن بدر الدين أمر بعدم الإفراج عني إلى أن تنتهي زيارة السلطان ! . . وكنت أصبح : « إني أريد أن أحبي عظمة السلطان ! » كيف تحرموني من هرف ورفوة عظمة السلطان ! ؟ . . ولكن بدر الدين رفض إطلاق سراحي ! . وهكذا وصل قطار الدلتا إلى محطة (كفر شكر) ، وأطل حسن كامل الشيشي من نافذة القطار وبحث عني فلم يجدني ، ومشى القطار ، وجهه القنبلة . .

وكنت أنا طول هذا الوقت في السجن أبدى أسنى لعدم تشرقي بطلمة السلطان ! . . وزار السلطان مدينة المنصورة ومر في المكان المقرر ، ولم يحدث شيء !

وهكذا لم تمكن من تنفيذ أمر الجهاز السرى باغتيال السلطان فؤاد . . .
ولوكانت ثورة ١٩١٩ نجحت في اغتياله ، لتغير وجه تاريخها !!
محمد محمد خليفة

هذه هي قصة محاولة اغتيال السلطان ، كما كتبها محمد محمد خليفة عضو
الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .

ولكن أين هو الآن ؟ إنه موظف في مديرية التحرير بأجر يربو قدره ثمانون
قرشاً ، وقرر مجلس الدولة أن يبقى فيها مدى الحياة . . . ولعل من أخطاء ثورة ١٩١٩
أنها نسيت الذين عرضوا حياتهم للخطر ، والذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم ،
والذين دأبت أصنافهم حبال المشاق . . . ولقد كانت وجهة نظر الثورة يومها أن العمل
الوطني لا يجوز أن يدفع عنه ثمن . . . ولكن الذي كان يحدث أن المتسلقين والانتهازيين
كانوا هم الذين يصعدون إلى المناصب الكبرى . . . فإن عريان بعد مثلاً الذي أتى
على يوسف وهبه باشا القنبلة التي هزت الدنيا في وقت الثورة ، عريان سعد هذا عند ما
أفرجت حكومة سعد زغلول عنه ، عرضت عليه مرتباً قدره سبعة جنيهات ونصف جنيهه
في الشهر !

وعبد القادر محمد شحاته الطالب بالمدرسة الإسلامية الذي أتى قبلة على محمد
شفيق باشا وزير الأشغال في أيام ثورة ١٩١٩ ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم عدل
الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، لم يفكر أحد فيه ، ولم يخطر ببال الأحزاب
المتنافسة - على كثرة الانتخابات - أن ترشحه في إحدى الدوائر الانتخابية ! .
وهكذا كان بعض الذين يدخلون البرلمان غرباء عن الثورة ، نالوا مقاعد البرلمان بقراراتهم
وبناهم ، لا بتفسيحاتهم وفدايتهم !

قصة الجريمة رقم ١٣

والجريمة رقم ٣ هي الشروع في قتل محمد شفيق باشا يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٠ء
ولتهم فيها عبد القادر شحاته وعباس حلمي ، ولهم الجريمة قصة وتاريخ سابق :
في يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٩ أرسل سعد زغلول من باريس رسالة سرية إلى
عبد الرحمن فهمي رئيس الجهاز السري للثورة بالقاهرة يقول فيها : « بلغنا أن الإنجليز
يسعون للحصول على موافقة الوزراء المصريين على مشروعات لرى في السودان مخالفة
للمصلحة . نرجو تبصير الوزراء بمواقب هذه المشروعات وإفادتنا عن تفصيلات
ذلك . . . »

وفي يوم ١٥ يناير سنة ١٩٢٠ ذهب صاحب المظلي إسماعيل سري باشا وزير
الأشغال وقابل صاحب الدولة يوسف وهبه باشا رئيس مجلس الوزراء وأخبره بأنه
تلقى بالبريد خطاباً جاء فيه : « احظر من الموافقة على مشروعات لرى الإنجليزية
ولا . . . للوت . . . وكان التوقيع « اليد السوداء » .

وأبلغ رئيس الوزراء الأمر على الفور إلى السلطات البريطانية ، فعصر الأمر
بمضامنة الحراسة على إسماعيل سري باشا وزير الأشغال . . ثم بنات الرسائل
تكرلى على سعد زغلول من عبد الرحمن فهمي بالشفرة

سري

٢٨ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس :

ألى مجهول قبيلة اليوم على إسماعيل سري باشا وزير الأشغال عند خروجه من
بيته في الليرة .

عبد الرحمن فهمي

سرى

٣٠ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس
أعلنت السلطة عن مكافأة ٥٠٠ جنيه لمن يعرف الذى أتى القنينة على سرى باشا ،
ولم يتقدم أحد بمعلومات .

عبد الرحمن فهمى

سرى

٣١ يناير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس
قدم إسماعيل سرى باشا استقالته من الوزارة . رفضت توليات رئيس الوزراء
والسلطان والسلطة البريطانية وأصر على الاستقالة . رفض جميع الذين عرض عليهم
منصب وزير الأشغال قبول المنصب .

عبد الرحمن فهمى

سرى

أول فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس
الوزراء جميعاً غير راضين فى الاستمرار . لا أحد يقبل الوزارة من خارجها ،
اجتمع السلطان مع رئيس الوزراء والمستشار المال لبحث الموضوع . تقرر عمل
معاشات للوزراء استثنائية تشجيعاً للوزراء على البقاء ، وتأميناً لحياتهم فى حالة وقوع
حوادث لهم ، وحتى يمكن تعيين وزير أشغال .

عبد الرحمن فهمى

سرى

٢ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس
صلح مرسوم سلطاني بمنح كل من عين وزيراً معاشاً قدره ١٥٠٠ جنيه
سنوياً ، على أن يطبق المرسوم على الوزراء الحاليين .

عبد الرحمن فهمى

سرى

٥ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس -
قبل محمد شفيق باشا وزير الزراعة أن يكون وزيراً للأشغال والحرية فوق منصبه .

عبد الرحمن فهمى

سرى

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .
اليوم أقيمت قنبلة على محمد شفيق باشا وزير الأشغال بجبهة (غمرة) .

عبد الرحمن فهمى

سرى

٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس
أخذت مشروعات رى السودان اهتماماً عظيماً من الأمة ، بعد المحاضرة التي ألقاها
إبراهيم زكي للهنس على جميع كبار من الأمة . فكر بعضهم في ضرورة استدعاء
مهندسين اختصاصيين من كبار مهندسي فرنسا وإيطاليا وهولندا وأمريكا . رأى

البعض أن الرقعة هو التي هي تقوم بهذا العمل . ما رأى مساعدكم في ذلك ؟ تحصلنا على معلومات عامة جدا ، دقيقة وسرية للغاية في هذا الموضوع . يتقصنا بعض معلومات أخرى سرية موجودة بالسودان ، شرعنا فعلا في البحث عنها والحصول عليها . الأمل عظيم في الوصول إلى ذلك إن شاء الله . فكروا في الموضوع . عرفنا رأيكم فيه حتى ترد باقي المعلومات . شجعت إبراهيم زكي على طبع مذكرة بهذا الخصوص . أمدته بالمعلومات التي لدى في الحاضرة إلى أقالما ، وفي المذكرة التي شرع فعلا في طبعها .

عبد الرحمن فهمي

سري

أول مارس سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول يباريس إلى عبد الرحمن فهمي بالقاهرة .

إن مسألة مشروعات الري في السودان مسألة مهمة جدا ، ولكنها مسألة داخلية لا يمكن للدولة أجنبية أن تتدخل الآن فيها . لم يكن علينا معلومات كافية عنها . هل يمكنكم أن تبحثوا إلينا بجميع ما يتصل بكم من الكتابات المتعلقة بها سواء ما كتبه للهنس الإنجليزي ، ويلكوكس ، أو غيره من المهتمين الأجانب والوطنيين .

سعد زغلول

سري

٢ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول يباريس .

لا رأى قلم المعلومات أن احتجاجات المرات الثمانية بدأت تظهر في مشروع ري السودان ، أصدر أمره الجرائد جميعا بالأنا تنشر مثل هذه الاحتجاجات على صفحاتها ، هكذا يزداد الخلق يوما بعد يوم على الصحافة .

عبد الرحمن فهمي

مصرى

٣ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس .
للمدة المبثولة في جميع أعضاء الجمعية التشريعية في بحر الأسبوع المقبل لتتقرر
في الأحوال الحاضرة ومشروعات رى السودان . سيكون الاجتماع بمنزل سعادتك ،
بصفحتك الزكيل المنتخب للجمعية التشريعية .

عبد الرحمن فهمى

مصرى

٧ مارس سنة ١٩٢٠

من سعد زغلول بباريس إلى عبد الرحمن فهمى بالقاهرة
الاقتراح الخاص بتأليف لجنة متخصصة لبحث مشروعات رى السودان في غاية
الأهمية . نحن نبحث فيه بما يستحق من العناية .

سعد زغلول

مصرى

١٧ مارس سنة ١٩٢٠

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس
استدعى شفيق باشا وزير الأشغال ، محمود فايد بك ، الذى كان موظفاً بالرى
من مدة ، وهو من خريجي مدرسة السنترال بفرنسا ، وألح عليه كثيراً أن يقبل أن
يكون عضواً باللجنة الإنجليزية ، التى استلحيت لبحث مشروعات خزانة رى
السودان . وبعد إلحاح طويل عليه من الوزير بلا جبرى ، قاده الوزير لمقابلة
رئيس الوزراء ، وهذا بلل كل ما في وسعه لإقناعه بالقبول فلم يفلح ، فأخطه وزير
الأشغال بعد ذلك وقدمه السلطان ، وألح السلطان على محمود فايد بك بالقبول . فكان
جوابه السلطان أنه لا يمكنه قبول مثل هذا العمل قبل أن يستطلع رأى الأمة . ولا

تكرر هذه الجملة أكثر من مرة أمام السلطان ، قال له السلطان : أين هو الرأي العام الذى تريد أخذ رأيه ؟ قال فايد : إن الرأي العام يشتمل فى نوايه ، وبم الوفد وبلحته المركزية . فلجابه السلطان قائلا : « ذول طالبين الاستقلال التام ١ . والإنجليز الأمة العظيمة الكبيرة دى كيف أنها تخرج من هنا ؟ ٢ . وإحنا يرضينا خمسين فى المائة من حقنا ، أو حتى ٤٥ فى المائة ، فلا تضيع علينا هذه الفرصة يا محمود بك ، واقبل ما عرضه عليك شقيق باشا ١ » .

قال فايد : « يا مولاي سأعمل الواجب » ..

ولا ألع السلطان عليه بعد ذلك ، قال فايد : « لا يمكننى قبول هذه الأمورية قبل أن أعرف رأى الأمة فيها » . وبالفعل خرج محمود فايد من عند السلطان ، وأتى لنا بمركز لجنة الوفد ، وقص علينا كل هذه الحكاية . فاستأقنا نظره إلى ما جاء بقرير مستشار الأشغال ، من أن العمل بدئى فعلا على النهرين الأبيض والأزرق ، وهذا دليل على أن عمل اللجنة صورى ، وأكثر من هذا أن صوتا واحدا لمصر فى اللجنة ، ولا يمكن إقناع أربعة أصوات لإتجارها ، واستخلصنا من ذلك أن لا قائمة من انضمام أحد المصريين للجنة ، لئلا يقال فيها بعد إن العمل تقرر بحضور من يمثل مصر . وعلى هذه القاعدة بنى محمود فايد جواب اعتذاره عن قبول الأمورية .

ولكن الجواب كتب بنائية ما يمكن من الدقة ، خدمة للقضية العامة ، وسأجتهد فى الحصول على صورة هذا الجواب الحقيقية وأرسلها لسعادتك .

عبد الرحمن فهمى

...

ولكن ما هى قصة القنبلة التى فجرت مسألة مشروعات رى السودان ؟
إنها قصة القنبلة رقم ٢ .. القنبلة التى ألقاها « عبد القادر محمد شحاته » الطالب

في اللسنة الإلهامية على محمد شفيق باشا وزير الأشغال !

إن عبد القادر محمد شحاتة نفسه ، هو الذي يكتب القصة ، وهذا هو فصل من مذكراته :

كنت جالساً في قهوة بتادي محمد على بميدان باب الخلق ، ألعب طاولة مع الشيخ محمد يوسف الطالب بالأزهر. وأقبل شاب متوسط الطول ، قمحي اللون ، وقمعه لي باسم « الأخ فهمي » ، وجلس فهمي . . تحدثت حديثاً ، ثم انصرف . . وبعد ذلك فوجئت بفهمي هنا عدة مرات ! . مرة بيئلة عادية ، مرة بيئلة عامل ، مرة بيئلة فلاح . . وعند ما رثي في قال : « إني أعرف أن الشيخ محمود أبو العيون كلفك بمهمة خطيرة في الصعيد في أول الثورة ، وهي توزيع منشورات ، وإقيام بحركة في المنيا ، وأعرف أيضاً أنك الذي أشعلت الثورة في المنيا ، وأنه حكم عليك من المجلس العسكري البريطاني في الوسطى بضرب النار ، وأعرف أيضاً أن الذي هربك هو خليل حافظ حكمدار المنيا ، متحدياً قرار السلطة البريطانية . . فهل تقبل أن تكون عضواً معنا في الجهاز السري للثورة ؟ » . قلت : « نعم . . » . وأقسمت اليمين بحفظ السر . ثم عاد وقال لي : « هل أنت مستعد للموت في سبيل مصر في أي وقت ؟ » . قلت : « نعم . . » .

ثم تكررت المقابلات . . وذات يوم قال لي : « انتظر تعليمات هامة جداً ! » . وفي اليوم التالي جاء فهمي وقال : « إننا ألقينا قبيلة على إسماعيل سري وزير الأشغال والحربية ، فاستقال فزعاً » . وكان رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا سيستقبل لأن أحداً لم يجرؤ على قبول مناصبه وزير الأشغال لتنفيذ مشروعات الإنجليز في السودان ، وفوجئت الثورة بأن محمد شفيق باشا قبل أن يكون وزيراً للأشغال والحربية والزراعة ، فقروا قيادة الثورة قتله ، وقد أجريت القردة في الجهاز ، فكان وزير الأشغال والحربية من نصيبك ! فإراك ؟ » .

قلت : « مستعد ؟ » . . قال فهمي : « إن القنابل الجاهزة الآن ، والتي قرر الجهاز السري استعمالها في هذه الحادثة هي قنابل تروجلسرين تنفجر في الهواء ونصيب من يلقها . وقد حدث قبلها بأسبوعين أن كلفتنا أحد الأشخاص بإلقاء قنبلة على إسماعيل سري من هذه القنابل ، فأصيب زميلنا . فهل أنت مستعد للموت في هذه المهمة ؟ » . . قلت : « نعم . . أنا على أتم استعداد » .

وفي اليوم التالي حضر فهمي ، وذهبت معه لمعينة المكان الذي اختاره الجهاز السري للثورة ، لتلقي منه القنبلة على وزير الحربية والأشغال ! . . وهو عبارة عن ميدان بسيط ، وبه مراحيض عامة ، بالعباسية ، في طريق مصر الجديدة . وأبلغني أن المكان درس ، وحددت الشوارع الممكن أن أهرب منها ، إذا نجوت من القنبلة . ومن حرس الوزير . . . ثم صحبني إلى خرابة في حارة مؤدية إلى شارع التزعة ، وقال إنني سألقى ملابس التتكر والمسدمات في هذه الخرابة . . وأن عضواً في الجهاز سيأخذها من هناك ويخفيها على القور ! . . وقال إن الحطة وضعت على أساس أنه قبل أن تصل سيارة الوزير ، سيسبقها مباشرة موتوسيكل ، يركبه أحد رجال الجهاز السري ، ثم يأتي هذا الشخص جريداً على الأرض أمامك ، كأنها وقعت منه مصادفة لتعلم أن السيارة التي خلفه مباشرة هي سيارة الوزير ! . . وذكر لي أنني سأتنكر في زي طباطخ ارتدى ملابسه فوق ملابس العادية ، وبعد ارتكاب الحادث ، أخلع ملابس الطباطخ في الخرابة التي عيها ، ثم أمشي كشخص عادي ، وأعود إلى بيتي ! . .

وابتسم فهمي وقال : « هذا إذا نجوت من القنبلة ومن الحرس ! » . . وسألني فهمي من يقيم معي في بيتي ؟ . . فقلت : « إنه شاب من طنطا ألف كتاباً في الوطنية ، ووزعته له على المدارس ، وهو ضيف في بيتي » . . فقال فهمي : « إنك يجب أن تبت بمنزل الأستاذ حسني الشنتاوي عضو الجهاز السري ، والذي رشحك لتكون

عضواً في الجهاز معنا ، وهو الذي زكى اسمك ! .
وبالفعل بت ليلة ١٩ فبراير سنة ١٩٢٠ في منزل حسنى الشنتارى باب الخلق .
ثم جلد فهمي وقال : « إن الجهاز السرى عرفه أن محمد شفيق باشا وزير الأشغال
يسير في المكان الذي حدثناه لارتكاب الحادثة في الساعة التاسعة إلا ثلثاً . ويجب
أن تكون موجوداً في هذا المكان قبل هذه الساعة . وستأتيك القنبلة هناك ! » .

وسأله : « من الذي سيخبر بها ؟ » . قال : « لا أعرف . . . » . وارتليت
ملايس الطباخ ، وربة الطباخ ، ولاقية ، ووجلت ورفيقين غيتو في جيب
للريلة . . كل هذا أحضره فهمي . . فقد أعد الجهاز السرى أدق الترتيبات لارتكاب
الحادث . . .

وفي الموعد والمكان المحددين ، جلست على دكة خشبية في الشارع . . وفي الساعة
الثامنة والنصف جاءت سيارة فضية ، وتوقفت السيارة أمامي ، ونزل السائق يحمل سباً
مزركشاً ، ومشى به إلى بيئات ، ووضعه على الدكة يجلسي وقال : « خط هذا
البيت . . وأعطه لباشا عند مروره ! » . . وفي لحظة كانت السيارة قد انخفضت
من أمامي !

وتطلعت إلى البيت ، فإذا بلانطه قنبلة . . وهو عبارة عن سبت صغير يوضع
فيه الطعام . . .

وبقيت أنتظر الموعد المضروب ! . . وطلت الساعة التاسعة إلا ثلثاً ، فلم يصل
الموتوسيكل الذي سيطلق الإشارة ، ولا الوزير ! . . وبعد الساعة التاسعة والنصف ،
بدأت أشعر بالخبرين الذين يركبون البسكليتات لحراسة طريق الوزير يحومون حولي ،
وفي العاشرة تقريباً جاء موتوسيكل يركبه « غلب » مفتش البوليس المتخصص لحراسة
الوزراء ، ووقف أمامي ، وقال : « قاعد هنا ليه يا ابن الكلب ! » ، قللاً بشدة

وبعفت . . . ويكل هدوء قلت له : « وانت مالك ومالي يا خولجة يا ابن الكلب ١٢ »
قال : « أنا البليس ١ . . . انت بتعمل إيه ١٩ . . . قلت : « أنا منتظر معالي محمد
شفيق باشا وزير الأشغال لإعطائه هذا السبت ، ليأخذه إليه الصغير في مدرسة
جد العزيز ١ . . . » ثم أشرت إلى السبت ، وقلت « اتفضل فنته ١ . . . » وإذا به
يركني ويترك معي غييراً واحداً على بسكليت . .

وفي الساعة الحادية عشرة وجدت أن لا مقر من طريقة لأهرب بالقنبلة . ووجدت
عربة حنطور تمر أمامي ، فاتفقت مع العريجي على أن يوصلني إلى مدرسة عبد العزيز
ببابدين ، بجوار بيتي ، ويكل هدوء وثبات حملت السبت بجوارى في الحنطور
إلى باب المدرسة . ودخلت للمدرسة لأن لي قريباً فيها ، ودخلت إلى غرفة الطعام
وضعت السبت بالشباك ، ثم خرجت خارج المدرسة مرة ثانية فقرأني الخبر الذي
كانا يتبعني ، وسط الخلم ، فأنصرف ، لأنه تأكد من أن الذي كنت أحمله هو
طعام . . . وقبل خروج الطلبة للغداء ، عدت إلى غرفة الطعام ، وحملت السبت -
بعد أن خملت القنولة والجلاية في غرفة الطعام التي كانت خالية - وأخذت السبت
بالقنبلة ، وعدت إلى بيتي ١

وأكرمني الله حيث لم تنفجر القنبلة هذه المرة ، والعجيب أنه مما يدل على كفاءة
الجهاز السري للثورة ، أنني ما كنت أدخل باب شفتي حتى وجدت خلف ظهري
« فهمي » عضو الجهاز السري ١ . . . وقال لي فهمي : « أنت اليوم تستحق أكبر
نیشان في الدولة ، لأننا جميعاً كنا نراقبك من بعد ، ولم نجرؤ على القرب منك ،
بسبب رجال البوليس السري المنتشر حولك ، وقد تصرفت بثبات ، وقد ظهر لنا أن
الوزير لم يخرج اليوم من البيت لأن ابن خاله مأمور سجن نبي سويف قد توفي ،
وذاًن بلجليل ١ .

وسكت فهمي قليلا وقال : « لقد قررت قيادة الثورة أن يكون التنفيذ يوم السبت
-- وكان هذا الحديث في يوم الخميس -- ولكن ستغير الخطة .. المكان كما هو !
غير أنك ستقف بجوار المراحض ، وسترتدى ملابس عسكرية بوليس ! »

وفي مساء الجمعة حضر فهمي إلى منزل حسي الشنتاوي ومعه ملابس جندي
بوليس كاملة .. حتى العصا التي يحملها الجندي ! . وقال إن الوزير سيصل في
التاسعة إلا ثلثا .. وقبل الموعد المحدد ، وصلت السيارة التي فيها السائق الذي أعطاني
القبلة داخل عربة جزمة ! .. ثم أقبل الموسيكل المكلف بالإشارة : « وألي
الجريفة ! .. وأمتكت بالقبلة استعداداً لإلقائها ، وإذا بالوزير يمرومه سيدتان ! !

وهنا تسمرت في مكاني ولم ألق القبلة . لأنني أنا مقتنع بقتل الوزير ، ولكن
ما ذنب السيدات ؟ .. وإذا بالسيارة الفخمة تجيء بسرعة البرق ، وتستلم
منى القبلة ، وتختفي ! .. وعدت إلى بيتي ، وجاغت فهمي في حضور الأستاذ
حسي الشنتاوي ، وسألني : « لماذا لم تلق القبلة ؟ » ، فأخبرته بأن وجود سيدات في
السيارة منعي من التنفيذ ! .. فقال فهمي : « التنفيذ غداً صباح الأحد ٢٢ فبراير ..
وهذه المرة للرة سترتدي ثياب عامل من عمال المناير ، والتنفيذ يكون في مكان بجوار
المراحض ! »

وبالفعل ارتديت ملابس عامل المناير ، وهي ملابس كلها زيت ، وطربوش
قديم مصبوغ بالزيت .. ووقفت في نفس المكان .. وجاءت السيارة الوجيزة ، وقدم
لي السائق القبلة في عربة ورق كبيرة ، أكبر من العربة الماضية .. وفي العربة مسلمان

كى أستعملهما فى حالة الدفاع عن النفس . . ثم جاء موتسيكل الإشارة ، وألقى
الجريلة أمامى ، واستعددت للتنفيذ .

وأقبلت سيارة الوزير فألقيت القنبلة ، فأطلقت دويماً هاتلاً وملاّت الميدان
جسيعه بالدخان ! . . ولم أتين شيئاً فى الدخان ، وسمعت صوتاً يقول : « قتلنى
يا ابن الكلب ! »

واعلمت أن الوزير أصيب ، وذهبت إلى طريق النجاة المرسوم فى اللحظة ،
فجاء خلى عسكرى من حرس الوزراء على موتسيكل ، فأطلقت عياراً فلورياً فى
المواء فرجع ! . ونصيت فى طريقى حتى وجدت الخرابه ، فخلعت ملابس العمال
وألقيت بها فى الخرابه هى والمسدس الذى أطلقت منه الرصاص ، وأقيت المسلس
الثانى . . .

هل تعرف دولت فهمى ؟

ومشيت فى طريقى شخصاً عادياً حتى وصلت إلى شارع التزهة . ثم لاحظت
أن هناك من يتبعنى عن بعد ، وأسهرت ومعى صديقى عباس حلمى الذى كان
يتظرنى فى شارع التزهة ، ووجدنا مدرسة بنات قبطية ، فدخلناها ، وشعرنا بأن
البوليس يحيط بالمدرسة . وإذا بناظرة المدرسة تطلب منى المسدس ، وتخفيه ! . .
ووصل الحكمدار رسل باشا وإنجرام بك وقتشائى ، فلم يحدا شيئاً ! . ولست أعرف
اسم هذه الناظرة التى أظهرت هذه الشجاعة العجيبه فى هذه الظروف ! .

وقيض على ، ووضعيت فى السجن ، وتعرف على محمد شفيق باشا وزير
الأشغال ، حسين سرى (باشا بعد ذلك) الذى كان مديراً لمكتبه . .
وبدا التحقيق قلت : « إننى الذى ألقى القنبلة لقتل محمد شفيق باشا لأنه قبل

منصب وزير الأشغال بعد استقالة إسماعيل سرى باشا ، بعد أن رفض أى مصرى أن يقبل هذا المنصب . . . وكانت السلطة العسكرية البريطانية تريد إثبات أن الحادث هو مؤامرة كبيرة ، وتبحث عن الشركاء ، وتحاول أن تعرف من هم قواد الجهاز السرى !

وفوجئت بتوفيق عبد المقصود - الذى كنت أستضيفه بمنزلى - يشهد بأننى كنت أبيت خارج المنزل من عدة شهور ! . . وشهد عبد العزيز سرى وكيل المحامى الذى كان يقطن فى حجرة بأسفل العمارة بهذه الشهادة نفسها ! . . وإذا بالمحققين يحاصرونى ، ليعرفوا أين كنت أبيت ! . ولو ذكرت المكان ، لعرف الإنجليز « حنى الشتاوى » ، وربما عرفوا « فهمى » ، وربما وصلوا إلى بقية الجهاز السرى ! .

وإذا بى أتلقى داخل السجن رسالة من الجهاز السرى من خارج السجن ، بأن سيدة اسمها « دولت فهمى » ، ناظرة مدرسة اللال الأحمر سابقاً ، مستقدم للشهادة وتقول لى كنت فى تلك الأيام أبيت عندها ! . وأنه يجب أن أعترف بهذا ، رغم أن هذا يسىء لى سمعى ، وإلى سمعتها ، ولكنها قبلت أن تقوم بهذه التضحية ! . واستدعانى النائب العام توفيق رفعت باشا للتحقيق من جديد ليسألى أين كنت أبيت ؟ . وكانوا يتصورون أن هذا السؤال هو الخيط الذى سيوصلهم إلى الجهاز كله ! . . قتل وأنا أظهر الخجل : « لئى كنت أبيت عند السيدة دولت فهمى ناظرة مدرسة اللال الأحمر سابقاً . . » .

وأصدر النائب العام على الفور أمراً بالقبض على دولت فهمى ، فذهب إليها اللواء رسل باشا الحكمدار وإنجرام بك وكيل الحكمدار وقبضوا عليها . وجاءت لى النيابة مكبرة بالحديد . . ونخفت سيئة حسنة إلى غرفة النائب العام ، وإذا ببولت

لعله تهجم علىّ ، وتقبلنى ، وتنادىنى : « يا حبيبى ! يا حبيبى ! » . . . واعترفت
دولت فهمى هذه بأننى أبيت فى بيتها ، وأنى عشيقها !

وهذه النائب العام ، والحكمدار ، ووكيل الحكمدار ! . . . وحاول الإنجليز أن
يفروا السيلة بأن تمتنع عن هذه الشهادة ، وتقرر عدم معرفتى ، فرفضت رفضاً باتاً ،
رغم جميع التهديدات التى هددوها بها ! . . . وفشلت السلطات العسكرية البريطانية
مرة أخرى فى معرفة الجهاز السرى !

وحكمت المحكمة العسكرية البريطانية العليا علىّ : وعلى صديقى عباس حلمى
بالإعدام شنقاً ! . . . ومكثت أرتلى البذلة الحمراء ، بذلة المحكوم عليهم بالإعدام ،
٢١ يوماً . وفى اليوم الثانى والعشرين استدعانى القائد العام للجيش البريطانى
فى مصر ، الجنرال واطسن ، وأبلغنى أن جلالة ملك بريطانيا قد استبدل حكم الإعدام
بالأشغال الشاقة المؤبدة طول الحياة !

وكان عمرى يومها ٢١ سنة ! ، وأمضيت فى سجن طره ٤ سنوات ، أكسر
الأحجار ، إلى أن أفرج عنى سعد زغلول فى ١١ فبراير سنة ١٩٢٤ . . . وذهبت إلى
سعد زغلول ومعى عريان سعد ، الذى أتى قبلة على يوسف وهبى باشا سنة ١٩١٩ ،
وإذا بسعد زغلول يعاقبنا ، ويقبلنا ، ويقول :

« وقد يجمع الله الشتيين بعد ما يظنان كل الظن ألا تلاقيا ! » .

وكان أهم شىء أردت أن أعرفه بعد خروجى هو أين صديقى فهمى ، الرجل
الذى كان الصلة بينى وبين الجهاز السرى ؟ . وعرفت أن فهمى « هذا هو اسم
مستعار ، وأن الاسم الحقيقى ، هو أحمد عبد الحى كيرة » ، عضو الجهاز السرى ،
وأحد أبطاله المجهولين ! .
ومضت الأيام . . .

وفي يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨ استدعاني الدكتور أحمد ماهر وزير المالية إلى مكتبه ، وقال إنه يقدر جهادي ، وأنه يرى تعييني في وظيفة بنك التسليف ، واتصل تليفونيا بالأستاذ حسن كامل الشيشيني مدير بنك التسليف ، وطلب منه تعييني فوراً . ثم طلب مني أن أذهب في الحال ليقابلني حسن كامل الشيشيني ، وذهبت إلى هناك ، فلم يقابلني الشيشيني ، وصلت إلى أحمد ماهر وأخبرته بما حدث ، فاستدعني أحمد ماهر الأستاذ حسن كامل الشيشيني للحضور على الفور ، وقال له أمانى :

— يا حسن ! لولا عبد القادر شحاته وأمثاله ، لا جلسنا على هذه الكراسي ، لا أنا ، ولا أنت !

وصدر قرار بتعييني كاتباً في بنك التسليف ببنائية جنهات في الشهر !
ثم مضت الأيام

وذهبت أزور التقراشي ، فوجدته جالساً مع ضابط بملابسه العسكرية برتبة اللواء وسألني التقراشي : « ألا تعرف سعادة اللواء ٤٩ وتأمليت اللواء فلم أعرف من هو ! قلت : « لا قال التقراشي : « إنه السواق الذي أعطاك القنبلة ثلاث مرات وهو الآن حكيماشي بالجيش المصري اللواء نديم باشا ! »

أين هي ؟ . . .

ولم أر السيدة دولت فهمي ، منذ أن قابلتني في غرفة النائب العام ، في شهر فبراير سنة ١٩٢٠ . ويبحث عنها في كل مكان ! وسألت عنها زعماء الجهاز السري ، فطلبوا مني ألا أسأل عنها ! وأصررت على السؤال عنها ! لقد كانت تعيش

كل هذه السنوات معي في زفازتي ! أحسنت أنني أحبها . لا بد أن أتزوجها !
وأخيراً علمت أن أهلها قتلوها عند ما عرفوا من التحقيق أنني بت معها في بيتها
ليلة الحادث ! . أنا الذي لم أرها إلا في غرفة النائب العام .
عبد القادر محمد شحاتة

صنع القنابل ، والتدريب على إلقائها !

وأما صفحة من مذكرات الدكتور محمد حفي عضو الجهاز السري الثورة .
١٩١٩ ، والمدير العام للتفتيش الفني بوزارة الصحة سابقاً . إنه يتحدث عن الدور
الذي قام به مع أعضاء الجهاز السري في صنع القنابل ، والتدريب على إلقائها ،
واستخدامها في حوادث الاغتيالات . فيقول :
في صيف عام ١٩١٩ اتصل بي الأستاذ حسن كامل الشيشي المدرس بمدرسة
المعلمين العليا ، وكنت طالماً بالسنة الثالثة في مدرسة الطب ، وقال لي : (إنني
أشعر أنني أستطيع الثقة بك . . إننا الآن نعمل في الثورة بواسطة القنابل ، لا المظاهرات
والمشورات !)

وكنا نجتمع في قهوة أمام قسم حايدين ، فكنت أدخل القهوة فأجد فيها الدكتور
أحمد ماهر ، والقراشي ، وحسن كامل الشيشي ، وشفيع منصور . . وكانت
التعليقات ألا أصافح واحداً منهم ، وإنما أدخل إلى القهوة ثم أخرج ، وهنا يقوم
حسن كامل الشيشي بهدوه ، ويخرج ورأى ، فتمشى معاً في الشارع ، وكانت
التعليقات ألا نتكلم في مكان ، بل نمشي في الطرقات لأن الحيطان لها أذان ! . . وكان
يحدث في بعض الأوقات أن يكون الاجتماع أمام منزل حسن كامل الشيشي في حي
الإتشاء (النيرة الآن) . . وكنت أسكن في شارع التلوي في البقالة ، ومع أنني

محمود حنفى المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً ، وكان طالباً فى المدارس الابتدائية . وكان للدور الأول من البيت هو مخزن المسدسات والقنابل التى أستلمها من حسن كامل الشيشينى .

وكان البيت فى سفح جبل المقطم ، فكنا نستعمل الدور الأرضى للتمرين على إطلاق المسدسات . وتوليت تمرين الدكتور عبد القادر حلمى الشورى بمعى المدرس فى كلية الطب ، الذى كان وقتها طالباً فى الطب بمعى ، وزميل مصطفى كامل ، وغيرهما من الطلبة . وكانت مهمتى كذلك تمرين أعضاء الجهاز السرى على إلقاء القنابل . وكنت أبدأ بتدريبهم على قيادة الموتوسيكلات ، وكان البرتقال يستعمل بدل القنابل وكان التمرين فى (المنيل) ، حيث أقيمت الآن العمارات الكثيرة على التل . . . وكانت الطريقة أن نحدد هدفاً ، ثم نلقى البرتقالة على الهدف ، سواء كان هدفاً متحركاً أو هدفاً ثابتاً ، ثم يسلم لى حسن كامل الشيشينى قنابل ميلز الإنجليزىة ، وقد كانت عملية تجربتها تجرى فى صحراء حلوان ، وتبينت أنها ضعيفة ، وأخبرت حسن كامل الشيشينى بنتيجة التجارب ، فجعافى بمشروع قنبلة جديدة ، وهى عبارة عن علبه من الصلب ثقيل بقلالوظ . وأحضر لى بودرة الديناميت المخلوط ، ثم أحضر لى زجاجة بها حامض كبريتيك مركز . . .

وتوليت صنع القنبلة . . وصنعت عند سمكرى فى (الناضرية) قاعدة من الزنك ، وأحضرتنا كمية من الحديد ، وقطعناها أجزاء لتكون شظايا للقنابل ، ووضعنا قاعدة الشمعة فى قاع العلبه وسحلاً بودرة الديناميت المخلوط ، ثم وضعنا الزجاجة التى فيها حامض الكبريتيك المركز فى قاعدة التهمة لثقل واقفة لا تميل . وخططنا قطع الحديد بالمادة المرقمة ، ثم ألقنا القنبلة . وبدأنا تجربة هذه القنبلة الجديدة . . وصحبني الدكتور أحمد ماهر فى التجربة الأولى : ركبنا قطاراً من محطة البحيزة .

إلى قرية (المانية) ، وعبرنا التل ، وفي مكان يشبه التل وضعت القنبلة في كوز ، وربطنا الكوز بدويارة ، ووضعنا القنبلة في الكوز ، ثم أخذنا الدويارة إلى الناحية الأخرى من التل وركبنا وراء التل ، ليكون فاصلاً بيننا وبين الانفجار ، وجلبنا الدويارة فاقبلب الكوز ، واقلبت معه القنبلة واختلطت المواد ، وحدث الانفجار . . وبعد انتهاء التجربة ، ذهبنا إلى مكان انفجار القنبلة فوجدنا أنها دمرت المكان . . وقال أحمد ماهر : « كويس قوى يا حفي . . نستمر على كده . . » .

ثم جئنا حسن كامل الشيشي وقال : « إن قيادة الجهاز السرى قررت أن تبدأ بالتنفيذ في رئيس الوزراء يوسف وهبه باشا » . وكان عريان سعد عضواً معي في الجهاز ، وقررنا اختيار عريان لهذه العملية بناء على تطوعه وتصميمه أن يقتل قبطي رئيس الوزراء القبطي .

وبدأنا تدريب عريان سعد بالبرققال . . ثم جاء حسن كامل الشيشي بالتحركات الكاملة لرئيس الوزراء ، وشكل سيارته المغلفة ، وهي سيارة سوداء وبالحزب الأسفل منها بلون الخيزران . . ورحبنا الحطة مع عريان سعد كما ذكرها في مذكراته التي سلمها لمصطفى أمين .

• • •

وقد كان عبد اللطيف الصوفاني عضواً في قيادة الجهاز السرى للاغتيالات . . وعرفني حسن كامل الشيشي بالصوفاني . . وكنت أتصل بالصوفاني الذي كان يرتدى العمامة والجلبة والقنطران ، وكان أحمر الوجه ، شديد الحماس ، يملؤه الإيمان والاندياع كلما تحدث في شئون الوطنية المصرية ، وكان الملهم الروحي لي . وفهمت أنه يشترك في عملية التمويل . . وكان يعطيني المبالغ اللازمة للتحركات ، وكان مجموع المبالغ التي أخذتها منه ١٥ جنيهًا ، مرة ، وعشرة جنيهات في مرة أخرى ، وكنا نلاميذ لا نستطيع أن ندفع هذه المبالغ من مصروفاتنا الشخصية . .

ثم اتصل بي حسن كامل الشيشيني وأبلغني أن الجهاز السرى قرر اغتيال إسماعيل سرى باشا وزير الأشغال . . ووشحنا لهذه العملية الدكتور نديم باشا الذى أصبح فيما بعد رئيساً لقسم الطبى فى الجيش المصرى ، وكان يومها طالباً معى فى السنة الثالثة بمدرسة الطب ، ومع حسن توفيق التلميذ فى المدارس الثانوية . . وقمت بتعريف الطالب نديم . . وقام نديم بإلقاء القنبلة هو وحسن توفيق على سيارة إسماعيل سرى باشا فى المنيرة ! .

وانفجرت القنبلة فى السيارة ، وأصيب حسن توفيق بشظية ، ثم بدأت الشبهات تحوم حولى . . وكانت تعليقات الجهاز السرى أنه فى حالة قيام شبهات حول أحد أعضاء الجهاز ، فينبغى أن يختفى من مصر كلية ! .
وحدث أن جاءت شهادة المدرسة بنجاحى من السنة الثالثة إلى الرابعة بمدرسة الطب . . وبعد أيام جاء خطاب من المدرسة يفصل نهائياً من مدرسة الطب ! . . وبالبحث ظهر أن اسمى فى القائمة السوداء ! .

وبدا ترتيب عملية الحرب . . وكان من الصعب أن أحصل على جواز سفر بالطريقة العادية ، ولكن الدكتور على إبراهيم باشا الجراح المعروف رحمه الله (وكان أستاذى فى الجراحة) استطاع أن يحصل على جوازلى ، فقد كان له صديق فى الجوازات ، واتهم فرصة غياب المدير الإنجليزى بالإجازة ، وحصل على جواز باسمى

وخرجت من مصر فى مارس سنة ١٩٢٠ ، حيث أتممت دراسة الطب فى جامعة (فردريك ويلهلم) بيرلين . وحصلت على الدكتوراه فى ديسمبر سنة ١٩٢٣ ، وقبل سفرى سلمنى حسن كامل الشيشيني توصية من أحد أعضاء الجهاز السرى إلى الدكتور

« كورت باولج » في فيينا . وقال حسن كامل الشيشي إنه تقرر أن أدرس المقررات في فيينا عن طريق هذا الشخص . . .

وسافرت إليه فلم أجده . .

. . .

وكان « أحمد عبد الحى كيرة » من دفعنى فى مدرسة الطب ، وكان شخصية غامضة ، وشخصية قوية ، وكان يستطيع التأثير على أى شخص يتكلم معه . . وقد بلغ من غموضه أننى كنت عضواً فى الجهاز السرى ولا أعرف أنه عضو فى الجهاز السرى ممي ! . ولكنى كنت أعرف أنه عامل فى الحركات الهامة فى الجهاز السرى التى تحت الأرض . . وكان العمل يجرى بسرية تامة . . وكان يحدث أن أضطر إلى الاستعانة بزميل من زملائى الذى ليس عضواً فى الجهاز السرى ، ثم تقوم الدنيا وتقع بعد ارتكاب إحدى الحوادث . فلا يفتح واحد منهم فيه . . ومن الذين استعنت بهم الدكتور عبد القادر الدياسطى . والدكتور عبد الفتاح شريف ، وقد كانا زميلين لى فى مدرسة الطب .

وتركت أحمد عبد الحى كيرة . وسافرت ، وإذا بأخى محمود حفى يحتل مكانى فى الجهاز السرى !

وفى سنة ١٩٢٢ وصل عبد الحى كيرة إلى برلين ، ومكث معى يومين . . وعرفت أن أخى محمود حفى قبض عليه فى مؤامرة مع عبد الحى كيرة . . ثم فوجئ « كيرة » فى برلين بأن الحصار يحاول أن يطبق عليه فى الحال ، من التحقيقات البريطانية . . واتصل بنا بعض أصدقائنا بالخارجية الألمانية ، ووضعنا خطة لتحريره إلى خارج الحدود .

وبني أحمد عبد الحمى كيرة لنزاً غامضاً ، إلى أن قتله القنابر البريطانية ! .
وكان أخي محمود حفيّ عضواً في خلية أحمد عبد الحمى كيرة .

دكتور محمد حفيّ

مدير عام التفتيش الفني بالتيابة
بوزارة الصحة سابقاً

خلية عبد الحمى كيرة .. ومحمود النحاس

وببدأ البحث عن خلية أحمد عبد الحمى كيرة !

ونحفي في محاولة حل القنز . . وتحصل على مذكرات محمود خليل النحاس
عضو الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ ، وأحد أعضاء الخلية السرية التي كان يرأسها
أحمد عبد الحمى كيرة ، ومدير التبادل الثقافي بوزارة الإرشاد بعد ذلك .

إنه يكتب صفحة من مذكراته عن « كيرة » يوماً بيوم . . وعن مغامراته المثيرة ،
فيقول :

« كان أحمد عبد الحمى كيرة رئيس خليتنا ، وكانت الخلية مكونة من المرحوم
أحمد توفيق ، الذي أتى القنبلة على حسين درويش باشا ، وشقيقه حسن توفيق
الذي أتى القنبلة على إسماعيل سري باشا ، وإبراهيم نظير الذي أعلم شتقاً في سنة ١٩٢٢ ؛
والمرحوم أحمد خالد ، ومحمود حفيّ الذي أصبح بعد ذلك مستشاراً بمحكمة
الاستئناف ، والدكتور محمد نديم طالب الطب الذي أصبح فيما بعد اللواء محمد نديم

باشا كبير أطباء الجيش المصرى ، والذي اشترك مع أحمد توفيق فى قبلة درويش
باشا

« وكنت تلميذاً فى البكالوريا فى مدرسة الإلمامية ، وكان عمري ١٨ سنة ! . .
كان أحمد عبد الحمى كيرة طالباً فى الطب ، يشغل ذكاء ووطنية ، عيناه براقتان ،
شديد اللتين والاستقامة ، يبدو عليه الغموض ، لا يتكلم كثيراً ، شديد الخطر .
إذا ضرب لك موعداً لا يحدد مكانه ولا وقته ، ولكنك فجأة تجده أمامك ، ثم
يتخفى فجأة . وكان لا يحضر اجتماعات الخلية السرية ، ولكننا نجده معنا ، ومع
تعليمات قيادة الجهاز السرى !

وفات يوم فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢١ جاء كيرة وقال لنا : « الجماعة يقولون
إن محمد بدر الدين بك مراقب الأمن العام ، يدبر الخطة لقبض على الجهاز
السرى للثورة ، وأنا يجب أن نتخلص منه ، لأنه أكبر موظف فى الداخلية يعتمد
عليه الإنجليز فى قمع الثورة بعد نفي سعد زغلول . وأن الجماعة قرروا وجوب
قطعه ! . .

ولم يسأل أحد من هم « الجماعة » ! . لأن تقاليد الخلية السرية ألا تسأل عن
يصدر الأوامر ! . . ثم سألنا كيرة : « من منكم يقوم بالعملية ؟ » . . قلت :
« أنا . . » . وقال محمود حنفى : « وأنا سأراقبه » . وفى نفس اللحظة أخرج
أحمد عبد الحمى كيرة من جيبيه مسدساً أوتوماتيكياً وأعطاه لى . وقال كيرة : « إنه
تقرر أن يتولى المنفذون عملية دراسة دخول وخروج محمد بدر الدين ! »

واختفى كيرة فجأة كما ظهر !

وبدأنا على الفور نتتبع محمد بدر الدين . . وطمنا أنه يقطن فى شارع الدواوين
وهو شارع نويس الآن ، فى منزل يقع بقرب شارع المتديان ، وأنه يخرج كل يوم

من منزله بين التاسعة والعاشر صباحاً ، ويمشى على قدميه إلى وزارة الداخلية التي تبعد بضع دقائق عن بيته . . . وجاء أحمد عبد الحى كيرة وأخطروا بأن الجهاز السرى علم بأن محمد بدر الدين مسلح ، وأنه يحمل مسدساً فى جيب معطفه الأيمن ، وأنه يسير دائماً ويده اليمنى فى جيبه استعداداً لمواجهة أى اعتداء . وأنه حدث قبل ذلك محاولات لاغتياله لم تنجح ، وأنه يعلم أن حياته مهددة .

ودرسنا المنطقة . . ووضحنا الخطة !

واتفق على أن يقف محمود حنفى أمام منزل بدر الدين ، ويراقب خروجه من الباب ، وأن أقف عند زاوية شارع الدواوين ، مع شارع البركة الناصرية . وعند خروج بدر الدين من منزله ، ينحنى محمود حنفى ويربط حذاءه ، وعندئذ أستعد لضربه ، خاصة أنه سيمر على الرصيف الذى أقف عليه . . . وبعد أن يربط محمود حنفى حذاءه ، يستمر فى سيره . أما أنا فأهرب من شارع البركة الناصرية ، فى عدة شوارع ضيقة ومتعرجة فى حوالى عمارة البابلى ، بعد أن أضغ المسدس فى جيبي ، حتى أصل إلى شارع خيرت ، ومنه أمشى إلى سكة الحنفى ، ومنها إلى بركة القليل ، ثم إلى الحلمية حيث أسكن .

وفى يوم الثلاثاء ٣ يناير سنة ١٩٧٢ ذهبنا إلى المكان المحدد لاغتياله واخطرونا . . ولم يخرج بدر الدين ! ويطلب على الظن أنه غير موعد خروجه ، ونخرج مبكراً ؟ وقد بلغ من قدرة التدبير ، أن اتصل أحد أعضاء الخلية بخاتمة محمد بدر الدين وعرف منها كل نظام خروجه ودخوله ومعيشتة ، وساعدنا هذا كثيراً على إعداد خطة الاغتيال . . .

وفى يوم الأربعاء ٤ يناير سنة ١٩٧٢ عدنا إلى المكان مرة أخرى . . ولم نتمكن

من العثور عليه ، فإنه لم يخرج في ذلك اليوم إطلاقاً ! . وكانت حالتنا العصبية متوترة .

وفي يوم الخميس ٥ يناير سنة ١٩٢٢ ذهبنا في الساعة التاسعة صباحاً وانتظرنا في الأمكنة المخصصة لنا . . وفي الساعة العاشرة إلا ربعاً رأيت زميلي محمود حنفي يعطى الإشارة المتفق عليها . وكنت واقفاً والمسدس في يدي داخل السرة ، وقد ربت يدي على صدرى ، واتخذت موقفي في ناصية شارع البركة الناصرية ، وسمعت وقع أقدام بدر الدين وهو يقترب منى . . ثم وصل ، وأصبحت المسافة بيني وبينه حوالى نصف متر ، ونظر إلى نظرة شك . . ولم أتحرك . . وبمجرد أن خطا خطوة بعد أن أدار وجهه أخرجت المسدس بسرعة ، وأطلقت عليه الرصاص في صدره . . فصاح بدر الدين بأعلى صوته : « يا ابن الكلب .. اسكوه ! »

وأُسْرعت أعلو في شارع البركة الناصرية . . وقيل أن أخطو بضع خطوات نعمت طلقاً نارياً ، فقد أطلق بدر الدين الرصاص من مسدسه قبل أن يستقر على الأرض . واستمرت في عدوى في الحواوى المتعرجة ، إلى أن وصلت إلى شارع بحيرت ، ولم يتبعنى أحد ، ولم يحاول أحد أن يقبض على . . ولهذا لم يجد الإنجليز شاهداً واحداً يتقدم ويصفى ، مع أن شارع الدواوين كان مزدحماً بالمارة ! . وعندما وصلت إلى شارع بحيرت توقفت عن العدو ، وسرفت إلى المنزل فدخلت وخلعت ملابسى ، وارتديت ملابس أخرى ، وحملت ملابسى والمسدس إلى منزل زميلنا أحمد خالد بالقاعة . ثم عدت إلى المنزل . .

وأعلنت السلطة البريطانية عن مكافأة قدرها خمسمائة جنيه لمن يرشد عن الجاني ، فلم يتقدم أحد !

وَقَرَّرَ الْجِهَازُ اغْتِيَالَ عَبْدِ الْخَالِقِ ثُرُوتَ بَاشَا !

وبعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث وحدث أحمد عبد الحمى كيرة فجأة في بيتي بالحلمية بشارع علي باشا إبراهيم ، ومثنى باسم الجهاز السرى . ثم قال لي أحمد عبد الحمى كيرة إن قيادة الجهاز السرى للثورة تلقت معلومات مؤكدة بأنه بدأت مفاوضات سرية جداً بين عبد الخالق ثروت باشا والورد أفندي ، وأن الغرض من المفاوضات أن تعلن بريطانيا استقلالاً وهمياً لمصر ، وفي الوقت نفسه تمهد ثروت باشا بأن يكسب خطابات سرية تلغى هذا الاستقلال ، وتطلى بريطانيا نفس الحقوق التي كانت لما قبل إلغاء الحماية البريطانية ! ولذا قررت قيادة الجهاز السرى للثورة قتل عبد الخالق ثروت باشا . . وأنه قرر تكليف محمود حفي بتتفيذ هذه العملية !

وزارني محمود حفي ، وأبلغني أنه صدرت إليه الأوامر بتنفيذ اغتيال ثروت باشا . . واجتمع في عدة مرات ، ندرس خطة الاغتيال . . وأخبرني محمود حفي بأن معه بعض الزملاء في هذه العملية ، وأن من بينهم أشخاصاً جديداً ، سيكون معهم خلية سرية لتنفيذ هذه العملية . وزارني أحمد عبد الحمى كيرة ، وقال لي إنه يوجد مع محمود حفي في خليفته التي ستتخذ اغتيال ثروت باشا شخص اسمه مصطفى فرغل لا يعلمن إليه الجهاز . وقال محمود حفي إنه مطمئن إلى مصطفى فرغل .

وربعت اللحظة بحيث يتم اغتيال ثروت باشا يوم ٢٦ يناير ، عند خروجه من منزله في الدق ، متجهاً إلى اللدبة ، عن طريق الكوبرى الأعلى ، كوبرى الجلام حاليا . وتم الاتفاق على إلقاء حقيّة ملائى بالقنابل على سيارة ثروت باشا . ووزع أحمد عبد الحمى كيرة مسلمات على أعضاء خلية التنفيذ . وأخبرني

كيرة أنه كان يمشى مع مصطفى فرغل وبعض أعضاء خلية التنفيذ ، وفتاة قال مصطفى فرغل : « يظهر أن هناك من يتبعنا ! » قال كيرة : « لو كان هذا صحيحاً فسأضربه بالنار ، هو ومن يعاونه ! » وقال كيرة وهو يرمى هذه الواقعة : « إننى قلت هذا وأخرجت مسلحاً ، لأننى شككت فى هذه اللحظة فى مصطفى فرغل » - وقال مصطفى فرغل : « سأذهب وأرى من هو هذا الرجل الذى يتبعنا ، وسأتحقق من الموضوع بنفسى » .. ثم عاد مصطفى فرغل إلى كيرة ، وقال إنه رجل يبحث عن شارع آخر ! .

وفى يوم التنفيذ .. قبض البوليس على عمود حتى وجميع من معه ، وهم يقفون فى انتظار ثروت باشا فى الأمكة المعلقة فى الحطة ، واستولوا على الأسلحة والقتال التى كانت معهم .

...

وذهب البوليس فى يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٢ إلى مدرسة الطب للقبض على أحمد عبد الحى كيرة ، وفتح كيرة بدخول عدد من الضباط الإنجليز ليقتلوا القبض عليه فى العمل .. وعرف كيرة على الثوران مصطفى فرغل أبلغ البوليس وسرجه مدلهة قال لم : « أنتم تريدون أحمد عبد الحى كيرة ! وأنا لست أحمد عبد الحى كيرة ! » .. وإذا بطلبة المدرسة والمدرسين المصريين يشهدون بأن القبض عليه ليس هو أحمد عبد الحى كيرة ! .. وترك الضباط الإنجليز أحمد عبد الحى كيرة ، وراحوا يفتشون المدرسة عنه ! وفى هذه اللحظة اختفى عبد الحى كيرة !

وفجئت فى نفس اليوم بأن البوليس جاء ليقبض على أ ولم أكن بالمتر .. وترك البوليس أمراى بالتوجه إلى المحافظة فوراً ومقابلة اللواء رسل باشا حكمدار القاهرة شخصياً . وعندما توجهت إلى المحافظة سألت عن رسل باشا ، قيل لى إنه غير موجود مؤقتاً ، وطلبوا منى مقابلة وكيل الحكمدار .. وإذا بوكيل الحكمدار هو

الواء محمد نديم باشا زوج خاتني ! وقال لي : « إيه الحكاية ؟ هل تعرف شخصاً اسمه محمود ختني ؟ » . قلت : « أعرفه لأنه تلميذ ممي في البكالوريا . . . » .
قال الواء نديم باشا : « إنه قبض عليه في مؤامرة محاولة اغتيال ثروت باشا وأنه كان مراقباً ، وأن تقرير البوليس يقول إنه زارك ثلاث مرات قبل الحادث ، وإن آخر مرة كانت قبل الحادث بيوم واحد » . فلججته بأنه زميلي في البكالوريا ، وأنه كثيراً ما يحتاج إلى بعض الكتب والكراريس فيستعيرها مني للمذاكرة ! ، فقال لي نديم باشا : « إنني سأستجوبك الآن رسمياً ، وعليك أن تقرر هذا ، وسأحاول أن أنضف الموضوع » .

وقد تم هذا . . . وحفظ الموضوع !

وتطورت قضية محمود ختني أمام المحكمة العسكرية ، وإذا بشاهد الملك هو فعلا مصطفى فرغل ، كما توقع أحمد عبد الحى كيرة ! وحكم على محمود ختني بالسجن . . . وتمكن في أثناءه من مواصلة دراسته والنجاح في البكالوريا والحقوق .

واختني عبد الحى كيرة من مصر !

وفجأة رأيت أحمد عبد الحى كيرة أمامي من جديد . . . يخطرني بأن قيادة الجهاز السرى قررت أن يختني من مصر ، وأنها وضعت خطة ليسافر إلى إيطاليا عن طريق ليبيا . . . وأنه سيكتب لي باسم مستعار . . .
ثم اختني . . .

وشعرت بأن هناك شبهات ضلبي ! . . . وأنتي مراقب . . . وأن البوليس يتتبعني . . . وصدرت لي تعليمات بأن أختني من مصر ، وحصلت على جواز سفر عادي ، وسافرت إلى ألمانيا في شهر يوليو سنة ١٩٢٢ ، بمجرد انتهاء من امتحان

البكالوريا . ووصلت إلى برلين . . وفوجئت بأحمد عبد الحى كيرة في أحد المطاعم . وكانت مقابلة مثيرة . وورى لى كيرة قصة هروبه من مصر فقال : « لوليت زى الأعراب ، وأطلقت لحيتى : وأدخلت معى ما أحتاج إليه من القود ذعبا . . وتم الاتفاق مع قافلة من الأعراب لتأخذنى من طريق الصحراء إلى ليبيا في مقابل مبلغ معين . . وسارت القافلة من طريق القصيم إلى واحات ليبيا . . وكنت مسلحا ، وتعرف طبعاً أنى أجيد الرماية . . وعرف الأعراب أن معى كيرة من الجنهات النخعية ، فاتفقوا على التخلص منى ، بأن يسوا لى السم فى الطعام ! ولكنى كطبيب شغرت فوراً بأن الطعام مسموم ، فامتنعت عن أكل أى طعام معهم ، واكتفيت بأكل البيض طوال الطريق ، لأننى أعرف أنه الطعام الوحيد الذى لا يستطيعون أن يسوا لى السم فيه !

وفى أحمد عبد الحى كيرة يتكلم : « وصلنا وصلت إلى ليبيا ، وكانت مستعمرة إيطالية ، بدأت أولاً بتعلم اللغة الإيطالية ، ولوليت قبة واسعة مما يرتديه تجار المواشى ، ودخلت فى عمليات بيع وشراء مواشى بين إيطاليا وليبيا وتونس ، مما حتم منفرى إلى إيطاليا لتوريد المواشى ! وكان هذا دفعا لأى شبهة أو شك فى موضوعى . . وسافرت من ليبيا إلى تونس ، ثم إلى إيطاليا .

« ووصلت إلى إيطاليا . . ولم يمض على بضعة أسابيع فى نابول ، إلا وشعرت بأننى مراقب ، وياتملى ببعض أصداقائى من الإيطاليين علمت بأن المخابرات البريطانية قد علمت بأننى سافرت إلى ليبيا ، ومنها إلى إيطاليا ، وأنها بدأت تطلب تسليمى على اعتبار أننى مجرم ! وانتقلت إلى فرنسا ، وإذا بالمخابرات تتلادنى فيها . ونصحنى أصداقائى بأن أغادر فرنسا فوراً ، لأن قراراً سيصدر بتسليمى إلى بريطانيا خليفة فرنسا . . فلم أجد مفرّاً من السفر إلى ألمانيا ، وهى عضو بريطانيا ، وأنها

وإن كانت مغلوقة على أمرها ، فلأنها لن تسلم بسهولة بمطالبة المحابر البريطانية بتسليمي . وكان معي جواز سفر مزور ، تولى الدكتور سيد باشا عملية تزويره في إيطاليا بناء على تعليمات الجهاز السري في مصر .
ثم قال لي أحمد عبد الحى كيرة : « وكما تعلمت الإيطالية بسهولة ، تعلمت اللغة الألمانية بسهولة ، وقد قيد اسمي في جامعة برلين طالبا بكلية الطب للحصول على الدكتوراه » .

وتقابلنا عدة مرات . . وفي يوم من أواخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ قال لي إن الجهاز السري في القاهرة أبلغه ، بطريقة سرية ، أن عبد الحى ثروت باشا رئيس الوزراء ينوى السفر إلى سويسرا ، لحضور مؤتمر لوزان في شهر نوفمبر ، والتصديق على كل ما تنازل عنه تركيا من حقوقها في مصر لصالح بريطانيا . . وأن الجهاز السري في مصر أبلغه تعليمات بضرورة قتل ثروت باشا في لوزان ومنعه من أن يرتكب هذه الجريمة !

وبمقتضى خطة اغتيال ثروت باشا في لوزان . . وتم وضع الخطة على أن أسافر أنا وزميلي حمزة الطالب بالطب في برلين إلى لوزان ، وعند مجيء ثروت باشا نقتله في الفندق أو في أى مكان آخر قرب المؤتمر . . وذهبت مع عبد الحى كيرة واشترينا مسلمين من برلين . . وكانا من أحسن الأسلحة ، وكان ثمن المسدس المستعمل في ألمانيا يومها لا يعدو جنيتها واحدا ! وسافرنا إلى لوزان .

وبقينا زهاء أسبوعين ننتظر ثروت باشا . . وإذا بنا تلقى تعليمات بأن ثروت باشا عدل عن حضور المؤتمر ، عند ما علم بأن سعد زغلول أمر من منفاه في جبل طارق بإخفاد وقد برأسة حسن حبيب باشا إلى لوزان ليقول في المؤتمر إن ثروت باشا لا يتكلم باسم مصر . . فعدنا إلى برلين . . وإذا بي أعلم أن الحكومة الألمانية

خفضت الضغط بريطانيا وأعلنت عبد الحمى كيرة مهلة ٤٨ ساعة لمفاوضة ألمانيا .
وقابلت أحمد عبد الحمى كيرة ، فوجدته قلقاً ، وقال لى إنه قرر الانخفاء من برلين ،
لأنه عرف أن المخابرات تتلارده ، وأنه سيلعب إلى مدينة ميونخ ، ومنها سيقرو
هل يسافر إلى روسيا ، أو يسافر إلى تركيا . .
وبعد قليل اختفى ، وكان يكتب لى من ميونخ باسم مستعار ثم انقطعت عنى
أخباره !

وكنيت قد عرفت أحمد عبد الحمى كيرة فى برلين بصديق أحمد سرمد ، وهو
صديق لى من القاهرة ثم حضر إلى برلين لإجراء عملية بركيته . وكشف أحمد
عبد الحمى كيرة على ركية صديق ، وإذا به يشخص الحالة مثل تشخيص أكبر
أستاذ على فى جراحة العظام ببرلين ، وهو البروفيسور « هيلد براند » ، مع أن كيرة
كان وقتها لا يزال طالباً فى كلية الطب !

وتوطدت بينهما العلاقة . وكان صديق أحمد سرمد يسافر بانتظام إلى
إستانبول ، وبعد عدة سنوات قابلته فى مصر ، فاستغرب أن أحمد عبد الحمى كيرة
أبلغه أن المخابرات البريطانية تتبعه أينما ذهب . . وأنه حدث أن اتصل به بعض
الشرقيين من عملاء المخابرات البريطانية وطلبوا علاقتهم به ، ثم اقترحوا عليه أن
يلعب معهم إلى ميناء إستانبول ليودعوا واحداً منهم كان مسافراً . . وإذا به يكشف
أن المخابرات البريطانية وضعت خطة لاختطافه عند وصوله إلى المركب ، وحينئذ
فى إحدى القنصرت ، وتسليمه إلى السلطات البريطانية فى مصر . .
وتظاهر كيرة بأنه سيلعب إلى الميناء ، ولكنه لم يلعب !

.....

وكانت هذه آخر أخبار تلقيتها من أحمد عبد الحى كيرة ، الرجل الذى كان
أحد أبطال الجهاز السرى فى ثورة ١٩١٩ .

عمود خليل النحاس

مدير التجادل الثقافى

بوزارة الثقافة

• • •

الجهاز السرى يعرف ، قبل أن يعرف الملك !

ويظهر من مذكرات عمود النحاس ، أن أحمد عبد الحى كيرة أبلغ خليلته
السرية أن الجهاز السرى كثرة ١٩١٩ عرف أسرار مفاوضات ثروت مع الإنجليز فى
شهر يناير سنة ١٩٢٢ . . وأن عبد الحى كيرة أبلغ الخلية السرية أنه قرر قتل
ثروت باشا لأن الجهاز عرف أن ثروت سيقيم خطابات سرية تلقى استقلال مصر
الغلى !

والغريب أن الجهاز السرى عرف هذا السر الخطير قبل أن يعرفه الملك بعدة
شهور . . . فقد جاء فى مذكرات الدكتور حسن نشأت التى رواها لنا ما بآتى فى
هذا الموضوع : « كانت وزارة ثروت تتولى المفاوضات سرّاً مع الإنجليز ، ولم
يسطع الإنجليز أن يصلوا إلى حل يرضاه للصريفى نظراً للظيان الشعبى ، والشعور
الوطنى المتأجج فى تلك الأيام ، فاقترح صديق باشا على الإنجليز أن يصلحوا تصريح
٢٨ فبراير من جانب واحد هو بريطانيا .. ورفض الإنجليز ذلك ، لأنه سيفضح حقوقهم
فى مصر ، وأنه ليس هناك من يلتزم بتنفيذ المطالب التى تضمنتها التصريح ، ولخاصة
بالمصالح البريطانية ، فاقنع معهم ثروت وصديق على أن تلتزم الوزارة بتنفيذ هذه
المطالب فى خطابات سرية متبادلة بين الوزارة والحكومة البريطانية ، وقد ظمت

حكومة ثروت يتبادل هذه الخطابات السرية مع اللورد ألكسي المندوب السامي البريطاني ،
 بدون علم الملك فؤاد . . وبعد أن تم الاتفاق وأذيع في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ :
 فرجى الملك فؤاد باللورد ألكسي يزوره ، ودار الحديث حول إعلان تصريح ٢٨ فبراير
 من جانب بريطانيا . وقال اللورد ألكسي للملك فؤاد : « إنك طبعا تعلم بالخطابات
 السرية التي تبادلها ثروت باشا مع الجانب البريطاني ، والتزمت جلالتك بها . . »
 فأبدى الملك فؤاد دهشته وقال إنه لا يعلم شيئا عن هذه الخطابات السرية !

« وبعد خروج اللورد ألكسي استدعى الملك فؤاد ، وكان غاضبا . . وقال إنه
 متضايق جدا من عمل ثروت باشا ، وارتباطه بالإنجليز بخطابات سرية دون علمه ،
 وإنه حائر ماذا يعمل ؟ » .. وقال لى الملك : « أنا أخشى من حكم التاريخ ! أنا
 لا يعينى أى شيء إلا ماسيقوله التاريخ ! لن يصدق الناس أن هذا العمل ارتكبه وزارة
 ثروت بدون علم الملك ! » قلت له : « إن هذا العمل لا يلزم إلا أشخاص الوزراء
 أنفسهم ، وإنه ما دام الاتفاق قد تم دون أن يستكمل إجراءاته الشرعية ، بموافقة
 الملك والبرلمان ، فإن الاتفاق السرى لا يلزم إلا الوزراء الذين التزموا به ويسقط
 بسقوطهم . واقترحت أن تسقط وزارة ثروت ! . . ولكن الإنجليز كانوا يستندون
 تلك الوزارة التي ارتبطت معهم سرى ، ولا يسمحون للملك بإسقاطها !

« وحاول الملك ، بشى الطرق ، أن يخرج الوزارة والوزراء ، على غير جدوى !
 كان لا يدعمهم إلى القصر . كان يتجاهلهم في المناسبات الرسمية . كان يعتمد
 ألا يصافح ثروت باشا رئيس الوزراء في أى حفل رسمى . . وكان من عادة الملك
 أن يودى صلاة الجمعة كل أسبوع في أحد المساجد ، وكان من عادة رئيس الوزراء
 والوزراء أن يقفوا بباب المسجد لاستقبال الملك عند وصوله ، فكان الملك لا يصافح
 رئيس الوزراء والوزراء ، ويصافح من هم أقل منهم منصباً ، لإخراج الوزراء

واشعارهم بغضبهم ، ولكن كل هذه المحاولات لم تفلح في جعل ثروت باشا ووزرائه يستشعرون الحرج ويقبلون الاستقالة !

« وذات يوم ، وكان يوم الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ كما أذكر ، استلمنى الملك فؤاد ، وكان متضامناً جداً من ثروت باشا ، وقال لى : « إن ثروت لا يريد أن يقدم استقالته على رغم الإهانات المتوالية التى أوجهها إلى الوزراء . . وإن الإنجليز يستندون الوزارة إلى أبعد الحدود ، وأنا لا أدري ماذا أصنع ؟ » . . فاقترحت على الملك أن يؤدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر : وكنت أصرف أن الأزهر كان شغلة الوطنية ، وكان ملتبساً لا يحتاج إلى كبريت . . وأن الوزراء لا يحرثون على الظهور فى الأزهر لانتظار الملك كالمعتاد !

« وأبندى الملك فؤاد استحيائه للمكرة ، وطلب منى تنفيذها ، وأن اتصل بثروت باشا وأخبره بذلك . . فذهبت إلى مكنتى بالقصر ، وأسكنت التليفون واتصلت بثروت باشا وأخبرته بأن الملك سيؤدى صلاة الجمعة فى جامع الأزهر . . وأتلفت التليفون فى الحال ، حتى لا أعطى لرئيس الوزراء ذرصة الاعتراض ، وكنت وأنا أفضل ذلك أسمع صياح اعتراضه !

« وذهبى مجلس الوزراء إلى اجتماع جابل لبحث الأمر ، وقرره إسماحيل صدق باشا وبعض الوزراء إلى اللورد ألتنى ، وأخبروه بما يعترهم الملك أن يقوم به ، وأن حسن نشأت هو الذى دبر هذا الموضوع . . واختار الجامع الأزهر بالنات لإحراج الوزارة ، لأن الوزراء لا يحرثون على الذهاب إلى الأزهر ، وقال الوزراء إن هذا العمل موجه ضد الإنجليز ، وطلبوا من اللورد ألتنى أن يتدخل لاختيار مسجد آخر غير الأزهر يؤدى فيه الملك الصلاة . . وكان من صفات اللورد ألتنى أنه عسكري صريح ، قال الوزراء : « إن من تقاليد بريطانيا ألا يتدخل فى المسائل

الدينية ، ومصر بلد إسلامي ، والمملك له أن يصل في أي جامع ، فلا دخل لنا في ذلك ١ . وحاول صدق باشا أن يفتح اللورد ألنبي بأنها ليست مسألة دينية ، ولكنها مسألة سياسية من تدبير حسن نشأت ، وقال له صدق باشا : « إنه يوجد ملكان في القصر ، ملك كبير وملك صغير ، وإن الملك الصغير هو الذي دبر هذا الأمر ضد بريطانيا ، وطلب منه الاتصال بوزارة الخارجية البريطانية ، وإبلاغها بذلك حتى يصدر الأمر بمنع الملك من الصلاة في الأزهر . فأرسل اللورد ألنبي برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية تتضمن رأيه ، ورأى صدق باشا ، وبنى مجلس الوزراء مجتمعاً برياسة ثروت باشا في انتظار رد وزارة الخارجية البريطانية !

« وفي الساعة الواحدة صباحاً وصلت برقية وزارة الخارجية البريطانية إلى لورد ألنبي بأنها تريد وجهة نظره يعلم التدخل في المشاعر الدينية . وأبلغت البرقية فوراً إلى مجلس الوزراء وهو مجتمع في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، فكان وقفا على الوزراء كالتقيلة ، وقررت الوزارة الاستقالة فوراً ، لأن الوزراء لا يمكن أن يواجهوا الشعب في الأزهر ، ولا أن يكونوا يعلمون على حياتهم من الأزهرين والشعب إذا ذهبوا لأداء الصلاة ١ . . وأعلنت الوزارة تعد كتاب استقالتها ، واستمرت في إعداده حتى الساعة الخامسة صباحاً . وفي صباح الأربعاء ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ كان الملك يستقبل قناصل الدول ، وحضر ثروت باشا ، وفي يده ورقة ملفوفة - وليست في مطروف - وكان الملك في تلك اللحظة يستقبل قنصل السويد ، (الذي قتل بعد ذلك ، منذ عامين في الإسكندرية) ، فأقيمت ثروت باشا في مكتبه حتى انتهى الاستقبال ثم استأذنت له في مقابلة الملك ، فأذن له ، وقدم ثروت استقالة الوزارة بدون أن تقال كلمة واحدة من أي من الجانبين ، وعلى الفور

عهد الملك فؤاد إلى توفيق نسيم بتأليف الوزارة .

« وبعد ذلك اتصل الإنجليز بتوفيق نسيم ، لتنفيذ ما تضمنته الخطابات السرية التي التزمت بها وزارة ثروت ، فأخبرهم بأن هذه الالتزامات قد سقطت بسقوط الوزراء الذين تبادلوا هذه الخطابات مع الجانب البريطاني ، وأنها غير ملزمة للوزارة الجديدة قانوناً . . . وحدثت أزمة . وقيل للورد ألنبي إنها مؤامرة من تدير الملك الصغير حسن نشأت ضد الإنجليز . وهنا تقدم لورد ألنبي وطلب من الملك إخراجي من الديوان الملكي . . . وأخفى الملك على الأمر ، ولم يشأن أن يفاتحنى فيه ، ولكنه كان متضيقاً ، وضمت أيام دون أن يرد على اللورد ألنبي ، أو يفقد طلبه ، فصدرت الأوامر إلى أربع بوابج بريطانية بالتحرك من ماطلة إلى الإسكندرية ، وهذا اللورد ألنبي بأن الأسطول البريطانى سيحتل منطقة الجمارك فى الإسكندرية ، وهى المنطقة الوحيدة التى كانت فى أيدي المصريين ، فترجعت إلى الملك والتمست منه إعفائى من العمل فى الديوان الملكى ، فأراد الملك أن يطمئنئى ، فقلت له : « إني لا أقبل أن تضار بلادى من أجل ، وإذا لم توافق جلالتك على إعفائى من العمل فى القصر الملكى فإني أعرف كيف أعمل لحل هذا الأمر . »

« وفهم الملك من كلامى أننى « سأنتحر » ، فوافق على إخراجي من الديوان الملكى ، ولكن الإنجليز أصروا على إخراجي من مصر كلها . »

• • •

هذا ما رواه الدكتور حسن نشأت رئيس الديوان الملكى فى عهد الملك فؤاد عن كيفية خروج وزارة ثروت عام ١٩٢٢

• • •

ولكن المرحوم إبراهيم فتحى باشا وزير الحرية والبحرية فى تلك الأيام . .
 يضيف رواية أخرى ، وكانت هذه الرواية نفسها يرويها جعفر والى باشا وزير
 الأوقاف فى تلك الوزارة ، لأعضاء النادى الأهلى ، الذى كان رئيساً له :
 فى يوم الثلاثاء نفسه الذى اتصل فيه نشأت باشا من القصر برئيس الوزراء عبد الحافظ
 ثروت باشا ، يبلغه أن الملك فؤاد سيؤدى صلاة الجمعة فى الأزهر ، تلقى الوزراء
 جميعاً ظروفاً حكومياً غريباً وجلسوا على مكاتبهم !

وجلس ثروت باشا على مكتبه فى وزارة الداخلية .
 وجلس واصف سمكة باشا على مكتبه فى وزارة المواصلا .
 وجلس مصطفى ماهر باشا على مكتبه فى وزارة المعارف .
 وجلس إبراهيم فتحى باشا على مكتبه فى وزارة الحرية .
 وجلس إسماعيل صدق باشا على مكتبه فى وزارة المالية .
 وجلس جعفر والى باشا على مكتبه فى وزارة الأوقاف .
 وجلس حسين واصف باشا على مكتبه فى وزارة الأشغال .
 وعندما فتح كل وزير الظرف الحكوى الكبير وجد ما يأتى : « إذا ذهبنا إلى
 صلاة الجمعة فى الأزهر فسوف تضربون جميعاً بالرصاص . . »

« اليد السوداء »

وعلى الورقة علامة اليد السوداء المشهورة !
 وكان الوزراء جميعاً يعرفون الكثير عن هذه اليد السوداء . .
 وأثار هذا التهديد غزع الوزراء ، وكانت الاستقالة !

أسطورة في الثورة ، يتحدث عنها الناس !

في مذكرات عريان سعد ، الذي ألقى القنبلة على يوسف وهبه باشا رئيس الوزراء في ثورة ١٩١٩ يقول بالحرف الواحد :

كانت في ثورة ١٩١٩ أسطورة يتحدث عنها الناس ، ويتناقلون أخبارها ، ويتحدثون عن مغامراتها العجيبة . وكانت هذه الأسطورة هي سيد محمد باشا الطالب بمدرسة المعلمين العليا . وكانت السلطة العسكرية البريطانية أمرت في سنة ١٩١٩ بإلقاء القبض على سيد محمد باشا لاشراكه في مؤامرة إلقاء قنبلة على رئيس الوزراء محمد سعيد باشا ! وكانت الإشاعات تتبعه ، والسلطة البريطانية تتبعه هذه الإشاعات . . يشاع أن سيد محمد باشا ظهر فجأة في حي السيدة زينب بالقاهرة وأنه وزع أسلحة وقنابل واختفى . وتسرع قوات البوليس الحربي البريطاني إلى السيد زينب ، وتحاصر شوارعها ، وتهاجم البيوت ، وتفتش كل غرفة بحثا عن الأسطورة ، وإذا بالإشاعة تقول إنه ظهر في الإسكندرية متنكراً في ثوب بحار ، وهنا ينقض الحصار البريطاني عن السيدة زينب ، ويتحرك البوليس الحربي البريطاني في الإسكندرية يفتش البيوت بحثا عن سيد باشا ، فإذا بأخبر من بور سعيد تؤكد أنه ظهر فيها ، وأنه وزع أسلحة وقنابل ! ويشهد أشخاص بأنهم رأوه فعلا متنكرا في زي ضابط بالجيش البريطاني ، فيقوم البوليس الحربي البريطاني في بور سعيد ، وينطلق بحثا عن سيد محمد باشا في كل بيت ، وفي كل غرفة . . فلا يعثر له على أثر !

عريان يوسف سعد

فأما قصة هذه الأسطورة !

من هو سيد محمد باشا الذى كان الشعب يتحدث عن مغامراته فى ثورة ١٩١٩ ؟ إننى تلقيت الخطاب التالى من الدكتور سيد باشا المدير العام بوزارة التربية والتعليم سابقا .

« عزيزى مصطفى أمين

تحية طيبة وبعد . فإنك تبحث عن أحمد عبد الحى كيرة أحد أبطال الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ . وقد يدهشك أن تعلم أن والدك المرحوم أمين يوسف هو الذى أدخلنى فى الجهاز السرى للثورة ، وأنتى أنا الذى أدخلت أحمد عبد الحى كيرة ، فى ذلك الجهاز السرى . لذلك أرسل لك فصلا من مذكراتى السرية ، أرجو أن يفيء شيئا من النور فى سر هذا الجهاز العجيب !

المخلص

سيد محمد باشا

المدير العام بوزارة

التربية والتعليم سابقا

والى أنتهى قليلا ، وأترك للدكتور سيد محمد باشا ، أن يروى فى مذكراته شيئا جديداً عن تكوين هذا الجهاز :

« كنت طالبا بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ سرى همس عجيب فى المدينة ، أن سعد زغلول ذهب إلى دار الحماية مع زميله على شعراوى وعبد العزيز فهمى ، وطلب من السير ونجت نائب ملك الإنجليز ، الاستقلال التام ، باسم الشعب المصرى !

واهتر كل واحد منا لهذا النبأ الخطير . . وذهبت إلى بيت سعد زغلول أسمع

فأخبر ما حدث . وقابلني هناك الأستاذ أمين يوسف الحاي ، وسلمني نص
المحادثة التي حدثت بين سعد وزملائه ونائب ملك إنجلترا ، لأذيعها بين الناس .
ثم قابلني مرة أخرى وقال لي إن الإنجليز يقولون إن سعد باشا لا يمثل أحدا ، وإن
الشعب لا يريد الاستقلال ، وإنه لهذا تقرر أن يوقع الشعب كله توكيلا لسعد زغلول .
وزملائه للمطالبة بالاستقلال التام . . وإنه طبع حذراً ضحفاً من هذه التوكيلات
ليوقعها الشعب بأجمعه .

إمضاءات كل الشعب !

وأعطاني « توكيلات » ليوثقها الطلبة ، مفوضين سعداً وزملاءه للمطالبة بالاستقلال
التام . وحصلت على توقيعات زملائي الطلبة . . وهدت إلى بيت سعد زغلول .
فأعطاني أمين يوسف توكيلات جديدة . . وتكرر هذا عدة مرات ! إن المطالبين
توقيع كل رجل وامرأة ! الذين يعرفون يوقعون بإمضاءاتهم . . والذين لا يعرفون
يختون أو يصبون بأصابعهم !

* * *

وهنا تقطع مذكرات الدكتور سيد باشا لزوى ما حدث في هذه التوكيلات .
كان الكولونيل « ب . ج ألجود » أحد كبار ضباط المخابرات بالبحر الأبيض المتوسط ،
وكان قد حضر ثورة ١٩١٩ ، ونشر مذكراته في كتاب بعنوان « مصر في فترة
الانتقال » المطبوع في مطبعة أرنولد بلندن عام ١٩٢٨ . قال الكولونيل ألجود في
مذكراته صفحة ٢٣٦ :

« كانت مصر مسكرة بالجناس ! جميع المصريين عراض توكيل سعد زغلول .

خسوها إلى بعضها البعض . بعد مضي أسبوع على وجه التقريب من اليوم الذى وزع فيه سعد زغلول هذه التوكيلات كان تحت يده ما يزيد على مليون عريضة ، وكان متوسط عدد الإضاءات التى تحملها كل عريضة حوالى عشرة إضاءات . كان اسم سعد زغلول على شفاه جميع الرجال . كان انتخابه زعيما نتيجة حتمية . وبناء عليه فقد أصبح هناك حزب واحد وبرنامج واحد . . .

انتهى ما كتبه الكولونيل ألبود فى مذكراته ، ونعود إلى استئناف مذكرات سيد محمد باشا الذى قال :

« وتكررت مقابلى لأمين يوسف . وذات يوم . . قال لى الأستاذ أمين يوسف ، وقد كان يقيم يومئذ مع سعد زغلول فى بيته ، وهو زوج ابنة شقيقته ، ووالد مصطفى أمين وعلى أمين ، إن قيادة الثورة اختارتنى للعمل فى جهازها السرى ! . فرجبت . ولم أسأل عن أى شئ : عن هى هذه القيادة ؟ مع من سأشتغل ؟ ما هى مهمتى ؟ ولكنى فهمت من الكلام أنها مهمة خطيرة « تحت الأرض » ! . . وبعد فترة . قابلنى أمين يوسف فى بيت سعد زغلول ، وانتحى بى وقال إن قيادة الثورة قررت تأليف لجنة سرية لطلبة المدارس العليا ، تعمل « تحت الأرض » ، بسبب ظروف الأحكام العرفية وطنيان السلطة العسكرية البريطانية ، وإن هذه اللجنة تتألف من طلبة مؤثوق بهم فقط ، وأن تختار من كل مدرسة مندوبين اثنين فقط . وقال أمين يوسف إن مهمة اللجنة السرية هى : أولا : توزيع المنشورات وطبعا . ثانيا : عمل البيانات . ثالثا : إصدار جرائد سرية لأن الجرائد لن تنشر شيئا عن الثورة بسبب الرقابة والأحكام العرفية . رابعا : تنظيم الإضرابات خامسا : مقاومة أعداء الثورة . سادسا : تأليف فروع لهذه اللجنة بنفس نظامها فى القاهرة - فى الأقاليم ، وأن يكون العمل تحت الأرض أيضا . ويجب أن يعلم أعضاء

الخلايا أن مهمتهم خطيرة ، قد تؤدي إلى الإعدام ! . . . ساجعا : عمل شبكة اتصالات بين اللجان الفرعية ، بحيث يمكن وصول تعليمات القيادة إليها في أسرع وقت ، في أى مكان . ثامنا : تنبثق من لجنة القاهرة خلايا صغيرة لا تزيد على اثنتين ، تكلف كل خلية بعمل واحد من الأعمال المتقدم ذكرها لضمان السرية التامة . ثاسعا : أن قيادة الثورة اختارتك أنت لتكون مسئولاً عن هذه العملية ، وتتخذها على مسئوليتك .

وأفهمنى أمين يوسف أن مهمته تسمى هنا ، وأن شخصا آخر غير سينصل بي ويبلغنى باقى التعليمات . وعلى الفور بدأت فى تأليف هذه اللجنة . . . واخترت عن مدرسة للاحمين العليا أنا وزميلى محمود عوضين طه ، وعن الجامعة الأهلية يوسف العيد وحسن الحلالى . . . وكنا نعمل ليلا ونهاراً . . . وألفت اللجنة خلية منى أنا ويوسف العيد لعملية الاتصال بمندوبى الأرياف لتوصيل منشورات وبيانات سعد زغلول . . . واستأجرنا غرفة فى (بركة القيل) لنطبع فيها الجريدة السرية . . . وأمكن تأليف لجان للطلبة فى كل مدينة فى القطر كله من القاهرة إلى أسوان . . . وأصبح للطلبة شبكة « تحت الأرض » يمكن نقل التعليمات والمنشورات إليها فى وقت قصير . وفى الوقت نفسه كانت تتألف لجان فوق الأرض فى كل قرية ومدينة وإقليم للقيام بالعمل العلنى . وكانت ساعة الصفر المحددة للانفجار هى الساعة التى يتخذ فيها الإنجليز إجراء ضد سعد زغلول !

التنظيم . . !

وهنا تقطع مذكرات الدكتور سليم باشا ، لننتقل إلى مذكرات لورد جورج لزيد المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الذى اطلع على الوثائق التى حصل عليها

الإنجليز في تلك الفترة. إنه يقول في صفحة ٢٨٤ من الجزء الثاني من مذكراته :
 « أثناء عام ١٩١٨ عمل سعد زغلول بلا كلال أو ملل ، للحصول على تكوين
 قوى موحدة من المصريين المتعلمين . . . نجح في ذلك إلى حد بعيد . للرجة أن
 سعد زغلول ، غير المقيد بقيود المنصب ، انتهز انهماك مجلس الوزراء المصري في
 عمله ، وكان مجلس الوزراء متعاوناً تعاوناً وثيقاً مع السلطات البريطانية والمذنية . .
 انتهز سعد زغلول هذه الفرصة ، فقد كان مطلق اليد في تعبئة الرأي العام نفسه
 والارتباط به »

وفي الصفحات من ٢٨٧-٢٩٥ يقول لورد لويد : « ترك المجال مفتوحاً أمام سعد
 زغلول . أخذ يعمل بكل طاقته ، وبكل عزم وتصميم على تصميم مركزه . . كان
 صلباً في مطالبه ، نشيطاً في جهوده لتكثيل الشعب ، بدأ فوراً في تطوير
 حملته . شكل اللجان في جميع الأقاليم . نظم الاجتماعات في جميع أنحاء مصر .
 جمع التوقيعات بالجملة بتوكيل سعد وزملائه ومنحهم سلطة العمل باسم شعب
 مصر . . ولم تلمس السلطات الإنجليزية ما يجري . كان الموقف يتطور بسرعة
 كبيرة . اقترب الموقف من درجة الغليان . . دعاية سعد زغلول تعمل في الظاهر
 طبقاً للقواعد القانونية والدستورية ، وفي الخفاء تعمل بمنتهى الخطورة على إثارة
 اضطرابات عامة . . . وقبل أسبوعين من قيام الاضطرابات كتب « سير ميلين
 شيتهم » ، المندوب السامي البريطاني ، إلى لورد كيرزون وزير الخارجية يقول :
 « إن الهياج الذي نظمته الزعماء الوطنيين بدأت تخذل ناره ، وبدأت حركته . . »

• • •

وفي صفحة ٢٠٧ يقول لورد لويد في الجزء الأول من مذكراته :
 « جاءت الأيام الأولى من شهر مارس : مصر تغلي بالثورة . للسلطات

البريطانية بدأت تدرك أن الموقف لا يخلو من الخطر . . تقرر كبح سعد زغلول . كانت كل عناصر الانتقار مكتملة ، لا ينقصها إلا إشارة تشعلها . . كانت الإشارة على وشك الاشتعال . . أمرت السلطات البريطانية باعتقال سعد زغلول . انفجرت النار في الوثود . . كان الطلبة أول من ثاروا . في صباح يوم ٩ مارس انتشر الطلبة فجأة في الشوارع حاملين شعلة الاضطرابات حثيا حثوا . وقعت أعمال التخريب في مساء اليوم نفسه . الجماهير المتمردة تدمر الممتلكات . الموقف يزداد سوءا . . اضطرابات في كل مكان . اندلعت الثورة في الأقاليم . اصطدامات في كل مكان بين الجيش البريطاني والشعب . . وانتشرت الثورة فجأة في مصر كلها . . واضطر الإنجليز إلى الخضوع ، وأفرجوا عن سعد زغلول وزملائه المنفيين في مالطة .

الحياة !

وتترك مذكرات لورد لويد المندوب السامي البريطاني ونعود من جديد إلى مذكرات الدكتور سيد محمد باشا عضو الجهاز السري لثورة ١٩١٩ : « أفرج الإنجليز عن سعد زغلول ، وسافر من مالطة إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح . وفوجئنا بأن محمد سعيد باشا تولى الحكم ، مخالفاً قرار سعد زغلول بأنه لا يجوز لمصرى أن يتولى الحكم في ظل الحماية . . وفوجئنا بأن سبعة من المصريين قبلوا الاشتراك مع الحكم ، والحماية البريطانية لا تزال موجودة ، والجيش الإنجليزي لا يزال يحتل أرضنا . . وعدنا إلى مهمة لجنة الطلبة . . فوجدنا أن البنتم الخامس من أهدافها هو مقاومة أعداء الثورة . إننا قاومناهم بالمشورات وبالبيانات ، وبالاضطرابات ، وبالجرائد السرية ولكننا لم نقتلهم من مقاعدهم . . وفكرت أنا

ويوسف العبد في أن « مقاومة أعداء الثورة » تدخل تحتها عملية ضرب بالقنابل والرصاص !

وبحثنا من أين نجيء بالقنابل والرصاص ! إن أمين يوسف عندما أبلغني تعليمات الثورة قال إنه يجب أن نعتمد على أنفسنا ، وأن يتولى الطلبة الصرف على العملية من جيوبهم ، حتى يشعر القامسون بالعمل أنها عمليتهم هم ، وأنها ليست عملية من فوق . وكنا نحرم أنفسنا من الضروريات لنشتري الورق والحبر الذي نطبع به المنشورات ، ونضع مصاريق الاتصالات بين المديرات . . . وقال يوسف العبد إنه يعرف شاونسا إنجليزياً في الجيش البريطاني ، فاتصلنا به وطلبنا منه أن يشتري لنا مسلحاً ! وإذا بالشاويش الإنجليزي يعرض علينا أن يبيع هو مسلحه لنا بمجنيهين ! وأصبحت الثورة تملك مسلحاً واحداً !

وفي أوائل أبريل سنة ١٩١٩ قامت أحمد عبد الحى كيرة الطالب بمدرسة الطب في أن ينضم إلى الخلية ، وكنا نقيم قبل الثورة في بيت واحد في البغالة ثم انتقلت أنا إلى سكة عيد الرحمن في الخلية ، وبقي كيرة في البغالة . . . وعرضت الفكرة على كيرة فرحب بها على الفور . وفتح يوسف العبد صديقه حسن مسلم الطالب في المنصة . وبدأنا نفكر في أن نزيد عدد أسلحة الخلية ، ولكن من أين التمويل ، وذهبت أنا ويوسف العبد إلى عبد اللطيف بك الصوفاني عضو الجمعية التشريعية وعرضنا عليه الفكرة وقلنا له إنك بصفتك من الأعيان تستطيع أن تجمع تبرعات لعمل منشورات ، وتعطينا القلوس ، ووافق عبد اللطيف الصوفاني ، وأعطانا عشرة جنيهات ، وذهبنا إلى الشاويش الإنجليزي وأعطيناه خمسة جنيهات ، وطلبنا أن يشتري لنا قنابل ومسلحات !

وبعد يومين جاءنا الشاويش الإنجليزي بمسلس وثبيلتين بخمسة جنيهات . . .

ثم أعطيتاه خمسة جنيهات أخرى . . وجاء بمسلمين وقبيلتين ! وأصبحت ترمانة الخلية السرية فيها أربعة مسلمات ، و٤ قنابل ! ! وجربنا القنابل فوجدنا أنها لا تنفع لعمليتنا . وفكرت أنا وأحمد عبد الحى كيرة أن نقوم نحن بصنع القنابل بأنفسنا ! وكنت أنا طالباً بالقسم العلمى بالمعلمين ، وكان عبد الحى طالباً بمدرسة الطب . وأحضرنا كتاباً عن الكيمياء . . وقرأناه فلم نجد فيه شيئاً عن القنابل ! ولكن وجدنا فى الهامش اسم كتاب باللغة الإنجليزية عن المفرقعات ! . وطلبت من الطالب محمد على ، زميلى فى مدرسة المعلمين أن يستعير هذا الكتاب من دار الكتب ، وأحضر الكتاب . ورحت مع كيرة لندرسه . . واختارنا نوعاً من القنابل . . وهو يتكون من مسحوق بكريك أسيد وكلورات پوتاسيوم ، ويعصب عليهما عند الضرب حامض الكبريتيك . وقال أحمد عبد الحى كيرة إنه سيسرق لنا الأحماض من معمل مدرسة الطب ، وفعلنا أحضرنا لترًا ونصف لتر من هذه الأحماض . ووجدنا أن بلورات بكريك أسيد تستعمل فى صباغة الحرير باللون الأصفر . ولكيلا نلقت النظر توليت أنا ويوسف الدبد شراءها من (مصايغ) صغيرة فى حى الجمالية . أما كلورات البوتاسيوم فاشتريناها من معمل أدوية بشازع نوبار ، (شارع الجمهورية الآن) . . وكان المفروض أن يوضع حامض الكبريتيك فى أنبوبة مرتفعة توضع فى نهاية جسم القنبلة ، فاشترينا زجاجات عطر خالية من عمل صغير فى التريفة . . وأصبحنا نملك جميع المواد التى تصنع منها القنبلة ! ولكن ليس عندنا جسم القنبلة !

وبدأنا نبحث عن حذاوين للقيام بهذه العملية . ومعنا أن الجهاز السرى للثورة ألف تنظيمًا سرّيًا للعصا ، وأن محمد عثمان الطوبجى ، وهو جزيمى ، يتولى الإشراف على هذا التنظيم . واتصلنا به ، وسألناه هل يستطيع أن يجد بين

عمال العنابر شخصا يوثق به ليصنع لنا جسم القنبلة . فاحضر لنا في اليوم التالي اثنين من أعضاء الجهاز السرى للعمال ، أولهما هو الشيخ أحمد جاد الله العامل بالعنابر ، والذي سلمه سعد زغلول مذكراته كما جاء في الحلقات السابقة ، والذي كان متهمًا بعد ذلك في قضية الاغتيالات مع ماهر والقراشي . وثانيهما هو إبراهيم موسى الدامل بالعنابر ، وهو الذي أعلم بعد ذلك بست سنوات في حادث السردار . ووضحنا للشيخ جاد الله وإبراهيم موسى تصميم جسم القنبلة المطلوب . وكان للقروض أن يكون جسم القنبلة من حديد الزهر ، فلم يجدوا مادة كافية من حديد الزهر ، في مكان لا يلفت النظر . . ووجدوا أنه من الممكن الحصول على ذلك ، يحل محل الحديد الزهر .

وصنع الشيخ جاد الله وإبراهيم موسى قنبلتين . وعبأنا القنبلتين ، أنا وأحمد عبد الحى كبيرة ، وقررنا أن نجربهما . . ولكن أين نقوم بهذه التجربة ؟ ! واقترح يوسف العبد أن نذهب إلى قريته « شبرا النملة » وقال إن فيها أماكن صحيحة يمكن عمل تجربة فيها ولا يشعر بها أحد ! . . ووصلنا إلى شبرا النملة . . ورأينا فيها مزارع القطن والقمح ، واستبعدنا مزارع القطن لأن شجرة القطن قصيرة ولا يمكن أن نخفى فيها ، وفضلنا مزارع القمح لأنها طويلة . . ولكن خشينا أنه إذا حدث الانفجار قد يحمي أحد من الفلاحين فيرانا وسط القمح . . وخطر ببالنا أن نصعد جميعا فوق شجرة عالية ، فإذا ألقينا القنبلة ، وأحدثت صوتا ، ونظر الناس إلى ناحية الانفجار لم يروا شيئا ! وصعدنا فوق الشجرة ، وألقينا القنبلة ، فأحدثت انفجارا ونجحت التجربة . ولم نستلفت نظر أحد ، ولكن نسينا أن الزنك ليس وقودا للقتل !

موعد عند ترزى !

وعدنا إلى القاهرة ، فإذا بالنقراشى يرسل لى أن أقابله على الفور أنا ويوسف العبد فى محل ترزى اسمه محمد توفيق ، فى حارة زغيب ، وهى بين شارع قصر النيل وشارع عبد الحالى ثروت . . وكان النقراشى هو الذى اتصل بنا قبل ذلك ، وكان مكلفا بمسئولية جريدة (المصرى الحر) وهى الجريدة السرية التى كنت أطبعها أنا ويوسف العبد . وذهبت مع يوسف العبد لى الترزى الذى حددته النقراشى ، فوجدته هناك ، ووجدت معه رجلين لا أعرفهما . . وأخفى النقراشى فى جانب من محل الترزى ، وقال لى : تفكر لو فكرنا أننا نقوم بمحاوالت اغتيالات . . هل يوجد فى الطلبة من يقوم بها ؟ . قلت : « أنا ويوسف العبد ! » . وقصصت على النقراشى التجربة التى قمنا بها مع « كيرة » ، وننتجتها . وطلب النقراشى وصفا للقبلة ، ورسمت له الوصف ، وسلمته له . والتفت النقراشى إلى الشخصين المجهولين وقال : « ده فيه ناس جاهزين ومستعدين ! »

وقلمنا إليهما . . فإذا بهما الدكتور أحمد ماهر ، وحسن كامل الشيشى . . وأخرج حسن كامل الشيشى مصحفا من جيبه وقال : إذن نقسم على المصحف بأن هذه المسائل السرية لا يبرح أحد بها ، وأن من يكشف أمره ، لا يقول إلا بعن نفسه !

وأقسمنا اليمين !

ولم يكن الترزى الذى اجتمعنا فى محله موجوداً معنا ، كان قد دخل إلى الغرفة التى بها العمال الذين يحكيكون البلالات ، وعرفت بعد ذلك أن الترزى محمد توفيق

هو عضو في الجهاز السرى أيضا ، ولكن في قسم توزيع المنشورات ، ولا يعرف
 شيئا عن الاغتيالات ! .. سألتى النقراشى : « أنتم صرتم .. ؟ » قلت :
 « نعم .. » قال النقراشى : « كم .. ؟ » .. فأخبرته .. فأراد أن يعطينى المبلغ
 قلت : « إننا أخذناه من شخص آخر » .. قال النقراشى : « من ؟ » ..
 قلت : « لا بد أن أستاذنه .. هل لديك مانع أن أقول له على أسمائكم ؟ » .. قال
 النقراشى : « قل اسمى أنا فقط ، ولا تقل الأسماء الباقية .. » .. وابتداء من اليوم ستولى
 نحن التمويل .. » .. وذهبت أنا ويوسف العبد إلى عبد اللطيف الصوفانى وأخبرناه بما
 قال النقراشى . فقال الصوفانى : « سأتصل بالنقراشى مباشرة » !
 وطلبنا من الحاج أحمد جاد الله أن يصنع لنا عشر قنابل ، وأن يصنعها على
 الفور ، بالاشتراك مع الخلية السرية للعمال . وأحضر الحاج أحمد جاد الله نجارا
 من الخلية السرية ، فبنى غبى فى الغرفة التى استأجرناها فى بركة القيل ..

على بركة الله !

ثم جاءنا أمر بالتنفيذ فى محمد سعيد باشا رئيس الوزراء ! وكانت صيغة الأمر
 هى أن النقراشى قال لنا : « على بركة الله .. » فقد وا فى محمد سعيد باشا رئيس
 الوزراء !

واختبرت أنا لإلقاء القنبلة على رئيس الوزراء . واختير يوسف العبد ،
 ليتولى إعطاء الإشارة . وبدأ الجهاز السرى يضع تقريراً عن تقلبات رئيس الوزراء
 ومواعيده ، والشوارع التى يمر بها ! .. وبدأنا الاستعداد لإلقاء أول قنبلة فى
 الثورة ! .. وقبل موعد التنفيذ بأربع وعشرين ساعة جاءنى أحمد عبد الحمى كبرى
 وقال : « حدث تغيير فى الخطة .. أنت لن تتولى التنفيذ ، ستولى عملية الإشارة

فقط ، وستتولى التنفيذ شخص آخر . فسألته : « من هو ؟ » . قال : « عبد الحميد المنسوري » . قلت : « وهل هو مستعد ؟ » . قال أحمد عبد الحى كيرة : « نعم ، ونجح فى الاختبار . . »

وفى ليلة التنفيذ أحضرت القنبلة ، وذهبت إليه فى بيته ، وعلمته كيف يقوم بالعملية . وكانت الخطوة هى : سيارة محمد سعيد باشا ستجىء من نادى محمد على مخدرة شارع سليمان وتمر فى ميدان الإسماعيلية الذى هو ميدان التحرير الآن . تتجه السيارة فى طريقها إلى شارع قصر العيني . ثم إلى شارع الشيخ ربحان إلى مكتب محمد سعيد باشا بوزارة الداخلية . يجلس عبد الحميد المنسوري على قهوة فى الميدان فى محل تشغله أجزاخانة ونلسور الآن . السيارة ستصل إلى المكاد المحدد حوالى الساعة العاشرة والنصف . الإشارة التى أقوم بها هى أن أخرج من جيبي منديلا أبيض وأمسح به وجهي ثم أضع المنديل فى جيبي ، وأمشي !

وحل الموعد ولم تحضر السيارة ! . . ومرت دقائق ولم تحضر السيارة ! . . ورأيت أن أذهب إلى نادى محمد على لأعرف ماذا حدث لرئيس الوزراء ، فلم أجِد سيارة رئيس الوزراء ، وعدت إلى ميدان الإسماعيلية - التحرير الآن - لأرى زميلي وأخبره بالتأجيل . وإذا بي أرى البوليس والمخبرين يحيطون به !
وانخفضت على الفور . .

وارتديت ملابس بلدية ، واتجهت إلى بيت صديق لى . . واتصل بى بالجهاز السرى على الفور وأخبرنى أن زميلي المنسوري اضطر للاعتراف تحت تعذيب الإنجليز ، وأنه ذكر اسمي ، وذكر اسم أحمد عبد الحى كيرة . وقبض الإنجليز على أحمد عبد الحى كيرة . . وهكذا قتلنا فى إلقاء أول قنبلة فى الثورة !

وتنكرت في الزى البلدى وسافرت إلى قرية (شرباص) ، وأبلغت أهلى في قرية (كفر الشناوى) مركز فارسكور أننى بحير . . وبعد بضعة أيام عدت إلى القاهرة ، وأمضيت الليل في الغرفة التى استأجرتها في بركة القيل لتكون مخزناً للقنابا . وهكذا نمت تلك الليلة مع عشرين قبلة !

ثم استأجرت غرفة أخرى قريبة من بركة القيل ، وتنكرت في زى شيخ معمم ، وغيرت معالم وجهى ! واتصلت بالجهاز السرى على الفور . وبدأنا العمل . .

العمال في المعركة !

وقابلنى الحاج أحمد جاد الله أحد زعماء العمال في الجهاز السرى وقال لى : « لماذا لا تشركون العمال في العملية ؟ لا يكفيننا أن نصنع القنابل . . نريد أن نضرب أيضا ! » . قلت : « لا مانع . . » . وعرض الحاج أحمد جاد الله فكرته علينا : « نحن العمال نأخذ قسم الكفار (أى الإنجليز) وأنتم تأخذون الخونة من المصريين ! »

واتفقنا على هذه القسمة ، وسلمنا الحاج أحمد جاد الله مسليين ! وكان لا يمر أسبوع إلا ويقتل الجهاز السرى للعمال ثلاثة من الجنود الإنجليز ! واختار العمال لهذه العملية منطقة الدراسة ، والحوض المرصود .

مكان الاجتماعات

واتخذت جميع الاحتياجات اللازمة حتى لا أقع في يد البوليس البريطانى . . . فقد وزعت صورتي على جميع البلاد ولم أكن أخرج من غيبي إلا بعد المغرب . . . ورتبت الاجتماعات كالتالى : اجتمع بيوسف العبد في جامع مصطفى فاضل بجوار

مدرسة المعلمين في صلاة العشاء . ويتصل يوسف العبد بالتقراشي . وأجتمع بالطويحي صانع الأحذية والمسئول عن جهاز العمال السري في جامع صغير بميدان باب الخلق بعد العشاء . وأجتمع بأحمد عبد الحمى كيرة ، وقد أفرج عنه بعد اعتقاله بشهور . في جامع عابدين . وكان يوسف العبد يقابل التقراشي في مكان قريب من مدرسة الهياثم .

• • •

واستطاع الجهاز السري أن يحصل على صور جميع المخبرين اللذين يعملون مع البوليس الإنجليزي والسلطة العسكرية البريطانية . واستطاعنا أن نعرفهم جميعاً . وأن نراقبهم جميعاً ! وكان الفضل في ذلك لأحد ضباط البوليس المصريين في وزارة الداخلية . وقمنا بعدة عمليات . ونجحت عمليات القنابل على طول الخط . وكنت أقتل في كل مكان ، أوزع القنابل والمسدسات على الخلايا السرية .

تحذير !

وفي أواخر يناير سنة ١٩٢٠ جامني يوسف العبد وقال : إن الجهاز السري حصل على معلومات بأن الحلقة بدأت تضيق عليك ، وأنهم سوف يستطيعون القبض عليك بين يوم وآخر . وأن الجهاز السري وضع قاعدة ، فإنه في حالة ما إذا بدأت الحلقة تضيق على أي فرد من أفرادها ، فيجب أن يختفي من مصر تماماً ، وأن يحل مكانه شخص جديد . وأنه لهذا تقرر وضع خطة لتزويجي إلى الخارج ، وأنه سيكون لي هناك مهمة سأخطر بها عند وصولي . واشترك في عملية التهريب أحمد عبد الحمى كيرة ويوسف العبد وأحمد زكي فهمي . وتم الاتفاق مع رئيس بحارة الباخرة سردينيا الإيطالية ، واسمه « ألبرتو نسترومو » ، وهو إيطالي . وطلب رئيس

البحارة مائة جنيه ذهباً لهذه العملية . . . وقلت ليلاً إلى السفينة الراسية في ميناء الإسكندرية ، وأمضيت الليل في غرفة المهفات . وعندما وصلت إلى ميناء جنوه اكتشفت أنه ينقصني جواز سفر ! وقال رئيس البحارة إن مهمته تنتهى عند وصولي إلى الميناء ، وإن مهمة التزول إلى الميناء هي مهتي وحدي ! . . . ورأيت ضابطين من البوليس الإيطالي واقفين على سلم الباخرة يفحصان الجوازات . . . واستطعت بسرعة أن أفهم كل واحد منهما ، أن زميله رأى جواز سفرى !

تزوير الجوازات !

واستطعت أن أخرج من الميناء ! ولكنى قابلت مشكلة : لا بد لى نعيش فى إيطاليا أن تحصل على جواز سفر ! ولا تستطيع أن تقيم فى فندق إلا إذا قدمت جواز السفر . . .

وأسرعت إلى بوليس المدينة ، وقلت إن محفظتى وفيها جواز سفرى نشت من جيبى ! وأعطانى البوليس ورقة حتى يحىء لى جواز سفر من القاهرة ! ثم استطعت بطريقة ما أن أحصل على جواز سفر تركى ! وبعد فترة تلقيت رسالة من القاهرة من الجهاز السرى أنهم يريدون تهريب أحمد عبد الحى كيرة من مصر ، لأن أمره انكشف ! وأرسلت إليهم أن الصعوبة فى الجواز ، وأنى اكتشفت أن الزنكوغراف متقدم جداً فى إيطاليا ، وأنى اتفقت مع محل زنكوغراف فى إيطاليا ليقوم بتزوير ما نريده من جوازات السفر للأشخاص الذين يرغب الجهاز السرى فى تهريبهم إلى الخارج ! . . . وأن كل المطلوب منهم أن يرسولوا لى جواز سفر أى شخص مصرى عادى ، ثم صورة الشخص المطلوب تهريبه ، فأعيد لهم الجواز كاملاً باسم عضو الجهاز السرى المطلوب !

مطلوب تهريب « كيرة »

وتلقيت رسالة من يوسف العبد عضو الجهاز السرى فى القاهرة تقول :
 « انكشفت مؤامرة اغتيال عبد الحالى ثروت . أمرت السلطة البريطانية بالقبض
 على أحمد عبد الحى كيرة . اختفى كيرة . . تقرر ضرورة خروج كيرة من
 مصر كلها لأنهم ضيقوا الحناق عليه . ضع خطة تهريبه من عندك بسبب الرقابة
 الشديدة . »

• • •

وأرسلت رسالة إلى يوسف العبد أقول فيها : « أرسل پاسپورت باسم أى
 شخص ومعه صورة " كيرة " . » وأرسل يوسف العبد پاسپورت المطلوب مع رئيس
 البحارة « نوسترومو » . وأرسلت مع « نوسترومو » جواز السفر كاملاً بعد أن تم
 تزويره !

ووصل عبد الحى كيرة إلى إيطاليا فى أواخر فبراير سنة ١٩٢٢ بجواز السفر
 المزيف ، وقال لى إنه طورد من السلطات البريطانية مطاردة عنيفة ، وإنه سيسافر
 إلى فلاندا لدراسة الطب .

وبعد ذلك تلقيت رسالة من الجهاز السرى بالقاهرة : « مطلوب جواز سفر
 باسم كامل أحمد ثابت عضو الجهاز السرى ، وهو الذى أصبح فيما بعد الدكتور
 كامل أحمد ثابت المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً . . وقمت بتزوير جهاز
 السفر المطلوب . ثم تلقيت بعد ذلك رسائل متتابعة . . مطلوب مسلمات . . مطلوب
 أسلحة . . مطلوب ذخائر !

وكتبت أرسل المطلوب مع « ألبرتو نوسترومو » رئيس البحارة الإيطالى !

• • •

وحصلت على دكتوراه في الطبيعة البحتة من جامعة روما . . . وعند الإفراج عن سعد زغلول والمنفيين ، عدت إلى القاهرة ، وقرر مجلس إدارة مدرسة المتقدمة تعييني مدرّساً بمرتب ٣٥ جنيهًا في الشهر . . . واستدعاني التقرّاشي - وكان مساعد السكرتير العام لوزارة المعارف - وقال لي : « لو أعطيناك هذا المرتب فسيقولون إننا نحايك لصلتك بالثورة ولأنك من الجهاز السري ، ولذلك ستعطيك ٢٠ جنيهًا فقط ! » ولم أعترض ، وقلت له : « نحن لم نشتغل للمرتبات . . . وإنما اشتغلنا للموت ! »

مائة ألف جنيه !

وعندما قبض على التقرّاشي وماهر في مايو سنة ١٩٢٥ استدعاني إنجرام بك وقال لي : « إننا نريد أن نعرف شركاءك في ثورة ١٩١٩ ! » . قلت له : « ليس لي شركاء ! » . قال : « إن عندي قرارًا بتعيينك مساعد طبيب شرعي ! » قلت : « إنني غير متخصص في الطب الشرعي ! » . قال : « سنعطيك مائة ألف جنيه إذا أثبت أن التقرّاشي وماهر كانا شركاء في الاغتيالات ! إن لدينا الدليل ، ولكننا في حاجة إلى تأييد لهذا الدليل ! » . قلت : « لا أعرف شيئاً ! »

واستدعي إنجرام بك يوسف العبد ، وعرض عليه نفس المبلغ فرفض ! . . ثم استدعي إنجرام بك عريان يوسف سعد ، وعرض عليه نفس العرض ، فرفض ! . ثم استدعاني رسل باشا حاكم مصر بالقاهرة ، وقال لي : « هل تعرف التقرّاشي ؟ » . قلت : « أعرفه في مناسبات إجتماعية » . قال : « هل تعرفه في مناسبات أخرى ؟ » . قلت : « لا . . . » . قال : « هل تعرف أحمد ماهر ؟ » . قلت : « نعم ، . . » .

قال : « أين رأيته ؟ » . قلت : « مع النقراشي ! » . قال : « هل تعرف أحمد عبدالحى كيرة ؟ » . قلت : « نعم . » . قال : « كيف عرفته ؟ » . قلت : « إنه من بلدى . وكنت أسكن معه قبل ثورة ١٩١٩ » . قال : « إن عبد الحى كيرة يقول إنك اشتركت معه والنقراشي وأحمد ماهر فى اغتياالات ! » . قلت : « يقول كيرة ما يقول ! ولكن هذا لم يحدث » . قال : « ستواجهك به ! » . قلت : « مستعد ! » . قال : « سنرسل مستر جريفيث مدير مكتب العمل بوزارة الداخلية ، وتذهب معه لتفتح كيرة أن يحضر إلى مصر » .

وخشيت إذا رفضت أن يعرفوا أن فى الأمر شيئاً ، وتظاهرت بالقبول ، وقلت : إلى مستعد للسفر إلى إستانبول بشرط أن يحمى والد كيرة معى ، ليساعدنى فى إقناعه !

وأرسلت إلى أحمد عبد الحى كيرة رسالة فى إستانبول أقول له : « اترك إستانبول فوراً ! » . ورويت له ما حدث . . وقابلت والد أحمد عبد الحى كيرة ورويت له ما حدث ، وطلبت إليه أن يرفض السفر ، ويعتذر بأنه مريض !

وسافر مستر جريفيث مدير مكتب العمل — والذي كان فى الوقت نفسه موظفاً فى المخابرات البريطانية — إلى إستانبول وحده . .

ويبحث عن عبد الحى كيرة . .

فلذا به قد اختفى من إستانبول !

الدكتور سيد محمد باشا

المدير العام بوزارة

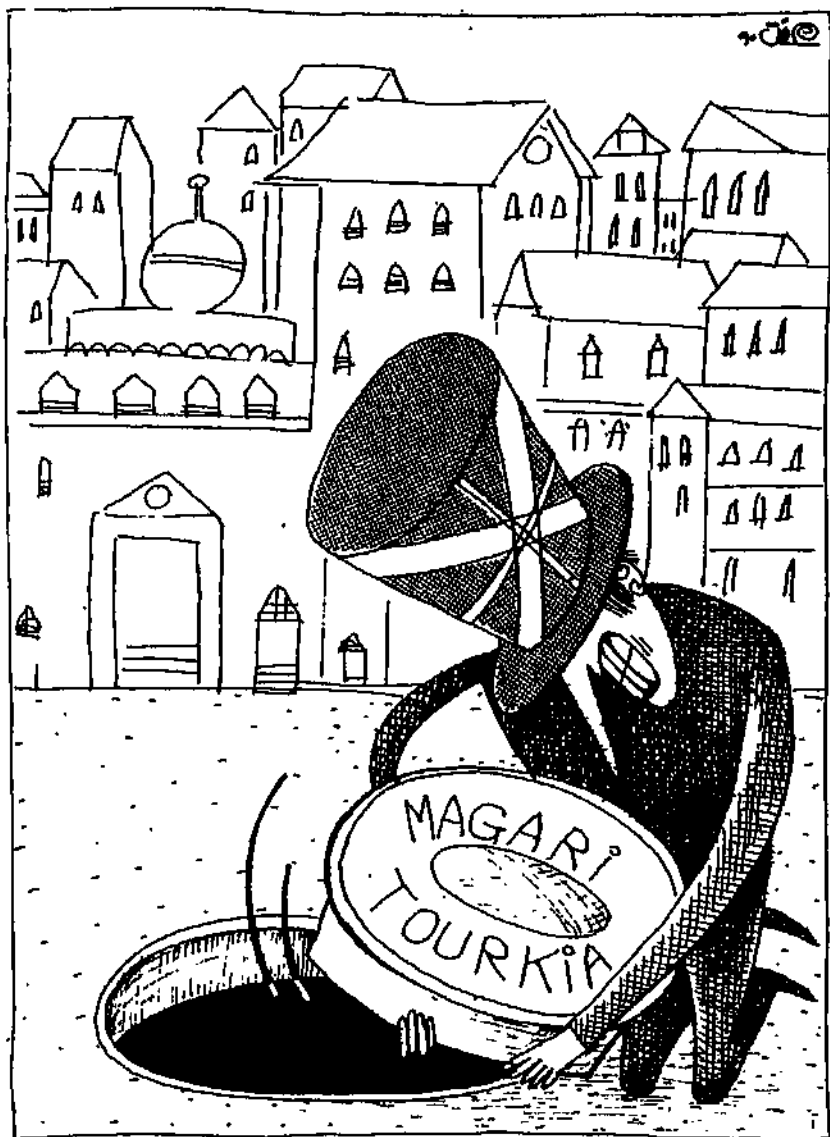
التربية والتعليم سابقاً

• • •

إلى القفص من جديد !

انتهى هذا الفصل من مذكرات الدكتور سيد محمد باشا عضو الجهاز السرى
لثورة ١٩١٩ .

والآن نترك الإنجليز يبحثون عن أحمد عبد الحى كيرة فى إستانبول ،
ليشهد ضد ماهر والنقراشى فى محكمة الجنايات فى القاهرة . . .



الفصل الخامس

القبض على رئيس الجهاز السرى الشهامة: هي خلع السلطان

كانت
المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط مشغولة بأمر واحد : من الذى يحرك ثورة ١٩١٩ ؟ من الذى ينظمها ؟ ما الجهاز السرى الذى يديرها ؟ من الذى يصدر التعليمات لهذا الجهاز ؟ . . ولكنها لم توفق أبداً إلى هذا السر . كانت تضع تليفون سبغ زغلول في باريس تحت الرقابة . كانت السلطات الفرنسية تسلم للمخابرات البريطانية صور كل البرقيات التى يرسلها ، وكل البرقيات التى يتسلمها . كانت كل خطاباته يفتحها الرقيب ثم يعيد إغلاقها . كانت السلطات البريطانية تضع رقابة شديدة على بيت الأمة ، وعلى بيوت أعضاء لجنة الوفد المركزية ، وعلى محادثاتهم ورسائلهم وتليفوناتهم . . ولكن كل هذه المحاولات لم تؤد إلى الإمساك بالخيوط الصحيح . . وبدأت عمليات قبض وتفتيش في كل مكان . ولكن عمليات الاشتباه لم توصل إلى معرفة الحقيقة عن هذا الجهاز ! !

و ذات يوم استدعى اللورد ألتني المنتدوب السامى البريطانى عبدالرحمن فهمى بك ، وقال له إنه تلقى معلومات بأنه يحرض الصحف والشعب على مقاومة الحماية البريطانية وأنه أمر بوضعه تحت رقابة البوليس ، وأنه يحمله مسئولية ما يقع من الحوادث المكثرة ، وأنه إذا لم ينفذ هذه التعليمات فسيستخذ ضده إجراءات شديدة . . ! فقال

له عبد الرحمن فهمى إنه مسرور جداً أن يضعه اللورد ألتني تحت الرقابة، ليعرف
بنفسه حقيقة نشاطه !

وجاءت تقارير المخابرات البريطانية بأن عبد الرحمن فهمى يشغل بالسياسة
وأنه يهاجم الحالة للحاضرة ، ولكن لا شيء يدل على أنه يقوم بنشاط سرى ، أو أنه
يتلقى تعليمات من سعد زغلول . . . وقدمت المخابرات البريطانية تقريرها إلى الجنرال
« كلن » القائد العام للقوات البريطانية في مصر ، فاستدعى رسل باشا حاكم
القاهرة وكلفه بأن ينبه على عبد الرحمن فهمى بأن يوقف نشاطه السياسى ! : .

إنذار من الحكمदार !

وندع عبد الرحمن فهمى يروى القصة في رسالته السرية إلى سعد زغلول في
باريس :

سرى - ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس

دعائى حكمदार بوليس العاصمة . قال لى إن مستشار الداخلية يذكرنى بتنبية
اللورد ألتني (المندوب السامى البريطانى) بالامتناع عن الاشتغال بالسياسة ، وعلم
الظهور كثيراً أمام الناس ، وإنه لا يزال يراى أشغل بالسياسة وأظهر كثيراً أمام
الناس ! . . قلت له إن اللورد ألتني لم يتكلم معى في ذلك ولم يمننى من الاشتغال
بالسياسة ، وكيف يطلب منى عدم الاشتغال بالسياسة في حين أن الزارع والصانع
والكبير والصغير مشغل الآن بسياسة بلده ، الذى يحتاج أزمة لم يسبق لها مثيل في

تاريخه إن اللورد ألتني انتهى بتحريض الجرائد والأمة على معاداة الحماية والطمع على الحالة الحاضرة ، وإنه جعلني تحت مراقبة البوليس لمذنبين السيئين فقط . أما القول بأنني أظهر كثيراً للناس ، فلم أفهم له معنى ، فهل يراد أنني عندما أريد الخروج لشراء لوازمي ، أو لأداء زيارة ، أو للفسحة ، لا أستطيع ذلك ؟ فهذا أمر لم يحصل فيه المكالمه بيني وبين اللورد ألتني قطعياً . فأرجوك أن تبلغ ذلك إلى الجنرال كلفن (القائد العام للجيش البريطانية في مصر) .

وانصرف على ذلك ، ولا أعرف ماذا يجنيه لي القدر بعد ذلك ، إلا أنني سائر في عمل كما كنت ، متجنباً ما تكلم به معي بخصوصه اللورد ألتني .

عبد الرحمن فهمي

تحذير من سعد زغلول !

وأرسل سعد زغلول إلى عبد الرحمن فهمي رسالة بالشفرة يقول له إنه تلقى معلومات مؤكدة بأن شكوك السلطة البريطانية بدأت تنحوم حوله ، وأن الطريقة الباردة التي استطاع أن يدير بها مقاطعة الشعب للجنة ملتر جعلت المخابرات البريطانية تشك في أن خلف هذا الجهاز العلني الذي يتمثل في لجنة الوفد المركزية جهازاً سرياً يعمل في الخفاء . . وطلب سعد إليه زيادة الاحتياط .

ولكن عبد الرحمن فهمي كان واقعاً من أنه يستطيع تقليص المخابرات البريطانية والبوليس ، فأرسل إلى سعد زغلول يقول :

سرى - ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من عبد الرحمن فهمي بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس :

ثقا أن مراقبى لحركات لجنة ملر وسكانها أضعاف أضعاف مراقبة الغير
لى . . . ولا أتاخر عن إفاذتكم بكل ما بهم الوقوف عليه من أعمال اللجنة .
عبد الرحمن فهمى

إنهم يراقبونك أنت !

وفى الوقت الذى اشتدت فيه الرقابة على عبد الرحمن فهمى فى القاهرة ضوخت
الرقابة على سعد زغلول وزملائه فى باريس . . . كانت المخابرات البريطانية تستعين
بالخدم الذين يدخلون مكتب سعد زغلول فى باريس ، فيفتشونه ، ويسرقون ما فيه
ويصورونه . وكان لدى بريطانيا فى ذلك الوقت عدد ضخم من الجواسيس
بلا عمل بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فكان فى استطاعتها أن تخصص أكبر عدد
للتورة الوحيدة فى العالم التى قامت فى تلك الأيام ، واستعانوا ببعض السكرتيرات
الفرنسيات اللاتى كن يعملن مع الوفد فى الكتابة على الآلة الكاتبة . .

ولكن المخابرات البريطانية لم تصل إلى شيء .. وقيل إن سر هذا الفشل هو أن
ضباط المخابرات كلهم من الإنجليز والأجانب ، وأنه يجب أن يعهد بهذه المهمة
إلى مصريين يمكنهم الاختلاط بسكرتيرية سعد زغلول وبأعضاء الوفد !
ولكن الجهاز السرى عرف هذا القرار . . وأخطر به سعد زغلول !

سرى - ٧ يناير سنة ١٩٢٠ .

من عبد الرحمن فهمى بالقاهرة إلى سعد زغلول بباريس :
دلتنا الأبحاث على أن شاين مصريين سافرا إلى باريس لمصلحة الإنجليز

للتجسس على الوفد . أحدهما يدعى على ، والآخر يدعى عزوز . . أحدهما كان
سكرتيراً للمستر باترسون . أرسل لكم على هذا صورتها الفوتوغرافية :
عبد الرحمن فهمي

الملف السري الذي ضللت الخبايا البريطانية !

ولعل أكبر ما خدم الجهاز السري أكثر من عام ونصف عام هو الملف السري الذي
كان لعبد الرحمن فهمي في وزارة الداخلية : كان عبد الرحمن فهمي مديراً لبنى سويف ،
وكان له ملف سري يحوى تقارير المفتشين الإنجليز عنه ، وسلم مستر « هوبنور »
مدير الأمن العام هذا الملف إلى الخبايا البريطانية . ودرسته الخبايا البريطانية في
أوائل الثورة ، ووصلت إلى نتيجة بأن هذا الشخص بالذات لا يمكن أن يكون هو
المستول على الأعمال السرية للثورة !
وهنا نقل التقارير السرية العجيبة التي كانت في دوسيه عبد الرحمن فهمي
وهو مدير .

سرى جداً - تقرير من مستر مونت سميت مفتش الداخلية ، عن عبد الرحمن
فهمي مدير بنى سويف - ٧ مارس ١٩٠٧

عبد الرحمن فهمي متكبر ، يكرهه الأهالي . فقد احترامه ومحبه في بنى سويف .
لم يعد في استطاعته استرجاعهما . وما لا شك فيه أنه قوى ، وذو إرادة ، ولكن ينقصه
أن يكون ذا أخلاق حسنة وآداب . يصح أن يكون مديراً كفئاً ، ولكنه تلى درساً
بعد درس بلون فائتة لأن أخلاقه لا تحتمل ، وشدة معرفته في المديريات الأخرى ،
وقد يقابل بفقر من الأهالي إذا ذهب إلى مديرية أخرى ! . . والفرصة الوحيدة أن

يقفل مديراً للجيزة ، حتى يكون تحت إشراف مفتش الداخلية وحتى لا يرتكب شيئاً مما فات . . .

هوية مميث

مفتش الداخلية

سرى جد^٤ - تقرير من المستر متشيل مستشار الداخلية ، عن المدير عبد الرحمن فهمي - ١٢ مايو سنة ١٩٠٧ :

مسألة عبد الرحمن فهمي تتلخص في أمرين : أولاً اختلاطه الشديد بالنساء ، والثاني أخلاقه التي لا تطاق بالنسبة لأعيان وموظفي المديرية .

وهو ينكر الأول بتاتاً . وقد يكون الثاني ناتجاً عن كبريائه ، وعن أفكاره بالنسبة لمركزه . ولولا أخلاقه السيئة ربما ما سمعنا شيئاً عن الإهام الأول ، ولا عن التشجيع عليه بفرض أن تتخذ إجراءات ضده . . . أما بالنسبة لعلاقته بالنساء ، فهذا شائع جداً ، ولا يمكن غض النظر عنه ، وقد تحصلت المعلومات من مصادر كثيرة ، فإنه لا حضر إلى المديرية كان يسكن في منزل عمام ، وهناك عمام آخر كان صديقاً له ويسكن بمنزل بجواره ، وكان يقضي جزءاً من وقته في القهوات ، فأخبره أحدهم أن المدير يزور منزل جاره في أثناء غيابه ، وعند عودته قابل المدير نظرياً من منزله ، فكانت النتيجة أن طلق امرأته وأرسلها إلى أهلها !

وهناك حادثة أخرى ، وذلك أن أحد الأعيان عاد إلى منزله من سفر في مصر ، ولم يكن منتظراً حضوره فوجد زوجته خارج المنزل ، ثم عادت في وقت متأخر وهي سكرانة ، وعلم أنها كانت بمنزل المدير وهو غير متزوج . . . والمدير ينسب هذه التهم إلى كراهية بعض الحامين ، بسبب أن أغلبهم لم يتمكن من الحصول على أصوات

في المجلس البلدى ، واذى لا أشك أن هذه المسائل ما كنا نسمع عنها كثيراً لولا أخلاقه ، فإنها شديدة بالنسبة للموظفين والأعيان ، فهو يصرخ في وجه من يكلمه ، ويحتد لأقل شئ ١ . . . وحتى الآن ، وفي الوقت الذى طلبنا إليه أن يحسن أخلاقه ، لا يسمح للحكماء بالجلوس معه في غرفته ، ويعامل موظفى المجلس البلدى وأعضاءه كأولاد صغار . أخلاقه بالنسبة للأعضاء شديدة . . . ولا يسمح لأحد بانتقاد أعماله ١ . . .

تمثيل

١ - مستشار الداخلية

سرى جداً - تقرير من مستر هيزل المفتش بوزارة الداخلية ، عن المدير عبد الرحمن فهمى - أول يونيو سنة ١٩١٧ :

اشتكى القاضى محمد مصطفى بأن المدير عبد الرحمن فهمى ينظر بالمنظار القرب على النساء في البيوت المجاورة ، كما شكوا عمدة بنى سويف من سوء معاملة المدير وتصرفاته السيئة . . . وبجست المخابرات البريطانية عن هذا الدوسيه ، ووصلت منه إلى نتيجة أن الصفات التى يذكرها مفتشو وزارة الداخلية الإنجليز عن عبد الرحمن فهمى تؤكد أنه ليس هو الذى يدير الجهاز السرى ، فالمقروض فى الرجل الذى يتولى مثل هذا العمل أن يكون هادئاً وديعاً ، صبوراً مجاملاً ، وبذلك يستطيع أن يجمع الذين يعملون معه . فن غير المقول أن يكون رجل بصفات عبد الرحمن فهمى التى تؤكد التقارير السرية البريطانية هو الذى يقوم بهذه العملية ، والرجل الذى يقوم بمثل هذه العملية الخطيرة يشترط فيه أن يعرف كيف يكسب معاونيه ، ويوجههم أنهم أصدقاؤه ، وأنه يثق بهم ويعاملهم معاملة رفيعة ، وهذا أمر لا يتوافر في عبد الرحمن

فهى كما تقول هذه التقارير السرية ، فهو لا يسمح لرؤوسه بأن يتلصوا فى حضرته . ويعامل موظفى المجلس البلدى كأنهم أطفال صغار ! ثم إن التقارير تقول إن عبد الرحمن فهى مشغول بالنساء ، ومثل هذا الرجل لا وقت لديه لكى يقوم بهذا العمل الضخم ! . .

وبقيت المخابرات تحت وهم هذه التقارير السرية من ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ إلى شهر يونيو سنة ١٩٢٠ .

معلومات خطيرة جداً !

وفجأة تجمعت الأخبار لدى المخابرات البريطانية بأن عبد الرحمن فهى هو الرجل الخطير الذى يبحثون عنه . . . ولكن لم تكن توجد أدلة تثبت عليه هذا الاتهام . . . وافقت المخابرات مع مستر « هوبنور » مدير الأمن العام على أن الحل الوحيد هو تفتيق قضية ، والحصول على شهود زور !

وتم وضع الخطة : إنهم يعرفون ماذا يفعل الجهاز ، ولكنهم لا يعرفون من هم أعضاء الجهاز . إنهم عرفوا غرض الجهاز ، ولكنهم فشلوا فى معرفة سر الجهاز السرى ! . . وحددوا التهمة بأنها هى : « أن عبد الرحمن فهى وآخرين متهمون بارتكاب جرائم تقع تحت طائلة الأحكام العرفية ، وهى التآمر على الاحتلال ، وأتهم ألفوا جمعية سرية تسمى « جماعة الانتقام » غرضها خلع عظمة السلطان ، وقلب حكومته ، وإثارة ثورة ، والتحريض على القتل ، وتوزيع أسلحة ، وقتل عظمة السلطان ووزرائه ! . .

ثم جاءوا بشهود زور ، هم « عبد الظاهر السهاوى » الطالب بالأزهر و« إسماعيل

حاصم منيب ، ، وكان طالب طب ثم اشتغل في الجيش البريطاني ، وطالب في الأزهر اسمه « سيد محمد مصباح » ، وحملهم يعرفون كتابة بأن عبد الرحمن فهمي حرضهم على قتل عظمة السلطان ووزرائه بإلقاء القتال عليهم ! . . . وحملهم يعرفون بأن الجهاز السري يتألف من : عبد الرحمن فهمي ، وطى هندى ، طالب بالأزهر ، ومحمد لطفى المسلمى طالب بالحقوق ، وحسنى الششتاوى طالب ثانوى ، وتوفيق صليب طالب بمدرسة الأقباط ، ومحمد حلمى الجيار طالب طب ، ومنير جرجس عبد الشهيد طالب بمدرسة الأقباط ، وحامد المليجى الصحنى ، وإبراهيم عبد المادى طالب حقوق ، ومحمود عبد السلام مدرس ، وكامل أحمد ثابت خريج الحقوق ، وكامل جرجس عبد الشهيد طالب حقوق ، وعبد الحليم عابدين طالب حقوق ، ومحمد إبراهيم سليمان طالب بمعهد الإسكندرية ، ومحمد عبد الرحمن الجليلي خريج القضاء الشرعى ، ومحمد سامى سكرتير محمد داود باشا ، وياقوت عبد النبي طالب ثانوى ، وعبد العزيز حسن هندى طالب ثانوى ، ومحمد يوسف ، وفرياقص ميخائيل صحنى ، وصالح حسن شلبى ، ومحمد الميرغنى النجار ، وحافظ محمود عواد مزروع ، ومحمد حسن الشيشى الحامى ، ومحمد المصلى طالب بالجامع الأحمدي، وعازر غبريال ، وناشد غبريال ، وأنيس سليمان حامل بالسكة الحديد.

وبعد أن رتبته المخابرات البريطانية القضية ، وقسمت الأدوار على شهود الزور ، قبضت السلطة العسكرية على عبد الرحمن فهمي وهؤلاء جميعاً ، ووضعهم في السجن . ولكن المفاجأة أن المخابرات البريطانية لم تعرف أغلب الجهاز السرى ، ولم تعرف اسم أحمد ماهر ولا الثقراش ولا حسن كامل الشيشينى ولا عبد الحليم الببلى ولا شفيق منصور ولا محمود إسماعيل ولا الدكتور سيد محمد الباشا ولا الحاج أحمد جاد الله ولا عشرات من اللذين لعبوا أدواراً خطيرة في الثورة ! . . .

الكتاب المتنوع

برقية مفتوحة !

في أول يوليو تلقى سعد زغلول في لندن بركة بالشفرة من القاهرة باعتقال عبد الرحمن فهمي ! وكان سعد زغلول يومها يفاوض لورد مائر في عقد معاهدة تلغى الحماية وتعلن الاستقلال . وفي اليوم نفسه تلقى ابن شقيقة سعد زغلول - المرحوم سعيد زغلول وكيل النيابة - بركة مفتوحة من باريس بإمضاء «صفية» تقول له فيها إنها كانت وكلت عبد الرحمن فهمي لبيع أطيافها ، ونظراً لحالته الصحية فلمها ترى أن يتولاها الشيخ أحمد ، وترجوه المحافظة على عقود الإيجار ! وكانت البرقية في ظاهرها بريئة : فإن ناظر زراعة صفية زغلول اسمه الشيخ أحمد صالح ، ومن المعلوم أن يتولى إدارة الأطياف أو بيعها ! ولكن سعيد زغلول اتصل على الفور بالدكتور أحمد ماهر ، واجتمع به في محل (صولت) الحلواني وأطلعه على البرقية ، ففهم منها الدكتور ماهر أنها من سعد زغلول ، وأن المطلوب منه أن يتولى هو العمل الذي كان يتولاه عبد الرحمن فهمي ، وأن يحافظ على الرسائل السرية الموجهة عند عبد الرحمن ، وهي الرسائل التي كان أحمد ماهر يتولى مع صادق فهمي حل رموزها !

المغامرة !

وعلى الفور بدأت قصة مثيرة : اجتمع الدكتور أحمد ماهر بشقيقه الدكتور محمود ماهر ، ووضعا خطة . . . وفي اليوم التالي دق التليفون في غرفة مكتب عبد الرحمن فهمي ، المعلقة بالشمع الأحمر ، وإذا بمحمي الدين فهمي - الابن الأصغر لعبد الرحمن فهمي ، ويبلغ من العمر ثمان سنوات - يفتح الباب المعلق بالشمع

الأحمر ليرد على التليفون . . . واقتح الباب ١ . . . وبعد ساعة اتصل مراد فهمى نجمل عبد الرحمن بك فهمى ، والبالغ من العمر ١٧ سنة تليفونياً بالدكتور محمود ماهر ، وقال له إنه كان هو وأخوه الصغير محي الدين واقفين أمام غرفة المكتب المظلمة بالشمع الأحمر ، وفجأة دق التليفون ، فاندفع الطفل محي الدين بدون شعور واقتحم الباب .

وقال الدكتور محمود ماهر إن هذا موضوع خطير جداً ١١١ واتصل الدكتور محمود ماهر على الفور بحكمदार القاهرة ، وبمستر ابلت مساعد الحكمدار ، وبمستر نيلور مدير الأمن العام ، وأبلغهم ما حدث لاتخاذ الإجراءات . وشكر الإنجليز المسئولون الثلاثة على اهتمامه وبإبادته بإبلاغهم الأمر . . وقامت الدنيا وقضت ١ إن هذه الحيلة الساذجة جعلتهم يفقدون أخطر الأوراق والوثائق ١ واضطرت المحكمة العسكرية البريطانية أن تعقد جلستين لتحقيق في هذا الموضوع الخطير : فقد أثير في جلسة المحكمة العسكرية يوم السبت ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٠ . . وأثير مرة أخرى في جلسة يوم الاثنين ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٠ . وسألت المحكمة العسكرية حكمدار القاهرة . ثم سألت المحكمة البكباشي بيكر وكيل الحكمدار . ثم سألت حسن فؤاد نور مأمور قسم السيدة زينب . ثم سألت الدكتور محمود ماهر : ثم سألت مراد فهمى نجمل عبد الرحمن فهمى بك البالغ من العمر ١٧ سنة . ثم سألت الأستاذ كامل البندارى الحاض الذى سمع بالواقعة البرية من الدكتور محمود ماهر عقب حدوثها . . وأكد الشهود جميعاً أن المسألة حدثت كما رواها نجمل عبد الرحمن فهمى . . وقد ورد نص هذه التحقيقات في الصفحة الثالثة من جريدة الأهرام يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٠ ، وفي الصفحة الأولى من الأهرام يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٠ . ولكن المفاجأة . . أن الدكتور أحمد ماهر عندما ذهب إلى مكتب عبد الرحمن

فهى بعد فتح الباب المظلق بالشمع الأحمر ، لم يجد رسائل سعد زغلول السرية ! لم يجد ورقة واحدة هامة عن نشاط الجهاز السرى ! بل وجد فيها مجموعات من الجرائد والمجلات التى لا قيمة لها . ماذا حدث للتعليلات السرية ؟ أين ذهبت ؟ . واتصل الدكتور أحمد ماهر بعبد الرحمن فهى فى السجن ، وعرف منه الحقيقة المدهلة ! إن عبد الرحمن فهى تلقى قبل القبض عليه بأربع وعشرين ساعة رسالة من أحد أفراد الجهاز الذى يعمل فى القيادة البريطانية بأنه تقرر القبض عليه فى اليوم التالى ! وأسرع عبد الرحمن فهى وقتل جميع التعليلات السرية والأوراق السرية والمذكرات الهامة من مكتبه ، ومن بيته ، إلى مكان مجهول ! . بل إن عبد الرحمن فهى طلب عند القبض عليهم الضباط أن يفتشوا المكتب ، فقالوا إن تعليلات اللورد ألكسنى ألا يفتشوه بل يضعوا عليه الشمع الأحمر ، لأن فيه الرسائل المتبادلة بشأن المفاوضات التى تجرى مع سعد زغلول ولورد ملبر فى لندن ، وأن اللورد ألكسنى تلقى تعليلات بالآ خمس هذه الرسائل إلا بعد الرجوع فى شأنها إلى لندن . وأبرق الدكتور أحمد ماهر إلى سعد رسالة بالشفرة بأن الرسائل السرية فى أمان ! . ولولا هذا لكان سعد زغلول أحد المتهمين فى قضية عبد الرحمن فهى بتهمة « التآمر على الاحتلال ، وتأليف جمعية سرية تسمى جمعية الانتقام ، غرضها خلع السلطان وقلب حكومته ، وقتل السلطان ووزرائه » كما ورد فى نص قرار الاتهام !

كيف عرف سعد ؟

ولكن ماذا فعل سعد زغلول فى لندن عندما وُجِله نياً القبض على عبد الرحمن فهى رئيس الجهاز السرى للثورة ؟ ! إن إسراع سعد زغلول بإرسال تلغراف

من باريس إلى ابن شقيقته سعيد زغلول في القاهرة يلغضاء زوجته صفية زغلول ،
بندل على هذا الاهتمام . ولكن سعيد زغلول الذي تلقى التلغراف مات في عام ١٩٢٣ .
وصفية زغلول التي أرسلت التلغراف ماتت بعد ذلك بعدة سنوات ، وأحمد ماهر
مات عام ١٩٤٥ . والاعتماد الوحيد حتى الآن هو على الرواية التي كانت معروفة
في أسرة سعد زغلول ، والتي سمعنا من سعيد زغلول وهو خالي !

ولكن في دراسة التاريخ لا تقبل شهادتي ولا شهادة الأستاذ مراد فهمي وزير
الأشغال السابق الذي قال لي إنه يذكر تعلقاً واقعة فتح باب غرفة والده المختومة
بالشمع الأحمر . . بل قد لا يقبل التاريخ شهادة للصحف ! إن جريدة الأهرام
في الصفحة الثالثة من العدد رقم ١٣١٨٧ الصادر في يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٠ ،
وفي الصفحة الأولى من العدد رقم ١٣١٨٨ الصادر في يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٠
أوردت قص التحقيق الذي أجرته المحكمة العسكرية البريطانية في شأن فتح الباب
للغلق بالشمع الأحمر في مكتب عبد الرحمن فهمي ، ولكن ليس في هذا كله
دليل مكتوب على ما حدث لسعد زغلول في لندن عندما علم باعتقال عبد الرحمن
فهمي .

فكيف ثبتت هذه الواقعة الخطيرة ؟ . . إن مذكرات سعد زغلول تستطيع أن
تحمل الرد الخامس . ففي صفحة ٢٢٤٢ من مذكرات سعد زغلول كتب سعد يقول :

أول يوليو سنة ١٩٢٠

«ورد تلغراف من محمود سليمان باشا (رئيس لجنة الوفد المركزية) بتاريخ
اليوم أول يوليو ، يقيد أنه قبض على عبد الرحمن فهمي ، وأودع سجن قصر النيل .
وأطلعت على يكن وبعض الإخوان على التلغراف ، وأخبرني على يكن أنه سمع

من الأعرج « مستر رولاند » مندوب لورد ملتر « أنه وردت أنباء لوزارة الخارجية عن أن في مصر استعداداً لإحداث اضطرابات إذا انقطعت المفاوضات . ثم استدعى الأعرج (مندوب لورد ملتر) وأطلعناه على التفراغ فقال إنه لا علم له به . وقال إن هذا غير مناسب ، وأنه يذهب حالا إلى لورد ملتر ليحيط به ، ويحصل منه على تحديد وقت لأن يقابلوه (مخاطباً لي وأعلني) ، فقال عدلي إنه لا لزوم لكونه يقابل ملتر ! ولم يبد عدلي يكن اعتراضاً (على القبض على عبد الرحمن فهمي) بل اكتفى بأن اشترك في شرح الحالة . ثم تنحى عدلي يكن عن الحضور (حضور اجتماعي مع لورد ملتر بشأن عبد الرحمن فهمي) . وبعد انصراف الأعرج (مندوب لورد ملتر) انصرف عدلي يكن من غير انتظار عودة الأعرج ! فصجبت من تحرزه من الاعتراض أمام الأعرج ، ومن انسحابه من مقابلة لورد ملتر . وقلت : « إذا كان الحال هكذا فويل لنا إذا نجحنا ، وإذا خبتنا ! » .

ثم عاد الأعرج بعد قليل ، وقال إن لورد ملتر كان عنده علم بهذا الحادث : لأنه ورد على وزارة الخارجية تفراغ يفيد بأنه قبض عليه للاشتباه في أن له دخلاً في الاعتداء على الوزراء . وأن لورد ملتر طلب — بتفراغ — التفصيلات ، وأنه آسف لهذه الحادثة . وأنه مسافر غداً ، ولا يعود إلا في مساءه ، ولي أن أقابله بعد غد في الصباح ، في الوقت الذي أريده ، قبل الظهر المحدد لاجتماع اللجنة الأصلية (للمفاوضات) .

وحضر بعد ذلك حمد الباسل وعبد العزيز فهمي ، ثم سينوت حنا ، فقصصت الأمر عليهم ، واتفق الرأي على أن أذهب غداً إلى لورد ملتر وأقول له إن كان الأمر في يد القضاء فسيماً وطاعة ، وإن كان حصل تنفيذ للأحكام المعروفة فلا تقبل هذه المعاملة ولا ينبغي لنا أن نستمر في المفاوضات ، فإن قبل لورد ملتر قطع المفاوضات

دل ذلك على أنهم لا يريدون أن يصفقوا معنا ، وإن . . لا ، فعلنا الواجب علينا .
لم يحضر عبد اللطيف المكباني ولا على ماهر . وأمضيت السهرة مع عبد العزيز
فهمي إلى الساعة الثانية صباحاً بعد نصف الليل ، وقد استغرب من عدلي مثل
استغرابي ، كما استغرب منه حمد باشا الباسل
هذا نص ما كتبه سعد زغلول في مذكراته في يوم أول يوليو سنة ١٩٢٠ عندما
وصله نبأ القبض على عبد الرحمن فهمي رئيس جهاز الثورة السري .
ولكن ماذا فعل في اليوم الثاني ؟



الفصل السادس

أزمة قتل لندن من أجل عبد الرحمن فهمي!

سعد زغلول وهو في لندن بأن الثورة أصبحت بضرية خطيرة، بعد أن قبض
الإنجليز على رئيس الجهاز السري للثورة، الذي لا يعرف أحد من أعضاء الوفد
أى شيء عن مهمته الخطيرة !

حدثت أزمة في لندن بين سعد زغلول وعدلى يكن . . عدلى في ذهول من موقف
سعد العجيب ، وإظهاره كل هذا الاهتمام بالقبض على عبد الرحمن فهمي ! من هو
عبد الرحمن فهمي ؟ إنه سكرتير لجنة الوفد المركزية فقط لا غير ! فهل يستوجب
هذا قطع المفاوضات ؟ ! لقد سبق أن قبض الإنجليز على محمود سليمان باشا
رئيس لجنة الوفد المركزية ، ووالد محمد محمود عضو الوفد ، فلم يبد سعد زغلول هذا
الاهتمام . . وقبض الإنجليز على إبراهيم سعيد باشا وكيل لجنة الوفد المركزية ، وأمين
مستودعها ، فلم يهتز سعد زغلول ! .. وقبض الإنجليز على عشرات من رجال الثورة
وحكموا عليهم بالإعدام ، وقتلوا فيهم أحكام الإعدام ، ولم يكن سعد زغلول يفعل
سوى الاحتجاج على هذه المظالم ! .. فلماذا هذا الاهتمام الخطير ، ولماذا التهديد
بقطع المفاوضات ؟

بل إن بين أعضاء الوفد على ماهر ، وهو ابن شقيق عبد الرحمن فهمى ،
وعبد اللطيف المكباتى وهو قريب له ، وهما لا يريان فى القبض على عبد الرحمن
فهمى هذا الأمر الجلل الذى يشعر به سعد زغلول ! . . . ولكن على ماهر وعبد اللطيف
المكباتى لم يعرفا دور عبد الرحمن فهمى ، ولم يكونا على علم بحقيقة نشاط الجهاز
السرى . . . وقد يعذر على كثر وعدد من أعضاء الوفد الذين أخذوا عليهم سعد هذه
الحقيقة الخطيرة ، عندما عارضوه فى الإجراءات التى يريد أن يتخذها بقطع
المفاوضات من أجل القبض على عبد الرحمن فهمى . ولكن هل كان سعد زغلول
يستطيع أن يأتى كل أعضاء الوفد على هذا السر الرهيب ! خاصة وهو يعتقد أن
أغلبية الأعضاء ليست مستعدة لأن تستمر مع الثورة إلى نهايتها ، فكيف بطلعهم
على ما يقوم به الجهاز السرى للثورة ، وقد انفصلوا عنها أو يعتزلون العمل فيها كما
بدأ بعضهم بفعل فى تلك الأيام !

إذا كان على كثر رفض أن يشترك مع سعد زغلول فى التحدث فى هذا
الموضوع مع لورد ملر ، عندما عرف أن التهمة الموجهة لعبد الرحمن فهمى هى أن له
دخلا فى الاعتماد على حياة الوزراء . . . فإذا كان يفعل لو عرف الحقيقة كلها التى
أعلنت بعد ذلك بأسبوعين عند ما أعلنت عريضة الاتهام التى جاء فيها بالنص :

« التهم عبد الرحمن بك فهمى وآخرون ، متهمون بارتكاب جرائم تقع تحت
طائفة الأحكام العرفية وهى التآمر ، وذلك أنهم كانوا أعضاء فى جمعية تسمى جماعة
(الانتقام) التى كانت أغراضها خلع عظمة السلطان ، وقلب حكومته ، وإحداث
ميجان ، والتحريض على القتل ، وتوزيع أسلحة ، وقتل عظمة السلطان ، ووزرائه ،
وآخريين . ومتهمون أيضاً بارتكاب جريمة أخرى تقع تحت طائفة الأحكام العرفية ،
وهى التحريض على القتل ، وذلك أنهم فى أوقات مختلفة ، بمنزلة عبد الرحمن

بك فهمي ، وفي الأهرام ، وفي محال أخرى ، حرضوا عبد الظاهر السمالوطي ومحمد
 منيب ، وأشخاصاً آخرين على قتل عظمة السلطان ووزرائه . بواسطة إلقاء القنابل
 عليهم ، وبوسائل أخرى .

وقد نشر قرار الاتهام هذا في صفحة ٣ من جريدة الأهرام الصادرة في ١٤ يوليو
 سنة ١٩٢٠ ، فإذا فعل سعد زغلول عند ما أذيع أن غرض عبد الرحمن فهمي هو
 خلع السلطان وقتله ١٢ إن مذكرات سعد زغلول تزوي قصة الصراع الذي دار في
 لندن بين الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون !
 كتب سعد زغلول يقول : .

الجمعة ٢ يوليو سنة ١٩٢٠

اجتمع أعضاء الوفد ، وحضر عدلي يكن . وجرى الحديث في جادة عبد الرحمن
 فهمي ، وقد كان الأعرج (مستر رولاند مندوب لورد ملر) حضر قبل ذلك ، وقال
 إن أسباب القبض عليه غير معلومة ، وطلب لورد ملر بتلغراف تفصيلها . وأنكر
 ما قاله بالأمن من أن الخبر الذي ورد على وزارة الخارجية بالقبض عليه أنه
 حصل اشتباه فيه بأن له يد في الاعتداء على حياة الوزراء . وقال إن ذلك كان
 فرضاً من لورد ملر ، لا خبراً وارداً من مصر على وزارة الخارجية . وتبين أنه تناقض
 في أقواله .

وقال حمد باشا الباسل لعدلي باشا يكن : إنه يحسن أن تقابل لورد ملر ، لكي
 تفهمه الحال جيداً ، وتنقل له ما في نفوسنا . فأجاب عدلي يكن وقال إنه لا يذهب
 أبداً ، والأحسن أني أنا الذي أذهب لكي أقول ما في نفسي . وكان لطفي السيد يقول .
 ويوافقه على ما هو حمد الباسل ومحمد علي : « إن الأحسن ألا تقطع المناقشة » .

ولا تتأجل ، بل تستمر . وقال عدلى يكن : « يلزم أن يعطى لورد ملر الزمن الكافى
لكى يصلح ما أسفله غيره . . . قلت له : « سنتظر فى الأمر بعد الظهور » .
وتحدثت مع محمد محمود بعد ذلك ، فأظهر أسفه للحادثة ، ولكنى شعرت منه أنه
موافق على رأى لطفى السيد وعطلى يكن ، وما رأيت منه تأثراً لتحدى عدلى يكن (عن
التدخل فى مسألة عبد الرحمن فهمى) . والحاصل أن المسألة ليست مما يتهاون فيه ،
وربما كان الأحسن أن نقول للملر إنه يظهر أن هناك سياستين : سياسة إنجليزية
فى مصر ، وسياسة أخرى فى لندن . وأن الأول هى التى فعلت ما نكروه ، وما نشكو
منه ، من غير أن يكون لثانية دخل ، وحيث لا ينبغي لنا ، وقد رأينا خطأ من الثانية
وطبقاً أن نغلب أسفنا من السياسة الأولى على سرورنا من الثانية ، ولعلنا عولنا على متابعتها
وعلم اللبالة بما تعاملنا به غيرها ، وقد يكون من المفيد أن نشير إليه بأن القبض
لو كان بيد القضاء فلا حيلة لنا فيه ويلزم الخضوع لأمره . . . ولكنه بيد السياسة ،
ولعلنا لا يصح لنا أن نخضع للطرف عنها ، لأننا ولا هو (ملر) .

كلمنى مساء اليوم عدلى يكن بالتليفون قائلاً إن الأهرج (مندوب لورد ملر)
يؤكد أن التلغراف الوارد من مصر خال من بيان أسباب القبض ، وأن لورد ملر
أرسل تلغرافاً صباح اليوم يطلب التفصيل ، ويوصى باستعمال الحكمة أو كمال
الاحتياط حرصاً على سير المفاوضات . وربما لا يأتى الجواب غداً . فأجبت بأنى غير
متصور أن يخلو التلغراف من بيان الأسباب . فقال عدلى بعد قليل من التردد : « إنه
جاء فيه أنه إلحاقاً لتلغراف سابق » . قلت : « التلغراف الذى أخبرنى عنه ١٩ » . وقد
كان عدلى يكن أخبرنى أنه وردت على وزارة الخارجية هنا كما يقول الأهرج (مندوب

لورد ملتر) أخبار تفيد أن هناك (في مصر) ، استعداداً لإحداث اضطرابات إذا لم تأت المفاوضات بنتيجة . فقال عللي : « ليس هو إياه : وأبكته تلغراف آخر ، يفيد أن عبد الرحمن فهمي له يد في الاعتداء على الوزراء ! » فاستتجت من ذلك ثلاث نتائج : الأولى : أن لورد ملتر أوصى بالحكمة عقب التلغراف الأول ، وما طلب التفصيل إلا عند التلغراف الثاني .

والثانية : أن عللي يعلم من أول الأمر بالمسألة .

والثالثة : أن تنجيه (عن مقابلة ملتر للتحديث في مسألة عبد الرحمن فهمي) إنما كان بناء على علمه .

وواقفي على ذلك عبد العزيز فهمي ثم محمد محمود .

السبت ٣ يوليو سنة ١٩٢٠

ورد تلغراف من محمود باشا سليمان (رئيس لجنة الوفد المركزية بالقاهرة) بأن القبض على عبد الرحمن فهمي لا مبرر له ، والقصد منه إضعاف الثقة باللجنة المركزية . وكان قد ورد هذا التلغراف بعد أن قال لي الأعرج إن لورد ملتر مستعد لمقابلتي صباح اليوم في أية ساعة . بعد أن كان قد تحدد انعقاد اللجنة الأصلية (للمحادثات) الساعة الثانية عشرة ، عاد وأخبرنا بالتليفون أنني سأقابل ملتر في الساعة الحادية عشرة والنصف .

فا هذا الاختلاف ؟ أليس معناه أن هناك مناورة ؟ أو هو نتيجة حوادث لا نعلمها سيكشف المستقبل عنها ؟ .

...

« قابلت ملر في الساعة الحادية عشرة وبجسر دقائق ، وأبديت له استيائي من القبض على عبد الرحمن فهمي . وقلت له إن كان القضاء هو الذي أمر بالقبض علينا فلا اعتراض لنا ، ولكن إذا كان ذلك حصل اعتباطاً أو سياسة ، فذلك ما لا قبل لنا بلحقاله ، وما دام سبب القبض لم يكن معلوماً ، ولا هناك أدلة على تدخله في جنائية بعينها ، حتى لنا أن نعتقد أن الأمر لم يأت من جانب القضاء ، وأخشى أن تكون السياسة المعارضة في مصر للمفاوضة هي التي قبضت بذلك .

فقال لورد ملر : « إنني اهتمت بالمسألة ، وأكبر ظني أن القبض عليه للاشتباه في أن له دخلاً في الاعتداءات على الوزراء ، وقد طلبت التفاصيل ولم تأت بعد ، وإنني مشترك معك في أنه إذا لم يكن هناك تهمة معينة ولا دليل عليها كانت المسألة خطيرة ، وحتى لي العمل » .

وفي هذه الأثناء قدم له سكرتيره ورقة مكتوبة ، فقال لورد ملر : « إن هذا التلغراف من مصر يفيد أنهم القبض على عبد الرحمن فهمي بتهمة معينة ، وأن هناك أدلة ستصل في تلغراف آخر » . فقلت : « إن هذا التلغراف يدل على أنه ليس هناك أدلة ، لأنه لو كانت ، لوضحوها في هذا التلغراف ، لأنها هي التي تهتم معرفتها ، وهذا ما يحتملني أعتقد أن السبب سياسي ، ولا يلحق حصوله في أثناء المفاوضات التي حصلت بقصد الوصول إلى اتفاق بيننا » . قال لورد ملر : « إنني منتظر التفاصيل لأعمل بناء عليها » .

وحكيبت له قصة الثعلب . وعريه عند علمه بتسخير الجمال في السلطة العسكرية : « قالوا للثعلب : لماذا هربت من مصر ؟ » قال : « إن السلطة العسكرية تجمع الجمال » . قالوا : « ولكنك لست جملاً » . قال الثعلب : « سأقول لهم أنا جملي » .

فيقولون : ثعلب . لا ، جمل ! لا ، ثعلب ! . . حتى أتى مسجوناً إلى أن تنتهي الحرب ! . . قلت ضاحكاً : « إن الاتهام سهل ، ولكن الإثبات صعب جداً ، ولا ينبغي أن تسعوا للحصول على الأدلة ، بل يجب - خصوصاً في هذه الحالة - أن يكون الحبس بناء على وجودها ! » .

فوافق لورد ملزر على ذلك . وجاء ذكر تفتيش بيت عبد الرحمن فهمي ، قلت : « هل ينبغي أن يفتش بيته ، وفيه مخابراتنا المتعلقة بالمقاومة ، بعد أن استأذنا أن يكون المخابر أحياناً بيننا وبين الوفد في القاهرة بالشفرة أثناء المفاوضات ، وقد يجوز أن يكون في هذه المخابرات ما يسوؤك ؟ إن حماية المخابرات تقضى بعدم التعرض لها بالتفتيش في الأحوال الاستثنائية ! » . قال لورد ملزر : « إنني موافق على ذلك ، ومتأكد تقريباً أن لورد ألبي لا بد أن يكون جرى على ذلك ، ومع هذا فلنأخذ لا فعل شيئاً حتى تأتي التفاصيل . . وأنا أول من يفهم حرج مركزك في هذه الحالة » .

٥ يوليو سنة ١٩٢٠

بعد انتهاء المفاوضات اليوم مع لورد ملزر ، وانصراف إخواني (عليه يكن ، وعبد العزيز فهمي ، ومحمد محمود) تكلمت مع لورد ملزر في مسألة عبد الرحمن بك فهمي . قال إنه مقتنع تمام الاقتناع بأن القبض عليه لم يكن إلا بناء على أدلة ، ولا بد من عرض هذه الأدلة على القاضي للفضل فيها ، وأن البلد تحت الأحكام العرفية . . . وغير ذلك من الأحوال التي لم أرتع إليها .

٨ يوليو سنة ١٩٢٠

في نهاية اجتماعي بلورد ملر تكلمت معه في مسألة عبد الرحمن بك فهمي ، فقال إنه ورد عليه من مصر ما يدل على أنه تحول إلى محكمة عسكرية . قلت : « إننا نخضع للحكم القضاء » .

١٠ يوليو سنة ١٩٢٠

في هذا اليوم ورد تلغراف من محمود سليمان باشا ، بأن عبد الرحمن فهمي بك تحول إلى محكمة عسكرية تتخذ في يوم ١٥ يوليو بتهمة كونه عضواً في جمعية « الانتقام » . وجرى التحقيق في غيابه بواسطة محمد بدر الدين مدير الأمن العام و « مكنتين » . ولم يسأله أحد ، ولشهود ضده ملفقون . وللقلي عام .. فلعب على إلى لورد ملر في الساعة الرابعة مساء ، وأطلعه على التلغراف . فاستبعد بلورد ملر حصول ذلك . ووعده أن يستهم تلغرافياً عن الحقيقة ، وأكد أنه كتب مرتين توصية لاستعمال الدقة والاحتياط ، وأن لورد ألكني أكد له أن كل الضمانات لحرية الدفاع وعملية الحكم متعطى .

١٥ يوليو سنة ١٩٢٠

ورد تلغراف من محمود باشا سليمان بأنه تحددت جلسة في ١٥ يوليو للتحقيق مع عبد الرحمن فهمي بك ، وأن المتهمين بلغوا ثلاثين ، وأن جلسة المحاكمة تحددت في يوم ٢٠ يوليو . وقد تبين أن جلسة التحقيق التي تحددت كانت بعد قرار المحاكمة ، ولم يحصل التفكير فيها غالباً إلا بعد ملاحظتي للورد ملر . واقترح محمد محمود أن

يدافع محام إنجليزي عن عبد الرحمن فهمي (أمام المحكمة العسكرية الإنجليزية) فتقويت الفكرة بالارتياح لأنه لا بد أن يكون بريئاً ، ولم يتهم إلا للخدمات التي كان يؤديها للوند ، لا لكونه جانياً ، إذ يعلم أن الإجرام ليس من وسائل الوفد ولا من رعايته ، بل من أقبح الأشياء لديه ، ولا يزال على بك ماهر وعبد اللطيف المكباتي يبحثان عن محام قدير لهذه المهمة . ولقد فكرت أمس طويلاً ، وأخشى ما أخشى أن التباطؤ (في المفاوضات) مع استبداد الحكومة في مصر ، وللسائنات التي ييشها أعداء الوفد ضده ، خصوصاً بعد اعتقال رجل مثل عبد الرحمن فهمي ، كان عليه معول كبير في ترويج الأفكار الصحيحة ، ومقاومة الآراء الفاسدة التي كان يروجها الخصوم والحاسدون . ولقد قال لي أمس مستر ولرنند (مندوب اللورد ملتر) إن الأمير عمر طوسون باع قطعه بمبلغ ثمانمائة ألف جنيه ، وعلمت أنه وضع هذه الأموال تحت تصرف خصوم الوفد . وأيد حمد باشا الباسل هذه الرواية ! .

• • •

١٦ يوليو سنة ١٩٢٠

ورد أمس تلغراف من محمود باشا سليمان بتاريخ ١٥ يوليو بأن جلسة التحقيق ضد عبد الرحمن فهمي بك وبقية المتهمين انقضت ، وتلا الضابط الإنجليزي المحقق أوامر مقتضاها أنه لن يحقق ، وإنما تنحصر مأموريته في أن يتلو على الشهود أقوالهم للتحقق من صحة صدورهم منهم ، ويجب أن تنحصر المناقشة في هذه الأحوال فقط ، فاعترض المحامون على هذه التصرف ، واعتبروه مخالفاً للقانون ، وطلبوا إجراء

تحقيق قانوني عادل، فلم تجب المحكمة العسكرية طلبهم . . . فانسحبوا من الجلسة محتجين ، وقابلوا الضابط البريطاني بمثل الاتهام في المجالس العسكرية ، فوافق على مخالفة التصرف للقانون ، ولكنه أعلن أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ! .

• • •

ثم يكتب سعد زغلول ويقول (صفحة ٢٧٥٥) في مذكراته :

« واستغربنا جداً من هذه المعاملة ، واعتبرناها دليلاً على سوء نية القوم ، وأنهم لا يهتمون إلا بشئ واحد ، ألا ، الأفضل وضع مذكرة تشير إلى ظلم تلك الإجراءات الاستمرارية في المفاوضات مع وجودها . وقد حررت هذه المذكرة فعلاً ، وترجمتها كامل سليم إلى الإنجليزية أسس ، وترجمها كل من عبد العزيز ، ثم حضر عدلى يكن باشا وحسين رشدى باشا إلى حادة . وكان لطفى السيد وعدلى يكن ورشدى يقولون إنه ات بناء على هذا السبب ، لأنه غير كاف في اعتبارهم ، ما بعد ورود مذكرة ملتر عن المفاوضات . وكان لطفى السيد يسعد عدلى يكن ورشدى ! . ولكن الأغلبية ، ما عدا لطفى السيد ومحمد محمود وحمد الباسل ، وافقت على رأى بإرسال المذكرة . ولا اشتد الجدل قلت : « إننى المسئول عن المفاوضات ، وأشعر أن القوم يتلاعبون بنا ، حتى تنقسم البلاد على نفسها ، بمساعي السلطات وغيرهم من النصوص والمخاسين . وهذا سبب كاف في اعتبارى لأن أقطع المفاوضات على هذا السبب ، وهو خير من قطعها بسبب البطل »

فيها ، وهو بطل مقصود ، يقصد به اكتساب الوقت حتى يتم هذا الانقسام .
 وهم (الإنجليز) إلى اليوم لم يرتبطوا معنا بشيء ، وما ارتضينا كذلك بشيء منهم .
 وقد أهتمت عدلى بكن عند ما أراد التشكيك في صحة التفارغ بأن يرسله هو
 مصدر علمنا بالأشياء ، وليس لنا أن نشك في صحة روايته . وأجبت على تهديده
 لنا ، بأن هذه مسئلة كبرى ، وعلى قول عدلى أن من الحساسة أن تقطع مفاوضات
 الاستقلال بناء على هذا السبب . . أجبته بأننا لا نزال شيئاً ، وأن تلك المماثلة
 وهذه المعاملة تدلان على أنهم لا ينون إعطائنا شيئاً . . وقلت جواباً على اعتراض
 رشدى باشا بأنه لا ينبغي قطع المفاوضات بسبب مخالفة العدالة في مصر ، بأن هذا
 أكبر سبب ، لأن العدالة تخالف للثكابة برجالنا الوطنيين ، في الوقت الذى نعد يدنا
 إليهم لمعقد اتفاق بين الأمتين . وقد جاء كلام عدلى باشا أن لورد ملر بحث إليه
 ليحضر عنده في الساعة السادسة من مساء هذا اليوم ، فتأجل البت في المسألة لحين
 عودته من عنده . وقال عدلى ، عند انصرافه ، إن ملر يرجو أن يطاع على المذكرة
 قبل عرضها ، ليحدد فيها ما لا يكون مقبولا قبولاً أساسياً .

وقد كان عدلى باشا ، أثناء المناقشة ، مضطرباً ، يفضب تارة ، وتارة يرضى ،
 ولكن لم أن لشده ، ولا لينة ، كما أنى لم أبقي لرشدى حيلة يستعملها حتى يقضتها ،
 بما كان يفحبه . وكانت خطة رشدى وزميله عدلى ولطفى السيد غير ملائمة لخطة الوفد .
 وقال على ماهر بعد انتهاء المناقشة إن الأغلبية مع المذكرة ، ولم يشذ عنها إلا أقلية
 ضئيلة . فقال محمد محمود بشيء من الازفعال : « كيف ذلك ؟ » ، وكان يعنى
 أن الأكثرية لم تكن موافقة عليها . فسألته عن رأيه ، فقال (محمد محمود) : « لى
 لم أطلع على المذكرة » ، فدعوته ليقراها عند الغداء . . فذهب ولم يعد . . ثم بعد
 الغداء سأله عنها ، فقال إنه لم يطلع عليها . . فأردت أن أحكى له مضمونها ،

فلم يقبل بحجة كونه ذاهباً مع علي ماهر عند الخاوي . وما ذهب ، بل عاد بعد قليل ،
وجلس يقرأ الجرائد ، وما تكلم في المذكرة . .
فانظر لهذا التصرف ، يملك علي أن هناك ما يلزم التنبه له تنبهاً شديداً ! .

١٧ يوليو سنة ١٩٢٠

كان علي يكن وعدنا بأن يعود من عند لورد ملر ، إلينا تَوَّأً ، فانتظرناه لحد الساعة
الثامنة ، فلم يحضر . وكنت مع واصف غالي نتحدث في طول غيابيه ، فقلت ،
وواقفي على قول ، إنه لا بد أن يكون مر علي رشدي باشا قبل أن يحضر إلينا . لأنه
لا يمكن أن تكون الجلسة مع لورد ملر طالبت به إلى هذا الحد . ولم نكد ننتهي
من حديثنا حتى تكلم علي بالتليفون قائلاً إنه عاد إلى الفندق ، وحاضر بعد العشاء ،
وإنه اطلع على مذكرة ملر ، وناقشه فيها فوجده مستعداً لتعديل بعض ما ورد
فيها .

بعد العشاء حضر علي مع رشدي ، وحضر جميع أعضاء الوفد .
وكتب سعد زغلول في صفحة ٢٠٥٧ : قال علي : « إن لورد ملر أكد له
أن العدالة في قضية عبد الرحمن فهمي لا بد أن تبلغ حلتها » . قلت : « ما أحلى
القول ، وما أمر العمل ! » .

ثم تحدث علي يكن عن المفاوضات ، وعن مذكرة لورد ملر عن مقترحاته
لأساس الاتفاق ، وكتب سعد زغلول يقول : « قرأنا علي المذكرة التي أعدها
ملر وزملائه ، لعرضها علينا ، بالإنجليزية ، وترجمها إلى الفرنسية وتكلم عن
النقط التي ناقشه فيها ، وسلم إليه في بعضها واستعد للمناقشة معنا في وقت
آخر . وكنت متعباً وقت الترجمة وحكاية المناقشة . وكان علي يترجم بألفاظ ملر ،

ومعجب بروايتها ، فلما انتهى قلت له : « إن هذه المذكرة أنكزت ما مضى ، وجعلت كل الحادثات سدى ، والتسويق ظاهراً فيها ، والمطل غائباً ! » . وأخذ عدلى يؤيدها ! . . . ورشلى يستنهدا ! . . . واحتد الجدل بينى وبين عدلى وساعطى سينوت حنا ، ولكنه تجاوز فى التظاهر بعلم الرضاء ، والقول بقطع المفاوضة . . . فأنبرى له عدلى ، وأوسع تأنيباً . . . وجاء فى قوله ، وهو فى شدة الغضب : « هذا شيء يحن ! » . قلت : « كيف ؟ » . قال مؤكداً غضبه : « نعم » . . . وخرج عدلى من غير أن أقول له شيئاً ، وقال لى : « أنا لا أقصداك ، وإنما أقصد الكلام الذى تم بينى وبين سينوت حنا » . . . فتدخلت بينهما ، وأنهيت الأمر ، ثم بعد ساعة انصرف عدلى مع رشلى .

والذى أشعر به أن عدلى يريد أن يوصل إلى حل على أى وجه كان ، لأنه معجب بجملة لورد ملتر به كل الإعجاب ، ولا يريد ضياع هذه الثقة . ورشلى ليس مثله ، ولكن الذى بينهما ناشئ عما بينه وبين الإنجليز من الثقة والحب . ويشاع عدلى لطفى السيد محمد محمود ، وأبتداً محمد على (حلوبة) بميل ميلهما ! . . . وقد طلب محام شهير قصده على ماهر للدفاع عن عمه عبد الرحمن بك فهمى عشرة آلاف جنيه ، فاستكرتها ، وقلت : « الأحسن أنخذ غيره ، ممن يكون أقل كلفة منه » . وكان ذلك بحضور عبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود وعلى ماهر . وتم الأمر على ذلك ، وأشعر على ماهر سمسار المحامى الشهير التالى بذلك من أمس . . . ولكن سينوت بك حنا اعترض - وأنا دخلت لبيت الأدب - قائلاً : « أريد أن أحدثك بأمر » . . . قلت : « ما هو ؟ » . قال : « إن إخواننا يريدون تحويل المحامى التالى ، ورجوت أن أقول لك ذلك » . قلت بغضب : « إن هلم هديان ! » ، ثم دخلت . . .

وبعد أن خرجت ، قال لي سينوت حنا إن لطفى السيد ومحمد باشا محمود
تكلموا على الغذاء بذلك . قضت الكلام أمام أعضاء الوفد جميعهم ، وقلت لم إلى
لا أريد أن تنهب الأموال ضياعاً ، ولا أرى وجهاً لتثبيت بذلك الحاي ، على
أنى لا أعارض فيه إذا لم تتجاوز أثمان خمسة آلاف جنيه ، لأن هذا المبلغ محتمل
دفعه ، أما المبالغة فليست مرضية ، ولا سليمة من الاعتقادات ، وقد كنت ارتحت
أمس لعدولنا عن هذا الحاي الثالى ، عند ما علمت بأنه أشاع مقدار أثمانه ،
حتى وصلت إلى لورد ملر ، كإحدى خير استكثاراتها .

وغضب محمد محمود باشا متوهماً أنى أنسب إليه أنه هو الذى دفع سينوت حنا
الكلام رغبة في تنفيج صاحبه الحاي . وما كان بصاحبه ، ولا يعرفه ، ولكن كل
ما في الأمر أنه متزوج بإحدى كريمات فاظر المدوسة التي تخرج منها هذا الغضب ! .

١٩ يوليو سنة ١٩٢٠

أرسلت إلى لورد ملر هذا الاحتجاج على التصرفات التي حصلت في قضية
عبد الرحمن فهمي ، وهذا نصه : « إن التفرقات التي تردني من مصر في هذه
الأيام ، تدل على أن السلطة فيها تتبع سياسة استثنائية ، فوجب الانزعاج ،
ورفض الطمأنينة من القلوب . فقد ألقت القبض على ثلاثين شخصاً ، وأودعتهم
السجن ، من غير سؤال ، وحققت ضلهم ، ثم حولتهم على المحاكمة أمام مجلس
عسكري يجب أن ينقد في ٢٠ يوليو . وبعد أن تحدت هذه الجلسة لحاكميتهم ،
حددت جلسة قبلها أى بتاريخ ١٥ يوليو للتحقيق معهم . ولا حضروا مع الحامين
عنهم الذين يبلغ عددهم ٢١ محامياً ، تلا عليهم الضابط المحقق أمراً ، بأنه لن

بحق معهم ، وإنما تنحصر مأموريته في أن يتلو على الشهود أقولهم ، للتحقق من معرفة صدورها منهم ، وأن المناقشة إنما تحصل في هذه الأقوال فقط . . فاحتج المحامون لمخالفة هذا الإجراء للعدل والقانون ، وطلبوا منه إجراء تحقيق قانوني عادل ، فرفض طلبهم ، واضطروا للتسحاب ، وعرضوا الأمر على المدعى العمومي ، فوافقهم على مخالفة هذه الإجراءات القانون ، ولكنه عرفهم بأنه لا يستطيع عمل شيء . ولم يعبأ المحقق بالتسحابهم ، بل استمر في تلاوة أقوال الشهود ، ولم يتمكن المحامون من الاطلاع على أوراق الدعوى .

ولسنا نعرض للتهم الموجهة ضد المتهمين ، بنفي أو إثبات ، لأننا لا نعرف الحقيقة في أمرها ، وقد يجوز أن يكونوا جناة ، كما يجوز أن يكونوا أبرياء ، ويجب أن يحظى القضاء في حكمه لم أو عليهم ، كما أبدينا لكم ذلك من قبل . ولكن الذي يهمنا بصفة كوننا مصريين ، وفوايا عن الأمة المصرية ، أن تستوفي جميع الإجراءات التي وضعها العدل ، وأبدعها القانون ، لضمان العدالة وحرية الدفاع . والإجراءات التي باشرتها السلطة في هذه المسألة عملة كل الإخلال بهذه الضمانات ، كما تدل عليه المذكرة المرفقة بهذا ، الصادرة من أشهر المحامين هنا . وكنا ننتظر ، في الظروف الحاضرة التي تجري المفاوضة فيها للتوفيق بين الأمتين ، وتأسيس العلاقات بينهما على المودة والصفاء ، أن يتامل المصريون بأحكام القوانين المدنية لا بالأحكام العرفية ، ولا بما هو أشد شذوذاً حتى من هذه الأحكام الاستثنائية بطبيعتها ، لأن سبق التهم بيمينية من أفضح الجنايات وأشنعها ، أمام محكمة يصح أن تحكم عليه بالإعدام ، من غير سؤال عن التهمة ولا تحقيق بحضوره ، وانتصاب ضابط يتلو على الشهود أقولهم ، ليدكرهم بها قبل أدائها في هذه الجلسة ، كل ذلك شذوذ عن كل مبدأ .

والإتيان بهذا الشذوذ تحت اسم العدالة مزيج للنفس، ومن شأنه توسيع الخلف بين
الأميين، وإحباط المساعي المبذولة للاتفاق . إن مصر كانت تستظر بمناسبة التدخل
في المفاوضات أن تلغى الأحكام العرفية، فإذا هي باقية تخنها ، بل تحت ما هو أكثر
منها شذوذاً ، وأشد خطراً على حرية البلاد وحياة الأفراد . هذه هي حقيقة الحال،
وتبرهن جنابكم أنها بلغت حدّاً من الخطورة يهدد الاتفاق الذي نريد وضعه ! .
ولذا رأيت أن من المفيد أن أحيط جنابكم علماً بالحالة .
وتقبل أيها السيد الكريم احتراماتي الأكيدة .

سعد زغلول

ولكن جهود سعد زغلول لم تقلح . . إن المحكمة العسكرية البريطانية العليا
المؤلفة من خمسة ضباط برئاسة البريجاديير جنرال لوسون أصدرت الحكم بإعدام
عبد الرحمن فهمي ، وعلمود عبد السلام ، ومحمد يوسف ، ومحمد حسن البشيشي ،
ومحمد لطفي المسلمي ، وحكمت على باقي المتهمين بالأشغال الشاقة .
ولكن قصة عبد الرحمن فهمي لم تنته بالحكم عليه بالإعدام !

صدى الحكم بالإعدام على عبد الرحمن فهمي !

أصدرت المحكمة العسكرية البريطانية العليا حكمها بإعدام عبد الرحمن فهمي
وزملائه ، بتهمة محاولة خلع السلطان وقتله هو ووزرائه ، وتدير الثورة ضد
الحماية ! .

وصل الحكم في ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٠ ، ولكنه لم يعلن ، فقد أرسلت المحكمة

المسكينة الحكم إلى القائد العام للقوات البريطانية للتصديق عليه : وأرسله القائد العام إلى لورد ألنبي للتدوين السامى ونائب الملك لإبداء رأيه .

وأرسل لورد ألنبي الحكم في يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٠ إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن يسألها رأيا . . . وتبذرت مراسلات عديدة بين لندن والقاهرة : هل يفيد حكم الإعدام في عبد الرحمن فهمى أو لا ١٤ . . . واختلف الرأى بين القاهرة ولندن . اللورد ألنبي للتدوين السامى يرى ضرورة الإعدام . . . والقائد العام للقوات البريطانية يرى تنفيذ الإعدام . . . لكن الجنرال كليتون رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط يقول إن تنفيذ الإعدام سيؤدى إلى انقجار هائل ! :

ومكثت المناقشات مستمرة طوال شهر أكتوبر ، وشهر نوفمبر ، وشهر ديسمبر ، وشهر يناير . . . واجتمعت الوزارة البريطانية لبحث هذا الموضوع (الطير ، وكان من رأى لورد كيرزون وزير الخارجية وقتها أن تنفيذ حكم الإعدام سيؤدى إلى عواقب وخيمة . . . وفي ٢٠ فبراير سنة ١٩٢١ قررت الحكومة البريطانية استبدال حكم الإعدام في عبد الرحمن فهمى وزملائه بالسجن ١٥ سنة ! .

• • •

ولكن أعمال الجهاز السرى لم تتوقف بهذا الحكم ! بل استمر العمل على نطاق واسع . . . وتصورت السلطة البريطانية أن عبد الرحمن فهمى يدير الجهاز وهو داخل السجن ! . . . وجرى تحقيق معه . . . وقل إلى الإسكندرية . . . ولكن الحوادث استمرت ! ! . . . وكتب لورد جورج لويو للتدوين السامى البريطانى في مذكراته (صفحة ٦٨ من الجزء الثانى) يقول :

استمرت حملة الاغتيالات بدون توقف : في يوم ٢٤ مايو قتل البكباشى .

« كيف » القتش في بوليس القاهرة في في وضع النهار ، وفي ٢٥ يوليو أطلق الرصاص على الكولونيل « سيجوت » من ضباط الجيش البريطاني ، وأصيب برصاصتين في رقبته . وكان هذا يحوار القنصلية البريطانية في القاهرة . كانت الأحكام العرفية معلنة ، ولكنها كانت عاجزة أمام هذه الجرائم السياسية . ولم تستطع احتجاجات لندن أن تفعل شيئاً . . . وفي ٢٤ يوليو أصدر زعماء الثورة قراراً بأن العنف هو الطريقة الوحيدة لمقاومة وزارة ثروت . . .

وأصدر اللورد ألكبي في الحال أمراً باعتقالهم . ولكن قائمة الاعتداءات على حياة الإنجليز أصبحت طويلة . إن عبد الرحمن فهمي الذي كان يدير جمعية الانتقام التي قامت بالاغتيالات في عام ١٩٢٠ كان في سجن مصر تنفيذاً للحكم الذي صدر ضده . ولكن أحد المسجونين العاديين الذين أفرج عنهم من سجن مصر مع عبد الرحمن فهمي أبلغ حاكم بوليس القاهرة أن عبد الرحمن فهمي يعامل معاملة غير عادية ، وأنه يقوم باتصالات مع الخارج . . . فلا عجب أن الإجراءات المشددة لم تحدث أثراً ، فقد أطلق الرصاص في ١٣ أغسطس على مستر براون من كبار موظفي وزارة الزراعة وأصيب فعلاً . . . وتدخلت الحكومة البريطانية وطلبت من اللورد ألكبي أن يوجه إنذاراً إلى الحكومة المصرية . ولكن لورد ألكبي أرسل في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٢ إلى لورد كيرزون وزير الخارجية ينصحه بعدم تقديم الإنذار . . .

وأصبح الموظفون الإنجليز يشعرون بأن حياتهم في خطر . . . ومع أن سعد زغلول كان منفياً ، وعددًا من زعماء الثورة في السجن أو تحت المراقبة ، فإن شيئاً لم يتغير . . . وفي ٣ أغسطس كان عدد الموظفين الأجانب الذين طلبوا الخروج من خلفنة الحكومة المصرية قد بلغوا ٩٩ موظفًا . . . انتهى ما كتبه لورد لويد في

مذكراته بعنوان « مصر منذ عهد كرومر » .

والواقع أن سجن عبد الرحمن فهمى لم يوقف الحركات السرية في الثورة ، ولم يستطع الإنجليز أن يضعوا أيديهم على القسم الخاص بالاختيالات في الجهاز السرى للثورة ! .

واستمر الجهاز يعمل !

وفي يوم السبت ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ اعتقلت السلطات البريطانية سعد زغلول ! . . وصودرت أموال زعماء الثورة في البنوك ! .

وفي يوم ٢٥ ديسمبر أضرب الأزهر ، والمحامون ، والتجار ، والمهندسون والمدارس كلها . .

وفي يوم ٢٦ ديسمبر وضع على الجدران أمر عسكري من اللورد ألنبي بأن الجنود الإنجليز مأمورون بإطلاق الرصاص على أى تجمع ! . . وقامت ثورة في زفتى ، وأرسل طاووز عسكري إنجليزى لإخمادها . . وفي ٢٧ ديسمبر قامت ثورة في الحوامدية ، وأرسل طاووز عسكري إنجليزى لإخمادها . . ثم أضرب موظفو التلغراف والتليفون . وأضرب عمال الترام . وأضرب الحوذنة . . وفي ٢٨ ديسمبر أضرب العمدة ، وقرر الشعب مقاطعة البضائع الإنجليزية . وأغلقت وزارة المعارف ٣ مدارس بسبب الإضراب . . وأضرب القضاة . . وفي ٢٩ ديسمبر أضرب الموظفون : وفي ٣٠ ديسمبر أعلن اللورد ألنبي أن الحكومة ستقطع رواتب الموظفين الذين أضربوا ! . . وفي ٣١ ديسمبر أطلق الرصاص على المستر هاتون رئيس متعمدة وابورات مصر في العنابر ، وفر المعتدون ! فاحتل الجيش البريطانى حديقة الأزبكية وأقسام

البوليس في القاهرة . . . وفي ٤ يناير سنة ١٩٢٢ أطلق الرصاص على مسر فاندريخت
 جديز شركة ترام القاهرة ! . . . وفي ٦ يناير أطلق مجهول الرصاص على عماد بدر الدين
 مدير الأمن العام فأصابه في رثته . وفي ٧ يناير أعلنت مكافأة ٥٠٠٠ جنيه لمن يدل
 بمعلومات عن الذي أطلق الرصاص على مدير الأمن العام ، ولم يتقدم أحد . . .
 وفي ١٤ يناير أعلنت دار الحماية أن أموال كل زعماء الثورة جمدت في البنوك ! . . .
 وفي ١٧ يناير أطلق مجهول النار على المسر هوبكن المهندس في ورشة العنابر بجوار
 كوبري شبرا وأصابه . وفي ٢٠ يناير أطلقت النار على مسر جوردان الموظف
 الإنجليزي قرب غازان البضائع في محطة العاصمة فقتل ، والجاني مجهول . . . وفي ٢١
 يناير أطلقت النار على المسر براون مراقب وزارة المعارف فقتل ولم يعرف الجناة !
 وأطلق الرصاص على مسر « برينش » من موظفي السكة الحديد فأصيب ، ولم يعرف
 الجاني . . . وفي ٢٢ يناير قررت الحكومة منح خمسة آلاف جنيه لمن يعرف قاتل
 مسر براون ، فلم يتقدم أحد . . . وفي ٢٣ يناير أعلن القائد العام للجيش
 البريطاني أنه لا يجوز لأحد من حاملي السلاح ، وكل من يضبط يحكم عليه
 بالإعدام . . . وفي ٣ مارس هاجم الشعب مركز البوليس في طنطا واستولى عليه .
 وحصلت معركة قتل فيها ٣ وجرح ٢٠ . وفي ١٤ مارس أطلق مجهولان الرصاص
 على مسر مكتنوش مدير قسم القاطرات في السكة الحديد فأصيب . وفي ١٩ مارس
 أطلق مجهولان الرصاص على جنديين بريطانيين في محطة كوبري الليمون وتوفي الأول .
 بحالة الخطر خطيرة . وفي ٢٠ مارس ألقى الشعب الطماطم والبيض على الأعيان
 الذين ذهبوا لتهنئة الملك فؤاد ، وقبض على ١٥٠ . وفي ١٦ يوليو أطلق مجهولان
 الرصاص على الكولونيل « بييجوت » من ضباط جيش الاحتلال في شارع جامع

جرس بالقاهرة وحالته خطيرة . وفي ١٧ يوليو حكم بالإعدام على محمد أمين .
ومحمود وصفي اللذين ضبط عندهما طلقات مسدس .

وفي ١٥ أغسطس حكمت المحكمة العسكرية بالإعدام على : حمد الباسل ،
وعلى الجرار ، وواصف غالى ، وجورج خياط ، وويصا واصف ، ومراد الشريبي .
ثم استبدل الحكم بالسجن ٧ سنوات . وأطلق الرصاص على أسرة مستر براون الموظف
بوزارة الزراعة أمام حديقة الأورمان . وفي ١٧ نوفمبر أطلق الرصاص على حسن
عبد الرازق باشا وإسماعيل زهلى بك عضوى الأحرار المستوريين قتيلا . وفي يوم ٢٣
يناير سنة ١٩٢٣ نفذ حكم الإعدام فى أحمد رشدى وحافظ حسين المتهمين فى
قضية القنابل . وفى يوم ٢٩ يناير أطلق الرصاص على مستر « روبرتسون » المدرس
بالحقوق ، وقتل ، وهرب الجناة . وفى يوم ١ فبراير أصدر اللورد ألتني بلاغا بأنه
سيخذ إجراءات شديدة إذا استمر اغتيال البريطانيين . وفى يوم ٦ فبراير ألصقت
فى الشوارع إعلانات بمكافأة عشرة آلاف جنيه لمن يعطى معلومات تؤدى إلى القبض
على الجناة فى حوادث الاغتيالات ، فلم يتقدم أحد ! . وفى يوم ٧ فبراير أطلق
الرصاص على المستر اميلو ، الموظف بمصلحة السكك الحديدية . وفى يوم ١٤ فبراير
ألقيت قنبلة على معسكر الجنود الإنجليز فى جزيرة بلدان . وفى يوم ٢٢ فبراير
فتشت السلطة الإنجليزية بيت الأمة (بيت سعد زغلول) وطردت من فيه وأغلقتة .
وقامت بعملية اعتقالات ضخمة . وفى ٢٤ فبراير أضربت جميع المدارس ، وأصدر
اللورد ألتني أمرا بإغلاق كل مدرسة لا تنتظم : وفى يوم أول مارس ألقيت قنبلة على
خمسة جنود إنجليز فى شارع نوبار فأصيبوا جميعا .

وفى يوم ٦ مارس صدر الأمر بالقبض على جميع أعضاء الوفد ! .
وفى يوم ٧ مارس عطلت جريدتا (اللواء المصرى) و (البلاغ) . وفى يوم

٨ مارس أعلنت الحكومة عن عشرة آلاف جنيه أخرى لمن يرشد عن حادث القنبلة .. ولم يتقدم أحد ! . . وفي يوم ١٧ مارس ~~نشبت السلطة العسكرية~~ جميع منازل حي عابدين فلم تعثر على شيء . . . وفي ١٨ مارس فرضت غرامة على جميع سكان حي الأوبكية لأنه حدثت اعتداءات على الجنود الإنجليز . وفي يوم ٢١ مارس قامت حملة تفتيش في جميع أقسام العاصمة ، ولم يعثر على شيء .

وفي أول أبريل أعلنت وزارة خارجية بريطانيا الإفراج عن سعد زغلول من مناه في جبل طارق ! .

من الذي يقود الجهاز السرى ؟

وعبثاً حاولت المخابرات البريطانية أن تعرف كيف يدار الجهاز السرى للثورة بعد القبض على عبد الرحمن فهمى ! . . على الرغم من أنها أعلنت عن مكافآت بالآلاف للجنيئات لمن يرشد عن الجناة : بلغت في بعض الأحيان عشرة آلاف جنيه ! وكان الجهاز السرى في ذلك الوقت يتألف من عمال فقراء ، وطلبة فقراء ، وموظفين صغار !

ولكن العشرة آلاف جنيه لم تستهرو واحداً منهم ! .

• ولم يستطع الإنجليز منذ القبض على عبد الرحمن فهمى في أول يوليو سنة ١٩٢٠ إلى أبريل سنة ١٩٢٥ أن يعرفوا شيئاً عن الجهاز السرى للثورة !

وكتب سعد زغلول في يوم الاثنين ٢٥ مايو سنة ١٩٢٥ (صفحة ٢٨٣٧):

« وزعت النياية أمس على المحامين في قضية السردار ملحق تحقيق ، وفيه أن شفيق منصور قرر أنه كان يفكر أن القتل السياسي مفيد ، ولكنه رجع الآن إلى رشده . واختر أنه مضر ، ولذلك هو يقول الحق وكل ما يعرفه . ذلك أنه وأصحابه افكروا أولاً بأن يقتلوا وكيل حكومة السودان هنا ، ولكن أحمد ماهر رفض أن يقر هذه الفكرة ، فأهملت . ثم افكروا بعد ذلك في قتل السردار فوافق ، وذكر اسم حسن كامل الشيشي . كما أقسم (شفيق منصور) أن الوفد لا يدخل له في الجريمة ، وأصر على قوله في مواجهة أحمد ماهر . . وقال شفيق في اعتراضاته إن التفراشي صرخ ورفض أن يسمع كلاماً في خصوص هذا الإجراء ، ورفضه رفضاً باتاً ، ولكن شفيق منصور قال في الوقت نفسه إن اللجنة العليا المكونة للإجراء كانت منه ومن ماهر والتفراشي . . . »

المسألة رقم ١

وعند ما عاد سعد من جبل طارق ، ونال الأغلبية الساحقة في أول انتخابات ، وبدأت المشاورات ليؤلف الوزارة ، كان يفكر في الإفراج عن عبد الرحمن فهمي قبل أن يختار أسماء الوزراء . . .

لقد فرجى بأن الوزارة السابقة عقدت اتفاقاً مع الحكومة البريطانية بأن الحكومة المصرية لا تستطيع وحدها أن تفرج عن المسجونين السياسيين . . . وعندما

ذهب نائب المندوب السامي البريطاني لمقابلة الرجل الذي يتولى أول حكم بناء على انتخابات عامة ، كان أول موضوع فكر سعد أن يشير به هو موضوع عبد الرحمن فهمي !... ونحن نترك هذه كرات سعد زغلول تحكي القصة كلها .
في صفحة ٢٧٧٦ كتب سعد زغلول يقول :

يوم ١٩ يناير سنة ١٩٢٤ :

قال لي مسر كار (نائب المندوب السامي البريطاني) إنه لم يستحسن من يوم حضوره إلى مصر سياسة الشدة ، وسعى في إبطائها ، وكان من نتيجة معيه إعادة المنفيين ، وإطلاق سراح المسجونين . قال هذا وكرره . : فقلت : « هم أفرج عن بعض أشخاص ، ولكن تقيدت أمة بما لها ! » . قال : « كيف ذلك ؟ » . قلت : « إن الاتفاقات التي تمت مع قانون التوقيضات قد أنشأت لإيجلاً حقوقاً على الأشخاص والسلطات المصرية لم تكن لها من قبل ، فلنحكم عليهم سياسياً لا يعني عنهم إلا باتفاقها . » . قال : « إن هؤلاء ليسوا مجرمين سياسيين » . . قلت : « إنهم مجرمون سياسيون ، وثبت معنى ذلك . » . قال : « هل يوجد شيء من هذا النوع ؟ » . قلت : « يوجد كثير » . قال : « إن كان كذلك فالأمر يسوى » .
وفي صفحة ٢٧٨٢ كتب سعد زغلول يقول :

يوم الاثنين ٤ فبراير سنة ١٩٢٤

« ورد خطاب من مسر كار (نائب المندوب السامي البريطاني) يقول إنه لم يأخذ جواباً نهائياً في مسألة المسجونين ، ولكن المسألة سائرة في طريق راضية ، ويتعشم أن يعطيني خبراً ساراً بعد قليل من الأيام . ففهمت من هذا الخطاب أن المسألة

وسبكة الحل ، أو أنها انحلت فعلا ، ولكن المخاطرة فيها جارية مع اللورد ألباني ، ولما
تنته .. ثم ورد من عزيز عزت (وزير مصر المقوض في لندن) ما يفيد أن المسألة
لا تزال تحت النظر : وفي نحو الساعة العاشرة من صباح أمس ، طلب مستر كار
بالتليفون مقابلتي ، فحددت له الساعة الثانية عشرة . فحضر قائلا : « إني أحمل
لك خبراً ساراً » . . . ودفع لي ورقة مكتوبة بالإنجليزية ، فأخضت أقرأها . فتعجرت .
وحينئذ أبرد لي ورقة باللغة الفرنسية اشتملت على ما يأتي : « أشرف بإعلامكم أنني
استلمت الآن من السكرتير الأول للدولة في وزارة خارجية ملك الإنجليز تلغرافاً ،
يكلفني أن أبلغ دولكم البلاغ الآتي :

« إن حكومة جلالة ملك الإنجليز ، رغبة في تقوية روابط المودة بين مصر
وبريطانيا العظمى ، بحث مسألة إخلاء سبيل الأشخاص المحكوم عليهم من المحاكم
السكرية تحت القانون العرفي ، ومستعدة لأن تقبل طريقة العقوالعام ، واسعة على
قدر الإمكان . وبناء على ذلك ، فإنه فيما يختص بكل مسجون ، لا يترتب خطر على
إخلاء سبيله في رأيك ، فإن الحكومة تتنازل عن بحث حالته بواسطة اللجنة المكونة
بالمذكرات المؤرخة ٥ يوليو سنة ١٩٢٣ . »

ثم قال : « وإني أوافقك من الآن على إخلاء سبيل من تؤكد أنه لا خطر منه
على الأمن العام ، ما عدا السبعة أو الثمانية الأشخاص المحكوم عليهم أخيراً » .
قلت : « إني أعطيك هذا التأكيد الآن » . ثم سألته : « هل تجرى بطريق العفو .
أو على طريقة إخلاء سبيل من طرفنا ؟ . والأحسن الأخيرة » . . ثم اتفقت على
استثناء أولئك السبعة أخيراً لبحث آخر . وبعد ذلك شكرته . فقال : « سأبلغ
شكرك ، وأعرض عليك تلغرافي ، حتى لا أروى عنه ما ربما لا تريده » . فقبلت
وقلت : « إني ذاهب الآن إلى جلالة » . وركبت معه في سيارته . وكان معه شاب
الكتاب المتنوع

من الضباط الذين تمهدوني في أثناء القبض على في قشلاق قصر النيل . وكان معه القواص . فأنطلقت السيارة بنا ، وكان من يعرفني يبدى شيئاً من الدهشة عند رؤيتي !

ووصلت البيت ، وانصرف . ورأيتي قريبتي مسروراً ، فحضرت الخير . فقلت : « أخبرك به بعد جلالتك ! » . . . وانطلقت إلى السلاطك حيث كان الوفد مجتمعاً ، وانعزمت معه عند فتح الله بركات . ولم أخبر الأعضاء بشيء ، ولكنهم وجدوا السرور يتلفق مني ، فخمن « على الشمس » أن الإفراج اقرب . . فضيلته ! وكنت طلبت من السراي موعداً ، واخترت أن يكون الساعة الثانية بعد الظهر . وفي وسط الأكل دقت الساعة ، فذهبت ، فاستقبلني جلالتك بكل بشر . وكان الخير لديه موضوع سرور عظيم . ثم انصرفت . وحضر بعض الوزراء حيث كنت دعوتهم للاجتماع في الساعة الرابعة بعد الظهر . ثم حضر جمهور كبير من سائقي السيارات وغيرهم متظاهرين ، فقلت : « ماذا تطلبون ؟ » . قالوا : « الإفراج عن عبدالرحمن فهمي . »

وكنت أخبرت قريبتي بالخبر من قبل ، فامتثلت فرحاً ، وقبلتني . وعندما أبدى الجمهور هذه الأمنية قلت لهم :

— لقد أفرج عن عبدالرحمن فهمي !

فهاجوا سروراً ، وأخلوا برقصون ، ويصيحون من الفرح . فقلت : « هيا إذن .. اذهبوا لأعمالكم ! » . فاستمروا يرقصون ويصيحون ! فقلت مداعباً : « إذا لم تصرفوا وضعتكم مكان الذين خرجوا ! » ، فضحكوا وانصرفوا . . وكان أعضاء الوفد حضروا من عند فتح الله باشا ، وتكامل الوزراء إلا محمد سعيد باشا ، حيث كان في الإسكندرية ، والفرايلى على ما أظن . وقصصت عليهم القصة فأخاطبهم

الفرح . وقد أمرت مدير الأمن العام أن يطلق سراح عبدالرحمن فهمي وزملائه بكل سرعة ، قتل .
واطلق المساجين المذكورين ، وحضروا بملايهم في بيت الأمة . . وقامت مظاهرات الفرح !

يوم الأحد ١٠ فبراير سنة ١٩٢٤

« ظهرت الجرائد مقرنة مادية ، معتبرة ذلك فوزاً عظيماً ، إلا جريدتي « الأخبار » و « السياسة » ، فإن لم يسعهما إلا الشكر قد أعربتا عنه بجاوات تشف عن التكلف والكمد . ولا تخرج جملة ثناء حتى تطلوها جملة تداري الكمد ، وتغير الموضوع ، شأن المضطر المدح بيديه على عجل ، ثم يسارع إلى موضوع آخر ، كي يخرج بما يشعر به من ألم ، حتى يتبعه بطلب لشيء آخر لكي يتوقف من أهمية تحقيق الطلب الأول ! » .

الصراع . . . !

هذا ما كتبه سعد زغلول ، وهو رئيس الوزراء عن مقدار فرحه بنجاحه في الإفراج عن عبدالرحمن فهمي ورئيس الجهاز السري للثورة ، الذي أمضى في السجن والعذاب ثلاث سنوات وسبعة أشهر . . ويبدو منه مقدار حب سعد لعبدالرحمن فهمي ، وتقديره له ، واهتمامه به .
ولكن هذه الحبة لم تستمر طويلاً . . فقد كان عبدالرحمن فهمي صلياً وقريباً ، وكان سعد زغلول صلياً وقريباً ! . . وخرج عبدالرحمن فهمي من السجن مريضاً

محطماً ، من شدة التعذيب وقسوة السجن ، وشراسة الإنجليز ، وبسبب حالته الصحية انقطعت الصلة بينه وبين الجهاز السرى للثورة !

زعيم العمال !

وكلفه سعد زغلول رئيس الوزراء أن يتولى حركة العمال ، ويعيد تنظيم النقابات التي كلفه بها في أثناء ثورة ١٩١٩ وبدأها في تلك الأيام ، ثم جاءت السلطة البريطانية وشردها . وطلب سعد زغلول من الدكتور أحمد ماهر أن ينتخب العمال عبدالرحمن فهمى بك زعيماً لهم . وكلف سعد زغلول الأستاذ حسن نافع المحامى وعضو البرلمان أن يشارك عبدالرحمن فهمى بك في هذه العملية . وفي يوم الجمعة ٤ يوليو سنة ١٩٢٤ أقامت نقابة عمال السكك الحديدية وواحات عين شمس حفلة في نادى السباق بمصر الجديدة لتكريم عبد الرحمن فهمى بك لمناسبة انتخابه زعيماً للعمال . وحضر سعد زغلول الحفلة . . وكانت أول مرة في مصر يحضر فيها رئيس الوزراء اجتماعاً لنقابة العمال . . ووقف سعد زغلول وألقى خطاباً قال فيه :

« جاء في أقوال خطباتكم إننى شرفتمكم بحضورى ، أو أنكم حسبتم حضورى شرفاً لكم . أقول وأؤكد لكم أننى لو شعرت بأنى شرفتمكم بهذا الحضور لآخذت نفسى كثيراً على هذا الشعور . . والحق أقول لكم إننى تشرفت بالحضور بينكم ، وفرحت كثيراً لأننى رأيت قوة من القوى التي عملت على إنماء النهضة الوطنية ، والتي لها فضل كبير في الوصول بالحركة القومية إلى الحد الذى وصلت إليه . . إلى أفراح كثيرة ، وأسر كثيرة ، كلما شعرت أن هذه الحركة ليست فيها يسمونه بالطبقة العالية فقط ، بل هى منبثة أيضاً وعلى الأخص في الطبقة التي سماها حسادنا « طبقة الرعاع » ! وأفتخر بأنى من الرعاع مثلكم ، ولو كانت هذه الحركة مقصورة على الطبقة العليا ،

لما قامت لها قائمة . . ولا انتشرت هذا الانتشار . . ولا انتصر المبدأ الوطنى بالطبقة التى يسمونها « طبقة الرعاى » ، وهى الطبقة الأكثر عدداً فى الأمة . والتى ليس لها صالح خاص ، والتى مبدؤها ثابت على الدوام . مبدؤها الاستقلال التام للمصر والسودان . هذه الطبقة لا تسمى وراء وظيفة تنالها ، ولا منصب تحمل فيه . ولا مصلحة تقتضيها . . ولكنها تريد أن تعيش ليكون الوطن عزيزاً !

« ولا يهر نظرى ، ولا يطرب سمعى ، أكثر من أن أرى رجلاً فقيراً لا قوت عنده يتادى : « يحيا الوطن » وليس يطمع فى شىء إلا أن يعيش كما هو ! ولكن ذلك الرجل صاحب الأموال ، وذلك الموظف فى المنصب العالى ، إذا قال : « يحيا الوطن » فلأنما يقول : « تحيا وظيفتى أو مصلحتى » ! . . ولذلك رأيت كثيراً من أرباب تلك المصالح . ومن ذوى الوظائف تقلبوا ، وتغير ولاؤهم ، ولكن « الرعاى » أمثالكم ما تغيروا ، ولا بدلوا عقائدهم ، لذلك فلأنى معتقد موقن مؤمن أن حركتنا حركة طبيعة قوية . سينت نياتنا . وستوفى أكلها بإذن الله ، إن لم يكن اليوم فغداً .

« ولقد شعرت بأن عبد الرحمن فهمى بك خدم وطنه ، فكرمتموه . لأنكم تشعرون بأنه خدم المبدأ الذى تخدمونه ، وأعز القضية التى تقامون بها ، وتحمل الآلام فى سبيلها . . أردتم أن تعلموا شأنه ، وأن تكرموه ، وأن تعرفوا له هذه التضحية العالية ! ففعلتم ما فعلتم ! ولكن هناك قراء يرون أنه لا ينبغى تكريم الأشخاص ! يقولون إن تكريم الأشخاص غير مرغوب فيه ، ولا ينبغى أن يسند إلى رجل شىء من أعمال الهيدة ، خصوصاً صفة البطولة ، فلا يصح أن تقولوا : « فلان بطل » لمن تحمل فى سبيل الوطن آلاماً . . يقولون هذا ! ولكنهم غخطون أو هو « قصر ديل » . . وإذا كرمنا إنساناً ، فلأنما نكرمه لأن هذا الإنسان نفذ ذلك المبدأ . . كما أننا إذا ذمنا شخصاً ، فلأنما نذمه لأنه اعتنق مبدأ رديلاً . . هكذا جرى الناس من القدم ، وجاءت

به الأديان .. فلماذا يعذب الشخص لأنه ضل ، ويثاب لأنه أطاع ربه ولم يعصه .. فلم تخلق الجنة لمثوبة المبدأ ! ولم تخلق النار لتعذيب المبدأ ! ولو أن المبادئ هي التي نكرم ، وهي التي تعذب ، لرأينا جهنم مملوءة بالمبادئ كذلك ! ولما كنا نقيم مأتماً لراحل كريم ! .. فالشخص يفتي بالمبدأ باق ! ولماذا نيكى وتنوح على موت الكرام ، والكرام باق من بعدهم ؟ ذلك أننا نكرم الأشخاص الكرام ، ولا معنى لتكريم المبادئ المبردة عن الأشخاص .. فإذا ارتكب مجرم من المجرمين ، وأنتم تعرفونهم - جرماً ، فهل يزعج المبدأ في السجن ؟ أو يقاد شخصٌ معتقه إلى السجن ؟

كل هذا مقتته لأبين لكم أن تكريمكم لرحمكم عبد الرحمن فهمى بك ، إنما هو تكريم لشخص يستحق التكريم . وقد أحسنتم اختياره زعيماً لكم !

...

هذا ما قاله سعد زغلول عن عبد الرحمن فهمى في ٤ يوليو سنة ١٩٢٤ ، وبعد ذلك ببثانية أيام (في ١٢ يوليو) أطلق الرصاص على سعد زغلول : وأصيب ودخل المستشفى وخرج منه يوم ١٧ يوليو . ثم سافر يوم ٢٨ يوليو إلى أوروبا ، ولم يعد إلى مصر إلا يوم ٢٠ أكتوبر : فلا يمكن أن يكون الخلاف وقع مع سعد زغلول في هذه المدة . إن الخلاف وقع في المدة ما بين يوم وصول سعد من أوروبا في ٢٠ أكتوبر ، ويوم استقالته من الوزارة في ٢٤ نوفمبر .

يقول عبد الرحمن فهمى إن سر الاصطدام أنه طلب من سعد زغلول أن يضم الصفوف فرفض .. وأنه كان يذهب إلى سعد زغلول رئيس الوزراء وزعيم الثورة ، ليناقشه في أعماله : فيجد الوزراء الكبار أمثال محمد سعيد باشا وتوفيق نسيم باشا وأحمد مظلوم باشا - ساكتين : خائفين ، خاشعين : لا يستطيع الواحد منهم أن يفتح فيه في حضرة سعد زغلول !

من هنا بدأ الخلاف !

ولكن يبدو أن الخلاف تطور بسرعة عجيبة في خلال ٣٤ يوماً ! ولقد ظهرت نتائج في مذكرات سعد زغلول بعد ذلك بيضعة شهور ! ولكن سعد زغلول لم يفتح فيه بكلمة ضد عبد الرحمن فهمي ! ولكنه كان يعبر عن غضبه في مذكراته :

في يوم الخميس ١٨ مارس سنة ١٩٢٦ كان سعد زغلول متصمراً ، وكانت الدنيا بدأت تترع أمامه من جديد . . وكان يكفي أن يرشح رجلاً من أنصاره ليكتسح جميع المرشحين ! وفي صفحة ٢٩٧١ من مذكرات سعد زغلول ، كتب سعد يقول :

« رجائي اليوم سلامة ميخائيل (عضو الوفد المصري) ترشيح عبد الرحمن فهمي بك (لعضوية مجلس النواب) . . فتهرته عن هذا الرجاء ، وبينت له سوء عمله . . وكان ذلك بأشد عبارة . »

هذا نص ما كتبه سعد زغلول في مذكراته عام ١٩٢٦ . . فما هو العمل السري الذي أغضب سعد زغلول ؟ هل أصدر عبد الرحمن فهمي تعليمات إلى الجهاز السري بقتل السردار دون علم سعد زغلول ! إن الوثائق تقول ان عبد الرحمن فهمي لم يكن له علاقة بمصرع السردار ، وإنه قطع علاقته بالجهاز السري للثورة عقب الإفراج عنه في بداية وزارة سعد زغلول ! . لقد كان من الممكن أن يحدث الخلاف بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي بسبب أن سعد زغلول اختار في وزارته شخصيات غير ثورية : إن سعد زغلول اختار في وزارة الثورة محمد سعيد باشا وزيراً المعارف ، وكان محمد سعيد باشا هو أحد الذين ألقى عليهم الجهاز السري للثورة قبلة في عام ١٩١٩ لأنه خالف قرار سعد زغلول وألف وزارة في ظل الحماية ! وكان سعد زغلول يرسل في أثناء الثورة رسائل سرية إلى رئيس الجهاز السري يطلب إليه مقاومة

محمد سعيد باشا بجميع الوسائل .: واختار سعد زغلول في وزارة الثورة توفيق نسيم باشا وزيراً للمالية . . ونسيم باشا هو أحد الذين ألقى عليهم الجهاز السري للثورة قبلة في عام ١٩١٩ لأنه تأمر مع السلطان فؤاد ضد الثورة .

وما من شك في أن سعد زغلول أخطأ في هذا . . فإن توفيق نسيم استقال من وزارة سعد زغلول عندما ما اختلف سعد مع الملك . . واستقال محمد سعيد باشا من الهيئة الوضعية بعد ذلك لأن الملك طلب إليه أن يستقيل . ولكن عبد الرحمن فهمي لم يختلف مع سعد لهذا السبب . . فقد كان من أنصار ضم الصفوف . . وكان يرى في ضم كل هؤلاء الرؤساء السابقين تقوية لوزارة الثورة ! بل إنه لام سعد زغلول على أنه لم يضم باقي الصفوف ! ولقد اختار سعد زغلول الوزراء في وزارة الثورة ممثلين لطبقات الوفد التي قادت الثورة ضد الإنجليز . كان سعد زغلول رئيس الوزراء ووزير الداخلية بصفته الرجل الذي فناه الإنجليز إلى مألطة ثم سيشيل ثم جبل طارق . واختار سعد فتح الله بركات وزيراً للزراعة ، ومصطفى النحاس وزيراً للمواصلات ، ليتمثلا للقادة الذين نفاهم الإنجليز إلى سيشيل . واختار سعد مرقص حنا وزيراً للأشغال ، وواصف غالى وزيراً للخارجية ، ليتمثلا للقادة الذين حكم عليهم بالإعدام وعدل الحكم وسجنوا بعد ذلك في المأظلة . . واختار سعد نجيب الغرابي وزيراً للحقانية ليتمثل قادة الثورة الذين نفوا إلى المحاريق واعتقلوا في قشلاق قصر النيل . واختار سعد حسن حسيب ليتمثل آخر وفد تألف ، بعد اعتقال جميع طبقات الوفد ، التي وضعها سعد لتحل طبقة مكان طبقة ، كلما نفيت ، أوحكم عليها بالإعدام !

وكان سعد فخوراً بأنه عين اثنين من الأفندية وزراء لأول مرة في تاريخ مصر ! ولكن الثوار لم يفهموا كيف أدخل سعد في وزارة الثورة سعيد باشا وتوفيق نسيم باشا وأحمد مظلوم باشا ، وهؤلاء عادوا الثورة ، ولم يقفوا معها ، ولم يسجنوا ، ولم يحكم

عليهم بالإعدام ! .. ويظهر أن سعد زغلول لم يشأ أن يدخل في وزارة الثورة أى عضو من الذين كانوا يقودون الجهاز السرى للثورة ، ولم يذكر في مذكراته سبب هذا الإغفال ، ولعله أراد أن يعلمهم عن الحكم ، لتبقى هيئة ثورية تحت الأرض تساعد عند الاقتضاء ! .. ولكنه لم يلبث بعد تأليف وزارته ببضعة شهور أن أدخل في الوزارة اثنين من أعضاء الجهاز السرى . بل الاثنين اللذين كانا يتوليان قيادة هذا الجهاز بعد اعتقال عبد الرحمن فهمى في ١٩٢٠ ، فمين الدكتور أحمد ماهر أفندى وزيراً للمعارف وعمود فهمى التقراشى أفندى وكيلاً لوزارة الداخلية. ولكن عبد الرحمن فهمى لم يعترض على هذه التعيينات . فقد كان أحمد ماهر يده اليمنى ، وكان التقراشى يده اليسرى . . ولم يكن عبد الرحمن فهمى يطمع أن يكون وزيراً . .

فإذا حدث حتى أدى إلى هذه القطيعة ؟ وما سر غضب سعد زغلول على عبد الرحمن فهمى ؟ هذا الرجل الذى حكم عليه بالإعدام ، وقاد بنجاح الجهاز السرى للثورة ، وكاد سعد يقطع المفاوضات مع لورد ملر لأن الإنجليز قبضوا عليه ! .. نعتقد أن حالة سعد زغلول النفسية في تلك الأيام هى التى جعلته يغضب على عبد الرحمن فهمى :

إن سعد زغلول مر بمحنة قاسية عقب مصرع السردار ، الإنجليز أعلنوا عليه حرباً شعواء . . الحكومة أعلنت عليه حرباً لاهوادة فيها للقضاء عليه وتعطيله . وكان إسماعيل صدق هو وزير الداخلية الذى تقنن في محاربة سعد زغلول . . والملاك فؤاد خرج على المكشوف ، وأعلن على سعد زغلول حرب الإبادة ، وقرر أن يحمر اسمه من الوجود ! .. واستطاع هذا التحالف الثلاثى أن يترل الضربات بسعد !

كان سعد يواجه أزمة ضخمة . . وفي هذا الوقت وقع الحلاف مع عبد الرحمن فهمى . . وترك سعد زغلول يصف ما حدث . في صفحة ٢٨٩٣ كـب سعد زغلول :

في يوم السبت ١٧ يناير سنة ١٩٢٥

قد اشتد الخناق بي ، وأحاطت بي الشدائد من كل جانب . . فأنصار الوفد
بغضون عني واحداً فواحداً ، والوزارة تجاهر بعداي ، وتشدد الأوامر على رجالها
بمطاردتي ومطاردة أوليائي ، فتمنع اجتماعاتهم ، وتربح حركاتهم وسكناتهم . . وتعاكس
مصالحهم ، وتلزمهم بالانشقاق عني ، وتجبر الذين ترشحوا تحت لواء الوفد على أن
يعانوا استقلالهم عني ، وتحارب من يأتي هذا الانشقاق وهذا الاستقلال بكل الطرق ،
وتهدد كل من يميل إلينا من موظفين ومستخدمين بالرفق والطرده ، أو النقل إلى مكان
سحيق . وقد ضج الناس بالشكوى ، وامتثلت أعمدة الجرائد بالاحتجاجات . .
ولكن لا سمح لمن تنادى لأن المشكومة هو الأمر بأسبابها ، ومليك البلاد يعلن على
رؤوس الأشهاد أنه غير راض عني ، وأن الناس يجب عليهم أن يختاروا بين الانحياز
له أو الانحياز عنه !

وفي أغلب الأوقات تحيط عساكر البوليس ببني ، وتمنع الناس من الدخول
فيه . . ولا أدري متى تنتهي هذه الحالة ، وماذا يكون الحال ؟ . . ولقد دلت هذه
الحنة التي نجتازها على ضعف شديد في الأخلاق ، وهبوط عظيم في روح الناس ،
ولا سيما في الطبقة العالية وما تحتها . . فإنها كشفت عن دناءة ، وخسة ، ولؤم ،
ونخور . . دلت على أن هذه الطبقة لا تعرف للتضحية معنى ، ولا تتنازل عن حبة من
راحتها في سبيل الوطن ، وتعمل إلى المظاهر الكاذبة ، وتبعد القوة . . ومع أن المتعلمين
منهم أفسدهم أخلاقاً ، وأحطهم صفات . . يجرمون ثم يتباهون بالإجرام . . ويأتون
المنكر ، ثم يفاخرون بإتيانه ، كأن بينهم وبين الفضل عداة .

كل يوم تردني خطابات تحمل استقالات من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب

من الهيئة الوفدية في البرلمان . . وأولها كان من موسى فؤاد باشا ومحمد فهمي باشا .
والأول شيخ كان الوفد رشحه ، ونجح في الانتخاب بتأييده ، وكان بعض العارفين
يلومون الوفد على تأييده ، لعدم حسن سيرته ، وشهرته بالميل للإنجليز . ولكننا رشحنه
وفصلناه على غيره من المعارضين . وقد جرى في مجلس الشيوخ على خطة عرجاء ،
وفهمت الآن مصلحتها . أما محمد باشا ، فأنا الذي عيّنته في مجلس الشيوخ ، وتعين
من غير أن أخبره بأنني اقترحت تعيينه ، وزارني عقب تعيينه ، وللمع ينهمل من
مأقيه ، وقد قبل يدي قائلاً : « لقد فتحت بيني جزاك الله عنى خير الجزاء ! »

وقد بنينا استقالتهما على شدة إخلاصهما للعرش ، والشك في إخلاص الوفد .
ثم تبهما جماعة من الشيوخ والنواب . . وإذا فهمت استقالة أعضاء مجلس الشيوخ
من الهيئة الوفدية لكونها لا تزال قائمة ، وإن كانت معطلة ، فإني لا أفهمها من
أعضاء مجلس النواب . وأغرب هذه الاستقالات استقالة محمد باشا سعيد ، لأن هذا
الرجل نجح في الانتخابات بفضل الوفد وتعين في الوزارة وصار أهم أعضائها ، وتاب
عنى مدة غيابي في أوروبا منذ ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٤ إلى ٢٠ أكتوبر . . أى ثلاثة
شهور تقريباً . . ولكنهم هددوه بخله من دائرة سيف الدين ، ومورده منها كبير ،
فاختار الثروة على الكرامة . وتبعه اسماعيل سرى باشا ، وقد كان الوفد رشحه ، ولا
سقط في الانتخابات عيّنته في الحال . وألطف هذه الاستقالات شكلاً استقالة
ألفريد شماس (عضو مجلس الشيوخ) وهو من الذين اقترحت أنا تعيينهم . . قد
امتدح سياستي وجاهر بأنه اشترك في العمل تحت إشرافي مع الاختصار !

والآن استلمت تذكرة من شخص يدعى إبراهيم فؤاد ، يقول فيها : « أقدم
التهنئة بنجاح بحسب باشا بوفاء فتحى باشا اليوم (كان حبيب باشا مرشحاً في دائرة
الوايلي ضد إبراهيم فتحى باشا . . وبوفاء الثاني يصبح الأول نائباً بالتركية) .. فاستات

لأن يكون الموت بشرى ، مهما كان من مات ، ولكن الإنسان ظلوم كفار !
 خرج عبدالرحمن بك فهمي من السجن ، بعد أن لبث فيه زهاء شهرين ،
 ووجه نوا إلى سراي عابدين حيث كتب اسمه في دفتر التشریفات ولم يمر بيت الأمة
 فسلل الناس عن سر هذا الإقبال والإدبار . . . وزعم بعضهم أنه يريد الاستقالة ،
 وذلك مقلمة لما . وقد حضر عتلى بعد أربعة أيام من إطلاق سراحه ، ولم يتكلم
 عن تأخر زيارته . ثم أخذت الإشاعة عن استقالته تتأكد ، حتى نشرتها بعض
 الجرائد ، فطلب منه تكمليها غير مرة ، فوجد ولم يفعل ، وقال ابن أخيه أحمد ماهر
 إنه يظن أن تأخره عن التكلم به أنه في انتظار ما تقرره الوزارة في شأن ترشيحه ،
 والظاهر أنه انتزع نهائياً . . . مع السلامة أه .

انتهى ما كتبه سعد زغلول عن عبدالرحمن فهمي بعد حادث السردار . .
 ولكن من الذي أمر بقتل السردار ؟

• • •

الفصل السابع .

خطبة جديدة للجهاز السري رسمها سعد في المنفى بين جبل طارق والزقازيق . تهريب الرسائل السرية في الأحادية

مكتب قاضي محكمة بني سويف ، ثم مكتب قاضي محكمة الزقازيق ، ها
كان عنوان الجهاز السري لثورة ١٩١٩ بعد القبض على عبدالرحمن فهمي في آخر
مايو سنة ١٩٢٠ ، واختيار سعد زغلول للدكتور أحمد ماهر خلفاً له في رئاسة
الجهاز السري .

وكانت تعليمات سعد ترسل بالشفرة ، وبالرموز ، وباليد ، من منفاه في قلعة
جبل طارق إلى مكتب قاضي محكمة بني سويف ، ثم بعد ذلك إلى مكتب قاضي
محكمة الزقازيق . وكان هذا القاضي هو سعيد بك زغلول ابن شقيقة سعد زغلول ،
وقد تنبأ سعد هو وشقيقته ، بعد وفاة والديهما وهما طفلان . وكان سعيد زغلول
يتلقى تعليمات سعد السرية ، ويفك رموزها في غرفة القاضي ، ثم ينقلها بخطه ، ثم
يسلمها بطريقة خاصة إلى الجهاز السري للثورة . وكان الدكتور أحمد ماهر يبلغ سعيد
زغلول المعلومات التي يريد إرسالها إلى سعد زغلول ، فيترجمها سعيد زغلول بالشفرة ،
ويسلمها للرسول المجهول ، فيسافر بها إلى جبل طارق ، ويسلمها إلى سعد زغلول
مخترقاً الحراس والرقابة الشديدة والمخابرات البريطانية التي كانت تحيط بالمكان الذي
اعتقل فيه سعد زغلول بالليل والنهار . . . ولقد بدأ التفكير في هذه الطريقة الغريبة

أثناء نقل سعد زغلول من منفاه في جزيرة سيشيل في المحيط الهندي ، إلى منفاه في قلعة جبل طارق . . فقد طلب سعد زغلول إرسال شخص يعمل عليه تعليماته السرية من معتقله في جبل طارق إلى قيادة الثورة في مصر !

ولكن كيف يمكن إرسال هذا الشخص الخطير إلى جبل طارق ؟ إن في مذكرات الأستاذ محمد كامل سليم (السكرتير الخاص لسعد زغلول في ثورة ١٩١٩) قصة هذه المغامرة المثيرة . . كتب الأستاذ كامل سليم يقول :

« في أوائل سنة ١٩٢٢ كان سعد وإخوانه في المنفى في سيشيل ، فلما مرض سعد في تلك الجزيرة السحيقة ، لسوء جوها ، وهي على مقربة من خط الاستواء ، نقله الإنجليز وحمله إلى جبل طارق . فكانت الوحدة والعزلة أشق على نفسه من جحيم سيشيل ، فضلا عن البعد عن إخوانه المنفيين . حينذاك طرأت على سعد زغلول فكرة الخلاص من هذه العزلة ، واستئناف جهاده ، واتصاله بمصر بشكل من الأشكال . وتلخصت هذه الفكرة في أنه أعاد إلى مصر خادمه المصري الوحيد . الذي صاحبه ، ووجه رسالة . أخفاها الخادم في حذائه ، ليوصلها إلى . وإذا بسعد يجبرني في خطابه هذا أنه في حاجة قصوى إلى سكرتير خاص ، يعمل عليه رسائله وبرقيات . ويعتمد عليه في شؤنه الخاصة والعامة .

« وقال سعد في رسالته السرية إنه طلب ذلك من الحاكم العام البريطاني في جبل طارق ، فرفض الحاكم ، بناء على أمر الحكومة البريطانية ، التي رأت ضرورة أن يظل سعد في المنفى مشغولا عن كل نشاط ، طمعا منها في غير مطمع ، أن تموت الحركة الوطنية ، وهو بعيد عنها ، فلا يفكر فيها ولا تفكر فيه . ثم رجاني سعد في رسالته السرية أن أبذل قصارى جهدي ، وأتعايل في اختيار سكرتير خاص له ، يسافر إلى جبل طارق في شكل خادم ، يبلد الذي عاد إلى مصر بحجة رغبته في رؤية

زوجته وأولاده . . . وحزننى سعد فى رسالته السرية من أن السلطات البريطانية سوف تفرض حتماً من أختاره السفر ، لو ظنت أنه سكرتير لا خادماً ، ولذلك يجب الاحتياط للأمر غاية الاحتياط ، وإلا فشل المسعى ، وتعرضنا جميعاً للانتقام الإنجليز !

« هذه هى رسالة سعد زغلول السرية التى وصلت فى حذاء خادمه الذى وصل إلى القاهرة ! . . . مطلب عزيز ومهمة خطيرة ! إذ كيف أحقق رغبة الزعيم الوطنى ، وهو فى منفاه ؟ وكيف أجد الشاب المتعلم الذى يقبل أن يكون خادماً . ويتعرض للأخطار ؟ ثم كيف أجد السلطات البريطانية حتى أتبع فى مساعى ؟

« وكانت مصر فى ذلك الوقت تحت الأحكام العرفية البريطانية ، والرقابة مفروضة على الصحف والمجتمعات ، وجنود الإنجليز يتجولون فى الشوارع ، ويشنون الأندية والميادين ، والحاكم العسكرية البريطانية قائمة للتكيد بالمصريين الوطنيين . . . جو يشع الرهبة ، ولا يشجع على القداء ، إلا من سمى وطنيته وشجاعته ، وملائته روح القداء ! . . . بحث بين الشبان الحمسين ، عسى أن أجد واحداً منهم يقبل هذه المهمة الخطيرة ، فلم أوفق ، بعد بحث وتقصيب استطلاعا عشرين يوماً ، وإذا بتلغراف يرد إلى من سعد زغلول راجياً أن أرسل له خادماً بأسرع ما يمكن ! فقهمت غرض سعد زغلول ، وازداد إلى لعدم توفيقى ، ولأنه يستعجلى ، وأخيراً تحدثت مع مساعدى الأستاذ محمد الأنصارى فى هذا الموضوع ، فلم يتردد فى القبول فوراً ، ولم يزد على سرورى لقبوله ، إلا دعشتى من قبوله الإقدام على رى نفسه فى المجهول المقم بالأخطار ! قلت له : « أحب أن ألفت نظرك أولاً إلى الأخطار التى سوف تتعرض لها من قبوك ، حتى لا تظن فيما بعد أنني خدعتك ، ولم أنورك بكل التفاصيل ! » :
وأدليت إليه بما يلى :

١ - إذا ظن الإنجليز فى مصر أو جبل طارق أنك سكرتير ، ولست خادماً ،

فإنك تتعرض لعقابهم ، ولا تتقاهم ، وللمحاكمة أمام المحاكم العسكرية البريطانية ،
وتتعرض أنت مع سعد زغلول لهذه المحاكمة !

٢- لا أعرف متى تكون عودتك إلى مصر ، فقد تمتد إقامتك في الخارج إلى
عام أو أكثر في المنفى !

٣- أريد منك أن تستخرج « رخصة خدام » وتلبس جلالية ، بدل البدلة ،
ولا تأخذ معك في السفر إلا بدلتين . بدلة تلبسها وبدلة في الشنطة الصغيرة ، التي
يجب ألا تحتوي إلا على ملابس قليلة .

٤- لا أستطيع أن أغريك بالمال فليس عندي مال غير ماهيتي . وهي عشرة
جنيهات شهرياً ، وأجرة سفرك برّاً وبحراً في الدرجة الثالثة ، وخمسة جنيهات في يدك مدة
السفر حتى تقابل سعد زغلول ، وهو يتولى بعد ذلك أمرك .

قبل الأستاذ محمد الأنصارى هذه المهمة الشاقة . في ضوء هذه الحقائق المفزعة
التي ذكرتها له . وبعد أسبوع واحد من هذا الحديث استخرج رخصة الخادم
بالجلالية . وكان في طريقه إلى جبل طارق ، ومعه رسالة مني ، ومن قيادة الثورة إلى
سعد زغلول . أظن أنه أخفاها في قرص طربوشه . فلما وصل إلى جبل طارق ، ورد
تلفراف شكر من سعد زغلول بأن الخادم وصل ، وهو مسرور منه . وظل الأنصارى
في خدمة سعد سكرتيراً خاصاً وخادماً أميناً حتى أفرج عن سعد ! إن هذا العمل
الذي قام به السيد محمد الأنصارى لعمل وطني من الطراز الأول ، أمله روح فداية.
وهو في نظري الفدائي الأول الذي عرفته عن كثب ، وكان من الممكن جداً أن يتعرض
للموت أو الأشغال الشاقة بحكم من أحكام المحاكم العسكرية البريطانية ، لهذا العمل
الذي قام به عن طيب خاطر . والأنصارى في روحه الفداية ووطنيته الخالصة

وشجاعة الناصحة - لا يقل مطلقاً عن إخوانه المجاهدين المصريين الوطنيين الذين تكلّمهم الإنجليز في المنافي أو بأحكام الإعدام أو الأشغال الشاقة .

محمد كامل سليم

إعداد الخطة السرية !

وقد وضع سعد زغلول هذه الخطة وهو على البارجة الحربية البريطانية ، التي نقلته من جزيرة سيشيل في المحيط الهندي إلى قلعة جبل طارق . وبدأ سعد زغلول خطته بأن أرسل في استدعاء زوجته لتلتحق به في جبل طارق . وهي رحلة شاقة قطعها البارجة الحربية في ١٤ يوماً ، فتحركت من سيشيل يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٢ . ووصلت إلى جبل طارق يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٢ . وشاهد في هذه الرحلة أهوالاً . والغريب أن سعد لم يدون هذه الخطة كتابة لأن القبطان رفض أن يسمح له بورقة أو قلم طوال الرحلة !! . . . وكانت هناك عبارات متفق عليها بين سعد زغلول وسعيد زغلول ، أثناء تقيده . وهي أنه عندما يطلب قاموساً فإن معنى ذلك أنه يطلب تفاصيل عن أعمال الجهاز السري تكتب بالحبر السري على صفحات القاموس المطلوب ! . . . وكانت كلمة « الجرائد الإنجليزية » : معناها « التقارير السرية » ! . . . وعندما يطلب كتاباً في النحو والأجرومية فإنه يريد أن تكتب تقارير في داخل كتاب النحو عن النشاط السياسي في مصر وعملية نشر الدعوة . . . والحديث عن « الجو » إشارة إلى « الأنباء عن اتجاهات سياسة بريطانيا نحو القضية المصرية » ، وعندما يطلب « الاهتمام بالزراعة » فإنه يطلب « معلومات عن المعتقلين السياسيين والمضيق وحالتهم وروحهم المعنوية » ! .

أما الزقازيق وقبل ذلك بنى سوييف فلم تكن في حاجة إلى استعمال هذه الكلمات ،
إنها كانت تكتب الرسائل بماء البصل الموجود في مكتب القاضي . . وكان سعد زغلول
يحمل هذه الرموز في جبل طارق بتمرير المكواة الساخنة على ورق القاموس أو كتاب
النحو ! ولم يستطع سعد زغلول أن يكون شبكة سرية بينه وبين زملائه المنفيين في
سبيل : وإنما اتفق معهم على طريقة خاصة للرموز .

وفي كتاب « سعد زغلول » - للأستاذ عباس محمود العقاد - يقول في ص ٤٠٨ :
« لما برح سعد (سبيل) اتفقوا على طريقة للتفاهم ، يتحللون بها قليلا من قيود
الرقابة . وهي اتخاذ « صفر » - أي شفة - من الأسماء التي ترد في الرسائل البرقية
حسب المعهود في كل واحد من أصحابها ، فإذا أرسلت بتوقيع « سينوت حنا » فعنها
أنهم في حاجة إلى النقود ، لاشتغال سينوت بك بالمسائل المالية : وإذا أرسلت بتوقيع
« مصطفى النحاس » فعنها أن الحماسة في مصر شديدة لاستحياس مزاجه . وإذا
كانت بتوقيع مكرم عبيد فعنها أن الدعاية في إنجلترا ناشطة لأنه قام بهذه الدعاية
قبل ذلك . وإذا كانت بتوقيع زغلول فالأخبار عادية . أو بتوقيع « سعد » فذلك
بشير الإفراج . . إلخ . . .

فلق في القاهرة !

وعند ما بلغ صفية زغلول أن سعد زغلول يريد أن تلحق به في منفاه بجبل طارق
ساورها الفلق - تصورت أنه مريض جداً : وأمطرته بالبرقيات تسأل عن صحته .
فأرسل سعد زغلول الرسالة التالية إلى سعيد زغلول في بنى سوييف - ويلاحظ فيها
التعبيرات الخاصة « بالقاموس » و « كتاب النحو » و « الزراعة » !

جبل طارق - ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢

عزيزي سعيد

فسرت اليوم في خطاب لبست أسباب دعوتها للحضور ، وهي الحقيقة بعينها ، فلا يأخذكم شيء من الشك في واحد منها ، وإلا خلقتكم لأنفسكم مكدرات لأساس لها . ويعلم الله أنني لو كنت مريضاً ، لما أقدمت على تلك الدعوة ، إشفافاً على الست ، من فرط شفقها في ، وما تلاقيه من صعوبة عندما نجدني مريضاً . وما يبدى من البراهين على صدق هذه الأقوال شيء يمكن إرساله بالتلغراف ، فلا تنهبوا أنفسكم ، إن صحتي جيدة بحمد الله .

طلبت فيما سبق أن يرسل لي قاموس الشرطي ، ولكنه لم يحضر ، فأرجو إرساله مع الست ، كما أرجو إرسال كتاب في النحو . وأن تلتفت بدقة لأعمال الزراعة ، ونحاربنا عنها . وتأكلوا قبل سفر الست من سهولة إرسال نفودها إليها ، كما أشرت لذلك في خطاب سابق . إلى أعرف صعوبة وجود سيلة تسافر مع الست ، لتؤنسها في هذه الغربة ، ولكن هذا ضروري جداً ، كما أنه من الضروري أن يكون معها خادمة طيبة ، لأن الخدامين هنا في غاية الصعوبة . قبل وحنات شقيقتك وأبجها ، أما قرينها فهو في لندن ، ويخبرني من وقت لآخر ، بالتلغراف تارة ، وبالكتابة أخرى ، ويقول إن صحته تتحسن يوماً عن يوم ، وأن أعماله ماثرة في طريق النجاح . لعل جوابي وصلك من هنا ، ولعلكم جميعاً بخير والسلام .

سعد زغلول

وكانت « بنى سويف » ترسل لسعد زغلول التقارير السرية داخل كتب مكتوبة بالهجر السري . . ولكنها كانت لا تتلقى أي تعليقات من سعد زغلول ، لعدم وجود حبر

سرى عنده ، ولعدم استطاعة إرسال أى خبر سرى له ! . ثم أرسل سعد زغلول في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٢ إلى سعيد زغلول يقول له إنه يخشى على صفية زغلول أن تقوم بهذه الرحلة وحدها وأنه يرى أن يكون سعيد معها ليوصلها إلى جبل طارق ، ثم يعود إلى القاهرة على القور . . وسافر سعيد زغلول مع صفية زغلول من بورسعيد في يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ . وقول القاضي عثمان يوسف العمل بدلا منه في ترجمة رسائل الشفرة المرسلة إلى سعد زغلول .

وصل سعيد زغلول في ١٧ أكتوبر إلى جبل طارق ، وبدل أن يبقى مع سعد يوماً أو أسبوعاً بقي معه إلى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ . وفي تلك الفترة أملاه سعد زغلول خطة الشفرة مع القاهرة ، وطريقة التعامل مع القاهرة ، وأنشأ سعد شفرة سرية بينه وبين الدكتور حامد محمود في لندن ، وقول توصيل هذه الرسائل بعض الضباط والجنود الأيرلنديين في الجيش البريطاني ، ثم أنشأ شفرة سرية بينه وبين « على الشمسي » في سويسرا . . وكانت خطة التعامل مع القاهرة هي أنه تم الاتفاق مع ضابط هندي يعمل مع الحامية البريطانية في جبل طارق ، فكان الضابط يتسلم الرسائل ، ويذهب بها إلى الميناء ، ويسلمها إلى أحد الخدم الهنود الذين يعملون على شركة بواخر (ب. و. P.O.) وهي بواخر بريطانية منتقلة بين لندن وأستراليا تقف في ميناء جبل طارق وميناء بورسعيد ، ويرى الضابط الهندي من جبل طارق على عنوان معين في الإسكندرية باسم الباخرة . ويرى الضابط الهندي في يوم آخر ، على عنوان معين في القاهرة باسم الخادم الهندي . ويسافر من القاهرة أحد أعضاء الجهاز السري إلى بورسعيد ويتكرر في شكل أحد الممبوطية ، ويصعد إلى الباخرة . ويتسلم الرسالة السرية من الخادم الهندي . ثم يسافر « الممبوطى » إلى الزقازيق ويسلم الرسالة إلى سعيد زغلول القاضي ، الذي يقلها بخطة ويسلمها إلى أحمد ماهر أو القراشى

(وكان كامل سليم هو الذى يتولى عملية إيصال الأخبار السياسية إلى سعد زغلول) .
ولكن بقي لتنفيذ هذه الخطة وجود الشخص الموثوق به ، الذى يعمل سكرتيراً
يعمل عليه سعد زغلول تعليماته السرية . متكرراً في شكل خادماً ! إن هذا الشخص ضرورى
جداً لتجاسر العملية كلها ، إنه هو الذى سيقوم بالاتصالات مع الشبكة في خارج
القاهرة ، وهو الذى سيتسلم الرسائل ، وهو الذى سيحل الرموز السرية !

سوء تفاهل !

ومن الطريف أن الخطة التى وضعها سعد زغلول في أول الأمر ، لم تفهمها القاهرة
لغريبها ! لم تتصور القاهرة أن هذا الرجل الذى يزيد على الستين من العمر يفكر في
مغامرات كالقصص البوليسية ! . . ويحرص سعد زغلول في مذكراته على ألا يكتب
شيئاً عن الجهاز السرى ، وخططه بشأنه ، لأنه يعرف أن هذه المذكرات عرضة
للتفتيش ، ويعرف أن كل خلعته وحراسه في متفاه في قلعة جبل طارق ، من
المخابرات البريطانية ! ولكنك نجد في مذكراته شيئاً عن هذا سوء التفاهل الغريب !
القاهرة تتصور في أول الأمر أن سعد زغلول يريد خادماً ! بينما هو في الواقع يريد
شخصاً يعمل عليه تعليماته السرية التى يرسلها إلى القاهرة وعواصم أوروبا ، وهو في ذلك
الوقت لم يستطع أن يرتب الشفرة السرية بينه وبين القاهرة ، وهو يحتاج إلى الرجل
الذى يتعهد إليه بهذا العمل السرى الخطير ! . . ويكتب سعد زغلول في مذكراته
يوم الأحد ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٢ يقول : « أرسلت اليوم إلى كامل سليم تليفراً
نصه : « يعود عبد الله حتماً . إذا أمكنك أن ترسل آخر يعرف العربية والإنجليزية » .
ويخشى سعد زغلول في نفس اليوم ألا تفهم القاهرة ما يعنى ! فيكتب في مذكراته

يقول : « وكتبت اليوم خطاباً إلى طاهر الوزى وآخر إلى كامل سليم بالبحث عن
خادم يعرف العربية والإنجليزية ، للاستعانة به على الكتابة ، وقضاء الوازم ، في
بلد لا يتكلم أهله بغير الإنجليزية والإسبانية » .

ثم يخشى سعد زغلول أن تكشف السلطة الإنجليزية الخلدعة التي فكر فيها ،
ولا توافق على إرسال السكرتير المتكرر في صورة خادم أو سفيرجي ! إن مشكلته في
منه أن خطه في الكتابة لا يستطيع أحد أن يقرأه بسهولة . إن الصفحة الواحدة من
مذكراته يستغرق فك رموزها بضع ساعات ، وهو يريد أن يرسل تعليقات سرية إلى
الثورة في القاهرة ، فكيف يرسلها بهذا الخط الغريب ، وكيف يستطيع هو ، وهو
مسجون داخل القلعة أن ينشئ شبكة المواصلات السرية التي تقوم بحمل تعليقاته
إلى القاهرة ؟ !

وميكتب سعد زغلول في مذكراته يقول : « الافتقار للغير نقص ، مهما كان
نوع هذا الافتقار ! إذا اقتضت الضرورة ، لزم أن أحسن الخط العربي والفرنساوي
على قدر الإمكان ، وأن أشتغل بالعمل ، وإن كان هذا يتطلب جهداً ، ليس من
السهل على الآن بذله ، لتقدم السن » .

وما خشيته سعد قد وقع ! إن القاهرة لم تفهم ماذا يقصد عند ما طلب خادماً !
وميكتب سعد في مذكراته يوم الجمعة ٣ نوفمبر يقول : « ورد بـتلغراف أمس من كامل
سليم بأنه وجد سودانياً طباعاً وسفريجاً أميناً ، ولكنه يتكلم الإنجليزية ، وماهيته
جنويات ، والشهادات التي في يده تدل على كفاءته ، والسيد حسين القصبي
عضو الوفد هو الذي أرشد عنه ! فبعثت إلى كامل سليم اليوم بأن المطلوب شخص
ذو خط حسن في العربي والإنجليزي » . وهذه الجملة البسيطة التي كتبها سعد زغلول

هني كل ما كتبه عن الحطة القرية التي فكر فيها ، لقد كتب قبل ذلك خطاباً بخطه
لكامل سليم وهو الذي أشار إليه كامل سليم في مذكراته ووضعه في حذاء خاصه ،
بعد أن خلع فرشة النمل ، ثم عاد وثبتها من جديد . . ولكن المسافة طويلة بين جيل
طارق والقاهرة !

وفهمت القاهرة فجأة ، من إلحاح سعد زغلول في مسألة الخادم ، ما يريد . .
وفي يوم الخميس ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ يكتب سعد في مذكراته : « ورد من كامل
سليم تفراف بأن تلامذة قلموا أنفسهم للحمى ، وهم يسعون في إعداد اللازم للسفر ،
فلجئته بأن يشكرهم على حسن استعدادهم ، ويأني أفضل أن أنظم قسى ، على أن
أحرمهم من إتمام دروسهم » .

. . .

وفي يوم الجمعة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ يكتب سعد في مذكراته : « ورد تفراف
من محمود غنام يلح على الحضور هنا ، فشكرته ، ونهته عن الحضور ، وأبرقت
لكامل بأنه يستحيل أن أقبل أى واحد من التلاميذ ، وأن يبحث عن غيرهم » : «
إن سعد زغلول خشي إذا قدم محمود سليمان غنام عضو لجنة الطلبة العليا ، أو أى
طالب من الطلبة المعروفين ، بأن يعملوا كخلف له ، أن يشعر الإنجليز الذين يرضون
هؤلاء جميعاً تحت مراقبة دقيقة ، أن يشعر الإنجليز بما يديره سعد زغلول ، ولهذا فإنه
رأى أن يكون الاختيار من أشخاص بعيدين عن الشبهات وعن مراقبة السلطة العسكرية
البريطانية ، حتى يمكن خداعها . وفي يوم الخميس ١٦ نوفمبر أرسل الأستاذ كامل
سليم من القاهرة برقية قال فيها إنه عثر على سفرى ممتاز يجيد الطهى اسمه الأنصارى !
وكان سعد يعرف الأنصارى ويعرف أنه من الشبان الوطنيين المتنازين ، وأنه عضو
في الجهاز السرى للثورة ! ولم يصدق سعد زغلول أن هذا ممكن ، وكتب في مذكراته

يوم الجمعة ١٧ نوفمبر : « ورد من كامل سليم أنه جارى اللازم في تفسير الأنصارى إلى هنا ، آخر هذا الشهر ، فهل يؤذن له ؟ أشك في هذا » . . ووضع سعد خطأ تحت جملة : « هل يؤذن له ؟ أشك في هذا » ، إذ لم يتصور أن الأنصارى يستطيع خلع السلطة العسكرية البريطانية ويتنكر في زي سفرجى !
وبقى سعد ينتظر على أحر من الجمر السفرجى الجديد !

• • •

وفي يوم الأحد ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته : « ورد تلغراف من كامل سليم بأن الأنصارى سيحج يوم ٤ ديسمبر ، وربما قبل ذلك » . وفي يوم الاثنين ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول يقول : « ورد تلغراف من كامل سليم بأن الأنصارى أبحر ، وتلغراف من الأنصارى أنه يرجو أن يكون قدومه خيراً ، والأول بالإنجليزية والثاني بالعربية » . وفي يوم الثلاثاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته : « حضر الأنصارى أمس » . وعلى أثر وصول الأنصارى تحولت القلعة التي فيها سعد زغلول إلى مركز قيادة ، يعمل بالليل والنهار . . ولكي نعرف كيف كان العمل في تلك الأيام ، ننشر نص خطاب أرسله « الحادام » الأنصارى من جبل طارق إلى سعيد زغلول في القاهرة . ويلاحظ في الخطاب التعبيرات السرية عن « الجرائد الإنجليزية » والمقصود بها التقارير السرية ، « وكتاب الأجرومية » والمقصود به النشاط السياسى في مصر . وهذا هو الخطاب :

جبل طارق في ١٢ فبراير سنة ١٩٢٣

سيدى البك الجليل حفظه الله . السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، أبنتك مزيد أشراق القلبية وأتمشم أن تكون بصحة وعافية . بلغنى معالى الرئيس سلامكم ، فذكرت لكم هذا الشهور الجميل . وإنى رأيت أن أكتب لك خطابي هذا ، لأنك

مزيد شكرى وتحياتى القلبية ، وإنى عند حسن ظنكم بى . فلا أخرج من المنزل إلا بأمر معالى الباشا أو الست ، لقتضاء بعض مصالح المنزل ، وإن صادف وأردت الخروج ، وهذا نادر جداً للحلاقة مثلاً ، فأستأذن معالى الرئيس فى ذلك . وماحصل هذا إلا مرة أو مرتين فى كل شهر . فإن كنت قد نسيت وصيتكم لى قبل مغركم إلى مصر ، فلا أنسى توصية والدى وأهل ، كما أنى لا أنسى توصية أربعة عشر مليوناً يسكنوا لا أنسى توصية أصدقائى وأحبائى ، الذين لا تزال إلى الآن تردنى منهم خطابات توصية ، التفتانى فى خلسة معالى الرئيس . وبغض النظر عن كل ذلك ، فالمعطف والحنان والعناية ، التى يعاملنى بها معالى الرئيس وجره ، هى فوق كل ذلك ، مما يعطينى أسير مودتها . إننى أخدم هنا اعتقادى ، لست كموظف أو أجير ، لكن كشخص حمل بأمانة ، فعليه أن يحسن تأديتها ، فإن خيراً لنفسه ، وإن أساء فعلها . هذا هو اعتقادى الراسخ . وما أظن مولاي بعد كل ذلك إلا مرتاحاً من جهتى ، فكن مطمئناً ، وطب نفساً .

« معالى الرئيس الآن يقرأ الجريدة الإنجليزية بسرعة ، أكثر من الأول ، ويتكلم كذلك . فنصرف كل يوم من الساعة الخامسة والنصف إلى الساعة الثامنة فى المطالعة الجرائد الإنجليزية ، وفى بعض الأيام فى الصباح ، نصرف ساعة أو أقل أو أزيد ، حسب الظروف ، فى عادية باللغة الإنجليزية ، قليلاً ما بخطئى . وإننى أستفيد فى اللغة الإنجليزية منه ، أكثر مما هو يستفيد منى ، وأنا أخبرك يقيناً أن معاليه الآن صار ماهراً جداً فى الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية ، لا يضارعه أحد ، وهو يحتاج إلى تجربة أكثر فى الترجمة من العربى إلى الإنجليزية . كما أرجو أن أمكن أن ترسل كتب الترجمة الصغيرة المقررة فى ابتدائى ، من سنة أولى إلى رابعة ، لأنه يوجد بها بعض اصطلاحات وفوائد ، لا بأس من أن معاليه يطلع عليها ، كما أنه قد سر جداً

من كتاب « براكتوري » ، الذى أرسله إلينا كامل سليم ، فهو يطالع فيه دائماً :
وقد أرسلت إلى الأستاذ كامل أطلب منه بعض كتب ، فلم يفتنى ، فأجرك أن
تجبره بخطاب بالآيمل فيها ، وهى بأمر معالي الرئيس :
« وجميع من عشنا بخير ، وبهدوتك أركى السلام . »

المخلص
الانتصارى

• • •

وما يوسف له أن كثيراً من التعليلات السرية التى أرسلها سعد زغلول فى تلك
الفترة الخطيرة ، عن طريق سعيد زغلول ، قد أحرقت فى أثناء قضية ماهر والقراشى !
وليس فى مذكرات سعد زغلول أى شيء يدل صراحة على أنه هو الذى يأمر باستعمال
المتف . . بل إنه كان يردد فى أحاديثه العلانية استكباره للأغبيات ! ولكن يظهر
من بعض صفحات المذكرات فى تلك الأيام أنه كان يبرر هذا المتف ، أو يتبرره
نتيجة لاضطهاد الإنجليز وطنيائهم ولزعمائهم ، ولتعاون عدد من المصريين مع العدو .
فى يوم الأحد ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول من منفاه بجبل طلوق فى
مذكراته يقول : « ورد البريد أمس ، وفيه جرائد لغاية يوم ١٧ نوفمبر ، ورأيت فيها
بياناً لعلى يكن باشا رئيس حزب الأحرار المعتورين ، يتضمن أن قتل إسماعيل
زهدى بك وحسن عبدالرازق باشا (عضواً مجلس إدارة حزب الأحرار) قتل سياسى ،
ولم يكونا مقصودين به ، بل الحزب ، ويبدى على استغراباً من قصده ، مع كون
برجوازيه ونحله لم يكن فيها عيب لعاب . وجريدة السياسة تمتلئ بالقذف والقذح
فى كتاب المعارضة ، وللشاية بهم ، واتهامهم بأنهم مسئولون عن هذا التمدى ! وقد
تولى الناس الحرف من هذه الاتهامات ، واتكشفت منها المعارضة ، ولطقت كثيراً

من عباراتها ، واقتلبت تزيين القديسين ، بعبارات طويلة عريضة ، وأخذت جريدة اللواء (لسان حال الحزب الوطني) تبالغ في استنكار الحادثة ، وتحتج باللائمة ، مع الطعن بالحياة إلخ . . ولم تعجني خطة حافظ عوض لأنه بالغ في امتداح القديسين مبالغة واضحة ، كما أغرق في استنكار الحادثة إغراقاً ! وقد أعجبنى رد محمد أبوشادى ، على ما وجه إلى قباة المحامين من السكوت عن استنكار الحادثة ، كما أعجبنى بعض مقالات في جريدة الأمة في هذا الموضوع . ما كان أحسن للمعارضة أن تقول أولاً : إن التحقيق لم يظهر الجاني ، ولا سبب الجنائية ، فن المجازفة اعتبارهما كذلك . ثانياً : على فرض أن تكون الجريمة سياسية ، فلا مسئولية فيها على كتاب المعارضة بوجه من الوجه . وإنما المسئولية على الفاعل لها ، لأن هؤلاء الكتاب لم يكتبوا في استحلال قتل المحتجين ، واستباحة دماهم ، ولم الحق ، بل عليهم الواجب ، أن يشهروا بكل من حاول الخروج من صفوف الأمة ، والانضمام إلى صفوف أعدائها ، يفعلون كل ذلك فيهم ، كما يفعلون في كل من يحاول خرق للنظام والتحدى عليه .

« كنت أحب أن يقولوا ذلك ، وشرحوه . لا أن ينهتوا . وينكروا ما فعلوه ! » .

زوجات الزعيم !

وفي نفس اليوم كتب سعد زغلول في مذكراته :
« لقد قالت لي اليوم حرمي ، أثناء الذهاب للرياضة في جنيّة المدينة العامة ، إنها لا تشعر في نفسها الآن بمحمد علي أحد ، ولا بغضب من أحد ، بل تود أن يكون صديها نظيفاً من كل ما يسيء إلى الغير ، وقلبي راضياً عن كل الناس .

فأحمدت منها هذا الشعور الراق ، وشكرتها عليه . وقد قالت لي قبل هذا اليوم ، إنها بمقدار ما كانت تهوى الملابس الفاخرة ، والمجوهرات الغالية ، والأمتعة الثمينة ، وكل ما تترين به النساء والبيوت ، بمقدار ما زهدت الآن في كل هذا ، وأصبحت هذه الأشياء في نظرها قليلة القيمة ، مزهوداً فيها ، وكل قرة عينها في أن ترى بلادها مستقلة ، متمتعة بالحرية التامة . وقالت لي أمس : « إني معك أينما ذهبت ، إذا من الله عليك ، وعلى جميع المبعدين والمُسجونين بالفرج ، ولكن إذا جاء الفرج لك وحلك ، فإني أعود إلى مصر ، لكي أكون قريبة من أولئك الذين اشركت معهم ، في سبب نكبتهم ، بتحريضهم عليه (تقصد البيان الذي أصدره حمد الباسل وقرص حنا وويصا واصف وعلوي الجزائر وجورج خياط و مراد الشريبي وواصف غالي بمقاطعة البضائع البريطانية وبالتحريض على استعمال العنف ، فحكمت عليهم المحكمة العسكرية البريطانية العليا بالإعدام ، ثم استبدلت الحكم بالسجن سبع سنوات مع الشغل في سجن مصر ، وحلقت شعورهم ووضعتهم في الزنازين) .

« ولقد ارتاحت حري إلى ما روته الجرائد ، من أنهم نقلوا إلى معتقل ألماتة ، وتخصص طاه لهم من عندهم ، وتخصصت غرفة لكل واحد منهم ، وتعين لخدمتهم بعض المساجين . فرحت جداً بهذه الإحساسات واعتبرتها مما من الله بها عليّ في هذه الحياة ، ولقد أراها فوق ذلك تجتهد في توفير أسباب الراحة لي ، وتعمل كل ما في وسعها لإرضائي ، وتتفاني في شرح صدرى ، وتفريج كربى ، وتفريج قلبي ، جزاء الله أحسن الجزاء عني ، ومتعها بالصحة النامية ، والمعيشة الراضية ، ووقفني لإستعادها . »

تعليمات إلى القاهرة !

وفي يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سعد زغلول في مذكراته عن التعليمات التي أعطاه لسميد زغلول، المناسبة عودته من جبل طارق إلى القاهرة : « يسافر غداً سعيد ، وقد أوصيته بأن يعطى لكل من مصطفى لطفى المنفلوطى ، وعائلة مصطفى النحاس مبلغ عشرين جنيهًا مصريًا ، وأن يقول للدام وأصف غالى (قرية وأصف غالى عضو الوفد المحكوم عليه بالإعدام) ، إنى مقرر كل تصرف يراه وأصف غالى . وأن يعطى إبراهيم زغلول مرتبه المأخوذ . وأن يزور المسجونين السياسيين من إخواننا وأن يبلغهم سلامنا وأسفنا ، وأن يمر بعائلاتهم كذلك ، واحدة فواحدة .

« وأن يقابل توفيق نسيم باشا (رئيس الوزراء) ويهتبه بالنيابة عنى ، ويلفت نظره لأن يمتهد فى جعل الدستور موافقاً لمصالح الأمة ، مؤيداً لسلطانها ، لأن كل ما أعطى لها باقى ، ولغيرها فان ، يستعمل ضدها . وأن يمتهد فى جعل قانون الانتخاب غير مقيد للحرية ، وفى إجراء الانتخابات من غير تدخل الإدارة ، ويحقق ذلك بإجراء تحقيقات عادلة عن الجرائم التى ارتكبت فى عهد الوزارة السابقة (وزارة عبد الحلقى ثروت) سواء كان الذين ارتكبوها وزراء أو غيرهم ، حتى يظهر البلاد من الأرجاس التى تلوثت بها ، وحماية البلاد من عودة هؤلاء إلى حكمها ، وأن يفعل ما فى وسعه لإطلاق سراح المسجونين السياسيين قبل المبعدين . . وإذا توفى إلى كل ذلك فإنه يخدم بلاده أجمل خدمة ، ويخلد له فى التاريخ أجمل الذكرى .

« وأوصيته (سعيد زغلول) كذلك أن يسلم على أعضاء الوفد ويبلغهم بمنوتى منهم ، وشكرى لهم ، واعتادى عليهم . وأن يخبر كامل سليم بأننى مسرور من

سيرته، منحون من خطته". وأن يلفت أرباب الجرائد لأن يرسلوها إلى رأساً ، من غير واسطة دار الحماية . وأن يبلغ بعض الكتاب لأن يكتبوا دائماً في تعداد القضاة التي لوتكتبتها وزلوة « ثروت » ووزلوة « عدل يكن » من قبلها . وأن يوضع في الدستور نص يجعل من هيئة المجلس لجنة تكون هي المختصة بالنظر في الدستور ، وتعديله بحسب ما تراه ، وحيث تقوم هذه اللجنة مقام الجمعية الوطنية ، ويكون الدستور الذي تنفق عليه ، وليد إرادة الأمة ، ولا يضيع الزمن في انتخاب جمعية أخرى ووضع دستور آخر . . . وأن تستمر الجرائد على التذكير بحوادث المنشقين ، وتلاصيحهم بعد الأمة ، وقضهم لكل ميثاق قبلوه .

تهريب الشفرة !

وكان سعد زغلول شغولاً بتهريب مفاتيح الشفرة التي مكث شهرين عليها ويعدّها مع سعيد زغلول . . والخطة التي وضعت لتصل تعليماته السرية من القلعة في جبل طارق إلى قيادة الثورة والجهاز السري في القاهرة . وكتبت هذه الشفرة على ورق خفيف من الورق الذي يكتب عليه النسخ على الآلة الكاتبة ، وطويت عدة مرات حتى تأخذ مساحة صغيرة . ثم تولت صفية زغلول بنفسها خلع كموي جميع الأحذية سعيد زغلول : زوج الأحذية الذي سيسافر به ، وزوجين من الأحذية في الحقيبة ، وكانت تخلع بنفسها مسامير الكمب ، ثم تحفر في داخل الكمب غنائم لإخفاء هذه الأوراق ، ثم راحت تدق بنفسها مسامير الكمب كما كانت ، وتضعها في الثواب لكي تبدو الأحذية مستعملة !

. . وكان سعد زغلول قلقاً : هل يستطيع سعيد زغلول الخروج من القلعة إلى

السفينة بهذه الأوراق السرية ؟ هل يفتشه الحراس ؟ هل يفتشه رجال المخابرات ؟
هل يفتشه رجال البوليس الواقفون على السفينة ؟ .. كان سعد مهتماً جداً بنجاح
الخطوة التي وضعها ، وبوصولها إلى القاهرة ! .. وزاد قلقه عندما رأى الحراسة
تشدد في تلك الليلة حول داره على غير المعتاد !

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ المحدد لسفر سعيد زغلول كتب
سعد زغلول في مذكراته : « لم آتم البارحة إلا قليلاً » . . ولكن الحقيقة أنه لم يتم
إطلاقاً ! . . إن كل شيء أصبح الآن يتوقف على خروج ابن شقيقته القاضي
سعيد زغلول من الميناء ، هل يستطيع أن يضل الحراس ، ورجال المخابرات ،
والجمر ، ولا يثير شكوكهم ؟ . . لقد نجح سعد زغلول مرة في أن يضل هؤلاء
جميعاً عندما وضع رسالة في « فرشة » حذاء خادمه ، وأرسل هذه الرسالة إلى
كامل سليم . . فهل ينجح هذه المرة في تضليل المخابرات ؟

شبكة سرية !

نجحت خطة سعد زغلول في تهريب خطته السرية ، ومفاتيح الشفرة ، مع ابن
شقيقته سعيد زغلول ، وكتب سعد زغلول في مذكراته يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر
سنة ١٩٢٢ : « سافر اليوم سعيد ، وصحبه الأنصارى إلى البصرة ، ولم يفتش ! .
وقد أوصيت سعيد بكل ما تقدم تفصيله ، إلا فيما يخص بما يقوله إلى توفيق نسيم
رئيس الوزراء ، فقد حلفت منه مسألة إعتلاء سبيل المعتقلين حتى لا يفهم أننا
نلتزم لأنفسنا معونة منه ! »

وفي يوم الأربعاء ٢ يناير ، سعيد زغلول إلى بورسعيد ، وقامت السلطات

البريطانية بنفتيش أمتعتة في الباخرة « موريا » فلم تجد شيئاً ! . . وفي يوم السبت ٦ يناير تلقى سعد زغلول بريقة مفتوحة من القاهرة هذا نصها : «وصلنا بالسلامة» ! . . وفهم سعد زغلول من هذه البريقة أن الشفرة السرية والخطة السرية وصلنا إلى قيادة الثورة بسلامة الله ! . وكل ما كتبه سعيد زغلول في مذكراته يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٢ عن هذه البريقة أنها تكلفت ٤٦ قرشاً !

وعلى الفور بدأت الشبكة السرية تعمل في قلعة جيل طارق وفي مكتب قاضي محكمة الزقازيق ، وفي لندن حيث يتولاها الدكتور حامد محمود ، وفي جنيف حيث يتولاها على الشسى . . وبدأ الرسل يتقلون بين الزقازيق وجيل طارق ! . . وبرقيات ترسل بالشفرة إلى لندن ، ثم يرسلها الدكتور حامد بالشفرة من لندن إلى جيل طارق ! . . ولم يكن الجهاز السرى في القاهرة ينتظر هذا التنظيم ليعمل . . لقد كان الدكتور أحمد ماهر يسلم الرسائل إلى القاضي عثمان يوسف ، فيكتبها بالخير السرى على كتب ، ويرسلها إلى جيل طارق . . وهذه بعض الرسائل التي أرسلت من القاهرة :

زيادة الاغتيالات !

إلى سعد زغلول

جيل طارق في أول سبتمبر سنة ١٩٢٢ :

طلب اللورد ألتني أمسى من ثروت باشا رئيس الوزراء إضافة مواد جديدة لقانون العقوبات بسبب كثرة الحوادث وتوقع غيرها . أبلغ ثروت باشا أمسى تعليمات اللورد ألتني إلى مصطفى فخى باشا وزير الحفانية . مطلوب إضافة المواد الآتية إلى

قانون العقوبات :

- ١ - يعاقب بالإعدام كل من استعمل قتابل أو آلات مفرقة بنية قلب نظام الحكم أو ارتكاب قتل سياسي .
- ٢ - يعاقب بالأشغال الشاقة كل من صنع أو استورد من الخارج قتابل أو ديناميت أو مفرقات .
- ٣ - يعاقب بالإعدام كل من ألف عصاية تقاوم بالسلاح رجال السلطة وكل من تولى زعامة هذه العصاية أو تولى أى قيادة فيها .
- ٤ - من ينضم إلى تلك العصاية ولم يشترك فى تأليفها ، ولم يتخذ فيها قيادة ، يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدية .

بنى سويف

الملك خائف !

جبل طارق فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٢ :

إلى سعد زغلول

- طلب توفيق نسيم باشا رئيس الديون الملكى من ثروت باشا رئيس الوزراء بأمر الملك إضافة مواد فى قانون العقوبات لحماية الملك وهى تقضى :
- ١ - يعاقب بالإعدام كل من اعتدى على حياة الملك وحرية .
 - ٢ - يعاقب بالإعدام كل من اعتدى على الملك اعتداء لا يهدد حياته .
 - ٣ - يعاقب بالإعدام كل من ألف عصاية متباعدة لقلب نظام توارث العرش أو تغيير أى شىء فى نظام العرش .

- ٤ - يعاقب بالسجن كل من تطاول على الملك أو سلطته .
 ٥ - يعاقب بالسجن لمدة لا تزيد على خمس سنين كل من عاب في الملك .
 وقد بدأ مصطفى فتحى باشا وزير الحفائية بعد هذه القوانين .
 بنى سويف

...

جبل طارق في ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٢ :

إلى سعد زغلول :

رفع الملك القوانين المشار إليها في رسالة أول سبتمبر و ٥ سبتمبر .

بنى سويف

...

المعتقلون !

جبل طارق في ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٢ :

إلى سعد زغلول .

أرسل ثروت باشا رئيس الوزراء ووزير الداخلية اليوم خطاباً مريباً إلى مصطفى فتحى باشا وزير الحفائية رقم ٥٧ يقول فيه : « إن سجون الحكومة أصبحت مزدحمة بدرجة أن المسجونين بها فعلاً يزيدون على المقرر الصحى لما بمقدار ٥٨٥٥ مسجوناً . وعدد المسجونين تحت التحقيق الذين قضوا بالسجون مدة تتراوح بين شهر واثنى عشر شهراً أكثر قد بلغ عددهم ٢٤٨٥ .

بنى سويف

الجهاز السرى ينتقل إلى الزقازيق !

وبإتداء من شهر يناير سنة ١٩٢٣ انتقل مقر الجهاز السرى إلى مكتب قاضى محكمة الزقازيق .

فقد صدر قرار بنقل سعيد زغلول إلى الزقازيق . وانتهالت التلميحات على الزقازيق من سعد زغلول . وبدأ كل شيء يتحرك ويندفع . ويظهر أنه نسي أنه تجاوز الستين ، وأنهك نفسه فى العمل ، فسقط مريضاً . . .

الموت يقترب !

وبدأ سعد يشعر بذنو الأجل ، وبدأ يفلسف مزاياء النقي والاعتقال . فى يوم الخميس ٢٥ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سعد زغلول فى مذكراته وهو فى معتقله فى قلعة جبل طارق :

« أشعر الآن بضعف شديد وذنو الأجل ، يضطرب القلم فى يدى عندما أمسك به ، وترتعبش أعصابى ، عندما يقع مالا أحبه ، مهما كان صغيراً ، ويخيف قلبى كل طارئ مهما كان ضعيفاً ، ولا أتحمل معارضة فى رأى ، ولا مخالفة فى فكر ، ويشغلنى جواب على خطاب أو تلغراف مدة طويلة من الزمان ، وربما منعى الفكر فيه من النوم ! . . ويلوح لى من هذه الحالة أنى لا أستطيع بعد أن أباشر عملاً مهماً ، ولا أتحمل مرارة الاختلاط بالناس ، والاعرض لحجاوبتهم عما يسألون ، وسؤالهم عما يعملون ، وإرشادهم لما فيه خيرهم ، وإلى ما يوجهون من انتقاد ، ويدرسون من خطط ، وما يؤخذون عليه من قول سمعوه ، أو عمل أدوه . خصوصاً وقد تفتحت منافذ كثيرة فى جسم الأمة ، وتشعبت الآراء فيها ، وعجز كل طائفة عن تنفيذ ما تريد يلجئها

إلى أن تلقى تبعته على غيرها ، وتحتصر جهدها في محاربته . ولو أن الله يريد بنا خيراً
ما وفق الإنجليز وأشياهم إلى تقينا عن ميادين العمل لأن ذلك أبعدنا عن مساقط
التهم ، ومواقع النقد ، وحفظنا من طعنات المنافسين ، وغمزات المحاصرين ، وعصفت
عن قوة العمل بما لا تحب ، وظهور العجز عن عمل ما نحب !
سبحانك اللهم ، ما أرسخ حكمتك ، وأحكم تدبيرك ، وما أجل قدرتك .

ولكن أخبار القاهرة لا تلبث أن تسترعه من فراشه . . إن لأحداث تجرى
بسرعة مذهلة . ويتلقى سعد زغلول هذه الرسائل :

٢١ يناير سنة ١٩٢٣ : قدم توفيق نسيم رئيس الوزراء مذكرة للورد ألنبي
يقول فيها إن قتل مسٹر روبنسون من كبار الموظفين الإنجليز وغيره ، هو نتيجة
سياسة الشدة والإرهاب ، وإغفال أغلبية الشعب ، ويجب أن تغير بريطانيا سياستها
بدل الاعتماد على أقلية لا قيمة لها ، وأن تحترم إرادة الأمة وتلغى الأحكام العرفية
وتتيح الانتخاب لكل مصري .

الزقازيق

٢٦ يناير سنة ١٩٢٣ : وقعت أزمة بين وزارة توفيق نسيم ، والورد ألنبي . طلبت
الحكومة البريطانية محذف لقب ملك مصر والسودان من الدستور ، وجعله « ملك
مصر فقط » . للورد ألنبي هتد بخلع الملك إذا لم يحذف النص المذكور . معلوماتنا أن
الملك سيخضع . نسيم باشا قال لنا إنه سيتقبل إذا خضع الملك . الأزمة مستحكمة .
راجع رسالة ٢١ يناير .

الزقازيق

٤ فبراير سنة ١٩٢٣ : أبلغنا توفيق نسيم أنه سيستقيل رسمياً اليوم . ألح الملك عليه في البقاء فرفض ! اقترح نسيم عقد اجتماع للزعماء في القصر . قال اللورد أُللني إنه إذا عقد مثل هذا الاجتماع فسيدخل الإنجليز ويقبضون على الزعماء لأنهم خالفوا قانون الاجتماعات ! .

الزقازيق

المحكوم عليهم بالإعدام !

٢٦ يناير سنة ١٩٢٣ : المعتقلون في أَمَاظَة يبلغونكم تحياتهم . إنهم يتحملون حكم السجن بشجاعة كما تحملوا حكم الإعدام بشجاعة . استطاعوا دخول السجن واجتمعوا بحمد الباسل وويصا واصف ومرقص حنا وواصف غالي وعلوي الجزار وجورج خياط ومراد الشريعي في السجن . الاتصال بهم مستمر يومياً . الرسائل متبادلة برغم الحراسة الشديدة .

الزقازيق

وقد رتب الجهاز السري اتصالاً يومياً مع المحكوم عليهم بالإعدام . وكانت السيدة فاطمة حمد الباسل ابنة حمد الباسل باشا تعمل الرسائل السرية إلى السجن داخل الأطعمة ! .

• • •

جبل طارق في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ :
من سعد زغلول إلى سعيد زغلول بالزقازيق .

عزيزى سعيد :

أمس أخذت كتابك الثانى المؤرخ ٢٦ يناير . ولكنى لم أستلم خطابك الأول
المشار فيه إليه . لا أدري إذا كان تاه فى الطريق . أو منعه الرقيب . إني أشكرك
على التفاصيل التى أوردتها . أرجو أن تستمر فى إيراد أمثاله ، وفى الطريقة التى
تراسلى بها . تنشر الجرائد الإنجليزية عن الوزارة أخباراً إما مقتضبة أو متناقضة ،
ولا يمكن أن ليس له وسائل العلم سواها . أن يستنتج منها نتيجة صحيحة . وعلى كل
حال فإنى أرجو أن يوفق الجميع لما فيه خير البلاد .

لقد سرت أنك وجدت إخوانى فى الملاحظة على صبر جميل ، وفى ثبات متين .
أرجو أن يفرج عنهم فى القريب العاجل . صحتى على ما تركتها من الضعف ،
خصوصاً الجهاز الهضمى . أما الجو فتقلب . بين البرد الشديد والخفيف ، وكثيراً
ما تهب العواصف هبوباً لا نستطيع معه الخروج . ولكنهم يقولون إن هذه حالة
لا تدوم ، وعما قليل تزول ، ونستقبل الربيع ، بجمال مناظره ، ولطف سمائه .

إن القضية (التى وضعها سعد على الحكومة البريطانية لإلغاء قرار الاعتقال)
كانت تأخرت لأسبوعين ، ولكنها ما زالت متأخرة بعد مضيها . ولا يجرى فى أى
يوم يعاد النظر فيها . وبهما كان ، فلا معول لنا إلا على الله القدير العادل . بلغ
سلامى لشقيقتك ، وقريبتها ، وأبنائها . وتبزيك وفهية هانم (ثابت) تسلمان عليكم
جميعاً أركى السلام .

سعد زغلول

...

جبل طارق في ٧ فبراير سنة ١٩٢٣ :

إلى سعد زغلول

أطلق الرصاص على المسر أميلر أحد كبار موظفي السكة الحديد . أصدر اللورد
ألنبي أمراً بتعيين الكولونيل كوك كوكس حاكماً عسكرياً للمدينة القاهرة والجيزة بسبب
كثرة الاغتيالات ١ . . وأصدر الحاكم العسكري أمراً بمنع أي اجتماع في القاهرة .
كما أصدر الحاكم العسكري أمراً باعتبار عدد من الأحياء مناطق عسكرية لا يجوز
لأحد الدخول فيها والخروج منها . كل من يقرب منها يطلق عليه الرصاص . المنطقة
العسكرية تحدد من الشمال بشارع ترعة جزيرة بدران ومن الجنوب بخط السكة
الحديد ، ومن الشرق بشارع ابن الرشيد ومن الغرب بشارع أبو القرج ، فرضت غرامة
٦٠٠ جنيه على هذه المنطقة لأن الحادث الأخير وقع فيها !

اللورد ألنبي ثائر جداً !

الزقازيق

...

١٢ فبراير سنة ١٩٢٣ : حدث عمل جريء . أقيمت قنبلة على المسكر البريطاني
في جزيرة بدران . إنها في المنطقة العسكرية الممنوع الاقتراب منها . انفجرت القنبلة
في مكتب قائد المسكر قطعت ساقه . منع الإنجليز نشر إصابته . أصيب عدد
من الجنود الإنجليز .

الزقازيق

احتلال بيت الأمة

وتلقى سعد زغلول أن السلطة الإنجليزية احتلت بيته ، وطردت كل من فيه ١ .
٢٠ فبراير سنة ١٩٢٣ : هاجمت السلطات البريطانية بيت الأمة ، قام الضباط

ت كله من البدر ورم إلى السطوح . استولوا على كل الورق الموجود
ملك ، والمكتب في الدور الأول . قامت سيدات إنجليزيات
ملول وجميع الحادامات . طرد الإنجليز السيدة رتيبة زغلول وولديها .
ك زغلول موجوداً . أقفلت السلطة الإنجليزية البيت ، وأخرجت كل
بوليس الحربي البريطاني احتلاله ١ .

الزقازيق

برقية مفتوحة

فبراير سنة ١٩٢٣ :

يد زغلول بك - الزقازيق .

ن أين رتيبة ؟ تفاصيل حادث المنزل .

زغلول وصفية

• • •

١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ : رتيبة انتقلت إلى بيت فتح الله باشا بركات . أصر اللورد
أللنبي أن يتم إخلاء البيت في منتصف الليل وأن يخرج كل من فيه إلى الشارع .
رفضت رتيبة أن تخرج إلا بالقوة ! قالت أن ليس لديها مسكن تقيم فيه . بعد اتصالات
قبل اللورد أللنبي أن تبقى إلى الظهر . اللورد أللنبي ناثر دلي منشور الوفد ويقول إنه هو
الذي يشجع على قتل الإنجليز . أحدث قتل بيت الأمة ضجة كبيرة . أضربت
أغلب المدارس العليا والثانوية في جميع القطر !

الزقازيق

جبل طارق في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ :

من سعد زغلول إلى سعيد زغلول بالقازيق :

« أسفت لقفل بيت الأمة ، وإن لم أستغرب منه . ولكن الروح التي يريدون إطفاءها ، بقله ، إنما تأوى إلى القلوب ، لا الدور . وسكن الصدور ، لا القصور . ولرجو ألا يكون قد أزعجكم هذا القفل ، وأن تكون شقيقتكم خرجت من المنزل بهدوء وسكون . فسلم عليها ، وعلى أنجالها ، وزوجها . وفي عاقبة الأمور .

سعد زغلول

• • •

وفي يوم السبت ١٧ مارس سنة ١٩٢٣ كتب سعد زغلول في مذكراته يقول :

« انقلعت عن الكتابة من يوم ٢٦ يناير كسلا ليس إلا ، ساعد عليه وقواه ضعف صحي ، وسيرها من سيئ إلى أسوأ ، أما الآن فقد عدت إلى استئنافها لا فيها من الفوائد ، التي حملتني على التزامها .

« وما حدث في هذه الأثناء هو أن وزارة نسيم استغفت ، لأنها أرادت إصدار الدستور ، فرفض اللورد ألنبي المندوب السامي البريطاني أن تحذف منه النصوص الخاصة بالسودان ، فأبى ، وحصلت مناقشة تبديلت المذكرات فيها ، ورأى اللورد ألنبي أن يتنزه الفرصة ويسقط الوزارة ، فذهب إلى الملك ، وأبلغه رأي الحكومة الإنجليزية في حذف هذه النصوص ! وأرفق لورد ألنبي بلاغ حكومته ، يكتب سافر إلى الملك ، طلب فيه جواباً من الحكومة في ظرف أربع وعشرين ساعة ، وإلا كانت الحكومة الإنجليزية حرة في أن تعمل في مصر وفي السودان ما تشاء ! . . فطلب توفيق نسيم عقد مجلس للمشاورة في دار الملك ، فأبى عليه اللورد ألنبي ذلك ، وأأنذره برفض هذا الكتاب المنوع

المجلس بقوة الأحكام العرفية . وأبى اللورد ألتني الله يمد في الميعاد إلا بضع ساعات ،
فرأت الوزارة ألا تحذف هذه النصوص ، بل تعدل النص الخاص بملك مصر والسودان
بأن يكون ذلك بعد المفاوضات ، وبأن عدم الكلام عن السودان لا يخل بما لمصر من
الحقوق فيه !

« واشترطت وزارة توفيق نسيم أن تقبل دار الحماية هذا التعديل في ظرف أربع
وعشرين ساعة ، فلم تجب دار الحماية ، فاستغفت الوزارة بكتبة ~~البريد~~ في
حصول التهديد ، وأنه حصل فجأة . بعد أن كانت المحادثات دائمة بينها وبين دار
الحماية بصفة دورية . وقد أرسل إلى الوفد بقرقيات تنفيذ ذلك ، وأن توفيق نسيم
كتب مذكرات لدار المنسوب السامي قبل استغفائه ، وعقب حادثة اغتيال رويسون ،
يخطئ فيها سياسة الشدة والإرهاب والاتفاق مع الأقلية ، دون الأكثرية ، ويشير
بلزوم الاتفاق مع زعماء البلاد . واحترام إرادة الأمة ، وإلغاء الأحكام العرفية
وإباحة الانتخاب لكل مصري ، فاستغنى ذلك إلى أن هنأت توفيق نسيم بتلغراف من
هنا ؟ . . غير أن الجرائد الثروتية والعدلية (صحف الأحرار الدستوريين) شوهت
الحقائق من قبل ، وأوهمت الناس أن السودان قد ضاع بفعل توفيق نسيم ، فاستاء
الكثير منه . ولم يستحسن البعض تلك التهينة ، ومن تأدب في انتقادها نسبها إلى خداع
من الوفد لرئيسه ! »

« وقد قبل الملك الاستغفاء ، بعد أن ألح على توفيق نسيم في البقاء ، وأبى ، فاستدعى
الملك رؤساء الوزارات السابقين . واستشارهم في الأمر . واحداً بعد واحد فلم يقبل منهم
أحد فيما يظهر . إلا عدل يكن باشا . ولكنه أراد أن الوفد يؤيده ، فلم يقبل الوفد ،
فأخفق مساء . وقد اتفقت كلمة الأغلبية أخيراً على ألا تؤيد الأمة أية وزارة قبل
إعادة المنفيين والإفراج عن المساجين وإلغاء الأحكام العرفية فعلاً ! . . وكان عدل
يكن قد وعد بالسعي في ذلك ، وفي نحو تعديل توفيق نسيم . وبقيت البلاد بدون وزارة

من تاريخ استقالة نسيم في أوائل فبراير ، إلى أن وردت التلغرافات اليوم بأن يجي إبراهيم شكل وزارة . . وفي أثناء هذه المدة أطلق عيار ناري على موظفي إنجليزية في إحدى حارات جهة السبتية ، ولم يصبه ، ولم يقبض على الفاعل ، فرأت السلطة العسكرية أن تضرب نطاقاً عسكرياً على هذه الجهة ، وأن تغرم أهلها سبائة جنيه ، وأن تعين حاكماً عسكرياً على مصر والبحيزة ١

« وبعد ذلك بيوم أو ثلاثة أقيت قنبلة في وسط هذا النطاق فقتلت واحداً وجرحت بعض العساكر ، ولم يضبط الجاني ١ . . وكان الوفد نشر منشوراً يطعن فيه على سياسة الإنجليز بتأييد عدلى يكن في تشكيل الوزارة ، أو فرض تعيينه ، وعدت السلطة هذا المنشور مهيجاً أيضاً ، فقتلوا بيت الأمة ، بعد أن حتموا خروج من فيه ليلاً ، ولم يقبلوا أن يبقوا فيه لغاية ظهر اليوم التالى إلا بشق الأنفس ، وبعد أن قتلوا جميع من فيه ، وأخذوا كل الأوراق ، فأحدث ذلك رجة كبيرة ، وسبب احتجاجات شديدة من أغلب الأفراد والمهينات ، وأضرب كثير من المدارس . . فاستدعى الحاكم العسكري أعضاء الوفد ، وفيه عليهم بأنه إذا حدثت حوادث اعتداء يكونون هم المسئولين فاحتجوا على ذلك ، وتخلوا عن المسئولية .

« ثم في ٢٧ فبراير أقيت قنبلة في شارع نوبار ، بالقرب من جامع أولاد عنان في نحو الساعة الثامنة والنصف ، وأصاب بعض العساكر الإنجليز ، ولم يضبط الجاني ولم يكشف . وعليه ، غرمت السلطة البريطانية الساكنين من الأهالى بتلك الجهة بقرامة أيضاً ١ . . وفي يوم ٤ مارس الجارى أقيت قنبلة عند مكتب المخابرات الإنجليزية ولم تنفجر ، وأخرى في مطعم يأوى إليه الإنجليز فأصاب بعضهم . فاشتد السخط من نتائج هذه الاعتداءات ، وقبضت السلطة البريطانية على أعضاء الوفد جميعاً ، وقد كانت من قبل ضبظت كلا من محمود بسيوفى ، وعبد الستار الباسل ،

وحسن يس ، ومحجوب ثابت وغيرهم ، وأرسل هؤلاء الأخيرين إلى المحاريق . وقال روتر إن الأولين سيقدّمون إلى محكمة عسكرية بتهمة التحريض على الإخلال بالنظام . . . وقالت جريدة التيمس إنه لم يقبض عليهم فوراً عقب قبلة شارع فوبار لأنه كان يتظر أن يتفقوا مع عدل يكن .

هل ضبعت الرسالة ؟

وكانت الرقازيق ترفع أرقاماً للكذب السرية التي ترسلها إلى سعد زغلول . وكل شهر توضع له أرقام متتالية . . ويبدو أن بعض هذه الكذب السرية كان يضعف أو يضبط ! في الكتاب الذي أرسله سعد زغلول إلى سعيد زغلول في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٣ قال : « أمس أخليت كتابك الثاني المؤرخ ٢٦ يناير ، ولكني لم أستلم خطابك الأول المشار فيه إليه . لا أدري ، إذا كان تاه في الطريق ، أو منعه الرقيب » . وفي الكتاب الذي أرسله سعد زغلول في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ يقول تعليقاً على حذف لقب ملك مصر والسودان من الدستور :

« عزيزي سعيد . . ورد كتابك الثالث دون الأول . وأشكرك على ما ورد فيه من البيانات ، وإنني متأسف لأن يفهم الناس أن السودان ضاع ، لأنهم بهذا الفهم يسهلون الوزارة على طلابها . ممن لا يفهمهم السودان ولا مصر . وإنما يهمهم أن تشجع بطونهم ، خربت البلاد أو عمرت ، اتصل السودان بمصر أو انفصل عنها ! . ثم يضعفون ما بأيديهم من الحجج الدامغة على اتصال القطرين ، وكونهما يؤلفان مملكة واحدة من قديم الزمان ، يرويهما نهر واحد ، وتجمع سكانهما جوامع مختلفة . ويزيد أسى على أن هؤلاء أثروا على عقول البسطاء بأضاليهم ، حتى كادوا ينسون مظالم الوزارة

للروثية ، وقتكها بالحرية ، والحياة ، والشرف . وربما استأثروا بعضهم للرضاء بأن
تتولى الوزارة شعبة منهم ، ليعيشوا في ظلها ، ويصلوا إلى غايتهم بواسطتها . ولكن
نرجو أن يختص الله البلاد من هذه الحقبة ، وأن يقيها شر المخادعين .

سعد زغلول

الإفراج عن سعد !

ثم أفرج الإنجليز عن سعد زغلول وسافر إلى فرنسا للاستشفاء . وعاد محمد
الأنصارى إلى القاهرة بعد أن قام طوال هذه المدة بكتابة تعليمات سعد زغلول السرية .
واستدعى سعد الأستاذ كامل سليم من القاهرة ، وسافر إلى فرنسا وبقى مع سعد ،
وكان سعد هو الذى عمل عليه تعليماته . وقد حصلنا على نص تعليمات سعد زغلول
عن رأيه في المستور الذى ينشر للمرة الأولى :

« اكس ليبان - فرنسا ، في ٥ مايو سنة ١٩٢٣ :

« عزيزى سعيد :

« ورد خطابك المؤرخ ٢٤ أبريل ، وكذلك الخطابات والتلغرافات التى أرسلتها
من قبله ، ولم أرد عليها لانحراف صحفى . ولكنى تعافيت بحمد الله ، وأخلفت تعمد
إلى القصة . وقد حضر كامل سليم وارتحت لحضوره كما أشرت . إن الإنجليز تظاهروا
بجباية حقوق الشعب ضد الملك ، فيما كذبوه في جرائمهم ، تضليلا للأفهام . لأن
المستور الذى تظاهروا بجبايته جاء مشتتلا على كثير من العيوب ، وأخصها أنه
ضخ لم بابا للحصول منه إلى البرلمان ، واستعماله آلة لتنفيذ أغراضهم ، ولم يكن صدوره
فجأة ، إلا تدبيراً يراد به التأثير على أفكار الأمة ، وإلهائها عن عيوبه ، وحملها على
الاحتيال به ، ليكون الاحتيال دليلاً على الرضا به ، مع ما فيه من تلك العيوب ! »

«إنه قرر مبدأ سلطة الأمة، ولكنك لا تجد تطبيقاً لهذا المبدأ في نصوبه: ولا تجد عملاً لإمكان تطبيقه في غيرها، إذ أوجب استعمال هذه السلطة بالطريقة المبيّنة فيه، أى بواسطة البرلمان. ولم يجعل البرلمان ممثلاً لإرادة الأمة وحدها، لأنه جعل للملك الحق في تعيين كثير من أعضائه، ولم يحرم الجمع بين العضوية فيه والتوظيف في الحكومة: وضع بذلك باباً لأن يكون النائب عن الأمة من عمال الحكومة! ومع ذلك فلم يجعل لهذه الهيئة وحدها الحق في التشريع، الذي هو أكبر مظهر للسلطة، بل جعل للملك شريكاً فيه: وأحاط مسئولية الوزارة بقيود، أضعفت من شأنها، وجعلت الوزارة في مأمن من عاقبتها في أغلب الأحوال. وأوجب لبعض نصوصه الخلود والتأييد. فحرم تعديلها. وجاز تعديل الباقي، تحت شروط يتعذر في أغلب الأحوال توافرها: واشترط مع ذلك لصحة تعديلها موافقة الملك أولاً على اقتراحها، وثانياً على تقريرها. وفي النصوص الخالدة ما يتعلق بحرية الصحافة، والاجتماعات، وهى النصوص التى جعلت هذه الحرية تحت مراقبة الإدارة، وهذا يستلزم بقاء هذه الحرية تحت الأحكام الاستثنائية، إلى ما شاء الله. . . إذا أضعفت إلى ذلك كله أن تنفيذ هذا الدستور معلق على أمر لا دخل للأمة فيه، وأن النظام الحالي يبقى معمولاً به. بعد إلغاء قانون الجمعية التشريعية، إلى وقت تنفيذ هذا الدستور، بأن لك أن البلاد لم تكسب شيئاً بهذا الدستور، بل بالعكس، خسرت الأمل في أن يكون لها نظام. يضمن أن تكون سلطتها هى النافذة فيه، وتنهياً. بواسطة النفاذ. الإنجليزي، الذى رأيت آثاره: في إبعاد الموظفين المخصوصين من السراى، لا عن وظائفهم فقط بل عن وطنهم كذلك. — أن يعمل في إدارة البلاد، ويؤثر فيها تأثيراً كبيراً. بدون أن يظهر، أو يتعرض لأقل مسئولية. فهو الذى سيرجع الأمر إليه، في تعيين من للملك حق تعيينه في مجلس الشيوخ وتعيين غيرهم من أعضاء البرلمان

عموماً في الوظائف المختلفة ، إن لم يكونوا معينين فيها قبل انتخابهم ، وهو الذي
 سيجري إليه الأمر في مراقبة الصحافة ، بإنذارها ، وإلغائها ، وتقييد حرية الاجتماعات
 وعدم التصديق على القوانين ، وعدم الموافقة على تنفيذ الدستور .

« ومن هنا يتبين لك السر في ترحاب العدلين بهذا الدستور ، وتهليلهم ،
 وتكبيرهم لصدوره ، بعد أن كانوا قد أعلنوا في طول البلاد وعرضها ، عدم رضائهم بأقل
 من مشروع لجنة الثلاثين ، لأن ذلك التفويض ضمن لم يركز في الهيئة النيابية ، لم
 يكونوا يعلمون بها ، ومن يعيش ير ! . . أنظر إلى الأحوال الجارية عندكم بعين
 القلب ، وأدعوا الله أثناء الليل وأطراف النهار أن يخرجكم منها ، ويرزقكم الطمأنينة
 والأمن . على أنفسكم ، وأموالكم وحریاتكم ، وشرفكم . والإشاعات التي تتردد
 عندكم عن قرب الإفراج عن المسجونين ، وعودة المقيمين تمصل إلي ، وتبعث في
 شيئاً من الأمل ، ولكن عدم تحققها يكثر قلقاً ويشير عوامل القلق والاضطراب ،
 فلهذا أسأل أن يقرب الفرج ، ويعتدنا ببدله الشامل .

« أرجو أن تسلم على شقيقتك ونجليها ، وزوجها . ويزينك (صفية زغلول)
 تشاركني في هذه التحية ، والسلام . .

محمد زغلول .

ملاحظات محمد علي الدستور

« لكس ليان - فرنسا ، في ٧ مايو سنة ١٩٧٣ :

« عزيزي سعيد :

« أبديت لك في خطابي السابق بعض ملاحظات عن الدستور ، عقب ما تلوه

عنه في بعض الجرائد ، ولكن بعد أن اطلعت على نصوصه : في الجرائد العربية والفرنسية . الواردة من مصر ، رأيت تعديل بعض هذه الملاحظات ، على الوجه الذي ترونه في الورقة المرفقة مع هذا . ويجعل بي أن أشير إلى أن الملاحظات التي أبدتها حضرة الأستاذ أمين بك الرافعي عليه ، جدية بالاعتبار ، وبإعجاب كل عب للبلاد . ومن عجب أن العدلين : بعد أن يسيروا إلى عيوب الدستور ، يقولون إن التقاليد البرلمانية تصلح منها ، مع أن هذه العيوب لم توجد خطأ . بل عمداً ، والذين أوجدوها يريدون الانتفاع بها ، ويحرصون كل الحرص على عدم إصلاحها ، وفي يدهم كل القوة لعدم الإتيان بهذا الإصلاح . وأن وزر هذه العيوب ثقل جديداً ، على الذين كان في قدرتهم التوفيق منها ، سواء كانوا من أعضاء لجنة الثلاثين (التي وضعت الدستور) أو الوزارة الحالية (وزارة يحيى إبراهيم) . ويظهر لي من أعمال هذه الوزارة أنها إبراهيمية في الظاهر ، وصدلية في الحقيقة ، ولهذا يخشى كثيراً على الانتخابات : من تدخل رجلها فيها ، بما يجعل نتيجتها مضرة كل الضرر بالأمة ، إن لم تفتح عينها ، وتتق بساتنها ، وتحسن انتباهها ، وهذا الخطر كبير والله عاقبة الأمور .

« كنا سروراً عظيماً بقرب الإفراج عن مسجونى المأظلة مقابل دفع مبلغ خمسة آلاف جنيه . ولكننا تكدرنا عندما علمنا بأن السلطة رفضت قبول هذا المبلغ من غيرهم ، ورجو ألا يكون الرجاء قد انقطع من إخلاء سبيلهم ، وأن نسمع في القريب العاجل بالإفراج عنهم ، ومن غيرهم ، وبعودة المتفيعين في ميشيل . كانت انحرقت صحتي ، واستمر انحرافها مدة ، ولكنها عادت فتحصنت بحمد الله ، تحسناً عظيماً عن ذي قبل . وربما بقيت هنا إلى ٢٠ الحالى (مايو) ثم توجهت إلى (أوروبا) للاستشفاء بماها حسب إشارة الطبيب .

« والله المسئول في تمام الشفاء .

بعد زغلول

وهذا هو نص المذكرة التي وضعها سعد زغلول عن رأيه في الدستور وأرسلها إلى
سيد زغلول :

« إن الدستور قد أهتم بخدع الأمة أكثر مما أهتم بتنفيذ رغباتها ، لأنه :
« أولاً : أوهمها أنه منحها نظاماً نائياً ، وأنها أصبحت أمة دستورية ، مع أنها
رازمة تحت الحكم العرفي ، وحياتها وحقوقها ، وشرفها ، وأموالها لا تزال تحت رحمة
القائد العام الإنجليزي ، وأبنائها يساقون إلى السجون ، زراعات ووحدا ، والمتازل
تفتش كل يوم ، والحرية تصادر ، بلا سبب يعلن ، أو شبهة تشر . ذلك لأنه لم
يتضمن إلغاء الأحكام العرفية ، بل بالعكس تضمن استمرار إدارة البلاد بالطريقة
الحالية ، إلى وقت العمل به ، ولم يوجب هذا العمل من تاريخ صدوره ، بل من
تاريخ انعقاد البرلمان ، الذي لم يحدد لانعقاده وقت .

« وثانياً : لأنه قرر أن الأمة مصدر السلطات كلها ، ومع ذلك لم يشمل على
تطبيق لهذا المبدأ ولا ترك لتطبيقه ، بل جعل السلطة في الحقيقة للملك ، لأنه قضى
بأن يكون لمجلس الشيوخ سلطة معادلة تقريباً لسلطة مجلس النواب ، وجعل للملك حقاً
في تعيين عدد كبير من أعضائه ، كما جعل له الحق في التشريع بالتصديق على القوانين
أو ردّها ، وبالموافقة على اقتراح تعديل الدستور ، وتقديره ، أو رده ، وفي حل أو
النواب بلا سبب .

وإذا كان من الخطر ، في بلاد ليس للأجنبي نفوذ فيها ، جمع هذه الحقوق في
يد الملك ، التي يمكنه أن يجذب الأمة إليه ، بجميع الوسائل ، وأن يعتمد على
تعصيدها له ، فإن الخطر سيكون أشد وأعظم في مصر ، التي للأجنبي نفوذ شامل
فيها ، وهو يزعم أن العرش ، تحت حمايته ، ويبدل جهداً في التفرق بين الملك

ورعيته ، بل يعتبر أن التقريب بينهما جريمة تستحق الإبعاد عن البلاد ، لأن هذه الحقوق لا يتمتع بها في الواقع إلا ذلك الأجنبي ، وهو إنما يستعملها لمصلحته ، ضد مصلحة البلاد !

ثالثاً : لأنه بعد أن قرر أن حرية الصحافة والاجتماعات مكفولة ، جعل للإدارة الحق في تقييد هذه الحرية ، رعاية للنظام العام ، وما أكثر الظلم الذي لارتكب باسم هذا النظام !

رابعاً : لأنه بعد أن قرر مبدأ مسئولية الوزارة أمام مجلس النواب : أحاطه بقيود يتعذر معها ، في أغلب الأحوال ، تحريك هذه المسئولية ، خصوصاً وحق حل هذا المجلس كالسيف المسلول ، فوق رؤوس أعضائه ، يهددهم بالقطع ، إذا هم تعرضوا لها ، وإصدار الدستور بهذه الكيفية يجعل من الحال إصلاحه ، بطريقة تضمن حرية أفراد الأمة ، وحكم نفسها بنفسها ! .

انتهت تعليقات سعد زغلول السرية إلى سعيد زغلول قاضي محكمة الزقازيق .

ولكن لم تكن مهمة هذه الشبكة السرية مقصورة على إيصال تعليقات سعد زغلول السرية إلى قيادة الثورة في القاهرة ، وحامد محمود في لندن ، وعلى الشمسي في جنيف . . بل إن الشبكة السرية وضعت خطة لتهريب سعد زغلول من قلعة جبل طارق ، متحدية الأسطول البريطاني . الأبيض في جبل طارق . والجيش البريطاني الذي يحيط من كل مكان بمقر اعتقال سعد زغلول : والمخابرات البريطانية التي تضعه تحت حراسة دقيقة ومراقبة مستمرة !

إن الرجل الذي كان يمل عليه سعد زغلول تعليقاته السرية في جبل طارق هو الذي سيزيح الستار عن هذا السر العجيب ! .

لغز الخادم الذى عينه سعد فى البرلمان !

هوجم سعد زغلول وهو رئيس وزراء ، لأنه عين خادمه فى وظيفة فى البرلمان بعشرين جنيهًا فى الشهر ! .. هاجمته صحف المعارضة .. وهاجمه أنصاره ! .. وذهب بعض أعضاء الجهاز السرى إلى رئيس الوزراء سعد زغلول وقالوا له : « كيف تعين خادمك بمرتب عشرين جنيهًا فى الشهر ؟ » .. فاجتمعت وقال : « أنتم لا تعرفونه .. وعندما تعرفونه ستطلبون له أكثر من ذلك المرتب البسيط ! »

ومنذ بضعة أيام فقط قال لى « عريان سعد ، عضو الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ إن أكبر غلطة لسعد زغلول ، أثارت أعضاء الجهاز السرى ، هى أنه عين خادمه بمرتب عشرين جنيهًا فى الشهر ! .. وكان من غرائب ثورة ١٩١٩ أن خلاياها السرية ، لم يكن يعرف بعضها البعض ! فقد كان هذا الخادم عضواً فى الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ ، منذ بداية الثورة ، وهو الذى كتب عنه كامل سليم سكرتير سعد زغلول « إنه القدانى الأول الذى عرفه فى مصر ! »

إن هذا الخادم يكتب اليوم صفحة من مذكراته ، صفحة حافلة بالحياة والحركة والأسرار والمغامرات ! .. إنه الأستاذ محمد الأنصارى الذى تنكر فى زي خادم .. وحذع السلطات البريطانية والسلطات المصرية ! !
كتب الأنصارى يقول : .

عزيزى مصطفى أمين

إني أعرفك أنت وعلى أمين ، عند ما كان عمرنا خمس سنوات ، فى بيت سعد زغلول سنة ١٩١٩ ، وكنت أرى لكنا كل يوم حكاية ، وتذهبنا إلى سعد

زغلول : ترويان له هذه الحكاية ، فيضحك ويطرب .
ولكن هناك قصة لم أروها لكما . ولا لأى إنسان آخر ، هي قصة دوزى فى
نورة ١٩١٩ .
وهذه هي القصة :

محمد الأنصارى
مدير إدارة بالإدارة التشريعية
بمجلس الأمة سابقاً

• • •

« كتبت قبل الثورة ، أعمل كاتباً أول فى القوات الجوية البريطانية . وكان
مقرها فى منشية البكرى خلف البيت الذى سكنه الرئيس جمال عبد الناصر .
وفى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ذهب سعد زغلول إلى دار الحماية وطلب باسم الشعب
المصرى الاستقلال . وبدأت عملية التنظيم الثورى تحت الأرض على الفور ! . .
واتصل بى المرحوم الدكتور أحمد زكى مطر . وابن عمى على عزت الأنصارى :
وأبلغانى أنهما يعملان فى خلية المنشورات الخاصة بالثورة . وأنهما يطلبان منى أن
أنضم إليهما فى الجهاز السرى لقسم المنشورات . وأن تكون مهمتى توزيع منشورات
الثورة داخل المطار البريطانى ! . . وأن من واجبي أن أؤلف خلايا سرية من العمال
داخل المعسكرات البريطانية ! . . ثم اتصل بى الجهاز السرى : وقال إن لديه
معلومات تقول إن الأورطة الرابعة المصرية هى التى تحرس المطار ومخازن التموين
للجيش البريطانى . وأن المطلوب هو توزيع منشورات الجهاز السرى فى داخل هذه
الأورطة !

واتصلت باليوزباشى محمود لطفي - ولا أعلم إذا كان حياً الآن أو ميتاً - وكان

يتسلم منى المنشورات ، التي كنت أربطها على حزامي حول وسطى ، وأدخل بها خيمته في المعسكر : فيأخذها ، ويوزعها على إخوانه الضباط والساكر . ثم اتصل بي الدكتور أحمد زكى مطر ، وطلب أن نستعد لساعة صفر معينة ، وهي الساعة التي سيتخذ فيها الإنجليز إجراء ضد سعد زغلول . وعندما صدر الأمر بنى سعد زغلول ، بدأتنا نتحرك بالعمل الجدى فى داخل المطار . . . وكنت قد ألقت خلية سرية من عمال المطار البريطانى المصريين ، الذين يعماون داخل (المانجار) . . . وكانت كل خلية مكونة من اثنين حسب التعليمات . وأبلغتهم أن التعليمات هى أن نحاول حرق بعض الطائرات الموجودة فى المطار ! وقام العمال على الفور بحرق طائرتين ، وتصور الإنجليز أن هذا قضاء وقتل ! . . ثم بعد ذلك صدرت التعليمات بأن نحاول حرق مخزن الذخيرة التابع للمطار ! . . وقام العمال بتنفيذ ذلك . وقد اتهمت بالتحريض ، ولكن جميع العمال شهدوا معى ، وصدر قرار ببراءة ! .

حدث أن أمرت القيادة البريطانية قوة الطيران بأن تشترك بطائراتها فى قمع الثورة ، وإلقاء قنابل على التجمعات فى الأقاليم ، وخاصة فى المدن التى أعلنت استقلالها ، بعد أن قطع الفلاحون السكك الحديدية وأقفوا الطرق ، وأصبح انتقال الجيش البريطانى مستحيلا ! . . وصدرت إلى تعليمات الجهاز السرى بأن أحصل على جميع التقارير التى يقدمها الطيارون عن المهام الحربية التى قاموا بها . وكان من بين التقارير ، تقرير من أحد الطيارين يقول فيه بالحرف الواحد : « وجدت سوقا متجمعا فألقيت عليه قنبلة . . وقتل كثيرون » ! وكنت أقدم هذه التقارير بنفسى إلى عبد الرحمن فهمى رئيس الجهاز السرى ، الذى كان يرسلها إلى سعد زغلول فى باريس ، ليثيرها فى مؤتمر الصلح عن فظائع الإنجليز فى مصر .

وكانت قيادة الطيران فى منشية البكرى تتلقى يوميا من قيادة الجيش البريطانى

صورة تقارير القيادة يُعن العمليات الحربية. التي قاموا بها ضد المتظاهرين ، وعدد القتلى الذين قتلهم من المصريين ، وعدد القتلى والجرحى من الجيش الإنجليزي. وكنت كذلك أقدم هذه التقارير إلى عبد الرحمن فهمي . . وحصلت كذلك على صورة أمر أصدرته القيادة البريطانية بتعيين عدد من الضباط البريطانيين المرشحين في وظائف البوليس المصرى والجيش المصرى والإدارة المصرية ، لعدم الاطمئنان إلى المصريين في هذه الوظائف . وبدأت الشبهات تحوم حولي . وتلقيت معلومات من الجهاز السرى للثورة ، بأنه يحسن أن أترك مكانى في قيادة الطيران البريطانى لأنى أصبحت موضع شبهة . . . واستقلت في يونيو سنة ١٩١٩ ، وأبلغنى عبد الرحمن فهمي بك أنه قرر تعيينى في سكرتارية الوفد . .

وقد مكثت عامًا بدون أجر ، متطوعًا . ثم أبلغنى عبد الرحمن فهمي أنه تقرر لى عشرة جنيهات مصاريف انتقال ، بعد سنة من على مجائنا . . وكانت مهجى هى طبع المنشورات في المطابع السرية ، وتدهش إذا علمت أن مطبعتين من مطابعتنا السرية كانتا بجوار سراى عابدين . وكان توزيع المنشورات منظمًا ، فكانت خلايا منتشرة في الأقاليم تسلمها ، وكانت خلايا في القاهرة تتولى توزيعها ، وفي الوقت نفسه انضم المعلمان عبد العظيم سعودى وعلى الفهلوى وغيرهما من موزعى الصحف للعمل معنا في خلية أخرى ، وكما نسلمهما المنشورات فيضمانها داخل الصحف لتوزع في جميع الأقاليم قبل أن توزع في القاهرة . وقد حدث أن طبعت منشور الوفد ، بعد نفي سعد زغلول إلى سيشيل ، وفيه قرار بمقاطعة البضائع الإنجليزية (وهو المنشور الذى حكم من أجله على أعضاء الوفد الذين وقعوه بالإعدام) وقام باعة الصحف بتوزيع هذا المنشور علنًا ، وإذا بالسلطة الإنجليزية تقبض على جميع باعة الصحف في القاهرة ، ولم يفتح واحد منهم فيه عن الذى أعطاهم

هذا المنشور . . وعاشت مصر ٢٤ ساعة بدون صحف لأن جميع باعة الصحف كان مقبوضاً عليهم ! .

ثم جافى الأستاذ كامل سليم سكرتير سعد زغلول ، في أحد الأيام وقال إن هناك مهمة خطيرة ، وأنه متردد في عرضها على ، لأنه يعلم أنني سأؤت إلى ابنة عمي بعد شهر ، وأن هذه المهمة قد تؤدي إلى الحكم بإعدامى ! وهى المهمة التى أشار إليها الأستاذ كامل سليم في مذكراته وهى أن أنتكر فى شكل سفيرجى وأسافر إلى سعد زغلول فى منفاه بجبل طارق ، وأن مهمتى هى كتابة تعليقات سعد زغلول السرية . وقلت هذه المهمة على الفور ، وبدأت أطول تغيير ملاعجى وزبى ، وامتنعت عن تناول الطعام ، حتى يرشح وجهى ويظهر الفقر واليؤس والثاقة على ملاعجى ، ثم ارتديت جلاية وجاكete ، وحذاء قديماً وطريشاً قديماً . . وأصبح من الصعب معرفتى ! .

ذهبت إلى قلم تحقيق الشخصية ، وكان يباب الخلق ، ووقفت فى الطابور الطويل فى الشمس ، وضربنى السكرى بعشاء ، لأدخل فى الصف ، ولا أزالحم ، ثم وصلت إلى الشباك بعد انتظار عدة ساعات ، ودفعت للربم وكان ٢٠ قرشاً ، ثم أدخلوا بصماتى ، وإذا بي أكتشف أن الذى يأخذ بصماتى صديق لى اسمه إبراهيم عبد العزيز . وذهل عنما رأتى ! وقلت له : « إنها مهمة وطنية وأرجو ألا تبوح بالسر ! » . . وإذا به يسألنى ويشترك معى فى تفصيل وزارة الداخلية ، والإسراع بالإجراءات . . ولو كان كشف أمره لفقد وظيفته ، وقطعت رأسى ، ولكنه تحمس معى لتداع السلطة ! . . وحصلت على رخصة سفيرجى ، وأخذنا كامل سليم ، وذهب بيا إلى دار المنسوب السامى ، وقدمها لمم بأننى سفيرجى من (طهطا) . . وإذا بدار المنسوب السامى تظن أن طهطا هى طنطا ، فأرسلت الإدارة إلى طنطا

بالبحرى عني ، والسؤال عما إذا كنت مشتركاً في أى عمل سياسي ١٢ وإذا بهم
يحدون هناك في طنطا شخصاً يحمل اسمي فعلاً — محمد الأنصارى — وجاءت
التحريات بأنه حسن السير والسلوك ، ولا علاقة له بالسياسة ١ .

ومنحتني دار المندوب السامي تصريحاً للسفر إلى جبل طارق للعمل كسفرجي
لسعد زغلول ١ . . . وأعطاني الأستاذ كامل سليم تقريراً سريعاً من قيادة الثورة في
القاهرة ، فأخفيت في علبة صفيح للطربوش ، صنعنا داخلها نجاً سريعاً من الصفيح ،
ووضعت في جيبي خطابات ليست ذات قيمة ولا أهمية ، موجهة من أفراد الشعب
إلى سعد زغلول . ولم يفتشني أحد في بورسعيد ، إذ أن منظري كان يوصي بأنني
سفرجي عادي . . . ولكن عند وصولي إلى ميناء جبل طارق جاء بعض ضباط المخابرات
البريطانية ومعهم سيده ، وفتشوني تفشيشاً دقيقاً ، حتى إنهم كانوا يكسرون الشوكلاته
والملبس الذي كنت أحمله معي ١ ١ ولكنهم لم يشكروا في صندوق الطربوش الصفيح ،
لأن النجباء فيه كان محكماً جداً . . . ولكنهم صادروا كل ما معي من أوراق — لا أهمية
لها ١ ٢ .

واستقباني على الباخرة في جبل طارق المرحوم سعيد بك زغلول ، ورافقني إلى
القلعة ، وقابلت سعد زغلول ، فوجدته يمتلك صحة وعافية ، وهناك على أنني استطعت
أن أخدع السلطات البريطانية ، وأخدع السلطات المصرية ، وأخدع المخابرات
البريطانية التي تتولى حراسته ومراقبته ١ . . . وبدأ سعد زغلول بالحديث عن حال
الروح المعنوية للبلد ، وعن أثر سقوط وزارة ثروت ، وتأليف وزارة توفيق
نسيم ، وعن الدين قبض عليهم في حادث اغتيال حسن عبد الرازق وإسماعيل زهدى
ثم سلمته علبة الطربوش الصفيح التي فيها الرسائل السرية ، وأحضر سعد زغلول
بعض الفحم وأشعله ، فساح اللحام وأخرج الرسائل السرية ١ ٤ .

وتوقف هذه الصفحة من مذكرات الأنصارى ، لنعود إلى مذكرات سعد
زغلول في هذا التاريخ . .

فتجد أن سعداً يكتب في مذكراته يوم الثلاثاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ :

واشتد البرد، وعصفت الرياح، وكان أعلن الجيش أنه سيأمر مناورات، بإطلاق
النيران اليوم حول الساعة العاشرة والنصف صباحاً، مع إشعار السكان بأن يتركوا زجاج
الشبائيك مفتوحاً، ففعلنا . وانتظروا حتى حضر الميعاد، ولم يحصل إطلاق نار، ونظن أن
ذلك تعصف الرياح وشلتها . وحضر الأنصارى أمس، وحدثنا عن حال مصر، فقال
إن روحها المعنوية قوية ، وأن السرور عم الناس عند سقوط وزارة ثروت، وأنهم
حظروا من وزارة توفيق نسيم ، وصمدوا ألا يعيروها قنهم إلا إذا حققت مطالبهم ،
وأولاً إطلاق سراح المعتقلين والمسيجون ، وأن كثيراً من المدارس أضرمت استياء
منها ، وأنهم غير مرتاحين لعدم إعلان الوزارة بروجرامها ، وأن حزب الأحرار
الاستوريين أخذ في الحبوط ، وجريدة السياسة باثرة ، وقد أخذ بعض من دفعوا
مساعدة لما يطلبون ردها ، بإنذارات قضائية ! . . وقد أفرج عن كل الذين كانوا
حبوساً في تهمة إطلاق الرصاص على حسن عبد الرازق وزهدي بك ، وأن فخري
عبد النور (عضو الوفد) محبوس والمهمة كانت مبدولة في تلقين أدلة ضده ،
بالتحريض على حوادث الاعتداء على البريطانيين ، ولكن (القاضي) عبد الحادي
الجلندى أظهر هذا التلقيق ، وأن الذي كان يسعى فيه هو مستر إنجرام (مدير المخابرات
البريطانية في مصر) ، كما قرر ذلك بعض من كان يراد جعله شاهداً ضد فخري
عبد النور ! . . وأن الملك مسروراً عظيماً بالتصريح الذي أبدته ، وكذلك
وقع عند الناس موقفاً حسناً ، وأن كاسترو (رئيس تحرير صحيفة الليبرية) كلف
أن ييلنى أنه متأكد أن الملك وتوفيق نسيم رئيس الوزراء مهتان بمسألة إطلاق سراح

المعتقلين ، وأن الرجال والسيدات يرددون على بيت الأمة ، ورجال الوفد يباشرون أعمالهم بكل همة ونشاط .

هذا ما كتبه سعد زغلول عن مقابلاته للأخصاري ، ولكن ماذا كتب عن التقرير السري الذي كان يحمله الأخصاري في حلبة الطربوش ١٩ . إن سعد زغلول كتب سطرين فقط بعد ذلك عن هذا التقرير السري فقال : « وورد منه (مع الأخصاري) خطاب من أعضاء الوفد يشرح الحالة شرحاً وافياً . وكذلك ورد من كامل سليم ما يفيد اشتغاله معهم . وسأرد على ذلك » .

ويعود الأخصاري ليستأنف مذكراته فيقول :

« وبدأ سعد زغلول العمل على الفور . . .

وسمعت منه أنه لا يثق بالملك ، ولا يطمئن إليه ، وأنه يعتبر التناغم بين الوفد في القاهرة وبين القصر هو (هدنة مرحلية) وأن الصراع لا يلبث أن يبدأ بين الشعب والقصر . . . وكان سعد زغلول لا يوافق على أن تنجح الثورة إلى القصر . وكانت صفة زغلول تقول صراحة : « كيف تلعب وفرد الشعب إلى قصر الملك لتطالبه بالإفراج عن سعد زغلول ١٩ إن الشعب هو الذي يجب أن يحطم قفص السجن ، لا الملك الذي هو عدو الشعب » .

وقطع مذكرات الأخصاري مرة أخرى . . ونجد في مذكرات سعد زغلول في

يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ما يأتي : « أخبرني الست (صفية زغلول) أنها تأثرت جداً عند ما رأت الوفد يذهبون إلى قصر عابدين ، ويلمسون الفوضى ، إذ افكرت أن هذا الالكاس ضعة من كرامتي ، والنجاح فيه يثل يدنا عن العمل ، ويسلبنا قوة القيام بالواجب الذي تحملناه . روت لي ذلك ، وهي شديدة التأثير ، فأعجبت بدهة شعورها . وعلو قسها . وزادت محبتها في قلبي ، ومنزلتها في نفسي علواً . ولقد قالت لي إنها اشتركت في المنشور الذي وضعه الوفد احتجاجاً على الحكومتين الإنجليزية والمصرية ، بخصوص إبعادى في سيشيل ، مع كون جوها يضر صحتي ، وحرضت عليه (وهو المنشور الذى حكم من أجله بالإعدام على أعضاء الوفد الثنين وقعود) وأنها لو خبرت بين أن تسلّم روحها ، وخروجهم من السجن ، لاختارت تسليم روحها ! . فامتألت إعجاباً بها ، وإكباراً لها . ولا ورد التفراف من أهلهم بقرب الإفراج عنهم ، بكى ، حنائاً عليهم ، وسروراً بهم . وأجابتنى بأنها شعرت عند تلاوته بدافق من السرور ملأ قلبها دفعة واحدة ، حتى فاضت به دموعها .. فما زادنى هذا البكاء منها ، إلا سروراً بها ، وقلت : حقاً إن القلب هو الإنسان ! » .

انتهى ما كتبه سعد زغلول في مذكراته ، ونعود إلى مذكرات الأستاذ محمد الأنصارى :

« ثم بدأنا العمل على الفور : وبدأ سعد زغلول تعليماته السرية إلى كامل سليم في القاهرة ، وإلى سعيد زغلول في الزقازيق ، وإلى حامد محمود في لندن ، وإلى على الشمسى في جنيف ، وإلى الجمعيات المصرية في تولوز ، وباريس وبرلين ، وإنسبروك وغيرها . وكان سعد زغلول مهتماً بهذه الجمعيات المؤلفة من الطلبة المصريين في أوروبا اهتماماً عظيماً ، فقد كانت هذه الجمعيات نشطة جداً ، كانت

على اتصال وثيق بجميع الأحزاب الاشتراكية في أوروبا ، وكان سعد زغلول يرسل عدداً من الزعماء الاشتراكيين في العالم بخطابات مستمرة ، يشرح فيها قضية استقلال مصر . وقد يذهل الناس إذا علموا أن سعد زغلول كان متحمساً لمبادئ حزب العمال البريطاني ، متتبِعاً لتقدمه وانطلاقه ، مهتماً بأخبار هذا الحزب الصغير الذي بدأ يكسح إنجلترا . . وقد لا يعرف الناس أن الزعيم المصري سعد زغلول ساهم مالياً في إنشاء جريدة (الديلي هيرالد) ، لسان حال حزب العمال البريطاني ، وأنه اشترى سراً بعض أسهم هذه الجريدة . . وكان سعد زغلول يدرس مبادئ حزب العمال الاشتراكية ، وكان متشوقاً ليعرف نتيجة تطبيق هذه المبادئ في إنجلترا . وقد كانت هذه المبادئ شيئاً جديداً في تلك الأيام . وكان سعد زغلول ينكر علناً أنه مهتم بهذه المبادئ ، وكان حزب المحافظين والأحرار أصحاب الأغلبية وقتها يهتمون سعد زغلول بهذا . . ولكن كنت أشعر منه بهذا العطف وهذا الاهتمام بحزب العمال . ولقد شعرت بهذا عندما أمل على سعد زغلول إحدى التعليمات السرية — التي اعتبرها أهم تعليمات أملاها على طوال تلك الفترة — فقد حدث أن تلقى سعد زغلول عدة تقارير من سفيره الرسمي في لندن ، الدكتور حامد محمود ، وكانت هذه التقارير تؤكد أن مبادئ حزب العمال بدأت تكسح مبادئ المحافظين ، وأنه يتوقع أن حزب العمال سيتولى الحكم في بريطانيا لأول مرة خلال شهر ، وأن « رامزي ماكدونالد » صديق سعد زغلول وزعيم حزب العمال هو الذي سيؤلف الوزارة القادمة .

وأرسل سعد زغلول تعليماته السرية إلى الدكتور حامد محمود بأن يجتمع بمسرة ماكدونالد ويبلغه أن سعد زغلول يتمنى لحزب العمال النجاح ، لأن مبادئ حزب العمال تؤمن بحرية الشعوب . وطلب سعد زغلول في رسالته أن يكون الدكتور حامد

محمود على اتصال مباشر بزعماء حزب العمال ، وأن يشرح لهم قضية الشعب المصري ، وأن يطلب إليهم أن يتمسكوا بهم في الحكم بالمبادئ التي أعلنوها وهم في المعارضة ! وأرسل الدكتور حامد محمود إلى سعد زغلول أن مستر ماكدونالد سعيد بهذا الاهتمام ، وأنه يؤكد أن حزب العمال لن يتخلى عن مبادئه عند ما يتولى الحكم ! .

الرسالة الخطيرة !

وعند ما وصل هذا التقرير إلى سعد زغلول استدعاني ، وكان جالساً على مكتبه في الدور الأول ، في بيته يجلس طارق وقال لي : « اكتب . . » ، وأسكت النوتة ، وبدأ يملأ على :

سرى جداً — الدكتور حامد محمود — لندن :

« أبلغت مستر ماكدونالد ، أن الشعب المصري ينتظر من حكومة العمال أن تمنحه الاستقلال التام . وعندما نقول الاستقلال التام ، نعني جلاء جميع القوات البريطانية عن بلادنا . . . ونعني أيضاً خلع الملك فؤاد ، إذ أننا نعتبره جزءاً لا يتجزأ من الاحتلال ، فهو معين بقرار من وزير خارجية بريطانيا في ظل الحماية البريطانية ، ونحن نعلم أن مبادئ حزب العمال تنص على حق الشعب في اختيار حاكمه .

ولذا فإن في مقدمة مطالبنا أن يكون انتخاب رئيس الدولة في بلادنا

المستقلة ، بإرادة الأمة ، وبانتخاب عام مباشر ، وأن يكون ذلك بعد الحصول على الاستقلال التام .

سعد زغلول

وانتظروا بضعة أيام . . وإذا بالدكتور حامد محمود يرسل من لندن رسالة سرية إلى سعد زغلول يقول له فيها : « إنني عرضت مسألة خلع الملك على مستر ماكدونالد زعيم حزب العمال ، فامتنع من هذا الطلب ، وقال إن حزب العمال لا يستطيع أن يقبل مثل هذا ، وأنه على اتفاق مع حزب المحافظين وحزب الأحرار في ضرورة بقاء مصر ملكية » .

حامد محمود

وعندما تلقى سعد زغلول هذه الرسالة السرية ، وتوليت عرضها حليج ، قال سعد بامتناع : « الإنجليز هم الإنجليز ، سواء كانوا من العمال أو من المحافظين ، لعنة الله على الجميع ! » . وبعد شهور قولى حزب العمال البريطانى الحكم ، وثبت أن سعد زغلول كان على حق عندما قال إن الإنجليز هم الإنجليز ! .

فراش الموت

وتحول بيت سعد زغلول في المنفى إلى مركز لقيادة الثورة ! . وكان سعد يعمل في تلك الأيام ليل نهار ، يملئ على التعليقات ، والرسائل ، وهو في مكتبه . . . وهو سائر على قدميه للترجمة . . . وهو جالس في الحديقة . . . ونتج عن هذا أن انهارت قواه الصحية ، بسبب إجهاده في العمل . ذلك لأنه كان يعمل كشاب في

من العشرين ، في الوقت الذي كان يزيد عمره على الستين ١ . . واشتد المرض فجأة على سعد زغلول ، وناداني إلى غرفة نومه ، وكنا وحلنا ، وقال سعد : « سجل ما أقوله لك كتابة » . وأخرجت قلبي وكتبت : « إنني أخشى أن أموت هنا ، وتنتهي حياة أصحابي المنفيين في سيشيل ، ولا يعرف للشعب حقيقة ما جرى من الإنجليز معي . فقد حدث هند ما كنت في قلعة (عدن) ، مع أصحابي ، أن جاعني في سجن ضابط إنجليزي برتبة جنرال ، ومع ضابط كبير آخر ، ومعهما ضابط كبير من المخابرات البريطانية اسمه يعقوب . وطلب يعقوب أن يخرج معي في السيارة . وكان ذلك في أوائل فبراير سنة ١٩٢٢ ، وكان الضابط البريطاني يعقوب يتكلم معي بالعربية ، ويقترح أن أنتزعه معه ، فوافقت ، لأنني كنت محروماً من الخروج . . وركب يعقوب . بجواري ، وركب الجنرال بجوار السائق ، وجرى بيننا الحديث الآتي :

قال لي يعقوب ضابط المخابرات البريطانية : « إنك تستطيع أن تعود إلى مصر ملكاً إذا شئت . ويمكن للحكومة البريطانية أن تحقق لك هذا ، إذا تقاهمت معنا . . وأن المطلوب هو ترك السودان ١ » . فرددت على الضابط البريطاني على الفور : « أنا ليس لي ولد ، ولا مطبخ في الحياة ، ولا أمل ، إلا استقلال بلادي ، وأن أراها حرة مستقلة . وإلى أفضل أن أكون خادماً في بلد مستقل حر ، على أن أكون ملكاً في مستعمرة بريطانية مستبدة ١ » .

وذهل الضابط البريطاني وقال : « هل ترفض أن تكون ملكاً على مصر ؟ » ، وقلت للرسول : « إنني لا أبحث عن وظيفة ، أما السودان فإنه لازم لمصر ، ولا يمكنها الاستغناء عنه ١ . . . وعندئذ قال ضابط المخابرات البريطاني : « إنك تتعجل في

إصدار هذا القرار الخطير ، وإني أرجو أن تستشير زملائك في هذا العرض الهام ،
فقلت لضابط يعقوب : « إن هذا رأيي النهائي ، ولا أقبل أن أستشير فيه أحداً ،
هذا هو رأي كل فرد في بلاده ، وأنا أعرف رأي زملائي دون أن أرجع إليهم ! » ،
فقال لي يعقوب : « إنني أتركك ٢٤ ساعة لتفكر . . » ، ثم أعادني إلى القلعة
بالسيارة .

وعند ما قابلت زملائي : فتح الله بركات ، وعاطف بركات ، ومصطفى النحاس ،
وسينوت جنا ، ومكرم ، ورويت لهم ما حدث ، قاموا وقابلوني ، وعانقوني ، وهم
يكون من شدة الفرح . . وبعد ذلك صدر الأمر بنقلني إلى جزيرة (سيشيل)
بمفردي ، عقاباً لي لأنني رفضت أن أكون ملكاً ! وفي البارجة الحربية التي نقلتني
إلى سيشيل وجدت ضابط المخابرات يعقوب مرة أخرى ، وطلب مني أن أوقع على
الدفتر الذي يحمل ، إقراراً مني بأنه حصلت المقابلة ، وجرى هذا الحديث معه ،
فوقعت على الدفتر كما طلب ! .

ثم قال لي سعد زغلول : « إن اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية أشار
إلى ذلك في جلسة مجلس العموم البريطاني » ، وأخرج سعد مضبطة مجلس العموم
البريطاني ، وفيها قول لورد كيرزون : « لقد يشنا من هذا الرجل الصلب العنيد ، ولم
نفهم ماذا يريد منا ، ولا أي مطمح له ! » .

...

حدث كل هذا في أوائل فبراير سنة ١٩٢٢ . . وبعد ذلك أعلن الإنجليز
استقلال مصر ، بتخففات تصريح ٢٨ فبراير ، وأصبح السلطان فؤاد هو الملك
فؤاد ! وهكذا قبل فؤاد الشروط ، فأصبح ملكاً ! ورفض سعد زغلول الشروط ،
فنقلته البارجة البريطانية إلى جزيرة سيشيل الحقيقة !

ومضت الأيام القاسية في منى جبل طارق ! . . وذات يوم شعرت أن سعد زغلول يذوى ، وأنه قد يموت في هذه القلعة ، فإن الجو الذي يحيط به ، والحياة المملة التي يعيشها ، أضغمت قواه ، وحطمت صحته ، وكنت أحس كأنه أسد في قفص ، يحاول الخلاص ولا يستطيع ! . . وحدث مرة أننا كنا نسير في الحديقة ، ومعنا عصفورا يغني فوق شجرة فقلت لسعد : « هل تسمع صوت العصفور ؟ ! » . قال سعد : « طبعاً يغني ! لأنه حر طليق ! » ، وتأثرت من هذه الجملة . . .

خطة لتهديب سعد من جبل طارق !

وبدأت أفكر في طريقة لتهديب سعد زغلول من قلعة جبل طارق ! . وزاد تصميمي عند ما سمعت « الدكتور لوكهولد » الذي يعالج سعد يقول : « لو استمر هنا مدة أخرى فإنه سيموت ! » . . وقررت أن أعمل بأى طريقة على تهديب سعد زغلول ، ولم أخبره بما اعتزمت ، وجلست أضغ الحطة ، خطة تهديب سعد زغلول من متفاه ! وبدأت أدرس الحراسة الموضوعة على القلعة ، ومواعيد تغيير الحراس ، ومواعيد البوليس السرى ، والطريقة التي اتبعتها المخابرات البريطانية في مراقبة سعد . ودرست الطريق من القلعة إلى الحدود الإسبانية . . والحراسة الموضوعة على الحدود . ثم وطلت علاقتي بأحد سائقي السيارات الإسبان ، الذي سيتولى الاشتراك معنا في عملية تهديب سعد زغلول ، وكانت الخطة أن نهرب سعد زغلول إلى إسبانيا ، ومن هناك يذهب إلى سويسرا ، لأن سويسرا لا تسلم المجرمين السياسيين - وكانت بريطانيا تعتبر سعد زغلول مجرمًا سياسيًا ! - وكانت فكرتي أن سعد زغلول يستطيع في سويسرا أن يزاول نشاطه السياسى ، ويستطيع أن يؤثر في ثورة مصر ، وهو طليق ، أكثر مما يستطيع وهو مسجون في هذه القلعة ! .

وكان سيترك في تنفيذ هذه الخطة عدد من أعضاء الجهاز السرى الموجودين في عواصم أوروبا ! ودرست الطريقة التي حرب بها رلى عهد ألمانيا السابق ، الذى كان معتقلا في جبل طارق ، واستطاع الفرار . وقد كان كل المطلوب هو إخفاء سعد زغلول عن الحراس ! وعن البوليس السرى الذى يتبعه على دراجة ، عند ما يراه خارجا من باب المنزل . . وقد وصلت إلى نتيجة بأن تهريب سعد زغلول ممكن بالنهار أفضل من الليل ، لأن النهار مليء بالحركة ، أما الليل فتزداد فيه الحراسة . .

وعرضت الخطة كاملة على سعد زغلول بكل تفاصيلها . وقد كانت الخطة :

١ - يهرب سعد زغلول وجرمه فقط

٢ - تبقى السيدة فهيمة ثابت والطامى أحمد بدران والخادمة سكيته في داخل المنزل ، ويتظاهرون بأن سعد زغلول لا يزال موجودا معهم . . حتى يتم خروج سعد زغلول من أراضي جبل طارق ، وبعد أن تصلهم إشارة معينة ، بأنهما خرجا من إسبانيا ، يبلغون السلطات باختفائهما ! .

٣ - أعددتا جوازات مزورة ليستطيع سعد وصفيه زغلول الخروج من إسبانيا .

٤ - أعددتا المكان الذى ينزل فيه . سعد زغلول في إسبانيا ، ويختفى فيه إلى أن يتم تدبير خروجه من إسبانيا إلى سويسرا .

٥ - رتبنا السيارة التى سيختفى في داخلها سعد زغلول وصفيه زغلول وحصلنا لها على جواز البرور ! .

ومع سعد زغلول الخطة بكل تفاصيلها دون أن يناقشني فيها . وعندما أتممت عرضها عليه قال سعد : « إنها خطة ممتازة . . ولكني أعطيت هنا كلمة شرف ألا أحاول الحرب ! » .

واهترزت عند ما سمعته ينطق « كلمة شرف » : وعرفت أن لا فائدة من محاولة إقناعه بهذه الخطة التي مكنتنا ندرسها حوالي العشرين يوماً ! .

كلمة الشرف !

وهنا تقطع مذكرات الانتصاري مرة أخرى ، ونبحث عن (كلمة الشرف) التي أعطاهها سعد ، وكيف أعطاهها ؟ . . إن مذكرات سعد زغلول تقول إنه أعطاهها يوم وصوله إلى جبل طارق ، فقد كتب يصف وصوله لأول مرة إلى الجبل ، وكيف صعد رجال الحكومة لاستقباله في البارجة البحرية التي أقلته إلى المنفى الجديد ، وكتب سعد يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٢ في مذكراته يقول :

« عند الساعة ٩ حضر القومندان الثاني ، وكان أحياناً يتكلم معي بعض الكلمات وقال : « إنك تنزل هنا على الرحب والسعة ، كضيف لا كسجين ، وستجد منزلاً معداً لك ، فيه كل أسباب الراحة » . فشكرته وانصرف . ثم حضر مستر « جري وود »سكرتير حاكم جبل طارق ، وبلغني سلامه ، وأخبرني بمثل ذلك ، وأظهر كثيراً من اللطف . ثم حضر رئيس أركان الحرب ، وهو يجيد الكلام باللغة الفرنسية ، فبلغني سلام الحاكم العام ، وأنه أعد أوتومبيلين للركوب ، وركوب نخدي ، ولكن أحدهما أبطأ ، وانتظرنا حضوره بعد نصف ساعة . فأخذ هذا الرجل يبدي أسفه على هذا التأخير ، وتلطف في القول كثيراً . وقد ودعني على ظهر السفينة

قومندانها وخباطها ، وقد وصلت إلى المنزل فوجدته رجلاً ، وله حديقة واسعة ، وفيها كثير من التماثيل المرتفعة والمنخفضة ، ويشتمل على بعض ملحقات مهبورة . ويظهر أن المنزل كان مهبوراً ، ثم أعد حديثاً ، وهو يشتمل على دورين ، كل منهما فيه عدة غرف ، منها الواسع العالي ، ومنها الضيق اللواطى ، وكله مفروش بأشياء لا بأس بها ، وإن كان بينها كثير من القديم البالى . ولا انتهت من الاطلاع عليه ، حل بى دوار ، وجلست مع هؤلاء فى الصالة ، التى كانت رائحة البوية التى تصاعد منها تضاعف أثره ، ودوار البحر ، وكنت تعباً ، فاستأدنتهم فى الراحة .

« وقيل البدء فى رؤية المنزل ، وعقب وصولنا ، ناولى رئيس البوليس السرى ، الذى وجدناه فى البيت ، ورقة تشتمل على الأحكام الخاصة باعتقالى فى هذه الجهة . فاعترضه كل من السكرتير ورئيس أركان الحرب ، بأن هذا لا أهمية له ، وأن هذا شكلى ، لا ينبغي الالتفات إليه . وأخذ أحدهما الورقة ، مانعاً لى من قراءتها ، وألقاها على أحد الكراسى ، وكرر عبارته الخاصة بأنى حر ، بشرط عدم الخروج من الحدود الإنجليزية ! . فشكرته ، وطلبت أن يبلغ الحاكم شكرى ، وقد كان أحدهما أشار أثناء وجودى فى الباخرة إلى أنه لا مانع من زيارة الحاكم . فقلت إنى أفضل ذلك ، ولكن بعد برهة نزل أحدهما فيها إلى البر ، بحجة استعجاله أحد الأتومبيلين الذى تغلف ، وطاد ، ولا ركبنا الأتومبيل ، سأله عما إذا كنا ذاهبين إلى الحاكم أولاً المنزل ، فقال : « لا . بل إلى الأخير » ، ففهمت أن الحاكم لم ير أن أراه ، ولم أره إلى الآن ، ولم أجد بالمنزل « جنائى » ، ووجدت فيه خادمتين أسبانيتين ، لا تعرفان غير الأسبانية . وارتحت لهذا الاستعداد لأنى وجدت خلاف ما توهمت ، من الإبعاد بى إلى هذه الجهة

وشكرت الله شكراً جزيلاً . وما وجدته كثير من الأشياء التي تختص بالأكل والشرب ، أى المأكولات والمشروبات ، كما وجدت محل السفرة ولوازمها لا بأس بها ، وكذلك سراير النوم ، وأودعتها ، إذ لم أر مثل ذلك في غير هذه الجهات .

« ومكثت في البيت يومين تعبان من أثر السفر . وكنت أشعر من حين لآخر كأن الأرض تدور بي ، وبنوع من الغثيان . وقد حضر الطبيب من طرف الحكومة ، وفحصني في اليوم التالي ، واستفهم مني عن حالتي ، وأخذ من وقتها يحضر كل يوم ويجلس معي ، وفيه ظرف وأمانة ، وقد أحضر لي خبزاً من لندن ، وأخبرني أخيراً أنه تلقى تعليقات بأن هذا الخبز (خبز السكر) يكون على نفقة الحكومة ، ولكن مايزيد عن العيش كالمربة وغيرها فيكون على حسابك .

وقلت : « إني متشكر » . وفي اليوم التالي لحضوره ، والذي بعده ، تردد على سكرتير الحاكم . وقال : إن الحكومة قد رتب لك شهرياً خمسين جنيهًا ، وأن الحكومة أودعتها في بنك وتسحب منها ما يلزمك عند الحاجة ، فلاحظت له أن مثل هذا المبلغ كان مرتباً لي في (سيشيل) . وسموحت لي مع ذلك أن أجلب من مالي ما أريد ، مع أن بين المعيشة في الجهتين فرقاً هائلاً . . فقال : « إن هذا المبلغ ترتب باعتبار أنه أكثر مما كان مرتباً هناك ، وأنه لا جرم عليك في أن تجلب من أموالك ما تشاء ، وأنت حر تمام الحرية فيه » . قلت : « إن كان الأمر كذلك فلا أهمية لما ترتبه الحكومة » . ثم قال : « إن الأفضل إن نودع المبلغ في البنك ، ونرسل إليك دفتر شيكات ، للسحب بموجبه » . قلت : « كما تشاء » . وانصرف مكرراً عبارة أنك حر ، وأنت ضيف لا سجين . ولكني وجدت رجلاً من البوليس يلزم باب المنزل ، ليل نهار ، ويتبعني حيث أسير ! وكان في أول

الأمر يعتمد ، ولكنه كلفه طال الزمان كان يقرب ، فاستغربت من هذه المراقبة المتناقضة لجميع التصريحات السابقة ، وقلت في ذلك للحكيم متعجباً مستفهماً عن هذا الاحتياط ، مع كوني قلت في لا أحاول الحرب . قال : « لمن أعطيت هذا القول ؟ إن كنت تعطيه فلا أظن أن هذه المراقبة تبقى ! » . . . وبعد ذلك صادفت في الطريق رئيس البوليس فقال : « إن أعطيت كلمة شرف بالألا تخرج من الحديد الإنجليزية . رفضت هذه المراقبة ! » . . . قلت : « قد أعطيتها » . قال : « كذلك » ورفضها من ذلك الحين .

• • •

انتهت مذكرات سعد زغلول . . ونعود إلى مذكرات الأستاذ الأنصاري :
« وبعد مدة طويلة علمنا أن الدكتور لوكله ، الطبيب البريطاني للمعالج ، كتب تقريراً للحكومة الإنجليزية عن صحة سعد زغلول ، أنها في انهيار مستمر ، وأنه يخشى أن يموت في القلعة ، فيحدث موته اضطراباً في مصر ! . . وفي الوقت نفسه تقدم ٨٠ نائباً من نواب حزب العمال بطلب الإفراج عن سعد بسبب ضعف صحته . . »

« وصدر قرار بالإفراج عن سعد زغلول . . وسافر سعد زغلول إلى (طراون) ، ومنها بالسكة الحديد إلى مارسيلا . وطلب مني أن ألتحق به في مارسيلا . وفي مدينة مارسيلا قابلني الأستاذ حسين نشأت شقيق حسن نشأت باشا ، وكان طالباً بجامعة تولوز ، وكان شقيقه حسن نشأت ينزل في (أوتيل نوي) ، وكان تحت مراقبة المخابرات البريطانية ، فإن بريطانيا كانت قد أبدته عن متعبه في القصر الملكي ، وعن مصر كلها ، وسمى الملك فؤاد في إزالة سوء التفاهم ، وسمحت له السلطات

البريطانية بالعودة إلى مصر . . وجاءني الأستاذ حسين نشأت وقال إنه مكلف من
ثقيفه حسن نشأت باشا أن أبلغ سعد زغلول الرسالة الآتية (وأملأها على) :

١ - إن جلالة الملك فؤاد يسره جداً أن يقبل سعد زغلول رئاسة الوزارة بعد
الانتخابات .

٢ - يؤكد جلالة الملك لسعد زغلول أن الانتخابات ستكون حرة .

٣ - يرجو جلالة الملك من سعد زغلول أن يبعد عنه رجال الخديو ، مثل على
الشمسي ، وحنى ناجي ، والسيد حسين القمصى . وسيو جاك سيون (الذى كان فى
استقبال سعد فى مارسييا) .

٤ - إن حسن نشأت يعمل فى القصر الملكى كجندى من جنود سعد ،
وستعد لتلبية كل تعليماته ، ولتعاون مع سعد فى خدمة البلد .

٥ - إن حسن نشأت رفض أن يكون وزيراً فى جميع الوزارات السابقة ،
وقد كان هو الذى يؤلفها ويختار من يشاء ويخلف من يشاء ، لأنها وزارات عابرة ،
ولكنه مستعد أن يدخل وزيراً فى وزارة سعد زغلول لأنه يعلم أنها ستكون وزارة دائمة
يؤيدها الشعب .

وقابلت على الفور سعد زغلول فى الفندق الذى يقيم به فى مارسييا ، وعرضت
عليه رسالة حسن نشأت ، وهز سعد زغلول رأسه عندما قرأ أن الملك يطلب إبعاد
بعض أنصاره من حوله بحجة أنهم من أنصار الخديو . . وقال : « هؤلاء اشركوا فى
الثورة ، وليس من حق أن أبعدهم ! » ، ثم قال سعد زغلول : « وعلى كل حال أنا
لا أريد أن أكون رئيساً للوزارة ! إن مقعد الوزارة مركز شائك وكل واحد له مطعم
ومطلب . . سبحانه من يرضى العباد جميعاً . وأنا أشعر أن منصبى كزعيم أمة أكبر

كثيراً من منصب رئيس وزراء ، بل من منصب هذا الملك ! .

• • •

« ولقد قبل سعد بعد ذلك رئاسة الوزارة ، وكانت هذه غلطة في رأيي ! . . وفي رأي الشخصى أنه لو أن سعد زغلول عين حسن نشأت وزيراً في وزارته ، وعين عبد الحليم البيلى وزيراً في وزارته ، لا قتل السردار ! . . وربما لم يضرب سعد زغلول وهو رئيس الوزارة بالرصاص ! .

محمد الأنصارى

• • •

وهذه السطور القليلة التى ختم بها الأنصارى مذكراته قد تساعد على حل اللغز الذى وجدته في مذكرات سعد زغلول ! .

الفصل الثامن .

■ ٧ أبظتال ... و٧ مشانق !

■ دور المرأة المصرية في الجهاز السرى

الساعة الخامسة والنصف صباحا . دق عتف على باب بيت حمد الباسل باشا
وكيل الوفد، ضباط إنجليز ، وحنود برياسة البكباشى « أبلت » يقتحمون الباب ،
ويدخلون غرفة نوم حمد الباسل شاهرين اللنافع والمسلمات ، يوقظونه من النوم . .
ويعلنونه بأن جناب القائد العام للقوات البريطانية فى مصر أصدر أمراً بالقبض
عليه وتفتيش منزله ومصادرة كل الأوراق التى فيه !!

ويتذكر حمد الباسل أن فى جيب محفظته ورقة خطيرة : إنها خطاب بخط
يد سعد زغلول ! إنه الخطاب الذى أعاد حمد الباسل إلى الوفد ، بعد أن اختلف
مع سعد زغلول وانقطع عنه ، إنه الخطاب الذى كتبه سعد إليه ليلة القبض عليه
ونقيه إلى سيشل ، وأرسله مع الحاج أحمد عثمان تابع سعد زغلول الخاص . هكذا
الخطاب الذى رسم سياسة الثورة بعد القبض على قائدها . إن نص الخطاب
هو :

« عزيزى حمد

الانجاء إلى اعتقالى . واجبك أن تعود إلى الوفد وتنسئ الخلاف الذى بيننا
الموقف يستوجب الاتحاد . . رد الأمة هو المقاومة السلبية . . علم التعاون من

الإنجليز . . . مقاطعة البنوك الإنجليزية . . . مقاطعة الشركات الإنجليزية . . . الامتناع
عن تشكيل أى وزارة . . . مقاطعة السفن الإنجليزية . . . مقاطعة التجارة الإنجليزية . .
تشجيع البنوك الوطنية . . .

مسعد زغلول

وخشى حمد الباسل أن يقع هذا الخطاب الخطير في يد البوليس الحربى البريطانى،
فكوّر هذه الرسالة في يده، ثم وضعها في فمه وشرب عليها كوب ماء وبلعها ١ . . . وراح
الإنجليز يفتشون كل شىء: الرجال والسيدات والنظم . . . وحمد الباسل نفسه ،
والسطح ، والبدرى ، والمكتب ، ثم يصادرون كل ما في البيت من أوراق ومشتريات ..

وفي الوقت الذى كان يحدث فيه هذا في بيت حمد الباسل ، كانت عمليات
قبض أخرى تجري لاحتقال باقي قادة الثورة . وكان مسعد زغلول في ذلك الوقت
مثليا في سيشل ، وكانت الأخبار السرية منقطعة بينه وبين القاهرة ، بسبب
الرقابة الشديدة الموضوعة عليه هناك . وبقي مسعد زغلول في سيشل من يوم ٢٥ يوليو
سنة ١٩٢٢ إلى يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٢٢ يجهل ما يحدث في القاهرة، وفي يوم
٣ أغسطس ١٩٢٢ كتب مسعد زغلول في مذكراته يقول :

« ورد تلفزيون من فخرى عبد النور بتاريخ أمس ، يسأل عن الصحة ويعبر
عن شعور الألف ، ولكنه ورد بمضيا من « فخرى عبد النور بالنيابة عن الأعضاء
الجدد » . وبعد أن تأكدت جيدا من هذا الإمضاء ، فهمنا أن الأعضاء القدامى
قبض عليهم وحل محلهم آخرون . ولكننا استهجننا إغفال ذكر أسماء أولئك الآخرين ،
ورحنا نخمن الأسباب التى دعّت لهذا القبض ، ففنا من ظن أنه ربما حدثت أمور
شديدة ، اتخذها الإنجليز ذريعة لقبض عليهم ١ . . . ونخطر ببال أن الحكومة

متحوشة بهم ، وتلقى مسئولية الحوادث الجنائية ضد الإنجليز عليهم . كما تبين فيما ورد في بركة روتر ، ورد عبد الحائق ثروت باشا رئيس الوزراء على طلب اللورد ألتني المندوب السامي البريطاني التوسيع عن القتلين ، وأن هذا التحرش أدى إلى القبض عليهم ، عندما تفتحت حكومة ثروت بالإنجليز عليهم . ويدل ما تجر به السلطة في مصر من الشدة ضد أصحابنا ضد آثارنا ، على أنها تريد محونا من صحيفة الوطن ، حتى لا يكون للاستقلال عنوان ، ولا في صدور الأمة آمال . ولكن الله فوق كل حاكم قاهر ، وهو لا يفلح على الظالمين .

وقد أرسل كل من سينوت حنا ومكرم عبيد تليفزيون : الأول إلى منام واصف غالى وحسين الشريبي ، والثاني إلى مرقص حنا . . بالاستفهام عن الصحة للاطمئنان بالجواب

يوم الجمعة ٤ أغسطس سنة (١٩٢٢)

« تمت البارحة أحسن من الليالي السابقة ، وأصبحت ميالا إلى اللبس التام (ارتداء جميع ملابس) فعلت ، وأفطرت على كبد الحروف وقلبه كالعادة في العيد الكبير ، ثم جلست لكتابة هذه الكلمات :

« لا يحتمل الشيء في نظر الإنسان أكثر من الحاجة إليه ! . .

« يتألم الإنسان من مصيبة غيره ، بمقدار ما يكون عرضة لمثلها . . فإذا كان في مأمن من وقوع نظيرها عليه ، أو كان واقفا فيها ، خفّ عليه وقعها ! . . بهذا فسرت سر كوننا أننا لم نتألم ألما شديداً لئلا يدلّ عليه تلفراف فخرى عبد النور . . « ويخف الأكم كثيراً ، إذا كان متوقفاً ، كما في حالتنا . . لأننا نقدر أن الشدة

التي تستعملها السلطة ضد الحرية تزيد هذه الحرية تأججا في الصدور ونما في النفوس .

« ويل لمن في مصر من الأحرار ، فهم عرضة لكل شر ، ولا تنفع لهم إلا إلى الله الرحمن الرحيم ، فإلهم العطف بهم .

« اليوم العيد الأكبر عندنا ، جعله الله بشير خير ، ثاني أيام النحرس وقائعة أيام السود . »

الاثنين ٧ أغسطس سنة (١٩٢٢)

« لم تصل ردود التلغرافات التي أرسلت إلى هنا - إلى كل من مرتص حنا ومدام واصف غالى وحسين الشريبي - ولم يجيبوا عليها . نأكد لنا تقريبا صحة ما فهمنا من تلغراف فخرى عبد النور الوارد في ٣ أغسطس ، ويصير هذا يقينا إذا لم ترد اليوم تلغرافات بالاجواب . »

الثلاثاء ٨ أغسطس (١٩٢٢)

« ورد حل منينوت حنا تلغراف من مدام واصف غالى بأنها رآته أمس في صحة جيدة ، ومن حسين الشريبي أنه رأى أخاه كذلك في صحة عظيمة ، وتلغراف من المصري السعدى بالسؤال عن الصحة ، وبأنه حدث اجتماع في العيد في بيت الأمة . . فاستوثقتنا من كل ذلك أن القبض تم على أعضاء الوفد . ورحنا فحمن عن الأسباب ، فمن تخمن بأنهم أصدروا منشورا شديدا اللهجة بالاحتجاج على إيقلائنا هنا ، حتى نزلت بنا الأمراض ، أو كادت تفتك بنا ! . . ومن قائل إن الحكومة متحرشة بهم ، وأعلنت هذا التحرش خصوصا في جواب رئيسهم

(عبد الخالق ثروت باشا) على طلب اللورد ألتني التعويض عن قتل الأجانب ،
وأنها ألقت القبض عليهم تنفيذا لما تحرشت به . وما بها من حاجة إلى سبب تبديه ،
لأنها غير مشولة عما تفعل ، لعدم وجود من يسألها ، وربما اختارت هذا الوقت
ظرفا لصلها ، لكون البرلمان الإنجليزي معطلا فيه ، والله أعلم وأرجم . . ويرى
بعض الإخوان أن هذا القبض آخر نفس تلفظه الحكومة ، ويدل على اشتداد
الحناء بها ، بقوة الأمة . وأن الإقدام عليه مما يزيد الاضطراب ، ويقوى روح
المعارضة ، ويزيد نار السخط لميا . . . ويرى آخرون أنه دليل قوة الحكومة ،
وشعورها بضعف خصومها ، وأنها أرادت به - وبما تقلعه من الاضطهادات -
محو آثارهم ، حتى يخلو الجو لها . . وفي تصدر فخرى عبد النور للزعامة علامة
على ضعف المعارضة ، كما أن من علاماتها تكلم أساء من تصدروا لقيادتها بعد
القبض عليهم . وأنا إلى هذا الرأي أميل ، وإلى صوابه أشد كرها .

وما من زمن مر بمصر من عهد الاحتلال شر من هذا الوقت ، ولا حكومة
أسوأ من حكومتها . ولا أدري إذا كان الإنجليز عندما أعلنوا استقلالها القفلى قصصوا
هذه النتيجة ، أى قصصوا أن يكونوا العاملين في مصر ، من غير أن يكونوا مسئولين ،
لا أمام برلمانهم لإعلان هذا الاستقلال ، ولا أمام العالم . وبهذا لا يخشون حسابا
ولا عقابا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . . .

وهكذا جاء العيد

الخميس ١٠ أغسطس (١٩٢٢)

« وضعنا أسس جوابات لتلغراف المعاينة لترسل اليوم، والتهاني في هذا العيد أقل بكثير من العيد السابق، ولعل السبب هو القبض على أعضاء الوفد وانقباض الناس، أو شدة خوفهم. ورد تلغراف على سينوت حنا من صديق له يباريس يسأله عن الصحة، فاستتج منه هو أن مرسله علم أولاً بالمرض، وثانياً باحتجاج أعضاء الوفد عليه، وثالثاً بالقبض عليهم بسبب هذا الاحتجاج... ما أكثر أوهام المعتقلين، فهم يتوهمون في كل دقيقة على أيديهم أمراً بإخلاء سبيلهم... يستتجون أبعد النتائج من أوهي الواقع، ويؤولون كل حادث لصالح قضيتهم ويتفائلون من كل خبر. اليوم ورد تلغراف لمكرم من خطيبته «عايدة»، ابنة مرقص حنا، مؤرخ في ٨ أغسطس، بأنها عادت مع العائلة من سوريا، ورأت أباها بخير... وآخر مؤرخ ٩ أغسطس من صمويل حنا، ابن أخت مرقص حنا، بأنه رأى مرقص حنا في جلسة اليوم... فاستتجنا من عودة عايدة من سوريا قبل الميعاد أن العودة حصلت بناء على القبض، وأن هذا حصل على الأقل من قبل عودة العائلة بأسبوع، أي من نحو ١٥ يوما. وقع لدينا هذا أسوأ موقع، لأننا نعلم أن القضاء العسكري في مصر ظالم، وأنه لا معنى للمحاكمة أمامه إلا الحكم بأقصى العقوبة على من أوقفه سوء البيحت في الاتهام... وأن الحكومة اختارت هذه الطريقة لثلبس الحق بالباطل، وتلجم أفواه المعارضين والناقدين بلجام من حديد... وقد أرسل مصطفى النحاس بك تلغرافا إلى فخري عبد الحور بالاستفسار عن أحوال زملائه، ويتوهم مكرم والنحاس أنه لابد من وقوع حوادث جسام بسبب هذه القضية الظالمة، لأن الأمة لم تعد تستطيع صبرا على هذه المعاملة البالغة

حد الظلم والقسوة ، وتريد الحكومة بمثل القبض على أولئك الأحرار والحكم عليهم ، أن يخلو لها الجحيم في الانتخابات ، وما يتبعها من الإجراءات التي تعهد بها الطريق لاتفاق تضييع به حقوق البلاد ضياعا لا مرد له !
ويظهر أن القبض حصل في بحر المدة من ٢٧ يوليو إلى ٣ أغسطس ، وقد حارت الأفكار في سببه حيرة شديدة ، والله كشاف الكروب »

الاثنين ١٤ أغسطس (١٩٢٢)

« ورد على مكرم تلغراف من حرم مرقص حنا بالآ يأخذ قلق ، وبأن خطة المتهمين كانت خطة عظيمة ، وقد قالوا إنهم مذنبون ورفضوا الدفاع عن أنفسهم ، « هناك أخبار سارة بالنسبة لكم أيضا » .. فأول مكرم وصاحبه - مصطفى النحاس وسينوت حنا - أن المتهمين صرحوا بأنهم مذنبون .. أنهم أتوا العمل الذي نسب إليهم .. أنهم فعلوا ما فعلوه خدمة لأوطانهم ، مخالفين الأوامر ، والسلطة أن تحكم عليهم بما تشاء .. هؤلاء الأصحاب يرجعون دائما أن العمل المنسوب إلى القبض عليهم موضوعه منشور فيه احتجاج على معاملتنا وسوء صحتنا .
.. ولم تقع هذا التأويل من نفسى موقع الارتياح ، لأنه بعيد جدا أن يقول للمتهمون إنهم مذنبون ، ويسهلون بذلك للمحكمة أن تحكم عليهم .. وربما كان القصد من هذه العبارة أن المحكمة اعتبرتهم مدانين ، ولم تسمح لهم بالدفاع كما ينبغي ! .. والاطمئنان الذي تدعو إليه البرقية إنما كان لتفاداة التهمة ، أما العبارة الأخيرة : « هناك أخبار سارة لكم أيضا » ، فربما كانت حرم مرقص حنا قد استقتها من مصدر موثوق به ، ولم توردها هنا مجرد التطمين في الظروف الحاضرة ، فرماها أن هناك نية في قتلنا ..

والله أعلم . ولا ينبغي أن نذهب في التكهنات إلى بعيد ، ولا أن نميل إلى تأويل يسرنا ساعة ، ثم يتقلب إلى ضده ! »

الثلاثاء ١٥ أغسطس سنة (١٩٢٢)

« لم أتم إلا نوما متقطعا . وأصبحت شاعرا بشيء من التعب . وخطر ببالي أنه ربما كانت الخطة المقررة عبارة عن إباء المتهمين أن يتخذوا أوامر ربما كانت صدرت إليهم بالكف عن الاشتغال بالسياسة . فساقوم إلى المحاكمة . فأصروا على معارضتهم ! . خطر هذا الحاطر بالبال أثناء الأرق والله أعلم . ورأيت في المنام أن نظارة كبيرة عندي كسرت زجاجتها قيطمًا . وشعرت الآن بشيء من الرق في العين اليمنى ! »

• • •

ونقل الإنجليز سعد زغلول من جزيرة سيشل إلى جبل طارق . وهو لا يعرف ما جرى لحمد الباسل وزملائه ! . وفي يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر (سنة ١٩٢٢) كتب يقول :

« قرأت بكل إعجاب وافتخار ماقاله حمد الباسل أمام المحكمة العسكرية يوم محاكمته هو وإخوانه . ووافقته كل إخوانه في التهمة عليه . مما حق أن يسقط في كل قلب . ويرسم في كل خاطر . ولقد رأيته مطابقا كل المطابقة لما خمنتته يوم ورد لنا في سيشل لتغراف من مدام مرقص حنا بأنهم قالوا إنهم مذنبون . وكانت خطة دفاعهم عن أنفسهم موجهة للفخر والإعجاب ، فقلت إنها لا تكون كذلك إلا إذا كانوا صرحوا بأنهم غير مذنبين ، ولا يعرفون لهذه المحكمة سلطانا عليهم ولا اختصاصا بهم !

ونازعنى فى ذلك مكرم عيد ومصطفى النحاس وسينوت حنا . ولقد كان النحاس أشجع معارضة ، ولكن رأيه أصر عليه هو أن المحاكمة كانت بسبب مشورات احتجوا فيها على الحكومة بالنسبة لمعاملتى . وكنت أستبعد ذلك ، لأن مثل هذا الاحتجاج مهما كان شديداً ، لأشياء فيه ، ولا يستلزم محاكمة ، ولقد صدق تخمينه (تخمين النحاس) وكان الحكم عليهم بالإعدام لهذا السبب غريباً جداً ! ولكن أظن أن الخطة التى سلكوها فى الدفاع هى مما يفخر به كل مصرى ، وهى التى وصلت بالسلطة إلى هذا الحد البالغ من العقوبة ، وهى التى سببت مصلحتهم بتلك القوة البالغة فى السجن .

• • •

وننتقل الآن من سيثل وجبل طارق إلى القاهرة . . . نعرف قصة هؤلاء السبعة الذين حكم عليهم بالإعدام !

وصفهم مراسل جريدة « الحوزنال » الباريسية فى القاهرة بأنهم كانوا سبعة « أسود » فى قصص ! ولكن السجائين أنفسهم كانوا يشعرون أنهم هم الذين فى التقصص ! . . . وفى يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ دخل ضابط إنجليزى قشلاقات قصر النيل ، وسلم الرعاء السبعة ورقة اتهامهم أمام المحكمة العسكرية البريطانية العليا :

للمتهمون : حمد الباسل / وصفا واصف . جورج خباط ، علوى الجزائر . مراد الشريعى . مرقص حنا . واصف غالى .

التهمة الأولى : أنهم ارتكبوا جريمة ضد القانون العسكرى البريطانى ، لأنهم ارتكبوا جريمة طبع ونشر منشور ، يجرى على كراهية واحتقار حكومة صاحب الجلالة ملك إنجلترا !

التهمة الثانية : أنهم ارتكبوا جريمة ضد الحكم العرفي في مصر بتوقيعهم في ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٢ منشوراً الفرض منه إثارة الكراهية ضد النظام الحاضر ، وهذا مخالف لمشور القائد العام البريطاني في مصر .

وتلا الضابط البريطاني عليهم قرار الاتهام ، ثم سلم : « هل لديكم ما تقولون ؟ » . . . فلم يجيبوا . . . لقد رفضوا الإجابة على أسئلة المحقق ورفضوا أن يدافعوا التهمة كانت مصر كلها ورامهم ، وهذا أقوى من أى دفاع . . . وقالت جريدة « المورننج بوست » الإنجليزية يوم ٧ أغسطس سنة ١٩٢٢ : بدت القاهرة مدينة شبه مهجوة ، لا حديث للناس إلا محاكمة زعماء الثورة السبعة ، الحملة شديدة ضد حكومة مصر ، كيف سمحت بأن يحاكم سبعة من كبار المصريين أمام محكمة بريطانية ؟ إن وزارة عبد الحالى ثروث باشا تترنح تحت مطارق السخط العام !

وكانت مأساة ! لقد أعلن استقلال مصر في ١٥ مارس ، وقدم سبعة من زعماء مصر لمحكمة بريطانية بعد ذلك بأقل من خمسة شهور . . . وفي يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٢ عقلت المحكمة العسكرية البريطانية جلستها الأولى ، مصر كلها خرجت لتشهد محاكمة زعمائها ، مراسل الصحف الإنجليزية والفرنسية والأمريكية والإيطالية يحتلون الصفوف الأولى .

ودخلت هيئة المحكمة ، كل الأعضاء إنجليز : الرئيس الكولونيل « لوسن » ، والأعضاء الكولونيل « ويكهام » ، « لاجور » ، « كوك كولسر » ، « لاجور » ، « كورتس » ، « الكاين » ، « أنجهام » . . . وجلس في كرسي نائب الأحكام المستر « بوستون » المحامي البريطاني . وجلس في كرسي المدعى العام « المستر ماكسويل » !

كل شيء إنجليزي . . حتى حاجب الجلسة !

وتلا رئيس المحكمة أمرا من القائد العام البريطاني بتأليف المحكمة . . ودخل المتهمون إلى قاعة الجلسة ، فوقف الحاضرون جميعا ! إنها أول مرة يقف فيها الحاضرون للمتهمين . . دخل حمد الباسل أولا ، ثم ويسا واصف ، ثم جورج خياط ، ثم علوي الجزار ، ثم مراد الشريمي ، ثم مرقيس حنا ، ثم واصف خالي . وكانوا باسعين ! . . دخل رئيس المحكمة العسكرية البريطانية نظارته ، وتطلع في وجوههم ! إنه يعجب أن يرى سبعة رجال يستقبلون الموت باسعين ! . . وطلب المحامي الإنجليزي المستر « ماريون » التأجيل . . . ورفضت المحكمة . وقال المحامي إن المحكمة غير مختصة ، وأن تصريح ٢٨ فبراير أعلن أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن المتهمين لا يعرفون بهذا التصريح ، ولكنهم يرفضون أن يحاكموا أمام محكمة إنجليزية ! . . واختلت المحكمة للمداولة . . وبعد دقائق عادت تقول إن هذا الاضرار مرفوض ! . . وقال نائب الأحكام لحمد الباسل : « هل أنت مذنب أو غير مذنب ؟ » قال حمد الباسل : « مع احترائي للهيئة ، ونسكى بأنها غير مختصة بمحاكمتنا ، وتصميمي على ذلك ، أقرر أنني لست مذنبا ! » فسأله : « وعن تهمة مخالفة منشور القائد البريطاني العام في مصر ؟ » أجاب حمد الباسل : « عن الكل ! » . واتجه نائب الأحكام إلى ويسا واصف وقال : « وأنت ؟ هل أنت مذنب أو غير مذنب ؟ » فقال ويسا واصف : « إن هذه المحكمة غير مختصة ، وأنا غير مذنب ! »

واتجه نائب الأحكام إلى كل عضو من المتهمين ، فأجابوا جميعا قس

الجواب . . ووقف مستر مكسويل ، المدهي العام ، يقول :

« في ٢٢ يوليو وجد عبد العلي محمد - المستخلم في البوطة - منشورات غير معنونة في صندوق الخطابات ، فأوصلها إلى رئيسه ، وظهر أنها منشورات من قيادة الثورة ، منقح عليها من المتهمين . وفي اليوم التالي قبض على رجل في مديرية البحيرة ومعه عدد من نسخ منشور موجه من قيادة الثورة إلى الشعب ، وسأقدم شاهدا هو الضابط مرقص فهمي ليقول لكم ما هي قيادة الثورة ؟ ومن هم أعضاؤها ؟ إنهم كانوا موضوعين تحت رقابة البوليس . إنهم كانوا يلعبون إلى بيت سعد زغلول للاجتماع فيه ، تارة أفرادا ، وأخرى جماعات . لقد فتش البكباشي « أبلت بك » منزل سعد زغلول ، وهو المركز الذي يجتمع فيه قادة الثورة ، وفيه وجدت صورة للشور ، ومنشورات أخرى كانت تصدرها قيادة الثورة في الماضي . هذا منشور في يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ بإمضاء سعد زغلول يهاجم بريطانيا ١ هذا منشور في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ بإمضاء سعد زغلول ضد بريطانيا ١ هذا منشور في ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ بإمضاء سعد زغلول ضد بريطانيا ١ هذا تلغراف في ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ ضد بريطانيا مرسل إلى رئيس جمهورية أمريكا بإمضاء سعد زغلول ١ هذا منشور في أول أكتوبر سنة ١٩١٩ بإمضاء سعد زغلول ضد بريطانيا ١ هذا تلغراف ضد بريطانيا إلى رئيس الحكومة الإيطالية بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩١٩ والإمضاء سعد زغلول ١ هذا تلغراف أيضا بنفس التاريخ ضد بريطانيا موجه إلى وزير خارجية أمريكا من سعد زغلول ١ هذه برقية إلى مجلس العموم ١

كل ورقة من هذه الأوراق مخالفة للقانون ١ كل منشور يهاجم الأخكام العرفية ١ كل منشور يطالب بإخراج الإنجليز من مصر ١ إننا ضابطنا في منزل سعد زغلول

ألف نسخة من منشور يحرض على الثورة ، ويهاجم الإنجليز ، ويهدد الحكومة ، ويطالب بمقاطعة البضائع الإنجليزية . . . والبنوك الإنجليزية . . . والسفن الإنجليزية . . . والمخلات التجارية الإنجليزية . . . ووجدنا مسودة مكتوبة بالقلم الرصاص ، وعليها تصحيح ، وترجمة فرنسية له ، وجدولا بأسماء من يقومون بتوزيع المنشور . فتشنا منزل حمد الباسل ، ووجدنا خطابا من شخص اسمه إبراهيم فهمي يخبره أنه اتفق مع مطبعة كرامة على طبع خمسة آلاف نسخة ، و ينتظر أمره . وضبطنا بمنزل حمد الباسل خطابا إلى جورج خياط بنير إسماعيل ، يعرض عليه صورة التلاء . إن هذا كله يشي أن أعضاء هذه اللجنة لا يعملون إلا بعد أن يتفقوا على عملهم ، كل واحد منهم مشغول عن أعماله الخاصة .

وهنا هز المتهمون السبعة رؤوسهم ، علامة على أنهم على اتفاق . وقام الحامي الإنجليزي ستر مارينوت وقال إن الشامين قرروا الانسحاب . إن كل طلب طلبناه رفضتموه ا رفضتم التأجيل ، والمتهمون لا يريدون أن يقولوا شيئا . وادعتم قررتم أنكم مخصمون فلا عمل لنا هنا !

واتسحب الحامي الإنجليزي ، وتبعه جميع الشامين . . . واتضت نائب الأحكام البريطاني وقال : « هل يتقدم أحد للدفاع عن المتهمين ؟ » . وتوقت القضية إلى مكان الدفاع فوجدوه خاليا ! .. وقال القاضي البريطاني العام إنه يرى أن يتدخل كلامه ، لتبحث المحكمة العسكرية الموقف الجديد ، فإن المتهمين ليس لهم من يدافع عنهم ، وهم لا يريدون الدفاع عن أنفسهم !

ورفضت الجلسة ، وصادت بعد الظهر لتستأنف محاكمة زعماء الثورة بنير دفاع ! وقت القاضي العام يقول : « هذه المنشورات تصور التارسعد زخول بأنه بطل مصر العظيم ! إنها تحول إنه نقي من البلاد بسبب طغيان الإنجليز واستبداد الأحكام العرفية !

إنهم ينهون حكومة ثروت باشا بأنها تحكم البلاد بالحديد والنار.. افهوا جيداً معنى الحديد والنار ، إنهم يقولون إن مصر متناضل إنجلترا كما فعلت أيرلندا . وبعد ذلك وقعت حوادث الاعتداء : كل يوم يقتل إنجليزي ، ضابط ، جندي ، موظف ! لقد وجدنا بمنزل سعد زغلول كتاباً صغيراً فيه أسماء جميع المحال التجارية التي تباع بضائع إنجليزية لمقاطعتها ، وجدنا منشوراً عليه توقيع هؤلاء المتهمين بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٢٢ يقولون فيه : « على المصريين أن يسحبوا ودائعهم من المصارف الإنجليزية ، كما أن الواجب على جميع المصريين أن يقبلوا على شراء أسهم بنك مصر ، حتى يبلغ رأس ماله مبلغاً يتناسب مع حالة البلاد الاقتصادية ، وبذلك يتسنى له أن يساعد في إحياء المشروعات الوطنية وتنشيط الصناعة والتجارة المصريتين ! » . . .

إن هذا المنشور يطالب التاجر المصري أن يحتم على عملائه في الخارج ألا يسحبوا بضائعهم على سفن إنجليزية ، وليس مصري أن يسافر على مركب إنجليزي ! وعلى الحمالين المصريين أن يرفضوا تفريغ السفن البريطانية ، أو إدخال بضائعها الجمرک وتموينها بالقمح ! . إن المنشور يحتم على كل مصري ألا يعامل شركات التأمين البريطانية معاملة جديدة ، متى انتهت عقود التأمين التي تكون مددها قصيرة جداً ، كالتأمين ضد السرقة أو الحريق أو الإغراق ، لا يجوز المصري تجديدها إلا في شركات غير إنجليزية ، إن المنشور يطالب المصريين بتفضيل المصنوعات الوطنية ، والإعلان عنها ، وتشجيع الإقبال عليها في كل مجلس وفي كل مكان ، ويلزم تفضيل التعامل مع التاجر المصري لأن أرباحه تبقى في البلاد ولا تتسرب إلى الخارج ، وبذلك تزيد ثروة البلاد العامة . أما التاجر الإنجليزي فتجب مقاطعته مقاطعة تامة . وكذلك أكل بضاعة مستوردة من أصل إنجليزي . . أو مستوردة بمعرفة وسطاء إنجليز . .

مهما كانت جنسية المتجر ، ولو كان مصرياً ! . إن المنشور يطالب المصريين

أن يمشروا بهذا النظام الجديد ، ويداع في الجوامع ، والكنايس ، وجميع التقيانات ،
والهيئات للنظمة . . وفي كل عائلة ، وفي كل قرية ، وفي جميع الجهات . إن
المشور يعمل كل امرأة في مصر مسئولة عن تنفيذ هذه القرارات ! إن المشور ينتهى
بهذه العبارات :

« أيها المصريون . . »

« إن المقاطعة وجميع التماثيل أمضى سلاح تملكونه اليوم ، فأحكموا استعماله ،
ولا تدعوه يسقط من أيديكم فمحسوب به عدوكم وجوهكم ، وذودوا به عن أنفسكم إلى
النهاية يسلمكم إلى النصر . ، وليكن ذلك عقيدة في أعماق قلوبكم ، ودينا يملك
عليكم مشاعرهم . أثبتوا به أنكم شعب متحد في غاية ، منظم في خطواته ، ذو عزمة
صلبة ، وبمجهودات مستمرة ، وتضحيات متوالية . حرام أن تفس أجسادكم صناعة
إنجليزية بعد اليوم ، وحرام أن تمتد أيديكم لمعاونة إنجليزى ، واعلموا أنه بقدر
ما يكون إحكامكم في استعمال سلاحكم ، وإجماعكم على تنفيذ إرادتكم ، يكون
احترامه لعظيم وطنيتكم ، والحنافه أمام قوة إيمانكم ، وتبين إجماعكم بحقوقكم . . »

« أيها المصريون . . اذكروا على الدوام أن الله معنا ، والحق في جانبنا ، والتضامن
في صفوفنا ، وأن النصر آت لا ريب فيه »

« إن هذا القرار الطعير وقعه حمد الباسل ، وويصا واصف ، وچورج خياط ،
ومرقس حنا ، وعلي الحزار ، ومراد الشريعى ، وواصف غالى .

ثم سكت المدعى الإنجليزي العام قليلا وقال : « إن كل هذا هو الثورة ! ومن
أجل ذلك أطلب الحكم على هؤلاء السبعة جميعا بالإعدام ! »

وجلس المدعى الإنجليزي العام ، وهو يظن أنه وضع المشقة حول رؤوس
المصريين السبعة . .

واستدعى رئيس المحكمة الشهود . . وجاء البكباشي « أبلت بك » وضابط
البرليس يشهدون بأنهم وجدوا هذه المنشورات عند المتهمين السبعة، وبلغت نائب
الأحكام إلى المتهمين واحداً واحداً : « هل يريد أحد من المتهمين مناقشة
الشاهد ؟ » فلم يجب أحد . واستدعى أبو بكر المرداش بك المفتش بوزارة الداخلية :

س : هل تسلمت في ٣١ يوليو أوراق البكباشي أبلت ؟

ج : نعم ، وكانت الأوراق في غرفة مخومة بالشنع الأخضر .

س : هل فحصت هذه الأوراق ؟

ج : نعم ، فحصت معظمها بمساعدة زميلي عبد السلام محمود المفتش في
الأمن العام .

س : هذا الخطاب من على بك ماهر ؟

ج : نعم .

س : هل يقول فيه إنه نظراً إلى سياسة الوفد المستقلة فهو مضطر إلى الاستقالة ؟

ج : نعم .

س : هل توقيعه أول مارس ؟

ج : نعم .

س : وهذا الخطاب من سعد زقزلوق في أول أبريل سنة ١٩٢٢ من متفاه في

سيشل يسأل فيه وادف غالى عن السبب في عدم ذكر اسم على ماهر

في تلفزيون أرسله الزعماء السبعة إليه ، ويتساءل عن سبب خروجه ؟

ج : نعم .

س : هل كل منشور وجدته موقع عليه من هؤلاء المتهمين ؟

ج : نعم .

س : هل وجدت منشورات بمنزىل جورج خياط ؟

ج : نعم .

وهنا وقف المدعى الإنجليزي العام وقال : « يجب أن تلاحظوا أن هؤلاء المتهمين كانوا يعلمون أن سعد زغلول قرر أن يخلو مصر حلو أيرلندا ، التى ثارت على الإنجليز ، وكانت تقتل الإنجليز ! فكانوا والحالة هذه يجب أن يقدروا خطورة نشر منشور كالى أذاعوه ، والذى يحاكون بسببه ! إن ١٦ جريمة قتل ضد الإنجليز وقعت بعد أن قال سعد زغلول : « فلنعمل كما تفعل أيرلندا » . . . إن الذى فعله سعد زغلول فى هذه المرة أكثر مما فعلته أيرلندا ! »

وعاد نائب الأحكام يسأل للمرداش بك :

س : هل وجدت فى بيت مرقص حنا منشورات مؤرخة ١ مارس و ٢ مارس و ٤ أبريل و ٢٤ أبريل ؟

ج : لم أفحص أوراق مرقص حنا ، والذى فحصها هو زميلى عبد السلام بك محمود .

س : هل وجدت منشورات فى خفية حمد الباسل موقعة من هؤلاء المتهمين ؟

ج : نعم .

س : هل كانت كلها كذلك ؟

ج : كان بعضها يحمل إمضاء على الشمسى .

س : قل لنا الإمضاءات التى رأيتها على كل منشور .

ج : إن منشور ١ مارس موقّع عليه من حمد الباسل وويصا واصف

وعلى ماهر وجورج خياط ومارقص حنا وفراد الشريعى وعطوى

الجزار وعلى الشمسى وواصف خالى . ومنشور ٣ مارس عليه توقيع

هؤلاء جميعا . منشور ٨ مارس هو قرار لجنة السيدات بمقاطعة
الإنجليز . منشور ٢٤ مارس موقع عليه من المتهمين . منشور ٤ أبريل
و ٢٠ أبريل موقع عليه من المتهمين :

س : كم نسخة وصلت من منشور ١٨ يوليو في بيت سعد زغلول ؟
ج : مئات .

س : ألا يمكن حصر العدد ؟
ج : ألفان تقريبا .

وسأل نائب الأحكام للمتهمين : « هل أحد منكم يريد سؤال الشاهد ؟ »
فهمزوا رؤوسهم علامة الرضخ البات ، وسئل عبد السلام محمود فقال إنه مضطرب
بين أوراق ويصا وأصعب منشورا بعنوان : « إلى الأمام أيها المصريون ! إلى
المقاطعة ! » . ووجد هذا المنشور عند مرقص حنا ، ووجد عند المتهمين كراسة
خبراء فيها أسماء المحال التجارية الإنجليزية في مصر التي يجب مقاطعتها ، وذكر
الشاهد أنه وجد عند كل متهم من المتهمين منشورات . ووقف نائب الأحكام
والتفت إلى حمد الباسل وقال : « هل تريد أن تتقدم إلى المحكمة بصفة شاهد أو
تقدم لما شهدوا آخرين ؟ » . قال حمد الباسل بصوت رهيب : « كلا ، لا أقدم
كشاهد ، ولا أريد أن أقدم شهدا . ولكن لي كلمة أريد أن أقولها . . . » . وسئل
للمتهمين الآخرون نفس السؤال ، الواحد تلو الآخر ، فقالوا ما قال حمد الباسل . . .
وظهر الفيط على وجه نائب الأحكام فالتفت إلى حمد الباسل وقال له :

« ماذا تريد أن تقول ؟ »

ووقف حمد الباسل في ثوبه العربي المهيب وقال :

« باسم الشعب المصري . . . إننا نحن الركلاء من هذا الشعب ، المكلفون

المطالبة باستقلاله ، ولذا لا نستطيع أن نعترف بأى حال من الأحوال بقضاء محكمة أجنبية ! ولو أن هذه المحكمة العسكرية الإنجليزية تأخذ بتصريح الحكومة الإنجليزية ، أو تعتبره تصريحاً جدياً ، وهو أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، لكلا حقاً عليها أن تعلن من تلقاء نفسها عدم اختصاصها بمحاكمة ! إن لكم أن تحكموا علينا ، ولكن ليس لكم أن تحكموا ! ... مهما تكن العقوبة التي يروق لكم أن تشرّفونا بها ، فإننا ستقابلها بالسرور والقبضار ، لأنها خطوة إلى الأمام في طريق الهدى ، الذي تسير فيه مصر إلى مصيرها المالح ! ولو خرجنا من السجن فسنعود إلى جهادنا مرة أخرى . . . ولو متنا ، فإن مصر لن تموت !

حكمت المحكمة بالإعدام ، فهتفوا : نحيا مصر !

ثم سأل نائب الأحكام باقى المتهمين ، فقال كل واحد منهم إن تصريح حمد الباسل هو باسماً جميعاً !
وألتمست الكتابة على وجوه القضاة ، وصادت فترة من الصمت قطعها نائب الأحكام بتلخيص القضية ، ثم طلب الحكم على السبعة بالإعدام .
وانخلت المحكمة للمداولة ، وبعد نصف ساعة عادت إلى الاعتقاد ، وبدأ على وجوه القضاة أنهم قرروا الحكم بالإعدام ! . . . وقال الرئيس المترجم : « هل للمتهمين : هل لديهم شيء يقولونه لتخفيف العقوبة ؟ » ، فألم المترجم واحداً واحداً ، فلم يجيب أحد منهم ! .. وتوجه المترجم نحو حمد الباسل وقال : « هل لديك شيء تقولونه لتخفيف العقوبة ؟ » .
حمد الباسل : لا . . .

المترجم : ووصف المصنف ؟

ووصف واصف : لا . . .

المترجم : مراد الشرعي ؟

مراد الشرعي : لا . . .

المترجم : علوى الجزار ؟

علوى الجزار : لا . . .

المترجم : جورج خياط ؟

جورج خياط : لا ، مفيش . .

المترجم : مرقص حنا ؟

مرقص حنا : كذلك . .

المترجم : واصف غالى ؟

واصف غالى : كذلك . .

فقال رئيس المحكمة : إن المحاكمة انتهت ، وسنعرض الحكم على القائد العام البريطاني .

وصاح حمد الباسل : « نموت ونحيا مصر ! » . . ودوت المحكمة كلها بهتاف

كالرعد : « نحيا مصر . نحيا الاستقلال . نحيا سعد زغلول ! »

وكان الحتاف رهيبا ، وتلفت رئيس المحكمة وراعه ، ثم أسرع فى خطاه

واجتمع القضاة ، وأصدروا الحكم بالإجماع بإعدام المتهمين السبعة . . وأرسلوا الحكم إلى

اللورد ألتنى المندوب السامى البريطانى ، فصادق عليه ، وأرسله إلى وزارة الخارجية

البريطانية لتصادق عليه ، وطلب الموافقة على تنفيذ الإعدام . واجتمع مجلس

الوزراء البريطانى وبحث الموضوع الخطير . . ورات أغلبية الوزراء أن تنفيذ

الإعدام سيؤدى إلى اندلاع ثورة لا نهاية لها .

وقرر مجلس الوزراء البريطاني تعليق الحكم على كل منهم بسبع سنوات ،
وغرامة خمسة آلاف جنيه .. وأرسل لورد ألكني يعرض على التخفيف .. ورد وزير
الخارجية البريطانية بأن مجلس الوزراء لا يريد تغيير قراره .. وأدخل الزعماء إلى
السجن في صباح يوم السبت

قيادة جديدة وبيان جديد

وفي ظهر يوم السبت تألفت قيادة جديدة من : شيخ العرب المصري السطى ،
ومحمد نجيب الغرايلى الهاي ، والسيد حسين القصبي ، وفخرى عبد النور ،
والكتور نجيب إسكندر - الطبيب بمصلحة الصحة - والشيخ مصطفى القبايى ،
العالم بالأزهر ، وراغب إسكندر الهاي .

وأصدرت قيادة الثورة الجديدة بيانا من نار ، أشد من البيان الذى حكم
من أجله على السبعة بالإعدام ١ .. وفي مساء يوم السبت نفسه أطلق مجهولون النار
على مستر براون مدير قسم البساتين . وفي يوم السبت جرح اثنان من البريطانيين ..
وقامت مصر كلها : مظاهرات في الشوارع ، إضرابات في المدارس ، نساء
يقفن أمام القشلاق البريطاني يهتفن بالإنجليزية والعربية بسقوط الإنجليز ، حرق
عربات الترام .. وفي يوم الاثنين ذهب البكباشى « من » مفتش البوليس إلى
قشلاق المنيل ، وقابل مع قائد المعسكر السبعة المتهمين ، وكان بعضهم يلعب
الورق ، والبعض يدخن السجائر ، فتلا البكباشى « من » الحكم عليهم بالإعدام ..
ثم مكث .

ولم يتحركوا ١ ..

وعاد بعد دقيقة يقول إن الحكم عدل إلى سبع سنوات . . فوقفوا جميعا وهتفوا :
« لنحي مصر ! » ، واستأنفوا لعب الورق . وعقب ذلك حضر مئات الجنود
البريطانيين ، ونقلوا المعتقلين في سيارة عسكرية إلى سجن مصر .
وفي يوم الاثنين أصدرت قيادة الثورة بيانا جديداً من نارا

اعتقال أعضاء القيادة الجديدة !

وفي يوم الثلاثاء أصدر القائد البريطاني أمرا بالقبض على محمد نجيب الزبلي ،
وفخرى عبد النور ، ومحمد فهمي النقراشي ، والشيخ مصطفى القاياتي ، وحسن
يس ، ووضعوا في السجن الحربي البريطاني في القاهرة ، ثم نقلوا إلى ثكنة قصر
النبيل . وكتبت جريدة المورنج بوست في يوم ١٩ أغسطس مقالا بتوقيع الكولونيل
جيمس المنور بالبرلمان الإنجليزي جاء فيه أن أنصار سعد زغلول أبلغوه أنهم قرروا
القيام بحملة قتل عامة ضد الإنجليز لإخراجهم من البلاد . . . وفي يوم السبت
١٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ نشرت الوقائع المصرية أمرا من اللورد ألنبي قائد طم
القوات البريطانية في القطار المصري والمندوب السامي البريطاني بمصادرة أموال
محمد الباسل وزملائه . . وفي يوم الاثنين قبضت السلطات البريطانية على محمد
العبد ، وعبد الرؤف العبد ، وصالح الدين العبد ، وحسن سلامة الحامي ، ومحمد
ناصر ضابط الكشافة النورية . .

وقامت إضرابات في كل مكان . .

وبدا الجوينر بالانضطر . .

وكان الإنجليز قد عرفوا أنهم يجب أن يعملوا شيئا لمحاولة تخفيف الضغط العام ،
فأعلنوا يوم ١٨ أغسطس أنهم نقلوا سعد زغلول من منقاه السجين في جزيرة سيشل

بالحيط المتلى إلى صخرة جبل طارق ! وكان الأطباء قد أجننوا على أن جو ميشل سيقتل سعد زغلول . ولكن الرأي العام لم ير في هذا ترفية كافية ، واستمرت الحوادث . . . وشاع أن الإنجليز يعاملون الزعماء المسجونين أسوأ معاملة ، فقامت قيادة الرأي العام : أضرب الطلبة ، أضرب عمال المتابر . واضطرت القيادة البريطانية أن تطلب من الحكومة نشر بلاغ رسمي ، ففي يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٢ أصدرت وزارة الداخلية البلاغ التالي :

« إن السبعة المحكوم عليهم من المحكمة العسكرية مسجونين في سجن المنشية بالقاهرة (سجن مصر الآن) وهم لا يؤدون أى عمل ، ويعاملون بنفس المعاملة التي يعامل بها المحكوم عليهم من المحاكم المدنية والمختلطة . وما أشنع من حق رؤسهم غير صحيح ، وطعامهم يأتيهم من الخارج تحت مراقبة تودى بكل عناية . »

واستمرت المظاهرات . . . واضطرت القيادة البريطانية إلى تسير دوريات إنجليزية في شوارع القاهرة للإرهاب . واستمرت الحوادث والاختيالات ! . وفي يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ كتبت جريدة (الويكلي وستمنستر جازيت) مقالا المتاحيا قالت فيه : « الحالة في مصر تدعو إلى الجزع الشديد ، فمن لا انتصر لسعد زغلول ، إنما تقرر الحقيقة ، فإنه يفعل ما فعله « دى فاليرا » . . . ولكن يجب أن نعلم أنه من حماقة أن نجعل معارضة الحكومة ومعارضة الحماية البريطانية ذنبا يحاكم عليه مرتكبه أمام المحاكم العسكرية البريطانية العليا . إننا لو فعلنا ذلك لوجب معاقبة مصر كلها ! »

• • •

وحاش الشعب يمشى أمام سجن مصر بالليل والنهار . . . يهتف ويصرخ . . . ويحاول أن يوصل صوته إلى السبعة المرحومين داخل الزنزانات !

في الزنانات .. مع المجرمين!

نحن الآن في عنبر رقم ٧ « فرادى » بسجن قره ميدان | العنبر فيه ١٢ زناتة ،
من رقم ٣١ إلى رقم ٤٢ :

الزناتة رقم ٣١ فيها محكوم عليه بالسجن سنة ، لأنه ضبط يتاجر بالأفيون ..
الزناتة رقم ٣٢ فيها « حمد الباسل » عضو الجمعية التشريعية ، محكوم عليه بالسجن
٧ سنوات أشغالا شاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة ! ..
الزناتة رقم ٣٣ فيها محكوم عليه بالسجن ثلاث سنوات في جريمة هتك عرض .
الزناتة رقم ٣٤ فيها « مرقص حنا » تقيب المхамين في المحاكم الأهلية ، محكوم عليه
بالسجن ٧ سنوات أشغالا شاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة !
الزناتة رقم ٣٥ فيها محكوم عليه بالسجن ٥ سنوات في جريمة الاشتراك في قتل ! ..
الزناتة رقم ٣٦ فيها « ويصا واصف » تقيب المхамين أمام المحاكم المختلطة ،
محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز
ضد الحكومة . الزناتة رقم ٣٧ فيها « مراد الشريفي » عضو الجمعية التشريعية ،
محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة لنفس السبب . الزناتة رقم ٣٨
فيها محكوم عليه بالسجن سنة ونصف سنة في جريمة سرقة مواشى ! .. الزناتة
رقم ٣٩ فيها « جورج خياط » ، محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة
لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة . الزناتة رقم ٤٠ فيها « علوى الجزار »
عضو الجمعية التشريعية ، محكوم عليه بالسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة
لنفس السبب . الزناتة رقم ٤١ فيها محكوم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، لجريمة

ليف عصاية لتهديب المخدرات. الزنزانة رقم ٤٢ فيوا « واصل غالى » ، محكوم عليه
لسجن ٧ سنوات مع الأشغال الشاقة ، لأنه كتب منشورا ضد الإنجليز ضد الحكومة .
والشاوريش عبد المادى المشول عن العنبر رقم ٧ (اقترادى) لن يسمح لنا
خول الزنانات ١ إن المسجونين في هذه الزنانات لايسمح لهم القانون بمقابلة
حد ١ ولكننا نستطيع أن ندخل الزنانة مع مرقص حنا ، قبيب الحمامين ، ووزير
كشغال والمالية بعد ذلك ١ . . إننا ندخل هذه الزنانات مع مذكراته التي
حصلت عليها ، والتي هي - في رأي - من الأجزاء التي تنتم مذكرات سعد زغلول
رسائله السرية وقصص أبطال الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ . إنها مذكرات رجل
حكم عليه بالإعدام ١ . . ولنترك مذكرات مرقص حنا نرى القصة من أطراف :
أتخطنا إلى قشلاق قصر النيل ، ثم إلى المحكمة العسكرية البريطانية العليا ،
إلى الزنانة رقم ٣٤ بسجن قره ميدان ١
كتب مرقص حنا في مذكراته يقول :

عمليات القبض ١ - ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٢

« اليوم الساعة السادسة صباحا ، استيقظت من النوم على قعر الباب ، وإذا
أمور قسم عابدين ، وبعده ضابط إنجليزى وصاكر إنجليز ، دخلوا المنزل ،
طلبوا منى أن أرافقهم إلى قشلاق قصر النيل . اجتهدت أن أتكلم في الخلفون ،
يعلمونى أحد لأن الجميع نيام . لا يوجد أحد في المنزل سوى ، لأن زوجتى
أولادى بالشام ، ولحام لم يحضر الآن . لبست ونظمت حقيقتى ، فأخذنا الجنود .
جعت المنزل محاطا بنحو الثلاثين عسكريا إنجليزيا ، ومعهم أوتومبيل كبير (لورى)
كبوا فيه ، أما أنا فركبت مع الضابط في عربة أخرى عادية . وصلنا قصر النيل ،

فوجدت هناك حمد الياسل ، وواصف غالى اللذين حضرا قبل بلحظة صغيرة . طلبوا منى أن أذكر كل ما أريده من المنزل ، فعلت . حضر بعد ذلك مراد الشريفي في الساعة الحادية عشرة ، وقد حضر مديحا من سالوط ، وعندما علم بقرار القبض علينا قدم نفسه . ثم حضر طوي الجزار الساعة السابعة مساء ، لأنه كان في شين الكيم ، اعتقدا كلنا أن الغرض من القبض علينا هو التقي إلى شطرج البلاد ، كما كان شأن سعد وأصحابه . قبض على واصل غالى وهو مريض ، كان عند والديه ، أما زوجته فتألفت في أوروبا .

٢٦ يوليو سنة ١٩٧٢

حضر وصفا واصل اليوم ، وقد قام من رأس البر ليل ، ولم يعملوا النهار ، حتى لا يحصل مظاهرات . لم تفهم سبب القبض علينا ، ولا الداعي المباشر إليه ، ولم نعلم بتهمة موجهة ضلنا . إنهم لظالمون ومعتوهون ، سياسة خرقاء ان توصلهم إلى شيء : أعملنا التمكر كثيرا ، فلم نجد مسوفا لهذا القبض ، إذ لم نرتكب أقل مخالفة للقانون أو النظام . استولى على الكادر ، لعدم وجود زوجتي وأولادي بمصر ، ولا أظنه يزول حتى يحضروا . مكنت مع واصل غالى في غرفة واحدة ، إنني أميل إليه بكل جوارحي ، وأعني به ، وأرق إليه لا كأخ فقط بل كأبن . لم يحضر زائر لنا ، وإنما زارنا الجنرال كوينجريف قائد القوات البريطانية في مصر ، وكان طريقا جنبا ، وأنا الذي توليت الحديث معه ، لأنني أنا الوحيد الذي يعرف الإنجليزية . يظلم أن الرياسة ممنوعة . . لماذا ؟ بحثت بتلغراف لأولادي بالشام . إنني أفكر في حلم عند وصول هذا التلغراف إليهم ، وهم لم يحض عليهم بالشام أكثر من ١٥ يوما قريبا .

٢٧ يوليو سنة ١٩٢٢

« حضر اليوم جورج خياط ، أخبرنا أنه قبض عليه بالإسكندرية . قضى الليل بقتلاص مصطفى باشا ، ثم سافر إلى مصر حتى وصل إلينا . وقد أخبرنا أنه علم من توفيق دوس بك المحامى أن التهمة الموجهة إلينا هي المؤامرة على قتل الإنجليز . »

٢٨ يوليو سنة ١٩٢٢

« قرأنا في الجرائد ما نقلته من تلغرافات لندن ، عن الصحف الإنجليزية ، من أننا حرصنا على القتل وعلى أعمال القوة ، وأن مسر هورمسورث وكيل الخارجية البريطانية صرح بذلك في البرلمان ، ردا على سؤال وجه إليه في مجلس العموم . إن غياب أولادى لم يفقدنى الشجاعة لحظة واحدة . ولكنه ملأنى ألما وكذرا . كل منا يتشجع ويشجع إخوانه ، كل منا يتصور أنه الشجاع ، وبعضهم لا يفرق بين الأكم والشجاعة ، ولكننا دائبون على لعب الطاولة ، والورق ، والضحك ! . أرسلنا احتجاجا إلى لورد ألنبي على تصريحات مسر هورمسورث وكيل وزارة الخارجية في مجلس العموم البريطانى ، وقلنا له إننا نحاربك بسلاح الحق والعدل والقانون ، بالسلاح المشروع ، ونحتج على نسبة أعمال التهديد إلينا . »

٢٩ يوليو سنة ١٩٢٢

« لقد فحصت نفسى فحسا دقيقا : هل أنا خائف ؟ كلا وألف كلا ! إنما أنا متألم لغياب أولادى ، ويلوح لى أنى أشد زملائى تعلقا بزوجتى وأولادى ، إلى واثق أنه إذا حضر أولادى ، يزول ألمى تماما ، وليكن مايريد الله . قال بعض

الضامين لأحد الزملاء إن المنشورات لا توثق عليها ، فيمكن إنكارها ! إن المسألة ليست مسألة حفظ ، وإنما مسألة كرامة ، واحترام شخصي . بل أكثر من ذلك ، إنها مسألة أمة بأسرها ، أضلنا على عائقنا للدفاع عنها ، فكيف فنكر عملنا ؟ ونحن إنما وكلنا من قبل الأمة للقيام بهذا العمل ، وهو عمل مشروع ، والبيان بيان مشروع ، ولا يتقبل ضميرنا أى زور أو خبطنة . وقد ذكرت الجرائد أن مستر هورسورث وكيل الخارجية البريطانية عاد فصرح بالبرهان أن الغرض هو إبعادنا عن الحياة العادية ، لتمكين وزارة ثروت باشا من المضي فى عملها ! إن هؤلاء الناس لا يستحقون من الله ولا من الناس ... بعد أن يتهمنا أمام العالم أجمع بأننا مجرمون ، نعرضنا على أعمال القتل والقتل ، لا يخلج من التصريح بأن الغرض مجرد إبعادنا من وجه الوزارة ! . . لا عدل ولا شرف ولا حياة ! وإذا لا يكتفون إذن بالإبعاد ؟ . . نشرت الجرائد أنه تقرر إحالتنا على محكمة عسكرية نهائيا . ساءنا ذلك كل الإساءة ، وألما جداً ، ولكننا تسلمنا بسلح الشجاعة والخس ، ومضينا فى إحياتنا اليومية كالعادة ، غير أن نومنا غير هادئ ، ووددنا لو أنه تقرر فنيها إلى خارج البلاد ، ذلك غير من محاكمة ظالة !

واصف غالى ليس معنا ، لأنه نقل إلى المستشفى بسبب مرضه .

٣٠ يوليو سنة ١٩٢٢

« حضر مأمور قسم عابدين ، وأخبرنى أنهم سيفتشون منزلى ، وسألنى عن المفاتيح . وصلت أن منازل بعض زملائى فتشت ، أو ستفتش اليوم . فهمنا من ذلك أن قرار الإحالة على محاكمة عسكرية بريطانية صحيح . فى الظاهر ، علمت أن التفتيش تم ، وأنهم أدخلوا بعض الأوراق من منزلى ، ومن منازل الآخرين ،

باعدوا مراد الشرعى فإنيهم لم يجدوا بمنزلة شيئا . لم أهتم بذلك على الإطلاق ،
 إن أوراق كلها أوراق عادية ، وكذلك زملائي ، وقد استغرق اهتمامي ولاء فؤادي ،
 بودة أولادي . فهمنا أننا سنحال — طبعا — بالتهمة التي ذكرها مستر هورسورث
 كانت شائعة في البلد ، وهي التحريض على الإجرام . ولاشك أن ذلك كان يحرك
 ما كنا ، ولكننا كنا في شجاعة تامة . وبما يستلقت النظر أني ظننت دائما أن المسألة
 زلية وشكيلة أكثر منها حقيقة ، لأن الله لا يرضى الظلم بهذه الشاعة ! »

٣١ يوليو سنة ١٩٢٢

« ماذنبنا ، سوى أننا دافعنا ، بنام الشرف والهمة والإخلاص ، عن بلادنا
 من حقوقها ؟ هل هذا جرم ؟ في عرف من ؟ إن العقاب على هذا الأمر كالعقاب
 على الأكل والشرب . . لا يمكن أن يصل الظلم إلى هذه الدرجة ! غريب أن يسمى
 سه شريفا ذلك الذي يسمى الدفاع عن الوطن إجراما ! إن الدفاع عن الوطن
 سيلة سامية ، كيف يكون شريفا وهو يعاقب الناس على الفضيلة ؟ كيف يكون
 ريفا ذلك الذي يستعمل قوته وسلاحه ضد أمة عزلاء ، ليسطو عليها ، ويغتالها
 دة ؟ ما الفرق بين هذا وبين العصابة التي تقبض على المازين ، فتسلبهم أموالهم
 زاقهم ؟ ما حاجته في ذلك ؟ إن حجة الإنجليز أن أمتهم محتاجة إلى هذه البلاد !
 س السارق في حاجة إلى ما يسرق ؟ إن صبح ذلك ، كانت الأمم الصغيرة
 حق لها في الحياة ! إنهم يريدون عقابنا لابتلاع القمة ! فليكن ! ولكن ماذا
 بد أولئك المصريين الذين يتولون الحكم ، ويلغسون الإنجليز إلى هذا العمل ، وبأى
 كف أصفهم ؟ إن أخط الكلمات لا تكفى لوصفهم ! »

أول أغسطس سنة ١٩٢٢

« إن الله رحيم كريم . لقد أتى على تضامتنا ، فأبقى على مظهر الأمة المصرية وشرفها أمام العالم ؛ حصل اليوم التحقيق ، فوجدنا الضابط نائب الأحكام ، ومستر ماكسويل المدعى العام ، ثم محمد بدر الدين مراقب الأمن العام . لم يسألنا الضابط الإنجليزي القائم بوظيفة نائب الأحكام ، سمع الشهود بأننا أعضاء في الوفد . . ثم سمع شهادة بأن البيان الأخير طبع ونشر . ثم سمع شهود تفتيش بيوتنا »

٢ أغسطس سنة ١٩٢٢

« انتهى الأمر ! تأكدنا من إحالتنا على محكمة عسكرية ، لكن ماهي النتيجة ؟ لم نفهمها ! فكرنا في تعيين محام للاستشارة ، قررنا استدعاء أحمد حسن وبجدي ، وانتخبنا المحامي « مورتى » الذي لم نجد سواء بسبب إجازات الصيف . »

٣ أغسطس سنة ١٩٢٢

« حضر فريق دوس وأخبرنا أن قرار الاتهام سيعان إلينا قريباً ، وأن مستر مكسويل المدعى العام العسكري العام يشتغل به . حضر أحمد حسن المحامي في المساء ، وأفهمنا أنه علم بالتهمة ، وأنها المؤامرة والتحريض على القتل . إن ثروت يريد أن يبقى على كرسيه ، مهما ضحى في سبيله من الضحايا ، ولا غرابة في ذلك لأنهم لا قلب له ولا ضمير ! وثروت يخدم بلاده ١٩ إن هذا لمضحك مبل ١ إن هذه الخدمة تستلزم التضحية ، بل هو يهزأ بمن يضحى بنفسه ، ويرى أن الحكمة والمهارة

أن ينال المرء مبتغاه الشخصى بأى وسيلة من الوسائل ، وأن التضحية مهزلة وجنوناً . .
عاد واصف غالى من المستثنى ، صحته أحسن كثيراً ، وعدت إلى الاهتمام به
وبصحته .

٤ أغسطس سنة ١٩٢٢

« زارى أولادى وزوجتى اليوم ، إني لا أستطيع أن أعبر عما شغلنى من الفرح
والسرور والخلل عند مقابلتهم . لقد تغيرت ! جاءوا وزال منى كل ألم ، وظهر
على البشر والفرح . فعلا أصبحت رجلاً جديداً ، سرفى جداً أنهم مملوون شجاعة .
كلهم يكادون أن يكونوا مسرورين للشرف الذى نالنى ، رغمًا عن ألهم الطيبى
لابتعادى عنهم . ومن المصدق الغريبة أن قرار الاتهام وصل عند وصولهم ،
مع أن اليوم هو اليوم الأول من أيام عيد الأضحى ! ولاشك أننا الإنجليز قصدوا الإيلام
بإرسال قرار الاتهام لنا فى هذا اليوم بالذات !

اطلعنا على قرار الاتهام ، وإذا بالتهم مضحكة ، هى الطعن على الحكومة !
والحقيقة أننا لم نطعن على الحكومة ، بل على الوزارة ، ولا عقاب على هذا ، والطعن
على الحكومة جنحة ! . . لماذا عدل الإنجليز عن تهمتهم الأولى ؟ إنهم لا يبالون
بالأدلة ولا بالقضاء . وأى تهمة ، هذه التهمة الجديلة ؟ ألم يكن من الأشرف
أن يعدلوا عن الاتهام بالمرّة ؟

٥ أغسطس سنة ١٩٢٢

« اطلعنا على نص قرار الاتهام ، وعلى نص الأوراق التى ضبطت عندنا ،
لاشئ ، لاشئ سوى البيانات والخطب . علمت أن الخزانة التى فى بيتى نقلت

إلى القسم . لقد كنا وطلدنا النفس على مقابلة اللجنة مهما بلغت ، وقد انتظر بعضنا الحكم بأقصى عقاب ، لأن من يتهمنا كذبا بأننا نحرض على أعمال القوة ، لا يقف أمام أى حكم ظالم . كنت أعتقد أن الإنجليز ، رغمًا عن سياستهم الخرقاء ، لا يمكن أن يرتكبوا ظلما شخصيا . ولكن حادثة دنشراى أولا دلتنى على أن لورد كرومر رجلان: رجل الحياة العادية . ورجل السياسة . وأن رجل السياسة لا يقف أمامه الظلم الشنيع ! . . ورأيت حوادث ظلم أخرى من عام ١٩١٩ إلى الآن ، ولكنى مع ذلك كنت لأجزم بالظلم الشخصى ، لأنى اعتدت ألا أكون رأيا جازيا إلا بعد الاطلاع على كل مايجرى فى المسألة . ولكن حادثتنا دلتنى على أن الإنجليز لا يقفون مطلقا أمام الظلم ، وأن السياسة لا تقف أمامه !

نحن نحرض على القتل ؟ . . نحن قتلة ؟ أنا قاتل ؟ إنهم يعلمون حق العلم أن هذا كاذب ومستحيل . ومع ذلك قلت فى نفسى : لعل ضميرهم دفعهم إلى تعديل هذا الاتهام ، وبالاتهام الجديد ، ولعلهم يربطون بهذا الاتهام الجديد مجرد عدم الظهور بالفشل . إن للحق سلطانا لا يغلِبُ ! . . وصلتنا ورقة بأن الجلاسة تحددت ليوم الأربعاء ٩ أغسطس أمام المحكمة العسكرية البريطانية العليا . هل ندافع عن أنفسنا ؟ وكيف ندافع ؟ اتفقنا على الدفاع بعدم اختصاص المحكمة العسكرية ، أما الموضوع فاختلفنا فيه : اثنان منا - واصف غالى ، وأنا - صمنا على علم الدفاع فى الموضوع بتاتا . لأننا لانعترف للمحكمة باختصاص ، ولأنه لا يلىق منا ، ونحن وكلاء الأمة . أن نسلم بهذا الاختصاص ، هذا فضلا عن أننا أمام محكمة عسكرية لاندرى للدفاع من قيمة أمامها . ومهما كان الأمر . فإن الدفاع إنكار لعلتنا وبرناجنا . وقد انضم حمد الباسل إلينا ، بسكوته أولا عن المعارضة مع الآخرين . ثم بصريحه برأيه . أما الآخرون فصموا على الدفاع . ولعلنا

أوعزوا إلى المحامين أن يحضروا ، فأخذ مجدى وأحمد حسن ومستر مورقي في تحضير الدفاع ، فتركناهم يفعلون ، مع بقائنا على رأينا ،

٦ أغسطس سنة ١٩٢٢

« عدنا إلى اللداوة في أمر الامتناع عن الدفاع ، فلم ننجح في إقناعهم . واستمر المحامون يحضرون الدفاع ، ويلوح لى أنهم جميعا يجهاون أحكام القانون الإنجليزي ، ويتخبطون . « سبابا حبشي » يساعدهم ، ولكنه يرى رأينا في عدم الدفاع . وكل من يزورنا يعجب بخطة عدم الدفاع ، ويعيب الدفاع جداً . قلت لواحد منهم : « إن زوجتي أيضا ترى عدم الدفاع » . فأجابني منفعل : « أما أنا فزوجتي ترى أن أبيع أملاكى ، وأدفع الثمن لمن يذافع عني ! » . وبعد مداوات طويلة لم يغير واحد منهم رأيه . وأحاط بى الألم بسبب هذا الخلاف ، لأنه لاشك عندي أن عدم الدفاع أشرف ، وأسمى ، وأليق بمركزنا ، وأنا نخدم بذلك بلادنا خدمة عظمى أمام العالم أجمع .

إننى لم أياس مع ذلك من النجاح ، فلننتظرا ! . . سرورى مع ذلك لا يفارقنى ، لأن زوجتى وأولادى يرددون على »

٧ أغسطس سنة ١٩٢٢

« سافر مستر مورقي المحامى الإنجليزي عنا لطلب التأجيل من المندوب السامى البريطانى ، فلم يقابله المندوب ، وعلى ذلك فالحقبة ستظريوم الأربعاء ٩ أغسطس ، أخطرنا بذلك . أى عدالة هذه ؟ عدالة شكلية لاحقيقية ! عدنا للتكلم بشأن الامتناع عن الدفاع : الأغلبية للدفاع : ويصا واصف ، وعلوى الجزار ، وجورج خياط ،

مراد الشريعى . ولكن مراد الشريعى يتر عليه ألا يكون فى صف المتشددين ، ولو أنه يقول بضرورة الدفاع . وبعد الظهور كانت الستات موجودات (زوجات المتهمين) فشددت مدام واصف غالى ودام مرقص حنا فى ضرورة عدم الدفاع . ويظهر أن هذا أثر على مراد الشريعى ، فطلب من واصف غالى أن يجهز ما نقوله فى الجلسة ، فجهزه واصف غالى بالفرنسية ، وعدلنا فيه ثم ترجمناه . وكان هذا سببا فى أن المعارضين لم يحسروا على المعارضة ، وبذلك فازت الأقلية وتقد قرارها فعلا . وارتاح الحضور (زوجات المتهمين) لهذا القرار .

٨ أغسطس سنة ١٩٢٢

« انتهينا من قرار عدم الدفاع ، وقد سررت ، وسرت زوجتى وولدى يوسف مرقص حنا بهذا القرار كل السرور ، وكلفت بتلاوة البيان فى الجلسة . وحضر حمد الباسل فى غرفتى ، ورجائى أن أتركه يتلو هذا البيان ، فركته له ، وأجبتة إلى طلبه بلامناقشة ، فسرّه ذلك جداً ، وأنا شعرت أنى إذا لم لجه كان سيتالم جداً .

إذن بشحاكم غداً ! فليكن ! إن وصف التهمة الأخير جعلنا لانتالم مطلقا ، أما الوصف الأول الذى ذكره ستر هورمسورث وكيل وزارة الخارجية البريطانية بمجلس العموم ، وذكرته الجرائد الإنجليزية ، فكان مؤلا لنا جداً ، لداته على الخصوص ، ولا قد يتسبب عليه . أما الوصف الحالى فشرّف ، ولكنه مكذوب كالأول ، لأننا لم نطعن على الحكومة ، بل طعنّا على الوزارة ، وهذا مباح ، وبغيره يصبح الوزير إلما ، كلما فعل شيئا وجب التسبيح بحمده ! . إن الإنجليزى ، وهو الرجل البرلمانى الضمير ، لا يمكن أن يفسر هذا جرما ، اللهم إلا إذا كان المقصود ارتكاب الظلم علنا ، وبغير حياء ، ولاخوف من الله ، وأظن هذا هو المقصود ! »

٩ أغسطس سنة ١٩٢٢

« قمنا صباحا ، ونحن هاشون ، ولو أن بنا بعض القلق . سرنا إلى المحكمة مخفوريين ، ولما وصلنا ودخلنا الجلسة ، وقف لنا الحاضرون إجلالا ! وعلمنا أن وقت دخول المحكمة لم يقف لها إلا القليل ! السيدات بالجلسة ، ومن جالسات بالقرب منا . طلب المحامي مستر مورتي علم الاختصاص ، بعد أن طلب التأجيل ، ورفضت المحكمة ، رفضت المحكمة عدم الاختصاص أيضا . . . انسحب جميع المحامين الموجودين ، بعد أن أبان المحامي مستر مورتي أنه لا يقصد بانسحابه التعدي على المحكمة ، ولكنه مكلف بطلب عدم الاختصاص فقط .

خلت أربعة صفوف لانسحاب المحامين ، وكان لذلك تأثير مائل على الحضور وعلى المحكمة . . . ظهر الارتباك الشديد على المحكمة ، وحينئذ أمر القاضي المترجم أن يسأل : هل من عام بالجلسة عن المتهمين ؟ . . . فلم يجابه أحد . . . ثم أمر القاضي المترجم بأن يسأل : هل من وكيل عن المتهمين ؟ . . . فلم يجابه أحد : وسمعوا الشهود . . . وفي كل مرة طلب القاضي منا أن نوجه أسئلة للشاهد ، فرفضنا ! أجبتنا على السؤال عن التهمة بالنفي . واستمرت الجلسة صباحا ، وبعد الظهر وقد قابلنا أولادنا في الصباح ، وفي الاستراحة بالمحكمة .

١٠ أغسطس سنة ١٩٢٢

« استمرت الجلسة صباح اليوم . تلا حمد الباسل التصريح باسمنا ، وتلاه القاضي بالإنجليزية ، وكانت الترجمة جاهزة ، قدمناها له . كان لهذا التصريح تأثير بالغ ، إنه تصريح تاريخي ، وموقف بديع ! . . . وأثناء سماع الشهود

كان بعض المتفرجين يقول إن عدم الدفاع خطأ ، خصوصاً عندما قال المدعى العام
مستر مكسويل إن جرائم هتلر الإنجليزية زادت بسبب بياناتنا ، ولكن تلاوة التصريح
قضت قضاء تاماً على هذا الضعف ، وأظهرت قيادة الثورة في مؤلف كريم جليل ،
جدير بالأبطال والشجعان .

وقال رئيس المحكمة إنه سيرفع الحكم إلى القائد العام البريطاني . ونادينا :
لتحي مصر ، وليحي الاستقلال . . .

١١ أغسطس سنة ١٩٢٢

« إذن نحن مذنبون ، طبقاً لقرار هذه المحكمة الغريبة ! . إذن الطعن على الوزير
معاقب عليه ، كما قال القاضي الإنجليزي بيرستون إنه لرأى غريب ، من قبل قاض
إنجليزي على الخصوص ! إذن هي سياسة في سياسة ! إذن هي رواية وتصويرا
لا شك في ذلك ولا ريب . . إننا لم نرتكب شيئاً ، إن منشوراتنا غير معاقب عليها
طبقاً للقانون المصري وطبقاً للقانون الإنجليزي . . ما أحقر هذه السياسة التي تغير الرجال ،
وتسخر الرجال ، وتوجد الرجال الذين يرتكبون الظلم ، ويعاونون الظالمين !
إن المستبد الذي يأمر بالظلم ، ويتمتع بأسرته ، لأشرف من ذلك الذي يشترك
في ارتكاب الظلم وراء مهزلة صورية ، وخلف أشكال قانونية ! . كيف قسم
هؤلاء الناس اليمين ، ثم ينساقون وراء رأي البير ، ويرتكبون الظلم لأن السياسة
تريد هذا الظلم . . »

١٢ أغسطس سنة ١٩٢٢

« إننا نتظر - على كل حال - حكماً متناسباً مع الجريمة المؤهمة ! وقد أخبرنا
أن الحكم سيكون بالفرامة ، أو بالسجن ستة أشهر مع وقف التنفيذ ! هل هذا

صحيح ؟ لاندري ! ولكنى لا أزال أعتقد أنه مهما كان الحكم ، فلن يقبل اللورد
النبى إلا أن يلغيه لأنه لاجرم على الإطلاق ! . . ولكن هل توجد مهلة ؟
أليس وأما ؟ إن سيداتنا وأولادنا مستعدون لقبول الحكم أيا كان ! إنهم مستعدون
أن يتحملوا بعدنا عنهم زمانا ، ونحن على مثل هذا الاستعداد . إننى بعد زغلول
وأصحاب سعد زغلول لا مبرر له على الإطلاق ، بل هو ظلم محض ، لكن - على
الأقل - لم يلوثوا العدالة القضائية بارتكابه ويجعلها تمثل مهلة ، تتحمل فيها مسئولية
هذا الظلم .

أما أن يسلك الإنجليز معنا طريق القضاء - سوريا - وأن يرتكبوا الظلم باسم
العدل والقانون ، بل باسم الله الذى أقسموا به ! إن هذا أزال ما كان باقيا عندى
من شيء من الاعتقاد بأن الإنجليز لا يمكن أن يرتكبوا . . ومع ذلك فلننتظر !
لقد أعجب الناس إعجابا شديدا بموقفنا أثناء المحاكمة ، ولاشك أننا أعطينا مثل
الشجاعة والبطولة والكرامة . إن هذا لربح عظيم لنا ، ولصبر وللمصريين . إن كان
الإنجليز يظنون أنهم بذلك يخدمون سياستهم ومركزهم فى مصر ، فهم مخطئون خطأ
فظيحا : لأن هذه السياسة تؤدى إلى العكس تماما . إن الذى فهمناه . وفهمه ،
أن اللورد ألبنى المندوب السامى البريطانى ينساق فى هذه السياسة بمشورة المستر
إيموس المستشار القضائى ، وأن مستر إيموس هذا هو العوبة فى يد ثروت باشا .
إنى أعرف إيموس ، وأعرف أنه رجل واقعى ، فكيف يسير بهذا الذى يخالف
سليقته تماما ؟ . . لاشك أنه منسوق بثروت باشا وأعدائه .

١٣ أغسطس سنة ١٩٢٢

« علمنا أن جنابة فظيعة ارتكبت أمس على مستر براون وأولاده . . إنه لجرم
شنيع . هل هو سياسى ؟ إن كان سياسيا . وهذا مالاأظنه ، فالمسئولية واقعة على سياسة

الاضطهاد والشدة التي يسلكها الإنجليز . تكدرنا كلنا لوقوع هذه الخيانة ، إن المهرض على هذه الخنايات ، إن صبح أنها سياسية ، هم رجال هذه السياسة البريطانية ، لامطالبة الأمة بحقها . إن المصريين أمة حادثة ساكنة لم تكن تعرف الجرائم السياسية ، فن دفعها إليها ؟ أنتم وسياستكم دون سواكم . ومن الغريب أنهم ورجالهم وبوليسهم لا يعرفون الجائنين ، ويقاؤون إن الجرائم وبياناتنا هي المحرصة عليها .

الإعدام !

١٤ : أغسطس سنة ١٩٢٢

« الساعة الحادية عشرة صباحا ، أخطرونا أن ضابطا بريطانيا سيحضر ويطلع علينا الحكم . اجتمعنا : . حضر الضابط ومعه مترجم ، وهو أحمد أفندي رفاعي على ما نظن . تلا الضابط الحكم باللغة الإنجليزية ، فإذا هو قاض بالإعدام ! ووقف الضابط عند ذلك ، وترجم المترجم الحكم بالإعدام . ثم استمر الضابط البريطاني . وقال إن اللورد الذي خفض الحكم إلى الأشغال الشاقة سبع سنوات ، وغرامة خمسة آلاف جنيه .

صاح حمد الباسل : « تميا مصر ! . . وفي الحال دعوت ومعا وأصف للعب الطاولة ، وبدأنا نلعب ، وإذا بحمد الباسل يلومنا على ذلك ، ويقول إن هذا غير طبيعي : كيف يحكم علينا بهذا الحكم وأنتم تلعبون الطاولة ؟ فكففنا عن اللعب . والواقع أن هذا الحكم لم يؤثر علينا مطلقا ، ولا أزال اعتقد أنها مهزلة ، وأنه يستحيل أن يضرنا علينا تنفيذ هذا الحكم . وجاء الضابط الإنجليزي ، ونبهوا علينا بالاستعداد للقيام إلى سجن قره ميدان بعد عشر دقائق .

ووصلنا السجن الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ ظهرا ، ومعنا ضابط إنجليزى من المحكماتية ، وسلم الضابط الإنجليزى الحكم لمأمور السجن عبد الرحمن أفندى سرى ، وانصرف . وسأل المأمور تليفونيا ، اللواء وتجنهـام باشا مدير مصلحة السجون ، عن أى نظام يتبع معنا ؟ فقال اللواء وتجنهـام باشا : « النظام السياسى إلى أن تصل تعليمات أخرى » . وكان مأمور السجن واللواء وتجنهـام باشا يجهلان بالحكم علينا . وجهلان بوصولنا إلى قره ميدان ا أكلت مع واصف غالى أكل المستثنى ، لأنهم منعوا أكلنا من الدخول ، وأشار عبد الرحمن سرى لمأمور السجن بضرورة لبسنا ملابس السجن . سألته عن القراءة ليلا ، فقال : « إن النور ضعيف » . دخلنا السجن الساعة ٣-٣٠ دقيقة بعد الظهر .

١٥ أغسطس، سنة ١٩٢٢

« لا يمكن أن أصف التأثير الذي وقع علينا أمس ، كأن تأثيراً شيئاً جيداً . رأينا أنفسنا وسط الجنة والمجرمين ، ولبسنا ملابسهم ، وإذا بنا نقضى حاجتنا وتأخذ حماماتنا أمام المحبوسين ، ولو أن المحبوسين اجتهدوا أن يدخلوا المكان وقت ذهابنا على قدر الاستطاعة . وقابلنا كثيرين ممن عرفونا ، وساعدونا في إحضار ملابس السجن وقياسها . . . وحين دخلنا الزنزاة البهجة السادسة ، وأقبل الباب ، شعرت كأن قبراً أقفل علينا ! أخذت الإتجيل ، وقرأت على الشباك ، وأنا أقف على كرسي ، لأن النور محرم ، وعندما أظلمت الدنيا جلست ، ووقدت على السرير ، حتى أخدني النوم بعد ساعة أو ساعة ونصف . نمت نوماً لا بأس به ، لأن المشاء عادة عبارة عن حالة طحينة وعيش ، فضلاً عن انعدام الشهية ، وفتحت الأبواب الساعة السادسة

صباحاً ! . . . عندنا شايوش اسمه عبد الهادي . يبكي كلما رأنا . أو كلما أقفل الباب علينا ! علمنا أنه مفروض علينا البقاء في الزنزانة مقفلة إلى ميعاد الطوابير ، وياكل كل واحد في زنزانيته ، وهي مقفلة .

١٦ أغسطس سنة ١٩٢٢

« تعب واصف غالى تعباً شديداً من الزنزانة ، حتى قال : إني أكاد أكون في حالة فرح . إني ميت لا محالة . شكرونا تعبنا لأنفسنا ، فإذا بنا متألون جداً من هلم الحلال . ومن وجودنا وسط القتل والمجرمين . سمح لنا بالأكل من منازلنا . كتبنا لشكوى اللواء وتنجهام باشا مدير السجن ، فقيل لنا إنه يجب أن يكتب كل منا شكوى على حدة . لأنه لا يجوز لنا الاجتماع معاً ، ولا الكلام معاً ، ففعلنا . . . واصف غالى تعب جداً ، ونحن كذلك . جاء الطبيب وهو الدكتور حجار ، ففحصنا وسمح بالسريرنهارا لبعضنا . يزورنا طبيب صباحاً ، وطبيب مساءً ، وكل منا له الحق في أن يعرض نفسه عليه في أي وقت شاء . أحد الأطباء يتحاشانا جداً . ويريد أن يكنى خيره شره ! قيل لنا إن كل شيء في يد الحكيمباشي ! زارنا الحكيمباشي . وهو رجل نحيف ، ناشف ، ذو وجه ضئيل . لاءعنى له : ولا شكل محدود . إن أشد آلامنا من وجودنا بالزنزانة المقفلة . علمنا أن مأمور السجن عبد الرحمن سري نقل ، لأن اللواء وتنجهام باشا مدير السجن كلمه ليلا تليفونيا : فلم يجده ! . . .

١٧ أغسطس سنة ١٩٢٢

« حضر المأمور الجديد أمين حافظ ، وشهرته غير حسنة . لا يسمح لنا بإبقاء شيء

في الزنزانة سوى الصابونة ! حتى فرشاة الأسنان يجب أن تكون بأمر الطبيب ،
ولابس النوم تنقل للمخزن ! فرش السرير عبارة عن مرتبة قش وبطانتى صوف
خشن جداً ، والمخلة قش أيضاً . وهى واطية ، وارفمها أضغ بطانية مطبقة تحتها !
أكاد لا أأكل إلا القليل ظهراً ، أما ليلاً فلا أأكل مطلقاً سوى قرقوشة واحدة ، أو قطعة
جبنه . والباقي كله يأخذه الشاويشية . وصلتنا الكتب ، وقد تسليت نوعاً بها ،
ولكنى أقرأ وأنا متضايق . الضابط عبد الرحمن يضايقنا ، يمنع فتح الباب ،
أو اجتماعنا ، ولكننا مع ذلك لانهمم له ، إن عقلية كمقلية نفر ! الدخان ممنوع ،
ولذلك أبطلته ، الجرائد محرمة . نقل واصف غالى للمستشفى اليوم صباحاً ،
فسيرتاح طبعاً أكثر منا .

١٨ أغسطس سنة ١٩٢٢

« كل الضباط والشاويشية يأسون لحالتنا ، ولكن الشاويشية أشجع من الضباط ،
وأكثر إحساساً من الضباط ! لاحظنا أن الضباط جبناء للغاية ، يخافون اللواء
وتنجهام كل الخوف ، بل يرتجفون منه ! وإذا حذرناهم ، لا يستحون أن يقولوا
لنا : « هل يرضيكم قطع عيشنا أو نقلنا ؟ » . إلخ ! » ويتجاهلون أننا ضحينا بأنفسنا !
ثبت لنا من جديد أن الإنجليز لا يستسيغون ولا يرقون إلا الجبناء ، والأشخاص الذين
يكونون آلة بين أيديهم . لا شخصية مطلقاً هؤلاء الضباط !

أجتهد في قراءة الجرائد . إن بعض المستخلمين الصغار أكثر من الكبار شجاعة
واقداً ، واستعداداً للتضحية في سبيل راحتنا . . . واجتهدت أن أأكل ظهراً مع
مراد الشريعى ، وكان الشاويش يغمض عينيه ! »

١٩ أغسطس سنة ١٩٢٢

« إن الضابط عبد الرحمن لا يرى أمام عينيه سوى وظيفته ، والمحافظة عليها ، وعدم إغضاب إله اللواء وتنجهام باشا مدير مصلحة السجون ! لا يحسن الكلام ، ولا يعرف التلطف ، فإذا أراد ، ظهر بجلاله أنه يخالف طبيعته ! هو ومأمور السجن يخافان أن يحسنا معاملتنا ، أو يتساهلنا في مواعيد التفتيش ! إنهما يكتفیان . بالقول بأن حالتنا لن تستمر ! إن عدم إضاءة الزنزانة يتعبنا ، ويقولنا جدا ، فما معنى هذا ؟ ولماذا يحرم المسجون من النور ، مع أن النور يعينه على القراءة والكتابة ، أى على الاشتغال بشيء حسن ، وبترية نفسه وتغذية روحه ، وإنماء معلوماته ، فلماذا يحرمون هذا في السجن ؟ هل الغرض التعذيب أو الإصلاح ، خصوصا في سجن معد لارتكبي الجنح ؟

رأينا اليوم الجلد ، وهو فظيع جدا ، جدير بقرون الوحشية ، أوزون الظلمات . ومن الغريب أن جميع الضباط والشاوشية برونه طبيعيا وضروريا ! وهناك عقوبة أخرى وهى حبس التأديب ، وهو حبس في غرفة لا شبك فيها ، سوى منور في السقف ، وبها برش وجردل ، ويأكل المسجون فيها خبزا وماء فقط ، ولا يخرج في الطابور ! وقد اقترح بعضهم (الضابط حسن صفوت) أن تكون مظلمة ، بلا نور مطلقا نهائيا ، أما ليلا فالنور محرم في كل مكان ، عدا القسحات للشاوشية والحفراء ! . . فظائع في فظائع ! . . لاشك أن المحبوس يخرج وأخلاقه قد انحطت ، وفؤاده قد تعود القسوة والشر ، يخرج وهو أسوأ مما كان ، بل ربما كان طيما فيخرج شريرا . . لا طريقة للتربية أو التعليم على الإطلاق في السجن ، أما الورش فاعمل فيها

سطحي ظاهري ، وأما الوعظ في الأسبوع مرة ، فلا قيمة له ولا نتيجة .
علمنا أننا لن نشغل في الورش ، ولا في أى شيء ، بعد انقضاء العشرة
الأيام الأولى ، التي يسمونها أيام الحجر الصحي ، أى عدم الاختلاط .

٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٢

« حركة غير عادية ! عدو من كل جهة ! نزع كل شيء زائد من الغرف !
إفقال الزنانات كلها ! سكون تام ! إسراع في التنظيف ! .. من كل جهة تسمع :
« الباشا جاء . . الباشا حضر ! » . نعم حضر اللواء وتنجهام باشا : إله السجن ،
وشيطانه ، كما نشاء ! ارتعدت مقاصل الموظفين ، وارتجت قلوبهم ، وكل منهم
يطلب إلى الله أن يخرج الرجل بغير أن يلاحظ عليه نقصا في عمله ، أو عيبا في
تصرفاته ! ونحن كذلك أقفلت علينا الأبواب ! وبعد خروجه علمنا أن حمد الباسل
قابله . فأخبره وتنجهام باشا أنه بخاطر وزارة الداخلية بشأن النظام الذى يتبع معنا ،
ولم يصله رد للآن ، وأنه يود مساعدتنا ، وأنه وضعنا تحت النظام السياسى من تلقاء
نفسه ! أما الحكم فيقضى بوضعنا في ليمان أبى زعبل ! وقال وتنجهام باشا إنه
في انتظار رأى « الباشا وزير » ! لأظن أنه مسرع في الرد ، بل يعتمد الإبطاء ! »

المرأة المصرية في الجهاز السرى

انتهت مذكرات المرحوم مرقص حنا باشا نقيب المحامين ، ووزير الأشغال
والمالية . . ولعل من أهم مافى هذه المذكرات دور المرأة المصرية وكيف استطاعت
زوجات المتهمين من قادة الثورة إقناعهم بأن يرفضوا الدفاع عن أنفسهم ،
ولو أدى ذلك إلى الحكم بإعدامهم ، فوقفوا هذا الموقف العظيم . . ولكن المرأة المصرية

لعبت في هذا الوقت بالذات دوراً جريئاً في تلك الأيام أصدرت السلطة البريطانية العسكرية أمراً بعدم ذكر اسم سعد زغلول ، لافي جريدة . ولا في مجلة . ولا في كتاب . ولا في منشور ! .. وجمعت صفية زغلول زوجات المثهبين السبعة . وعدداً من السيدات المشتغلات بالحركة الوطنية . وقالت لمن إن الإنجليز منحوا ذكر اسم سعد الحكي يمشاء المصريون . ويجب أن نتحدى هذا القرار ، وأن نؤلف خطايا من كل سيدة من السيدات الموجودات ، مهتها أن تكتب على كل ورقة بنكوت بالعبودية والإنجليزية جملة « يحيا سعد » !

ومكثت السيدات بضعة أيام يعدلن ليل نهار في بيت سعد زغلول ! أحضرن كل مالدیهن من أوراق البنكوت ، وما لدى أهلهن . وأصدقائهن . . ثم طلبت صفية زغلول محمود فهمي النقراشي وأحمد ماهر وأبلغتهما بقرار خطايا السيدات . وبدأت تنتشر في كل البيوت عمليات الكتابة على أوراق البنكوت . . ثم اتصل الجهاز السري بصياغة الحكومة في الأقاليم ، وراحوا يكتبون كلمة « يحيا سعد » على كل ما يجمعونه من جنيهاات الضرائب ! ثم اتصل الجهاز السري بموظفي خزانة وزارة المالية . ونحسوا للفكرة وبدأوا هم الآخرون يسهرون الليالي في كتابة كلمة « يحيا سعد » . . وانضم المصريون الذين يعملون في البنوك والمعامل التجارية إلى هذه الحركة السرية . وفجئاً الإنجليز بأن كل ورقة بنكوت في مصر كتب عليها « يحيا سعد » ! . حتى إن الوزراء قبضوا مرتباتهم أوراق بنكوت مكتوب عليها « يحيا سعد » ! وكبار الإنجليز في الحكومة المصرية قبضوا مرتباتهم وعليها كلمة « يحيا سعد » ! وبلغ من حماس صغار التجار وقتئذ أنهم كانوا يرفضون قبول أى ورقة من فئة الجنيه ليس مكتوباً عليها « يحيا سعد » ! وكانوا يقارون للشترى : « هذا جنيه براني » ! !

وهاج اللورد اللنبي ، وهاجت وزارة ثروت ، وفكروا في إلغاء أوراق البنكنوت ! ولكنهم كانوا يحتاجون إلى طبع أوراق بنكنوت جديدة في لندن ، وكان هذا يستغرق في تلك الأيام ستة شهوراً ثم بدأت حملة اشترك فيها سعاة البريد ، وهي أن يكتبوا كلمة « يحيا سعد » على كل خطاب . . ثم بدأ كل من يرسل خطاباً يكتب كلمة « يحيا سعد » ! وصادرت مصلحة البوستة الخطابات الأولى ، ثم فوجئت بأن كل خطاب مكتوب عليه « يحيا سعد » . . حتى خطابات الحكومة الرسمية ! وفي الوقت نفسه بدأت حملة كتابة « يحيا سعد » على كل جدران البيوت ، أو بناء حكوى !

وغدت المطربة منيرة المهديّة أغنية : يا بلح زغلول . . يا بلحويه يا بلح ! . وخرجت مصر كلها تغنى في الشوارع : يا بلح زغلول ! واضطرت السلطة البريطانية أن تلغى قرارها بمنع ذكر اسم سعد زغلول في الصحف !

ثم حدثت قضية الحكيم على الزعماء السبعة . . وإساءة معاملتهم في سجن قره ميدان . . وبدأت خلايا السيدات تعمل ! خطابات تصل إلى زوجات الوزراء ، تهديدات بالقتل ! أصبحت كل سيدة عضواً في جمعية « اليد السوداء » ! إن خطابات التهديد التي كانت تصل إلى كل وزير في الوزارة وصلت إلى متوسط مائة خطاب في اليوم ، من كل بلد وكل قرية في مصر ! . . وعجزت الحكومة والأمن العام عن أن يعرفوا أين توجد جمعية اليد السوداء ، التي تهدد بقتل الوزراء إذا لم تحسن معاملة المسجونين السبعة . وانزعجت زوجات الوزراء وبنات الوزراء ! وانزعجت زوجات كبار الموظفين الإنجليز في مصر . . واضطر مجلس الوزراء برياسة ثروت أن يصدر قراراً تحت هذا الضغط - بإلغاء قراره بأن يرتدى الزعماء السبعة ملابس السجن الزرقاء !

• • •

وفي ملكرات مرقص نحنا (يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٢) كتب يقول :

« الساعة الواحدة بعد الظهر أخبرنا اللواء وتنجهام باشا مدير مصلحة السجون بأن نلبس ملابسنا ١ . في الحال خلعنا ملابس السجن ، ولبسنا ملابسنا العادية . وقد استبشر الجميع بأن ذلك فاتحة امتيازات أخرى ، وقال وتنجهام باشا إنه سيحضر غداً لمقابلتنا . »

٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢

« حضر وتنجهام ، وقابلنا جميعاً بالمكتب . وانفعل جورج خياط لمجرد عدم وجود الكراسي الجلوس عليها في غرفته ! فصرخ بأعلى صوته : « أحضر لنا الكراسي » وأمر الشاويش بإحضارها ! ثم جلس على الترابيزة حتى نجيء الكراسي . فاحضرت الكراسي على الفور . . وقال لنا وتنجهام باشا إنه سيسمع لنا بالتلخين ، وضع الزنزاة نهاراً ، وأخذ حمام بالمستشفى ، واستعدا ، محلات الراحة الخاصة بالضباط ١١ »

خلايا سرية للعمل في السجن

لم تفعل المرأة المصرية هذا فقط ! إنها نظمت خلايا سرية لعملية التهريب داخل السجن ! فبرغم الحراسة الشديدة ، وبرغم تعذيب وتنجهام باشا . . وبرغم ذعر الضباط من سعادة الباشا اللواء ، فقد بدأت الرسائل السرية تنخل السجن ! وبدأ قادة الثورة يتصلون من الزنزاة بسعد زغلول في جبل طارق ، وبقيادة الثورة في القاهرة . واستمرت عملية الضغط على الإنجليز . . وتقرر نقل المعتقلين من سجن

مصر إلى معتقل في ألماتة . . ولكنه معتقل بحرسه الإنجليزي ! كان الشاويش المصري عبد الهادي هو الصلة بين زفرانات سجن مصر ، وخلايا السيدات السرية ! كان هو الذي يوصل الرسائل السرية ! وفوجئ الجهاز السري للثورة بأن الحراسة على قادة الثورة السبعة في معسكر ألماتة الحربي يتولاها الإنجليزي وحدهم ! الديدبان على باب المعسكر الإنجليزي ، الحراسة داخل المعسكر من جنود وضباط البوليس الحربي البريطاني ، طيب المعتقل الإنجليزي ، الخدم الذين يعملون في المعسكر كلهم من الإنجليزي ! وصدرت التعليمات إلى خلايا السيدات بأن تبحث عن زوجات الضباط والصلوات الإنجليزي الذين يتولون العمل في معسكر الاعتقال . . ومحاولة عمل صداقات معهم . ولكن المحاولة فشلت ، لأن الضباط الإنجليزي كانوا يصابون بالذعر إذا رأوا مصرياً أو مصرية بقرب بيوتهم ، بسبب كثرة الاغتيالات !

وكانت السيدة إسمر فهمي ويصا ، هي التي ترأس الخلية التي تقوم بإرهاب زوجات الإنجليزي ، وبإثارة الرعب في قلوبهن إذا لم تحسن معاملة الزعماء المعتقلين !! وانما رسائل التهديد بالقتل على زوجات كبار الموظفين الإنجليزي في مصر ! وتلقّت زوجات موظفي دار المنسوب السامي البريطاني خطابات باللغة الإنجليزية هذا نصها : « إن سبع سيدات مصريات محرومات من أزواجهن لمدة سبع سنوات ، إن سبعة من قادة الثورة يعاملون في معسكر الاعتقال معاملة المجرمين . إذا لم تحسن هذه المعاملة فوراً فستحرمين من زوجك ، لا سبع سنوات فقط ، وإنما إلى الأبد ! » وأصبحت زوجات كبار الموظفين الإنجليزي في دار المنسوب السامي يرعب ! وفشلت المحاولات التي بلها اللورد ألتني لتهنئتهن ، وأصدر لورد ألتني تعليمات بأن توضع حراسة مشددة على زوجات موظفي دار المنسوب السامي البريطاني ، وعلى بيوتهن ، ولكن هذه الإجراءات لم تؤد إلى إزالة الذعر المنتشر ! وعندما ذهب

السيدة إستر فهمى ويصا بعد ذلك لمقابلة اللورد ألنبي تطلب منه إصدار الأمر بتحسين معاملة المحكوم عليهم ، اعترف المندوب السامى بأن جميع زوجات الموقوفين فى دار المندوب السامى تقطن بنفس الطلب !

ولكن نقل المحكوم عليهم من سجن مصر إلى معسكر الجيش البريطانى عقد مشكلة الجهاز السرى ! . . وذات يوم جاء للجهاز السرى تقرير من خلية السيدات فى مصر الجديدة بأن مسز « كاترين كار » هى زوجة السيرجنت كار الصول فى الجيش البريطانى الذى يشرف على الحراسة الليلية للمعتقلين . . وأن والدها أيرلندى من حزب (السين فين) ، وأنه قتل برصاص الإنجليز من بضع سنوات . . وأنها مستعدة أن تقوم بأى خدمة ، وأن زوجها تحت سيطرتها التامة !

وبدأ على الفور الاتصال بمسز كاترين كار ! ورتب معها الجهاز السرى أن يسلمها الرسائل السرية ، ويتولى السيرجنت كار وضعها فى سلة طعام العشاء الى تقدم للمعتقلين ! وهكذا لا يعرف المعتقلون من الذى وضع هذه الرسائل السرية فى طعامهم ! . . واستمرت العملية بهذه الطريقة الغريبة !

صفية زغلول فى الزنزانة !

ولم يستطع الجهاز السرى أن يهرب الرسائل السرية فقط إلى المحكوم عليهم بالإعدام ، وإنما استطاع مرة أن يهرب إلى داخل السجن صفية زغلول نفسها ! . . فقد رأت قيادة الثورة أنه لو استطاعت صفية زغلول أن تدخل المعتقل وتقابل زعماء الثورة المعتقلين لرفعت روحهم المعنوية ! ولكن كيف يحدث هذا ، وهناك

أوامر مشددة بعدم الزيارة ١٩ . . وذهب بعض أعضاء الجهاز السرى إلى الضباط النرويجى فى المعتقل ، وقالوا له : إن هناك سيدة عجوزاً ، ترغب فى زيارة المعتقلين ، إنها أمهم جميعاً ! فقال الضباط الإنجليزى : كيف يكون لكل هؤلاء الأشخاص المختلفى الأسماء أم واحدة ! قالوا له : إنها أمهم الروحية التى ربهم جميعاً . . . إنك حاريت يا سيدى ، وعرفت معنى الحرب ، فتصور أنك كنت معتقلاً فى قبضة الألمان ، وأن والدتك ، أو سيدة مثل والدتك ، طلبت السماح لها بأن تراك قبل أن ينفذوا فيك حكم الإعدام ، فهل كنت لا تتألم إذا رفض الحراس الألمان أن يسمحوا لها بزيارتك ١٩ ؟

وتأثر الضباط النرويجى وقال : « هل تعلمنى السيدة بالأبسى لهرب المعتقلين أو لعمل أى شئ من شأنه أن يوقفنى فى مشولية عسكرية ؟ » ، وقدم أعضاء الجهاز السرى هذا التحدى . . . وفوجئ حمد الباسل وزملاؤه بأن رأوا أمامهم صفة زغلول ! وبقيت معهم حوالى الساعة ، تشجعهم ، ثم انصرفت دون أن تعرف السلطات البريطانية بهذه الزيارة !

تقرير سرى فى سلة الطعام !

وتكررت الرسائل السرية !

و ذات مساء فتح مرقص حنا سلة الطعام التى فيها عشاؤه ، ووجد فيها تقريراً سرياً من الأستاذ عبد القادر حمزة - الذى كان يعمل فى جهاز المعلومات للثورة - وهذا هو نص التقرير السرى أنشره كاملاً ليرى القراء طريقة التقارير السرية التى يكتبها الجهاز السرى للمعلومات لقيادة الثورة :

« سيدى الأستاذ مرقص بك

« كان مستر كار - نائب المندوب السامى البريطانى - قد طلب من إبراهيم راتب (عضو الوفد) أن يحملنى على مقابلته ، وذلك منذ ثمانية أو تسعة أيام . وقد بلغنى ذلك ، ولكنى تأنيت ، كما أنتبرتلك أمس ، حتى تكرر الطلب ، وحيث تواعدنا على المقابلة فى دار الحماية (دار المندوب السامى) فى الساعة السادسة والنصف بعد الظهر من يوم الاثنين الماضى ، واستمر الحديث من الساعة السادسة وخمس دقائق إلى الساعة الثامنة . بدأ مستر كار بأن قدم لى سيجارة ، وقال : يظهر أننى معروف بينكم بأننى رجل شديد القلت : « لا . . ولكنك معروف بيننا أنك راغب فى إصلاح ما فسد ، بيد أننا لا نرى لهذا الإصلاح أثراً . . فابتسم مستر كار وقال : « إذن لى سمعة حسنة لى حد ما ، ويمكننا حيثن أن نتكلم بصراحة . فضحكت وقلت : « لاتعجل ، فإنك لم تصلح بعد شيئاً ، . . أن تصلح كثيراً ، لترفع المظالم التى ارتكبت . »

« ثم كلمنى مستر كار كلاماً طويلاً ، لا أرى لزوماً لكتابته هنا : « خاص بى . وإنما أذكر جملة ، فأقول إنه صرح لى بأنه كان الأمر باهراً وإقبال جريدة البلاغ ، لاعتقاده أنى عملت إظهاره أمام المصريين بمظهر الرجل الذى يدبر المؤامرات ضدهم ، ومن ذلك ما كتبه عنه ، فى دعوته على ياسا يكن وبعد الخالق ثروت باشا لى ذهيته ، وفى حضوره وليمة فى كلوب محمد حوتم الأحرار الدستوريين . وقد قلت له هنا : « لماذا تكره أن يعرف عنك أنك صديق لهؤلاء الناس ، فى حين أنهم أصداؤك صلاً ؟ » . فقال : « نعم لى أكرههم ، ولكنى لا أدبر مؤامرة معهم . » قلت : « إن الرجل القوي الذى يعرف أنه يستطيع بقوة أن يفلد ما يريد ، ليس محتاجاً لى تدبير مؤامرات ، إذ المؤامرات إنما تكون من

تأن الضميف الذى يريد أن يصل من طريق الحيلة إلى ما لا يصل إليه من طريق القوة ، وأنت على كل حال تخدم وطنك . وتنفذ سياسة لحكومتك ، أما الذين لا يخدمون وطنهم ، بل يعملون بالملك على إلحاق الكذى بوطنهم . فهم الآخرون ! » : فقال مستر كار : « أنت تعنى بذلك عدلى باشا وثروت باشا ، وأمثالهما ، وكأنك حينئذ تريد أن تقول إنى أترك لهم أن يتأمروا على ، ويخدعوني ، ثم تبسم وقال : « أشكرك على هذا المديح ! » قلت : « قد لا يخدمونك أنت شخصياً ، ولكنهم - على كل حال - خدعوا سياستهم طول العام الماضى ، وجعلوكم تعتقدون مالا يمكن أن يكون ! » .

وقال لى مستر كار إنه فى الواقع دعا عدلى باشا وثروت باشا إلى ذهبيته ، ودعا أيضاً مستر إيموس (المستشار القضائى) . ولكن كان الغرض من الاجتماع تقديم خدمة لمصر ، لأنه كان قبل ذلك يوم قد تكلم مع عدلى باشا فى إلغاء الأحكام العرفية ، وكانا قد اتفقا على ذلك ، ولكن بما أنهما رجلا سياسيان ، وإلغاء الأحكام العرفية يستلزم البحث فيه من الوجهة القضائية ، فقد طلب عدلى باشا أن يحضر معه فى اليوم التالى ثروت باشا . وطلب مستر كار أن يحضر مستر إيموس ، وذلك للبحث فى المسألة من أوجهها القضائية . وبعد أن شرح لى مستر كار ذلك قال : « هذا كان الغرض من الاجتماع فى ذهبيتى ، فهو اجتماع كان يراد منه تقديم خدمة لمصر » . فقلت : « لو أننى عرفت ذلك ، لقبلت أن أكون واحداً من المجتمعين ، ليكون فيكم على الأقل واحد من غير الرجال الذين وضعوا سياسة ٢٨ فبراير » . واستمر الكلام على هذا النحو قليلا ، ثم انتقل إلى الانتخابات ، واشترك المنفيين والمجرنين والمعتقلين فيها ، وهو ما كتبت لكم أمس ولا لزوم لإعادته .

« وتكلمنا فى سعد زغلول وعدلى باشا ، فكان من رأيه أن عدلى باشا هو الرجل

الوحيد الحكيم في مصر ، قلت له : « إن عدلى باشا رجل خلقتموه أنتم . وعصديكم
بنفوذكم ، ولولا ذلك ، ما كان له وجود ، وأنتم تعرفون ذلك . ولكنكم ترون فيه
وجلا يقبل منكم إعطاء الألقاب ، دون مدلولاتها ، فأنتم تؤيدونه لهذا الغرض وحده » .
فقال مستر كار : « ولكن سعد باشا ليس رجلاً عالياً » . قالت : « وهل تظن
حينئذ أنه شاعر ، يعيش في الخيال ، أو تظن أنه عديم التجربة ؟ » . قال :
« أعترف بأنه خطيب ، ولكن لا أظنه يزيد على ذلك » . قلت : « لا يقول ذلك
إلا رجل يجهل سعد باشا » . قال : « لا تؤاخذنى ، فلنرى — في الحقيقة — لم أعرفه ،
ولم أحادثه ، لأننى حليث عهد بمصر وساستها » . قلت : « لو أنك عرفت وحدته ،
لكان لك فيه رأى آخر ، ولعرفت أن الرجل الذى عالج منصب الوزارة عدة مرات
والذى شهد له كل الذين احتكوا به في العمل — سواء كانوا إنجليزاً أو غير إنجليز —
بالمقدرة والكفاءة ، ليس خيالياً ، ومع ذلك ألم تقرأ تقرير لجنة ملتر ٢ » . فقال
مستر كار : « نعم ، قرأته جيداً » . قلت : « وهل رأيت فيه أن العمل الذى
كان سعد باشا يعمله في مفاوضاته مع لجنة ملتر كان عمل رجل خيالى ؟ »
قال : « ولكن سعد باشا لم يقبل مشروع ملتر » . قلت : « لم يقبله ، غير أنه قدم
تحفظات تجعل كلمة الاستقلال التى فيه ، ذات معنى ، فرفضتم أنتم ، وبعد
رفضكم هذه التحفظات ، اضطررتم إلى إعطاء أمها ، وهو إلغاء الحماية ، وإقالة
بعض المستشارين في الوزارات ، ولم تستفيدوا من هذا الإعطاء شيئاً » . فقال مستر
كار : « وماذا تريد ؟ إن سعد باشا هو شخصية غير مرغوب فيها في لندن » .
قلت : « وماذا ؟ هل لذلك من سبب غير ما نعرفه من أنكم لا تريدون أن تعرفوا
المصريين » . اعترافاً صحيحاً ؟ فقال : « لا أدري » . ولم يرد أن يجيب !

• • •

وانتقل بي مستر كار بعد ذلك فجأة إلى البروجندا التي للمصريين في لندن ، فقال : « كان من أعظم غلطات سعد باشا أنه احتسب في جريدة الديلي هيرالد (لسان حال حزب العمال البريطاني) . إنها جريدة محضرة ، تعطى الإنجليز صورة سيئة في كل ما تكتب فيه ! » . فقلت : « لا أعرف ما هي قيمة حكمك هذا على جريدة الديلي هيرالد ، لأنني لست خبيراً بالجرائد الإنجليزية ، ولكن أي ذنب لسعد باشا فيما فعله ؟ ضع نفسك مكانه ، وقل لي بإخلاص هل كنت تفعل غير ما فعله ؟ إنه ذهب إلى لندن ، وبحث فيها عن جرائد توصل آراءه إلى الرأي العام البريطاني ، فلم يجد غير الديلي هيرالد ، فاشترى بعض أسهمها ، فهذه الجريدة تدافع الآن عنه ، وعن آرائه ، وعن القضية المصرية بالإجمال دفاعاً عادلاً ! » . قال مستر كار : « لو كنت مكان سعد باشا لقطععت صليبي بالديلي هيرالد ! » فقلت له : « لا أصدق أنك ترفض أن يكون لك نصير في بلد أنت محتاج فيه لكل من ينصرك ، ومع ذلك كيف تتصور أن يقطع سعد باشا الآن صلته بهذه الجريدة ؟ » . قال مستر كار : « ما عليه إلا أن يكف عن أن يلجأ لما التقود التي يرسلها إليها من وقت لآخر » . قلت : « اسمح لي أن أقول إن معلوماتك في هذا خطأ محض ، فإنه لا سعد باشا ولا أحد غيره من أنصاره دفع لهذه الجريدة نقوداً . أما قطع الصلة فع أنه غير مرغوب فيه ، فهو مستحيل أيضاً ، لأنه لا يمكن تصوره إلا في حالة واحدة ، هي أن يبيع سعد باشا الأسهم التي في يده ، فهل نظن أنه إذا عرضها للبيع يجد من يشتريها ؟ » . قال : « كلا » . قلت : « إذن ليس القطع ممكناً ، وهو غير مرغوب فيه كما قلت لك ، لأننا محتاجون لكل جريدة ترفع صوتنا في لندن » . فقال مستر كار : « أنتم تعتمدون أيضاً على رجل غير محترم في نظر الرأي العام البريطاني ! » . فقلت : « ومن هو ؟ » . قال : « هو

لأنهم ديفيز . . إنكم تدفعون له نقوداً لتشتروا خدمته . ولكنه لا يمكن أن يفيدكم بشيء . أتريدون نصيحة مني ؟ أصبح انكم بإسلا من بأن تشهدوا على رجال مثل مستر « سبور » الرجل المحترم ا . . قلت : « ذاك تصور أن المال لديها كثير ، لا تعرف ماذا تفعل به . حتى تدفعه لهذه الجريدة . أو هذا الرجل . . أؤكد لك أنني لم أعلم إلى هذه الساعة أن أحداً من المصريين يدفع لمستر « لانجوان ديفيز » نقوداً ا . . فقال مستر كار : « أنت إذن لا تعرف ما هنالك . . فاستخير تعرف الحقيقة ا . . . قلت : « ألم تصادروا أموال الثورة ؟ وأموال الزغلوليين ؟ لا . لا . دع هذا ، إذا أردت أن تعرف نظرية المصريين في استعانتهم بأحرار إنجلترا . فنظريتهم هي أنهم يرحبون بكل من يؤيدهم منهم ، ويرفع صوتهم ، وهم لا ينظرون في ذلك إلا إلى شيء واحد هو خدمة قضيتهم » .

وتكلمنا بعد ذلك في الدستور ، فقال مستر كار : « ما رأيك فيه ؟ » . قلت : « رأي أنه ناقص ، ومعتل التنفيذ » . فقال : « أحب أن أعرف شيئاً من انتقاداتك على الدستور في ذاته ؟ » . قلت : « أول هذه الانتقادات أنه لم يذكر حدود الدولة المصرية ، وأنه أغفل السودان ... » ، فقاطعتي قائلاً : « لا . لا . . دع مسألة السودان جانباً ، وكلمني في غيرها » . قلت : « إننا نحن المصريين لا يمكن أن نتنازل عن التمسك بالسودان ، ومع ذلك فهناك غير هذا النقص . . في الدستور نقائص رجعية كثيرة ، منها أن الدستور قرر حرية الصحافة ثم هدمها ا . . » .

وكان نص الدستور أمامه ، فأخذ مستر كار ، وقرأ المادة الخاصة بحرية الصحافة ثم قال : « إنك تشير بذلك إلى القيد الأخير في المادة ؟ » . قلت : « نعم . وهو قيد مهم ، تستطيع معه كل حكومة مستبلة أن تزعم الصحف ، بدعوى

المحافظة على النظام الاجتماعي ! « فضحك وقال : « إنني أحب ذلك ! » قلت :
« أنت إذن علو الصحافة ! » .

• • •

وسألني مستر كار عن انتقاد آخر ، قلت : « إن حرية الاجتماع قررت ،
ثم هدمت ! وإن المسؤولية الوزارية قررت ، ثم أعطى الوزراء مخرجاً منها بإرجائهم
الاقتراع ثمانية أيام ، كى يتسع لديهم الوقت ، لدس السمائس واستالة النواب ! » .
فقال : « إن أمراً كهذا يوجد في دستور بولندا ! » . قلت : « ألم تجعلوا لنا
إلا دستور بولندا تأخذ منه ؟ » . وسألني مستر كار عن انتقاد آخر ، قلت :
« إن المادة الخاصة بتعديل الدستور تجعل التعديل مستحيلاً ؛ إذا لم يكن الملك
راضياً به ! » . فنازعني مستر كار في ذلك ، وقال : « إن البرلمان يستطيع أن
يجبر الملك على التعديل ، كما يجبره على أى قانون آخر ، بالطريق البرلماني » .
قلت : « كلا ! أنت غلطى في هذا » . قال : « بينى وبينك نص المادة ! » .
قلت : « اقرأها ! » . فبحث مستر كار عنها ، ثم قرأها بإمعان وقال : « صدقت :
ولكن الملك فؤاد لا يحسر على أن يقف في وجه الشعب ! » . قلت : « وهل الدستور
يوضح ، ليكون منظوراً فيه أن هذا الملك يحسر ، وذاك لا يحسر ؟ » . فقال : « إنني
مندهش من ملاحظتك هذه ، فقد كنت أظن أنكم لا تكفرون سلطة الملك ! » .
قلت : « إذن كنت تظن أننا إذا طلبنا السلطة للشعب فإنما نطلبها ونحن لا نعرف
معناها ! » . قال : « وماذا كنتم تقولون لو أن الدستور صدر ، كما كان نسيم باشا
قد وضعه ؟ » . قلت : « كنا نحتج أكثر مما نحتج اليوم ! » .

عبد القادر حمزة

ولقد كان ما يقابل حكومة المحافظين في إنجلترا اتصالات سعد زغلول بالاشرايين

فى إنجلترا . وأنه اشترى أسهماً فى جريدة (اللدىلى هيرالد) لسان حال حزب العمال ، وأنه كان على اتصال مستمر بأحد الاشتراكيين المتطرفين وهو مسر « لانجلون ديفيز » من العمال المتطرفين . وكان الشاعفون يتهمون العمال بأن مبادئهم هدامة ستخرب بريطانيا !! وكانوا فى فرغ من الاتصال الوثيق بين سعد زغلول وبينهم ، وكان مما يشير الإنجليز أيضاً أعمال العنف التى يقوم بها الجهاز السرى . والتى لم تقطع طوال الثورة ! لقد استطاع الجهاز السرى أن يجعل حياة الموظفين الإنجليز فى مصر غير مريحة ! إن بين يدى بركة أرسلها لورد اللنبي أثناء الثورة إلى لورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية هذا نصها : « من الفيلد مارشال الفيكونت اللنبي ، إلى ماركيز كيرزون أوف كيدلستون . (وصلت ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ تلغرافياً) : « القاهرة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ : إن مستشار وزارة الداخلية ، ومستشار وزارة المالية بالنيابة ، ومستشار وزارة المعارف ، والمستشار القضائى بالنيابة ، مجمعون على أن أى قرار لا يعترف بمبدأ استقلال مصر ، أو أى قرار يتمسك بالحماية من المؤكد أن يثير مغامرة خطيرة تؤدى إلى ثورة فى أنحاء البلاد ، وتؤدى إلى فوضى إدارية ، وتجعل الحكم مستحيلاً . . من المستحيل مباشرة أى سيطرة بريطانية بدون التعاون المصرى الكامل فى كل فروع الإدارة . ظهر ذلك فى ربيع ١٩١٩ عندما حدثت محاولة للحكم بدون وزارة مصرية ، ومع إضراب جزء كبير من الموظفين المصريين . ومالم تكن حكومة جلالة ملك بريطانيا مستعدة لتقديم إرضاء جوهري لأمانى الشعب المصرى فسيكون من المستحيل تكوين أى وزارة . . لقد استطاعت قوتنا العسكرية الشديدة وهى تعمل بعنف ، أن تحافظ على قدر معين من الأمن للحياة والممتلكات فى المدن الكبرى ، ولكن المهمة ستكون أكثر صعوبة فى الأقاليم » (انتهت بركة لورد اللنبي السرية) .

واستمرت حوادث العنف والاعتقالات ضد الإنجليز ، إلى أول فبراير سنة ١٩٢٢ ..
وبدأ الإنجليز يلوحون بإلقاء الحماية ! وأعلنوا أن لورد ألنبي سافر إلى لندن ليتفق
على إعلان الاستقلال !
ولكن الجهاز السرى لم يؤخذ بالألفاظ !

• • •

أصدر نائب اللورد ألنبي المندوب السامى البريطانى أمراً إلى البوليس بعمل
دوريات مسلحة ، برياسة ضابط إنجليزى ، تقف عند مفترق الطرق ، لتفتيش
المارة راجلين أو ركوباً وضبط ما معهم من الأسلحة ، وإطلاق الرصاص فوراً
على كل مسلح يحاول الفرار من التفتيش ! واحتلت الدوريات العسكرية جميع
منافذ الشوارع الكبرى فى العاصمة ، وتمحلت فى جميع الأحياء بالليل والنهار :
وكانت توقف السيارات والعربات الحظطور وعربات النقل ، وتفتشها ! وتوهمت
أن أعضاء الجهاز السرى يتكفرون بالملايات اللف ، ويمحقون داخل الملايات اللف
المسلحات . . . ! وتقرر الاستعانة بسيدات مالطيات - من اللائى يعملن فى الجيش
البريطانى - لتتولى السيدات تفتيش المصريات المشتبه فيهن ! وأصدر نائب اللورد
ألنبي أمراً إلى السلطات البريطانية فى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ بتفتيش ١٣٤٠ متراً
وعلا تجارياً فى العاصمة فى جميع الأحياء ، بحثاً عن الأسلحة التى يقتل بها الإنجليز !
ولكن الاعتقالات استمرت .

• • •

وفى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٢ أطلق مجهولون الرصاص على المستر « برايس
هوبكنس » أحد كبار الموظفين الإنجليز فى مصر ، وحمل إلى المستشفى فى حالة
خطرة . وفى ١٧ فبراير سنة ١٩٢٢ وجدت جثة المستر « جوردان » أحد كبار

الموظفين الإنجليز ملقاة في شبرا بعد قتله بالرصاص . وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أطلق الرصاص على «مستر براون» أحد كبار موظفي وزارة المعارف بجوار داره في جاردن سيتي . وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أيضاً أطلق الرصاص على «مستر بيتش» المهتمس بمصلحة السكة الحديد في جهة المطرية . وفي يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٢ وجهت القنصليات البريطانية في جميع المدن التحذير التالي إلى جميع رعايا بريطانيا :

« نظرا للحوادث الأخيرة ، تنذر القنصلية البريطانية جميع الرعايا البريطانيين ألا يسيروا في الأماكن الحالية خصوصاً بعد الظلام . وأن يسيروا ، بقدر الأمكان ، مع رفقة غيرهم . ويجدر بالرعايا البريطانيين ، فوق ذلك ، أن يحملوا مسلحات » .

• • •

وفي يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٢٢ أذاعت وزارة الداخلية المصرية البلاغ التالي :

« نصبح القنصل البريطاني لجميع الرعايا الإنجليز بأن يتسلحوا بالمسدسات ، ولا يسيروا في الأحياء غير المطروقة أو في الظلام منفردين » . . وفي نفس اليوم اتصل قائد عام الجيوش البريطانية بالسلطان فؤاد وأبلغه أن الموظفين الإنجليز في الحكومة المصرية في دعر ، لأنهم لا يستطيعون أن يسيروا في الشوارع في المدن إلى أعمالهم ، ويطلبون أن يركبوا سيارات للذهاب إلى أعمالهم والعودة منها ، وأمر السلطان باتخاذ اللازم لإجابة طلب القائد العام . . وفي يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٢ كتبت جريدة (الإجيشيان جازيت) تقول إنها تسجل الخزي والعار على الشعب المصري بسبب هذه الاغتيالات المتكررة على الرعايا الإنجليز ، ورفض المعرير الذين يشاهدون هذه الحوادث التبليغ عنها ، والشهادة ضد المعتدين ! . . ثم قالت :

« إن الحكومة المصرية رخصت على أثر وقوع هذه الاعتداءات المتكررة ، لجميع الموظفين الإنجليز في الحكومة المصرية بركوب سيارات على حساب الحكومة المصرية ذهاباً وإياباً ، من دورهم إلى أماكن أعمالهم وبالعكس ! »



الفصل التاسع

سُر الأُسْطُورِ الستة المشطوبة !
القصر يدير المؤامرات لا غتيال زعيم الثورة
المستس الذي اخفى بعد إطلاق
الرصاص على سعد !

في مذكرات سعد زغلول ستة سطور مشطوبة - شطباً غليظاً ، حتى لا تظهر كلمة واحدة أو حرف واحد من هذه الكلمات الخفية ١ - ويغلب على الظن أن سعد زغلول هو الذي شطب بنفسه هذه الكلمات من مذكراته . . فها هي هذه السطور المشطوبة ؟ . . ولماذا شطبها سعد زغلول ؟ . لأنها بتاريخ يوم الأحد ١٤ يونيو سنة ١٩٢٥ ، وكان سعد زغلول خارج الحكم ، بعد مصرع السردار بسبعة شهور ، وبعد القبض على الدكتور أحمد ماهر والقنصلي ، وبعد أن أعلن الملك فؤاد والإنجليز حرباً شعواء على سعد ، وحاصروا بيته ، وطاردوا رجاله ، وراحوا يتهمونونه بأنه هو الذي دبر قتل الإنجليز ، وأنه خارج على العرش ، وأنه يريد الجمهورية ، وبعد أن حل الملك فؤاد مجلس النواب مرتين . وكانت المرة الأخيرة في أول يوم انعقد فيه مجلس النواب ، لأن المجلس انتخب سعد زغلول رئيساً وأسقط عبدالحق ثروت باشا مرشح الأحزاب التي كان يؤيدها القصر في تلك الأيام ! وبعد أن أنشأ الملك حزب الاتحاد للقضاء على سعد زغلول ! فهل شطب سعد زغلول هذه السطور الستة لأن فيها أشياء خطيرة ، ولأنه عرف أن بيته عرضة للتفتيش ، فرأى أن يحذف هذه السطور ويمر عليها غلطة مرات حتى

لا تظهر ولا تبين ! فلا بد أن هذه السطور خطيرة جدا ، لأن المذكرات مليئة بالآراء الخطيرة التي لم يحذف سعد زغلول كلمة منها !

إنني حاولت أن أقرأ ما وراء الكلمات المشطوبة في المذكرات نفسها ، فلم أستطع ، ولم أجد خطاً رقيقاً . أستطيع أن أسألك به ، ليوصاني إلى العبارات المحذوفة . ولست أعرف لماذا لم يقطع سعد زغلول الورقة كلها ؟ لعله أراد بذلك أن يضع المؤرخين الذين ستقع في أيديهم المذكرات أمام لغز محير ، يقفون عنده طويلاً ، ويحاولون أن يكشفوا سره الغريب . . . ولكنني أستنتج أن سعد زغلول كتب في هذه السطور المشطوبة أنه يأسف لأن ثورة ١٩١٩ لم تنمض في سياستها لنخلع الملك فؤاد وإعلان الجمهورية ، وأنه يتهم الملك فؤاد بأنه دبر اغتياله أكثر من مرة ! . . ولكن كيف يمكن للمؤرخ أن يستنتج هذا الاستنتاج الخطير الكبير ، مع أنه لا توجد كلمة واحدة في السطور الستة المشطوبة ، يمكن أن تقرأها العين : أو المنظار المكبر ؟ كيف يمكن الكشف عن مجهول ، أو عن شيء مظلم ، حالاك السواد ، ليس فيه أي بصيص من نور ؟

ونحاول أن نشمل عوداً من الثقب الذي نرى طريقته في هذا الغلام . إن صفحة المذكرات بين أيدينا ، وسيأتي الكلام في الصفحة المشطوبة نفسها يدل على أن المحذوف هو شيء عن الملك فؤاد ، أو شيء عن الملك فؤاد والورد الذي الذي كان يؤيد الملك ، وكان يمارض بشدة في خلع ، أو إعلان الجمهورية ، ويعتبر وجوده على العرش لا يقل أهمية عن جيش الاحتلال ! فهل المحذوف من الكلمات يتعلق بهذا ؟

ولكن لا يمكنني هذا للاستنتاج الذي وصلت إليه . . . ولهذا لا بد من أن نشمل عوداً ثقاب آخر ، لعله يساعدنا أكثر على الرؤية في الغلام . . إن المكتوب في هذه

الصفحة تتعلق بمقابلة جرت بين الأستاذ حسن صبرى بك المحامى - الذى صار فيما بعد حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء فى عام ١٩٤٠ - وبين الملك فؤاد .

لقد كتب سعد زغلول يقول : « أخبرنى اليوم حسن صبرى بك المحامى أن حسن نشأت باشا (رئيس الديوان الملكى بالنيابة) دعاه لمقابلة جلالته ، فذهب فى الساعة الثالثة ، ومكث لديه إلى ما بعد الساعة الرابعة ، فوجده (الملك) مصغر الوجه ، مكتئباً . وسأله الملك عن الحالة . . . فعرض « حسن صبرى » أنها سيئة . وقال له الملك : « إنه عاملنى (يقصد عامل سعد زغلول) أحسن معاملة ، وأنه كان ينتظر أن أنهى المسألة المصرية بالمفاوضة ، فما أنهيتها . وأنه اجتهد فى جبر خاطرى الكبير بعد إخفاقها ، بتلغراف مملوء بالالطف والعطف ، وأنه كان متفقاً معى على الرضا بما وصلت إليه ، ولكن من حولى غيروا فكرى ، وأنى قابلت لطفه بالأخطا الذين اجتمعوا أمام السراى هاتفين : « الثورة أو سعد ! » . ثم قال (الملك) إنه يجب الاتحاد والوفاق ، وأن الاتحاديين (حزب القصر) يسمون فى الاتحاد بأن يضموا إليهم السعديين والدستوريين ، وضم الأخيرين ذماً شديداً . ولم يوقر الملك على (يكن باشا) ولا حسين رشدى باشا ، ولا عبدالحق ثروت باشا ، ولا إسماعيل صدق باشا . وطعن (الملك) فى غيرهم من الوزراء الدستوريين طعناً بليغاً ، إلى غير ذلك مما لا أذكر تفصيله . ولم يتضح لى الغرض من هذه المقابلة ، ولكن يظهر أنها لحمل حسن صبرى على أن يكون فى صفه ، وأن يذكره بخير ، وألا يكون مع الخديو ، والله أعلم . وإنى أثبت هذه الرواية بكل تحفظ ، وقد أخبرنى فتح الله (بركات باشا) أن حسن صبرى أكد عليه مراراً أن يكتم خبر هذه المقابلة إلا عني ، ونقل (حسن صبرى) أن المؤدعين للورد ألبنى (المنتوب السامى) فى المحطة كانوا قليلين ، وأن من بينهم أحمد خشبة . »

ثم بلى ذلك ستة سطور مشطوبة . . فهل انتهى الكلام عن الملك هنا ، وهل السطور المشطوبة هي عن الورد ألبني مثلا ، لمناسبة استقالته من منصب المنسوب السامى وسفره إلى لندن ؟ . . قطعاً لا . . لأن سعد زغلول يقول بعد هذه السطور المشطوبة مباشرة : « فأتى أن أذكر فيها قاله جلالة حسن صبرى أن الوزراء حملوه على حل مجلس النواب ، واستمانوا عليه بالإنجليز ، وكانوا يريدون إلغاء الدستور أيضاً » .

انتهى الكلام الموجود في الصفحة التي بها السطور الستة المشطوبة ! ومعنى هذا أن الجزء المشطوب بين الكلامين هو قطعاً عن الملك فؤاد ، كما يظهر بوضوح من سياق الحديث .

ولكن أين ما يجعلنا نستنتج أن الكلام هو عن الملك فؤاد ، وأنه دبر اغتيال سعد زغلول مرتين ؟ . . إن الذى تعلمه ، ويعلمه الذين عاصروا سعد زغلول ، أنه كان يعتقد أن الملك فؤاد أراد أن يغتاله بعد عودته في عام ١٩٢٠ من مفاوضاته مع لورد ملر ، وأن السلطان فؤاد علم أن سعد زغلول أثار في المفاوضات الرسمية . أن معنى الاستقلال هو خلع السلطان فؤاد ، لأنه أثر من آثار الحماية البريطانية ، ولأنه معين بقرار من وزير الخارجية البريطانية ، ولأن الاستقلال معناه هو أن ينتخب الشعب حاكمه انتخاباً حراً ، بعد جلاء القوات الإنجليزية ، ولهذا السبب دبر السلطان فؤاد مؤامرة لاغتيال سعد زغلول في أثناء قيامه برحلته في الأقاليم ، وأنه اتفق مع عبدالحق ثروت باشا نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وقتئذ ، ومع مستر كين بويد مدير المخابرات البريطانية ، ومع محمد بدر الدين بك مراقب الأمن العام ، على هذا الاغتيال !

ولكن علمنا وعلم المعاصرين لا قيمة له أمام التاريخ ، فالتاريخ يترك وثائق

ومستندات ، وهو لا يعترف بالمذكرات ، ولا برواية الشهود ، بعد مضي أكثر من أربعين سنة على الحوادث !

وهكذا نعود إلى الظلام من جديد . . نعود لنشعل عوداً ثالثاً من القناب ! . .
لقد أذعنا من قبل في فصل سابق نرس :تعليمات السرية التي أرسلها سعد زغلول من باريس يوم ١٥ أبريل ١٩٢٠ إلى عبدالرحمن فهمي رئيس الجهاز السرى في القاهرة ، وقد جاء فيها عن مركز السلطان بالحرف الواحد : « يمكن محاربة هذا المشروع بالنشرات السرية التي يجب أن تتضمن التحذير من الاقتراب من هذا المركز (مركز رئيس الدولة) إلا بإرادة الأمة ، وبناء على انتخابها ، بعد الحصول على استقلالها التام ، وأن كل قبول لهذا المركز ، تحت سلطة الإنجليز ، مهما كان اسم هذه السلطة - حماية أو مخالفة - يعد خيانة للأمة » . . وعلى أثر هذه التعليمات طبع الجهاز السرى مئات الألوف من المنشورات تقول إن الشعب وحده هو الذى ينتخب رئيس الدولة ، بعد حصول مصر على استقلالها التام ، وأن السلطان فؤاد - الذى يجلس على العرش ، فى ظلى الحماية البريطانية - هو خائن للأمة ! . .
ولكن هذه التعليمات التي أرسلها سعد زغلول يومها ، كانت تعليمات سرية ، ولم تظهر إلا بعد ذلك بأربع وأربعين سنة . . فلعل السلطان فؤاد لم يعرف يومها بنوايا سعد زغلول نحو الجمهورية ، ولكننا نجد بعد ذلك من الوثائق ما يدل على أن الملك فؤاد علم بنوايا سعد زغلول ضد العرش . . فى الصفحة رقم ٢٠٣٣ من مذكرات سعد زغلول يصف اجتماعه مع اللورد ملتر فى وزارة المستعمرات البريطانية فى يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٠ ، بحضور عدلى يكن ومحمد محمود ولطفى السيد ، وكيف قال سعد زغلول : « إننا لا نمانع أن تشتمل المعاهدة على التصريح بأن مصر دولة حرة مستقلة دستورية . جمهورية أو ملكية ، لا مانع من اشتمال المعاهدة على ذلك » . . وفى صفحة ٢٠٥١

من مذكرات سعد زغلول ، ورد أن مستر رولند مندوب اللورد ملتر في المفاوضات عرض عليه برفقة من لورد ملتر إلى اللورد اللنبي المندوب السامي يقول فيها إن المفاوضات ستكون على أساس أن مصر مملكة دستورية ، وأنه لم يحصل كلام في المفاوضات على مركز السلطان ولا على قانون الوراثة ، وأن المفاوضات ستكون بأمر السلطان ، وأن سعد زغلول اعترض على ذلك في حضور عدلي يكن المندوب ملتر . وقال بالحرف الواحد : « نحن نرفض أن نتنازع بأمر السلطان بالاشتراك مع أي إنسان كان ، بل لا نقبل هذا السلطان ! » . ولقد كان عدلي يكن هو أحد أسرار أسرة محمد علي . وابنته متزوجة من شريف صبري شقيق زوجة السلطان . . وليس من المعقول أن يخفي ما حدث في لندن عن السلطان !

بل لقد ظهر أن سر الخلاف بين عدلي وسعد هو هذا الموضوع بالذات ، وإن كان قيل يومها إن الخلاف كان على رئاسة المفاوضات . فالخلاف هو أن سعد زغلول رفض مشروع الاتفاق الذي قدمه لورد ملتر ، وكان عدلي يكن وأنصاره يطالبون بقبوله . . ولقد كتبت أقوال كثيرة في هذا الصدد في كتب التاريخ !

لماذا لم يوافق سعد على مشروع ملتر ؟ ! إنا نجدنا وثيقة تثبت أن من أسباب هذا الخلاف ، بل في مقدمتها . تمسك الإنجليز بالعرش ! ! وأن سعد زغلول كان مستعدا لأن يقبل معاهدة مع بريطانيا ، إذا اعترفت بحق الشعب في أن يختار حاكمه . . وكان سعد يعتقد أنه إذا تخلص الشعب من الحاكم الذي عينته بريطانيا بقرار من وزير خارجيتها ، استطاع الشعب بعد ذلك أن يتخلص من الإنجليز أنفسهم !

وهذه هي نفس خطوات ثورة ٢٣ يوليو ، فلولا أنها تخلصت من الملك ، ثم

تفاجعت من أسيرة محمد، على كلها . لما استطاعت أن تتخلص من حيش الاحتلال البريطاني ولكن الإنجليز في عام ١٩٢١ تمسكوا ببقاء السلطان ، اعتبره قاعدة بريطانية لا تقل أهمية عن جيش الاحتلال وبقاء الموظفين الإنجليز سيطرين على حكومة مصر ! . . . وقد كان الدكتور حامد محمود هو رسول سعد زغلول السرى ، وكان المستر بلنت الماورخ البريطاني المشهور وصديق عرابي ، هو الواسطة بين سعد زغلول ولورد ملتر في المفاوضات . .

إذن فلنشعل عود ثقاب آخر . . ونجد في مذكرات سعد زغلول تقريراً سريعاً كتبه الدكتور حامد محمود عن مقابلته لمستر بلنت ، والتقرير مؤرخ ٢ و ٣ يناير سنة ١٩٢١ وهو بخط الدكتور حامد محمود ، وفيه ما يأتي : « وقد أسف جداً (مستر بلنت) على ما أخبرته به من تشدد الإنجليز بعدم خلع السلطان ، وقال إنها نقطة مضرّة جداً بمصر (مع أني أخبرته من قبل عن هذه المسألة نفسها . ولكنه نسي) . ومستر بلنت يقول أيضاً إن السلطان لن يستمر مدى الدهر ، وكى أخبرته أنه قبل أن تتحل علاقات السلطان مع مصر لسبب من الأسباب ، سيكون السلطان قد ألحق بمصر كل الضرر بمقتضى هذا المشروع (مشروع المعاهدة) .

• • •

وتقرير حامد محمود لسرى يدل بوضوح على أن سعد زغلول كان يعمل على أن تتضمن المعاهدة بين مصر وبريطانيا إعطاء الشعب الحق في خلع السلطان ، وفي انتخاب حاكمه ، بينما أن الإنجليز يصرون على بقاء السلطان ، إصرارهم على بقاء قوة حرية في مصر ، وإصرارهم على أن تكون لهم امتيازات في الحكم . وألا تعقد أى معاهدة بدون رأيهم !

ولقد كتب سعد زغلول في مذكراته صفحة ٢٢٦٨ : « إن التثبيت ببقاء

السلطان . مع كراهية الأمة وأغلب الإخبار له . وأن الدول في الامتيازات لهم . وأن تكون لهم قوة حربية . والاتفاق معاهدة سياسية مدونهم . كل ذلك يدل دلالة واضحة على أنهم يريدون الاحتفاظ بتقوية الحماية دون اسمها . ولو كنت أمتأ مع هذا على بقائنا متعدين بما تركوا لنا من حرية التصرف في أمورنا الداخلية . لكن أول القائلين بالاتفاق . ولكن وجود مثل هذا السلطان مع وجود الإنجليز في وظائفهم أول الأمر . كل هذا يلزمه ألا تقلل هذا الاتفاق . لأنه يتعنى على عوامل التخريب التي لا بد أن تؤثر في البناء الجديد قبل تمامه .

• • •

ولقد بدأ الانقسام بين عدل وسعد على هذه المسألة . وهذا يفسر إصرار السلطان على أن يؤلف هو وفد المفاوضات . وعلى ألا يكون وفد المفاوضات ممثلاً للشعب المصري . وإنما ممثلاً لسلطان مصر ! فالسلطان إذن . عرف أن سعد زغلول كان يريد أن يتخلص منه . ولذا كان من الطبيعي أن يحاول هو أن يتخلص من سعد زغلول . ومن الثورة كلها ! وإذا كان سعد يستطيع أن يتخلص من السلطان بثورة ، فإن السلطان يستطيع أن يتخلص من سعد برصاصة !

وبقى أن نثبت أن الإنجليز أرادوا التخلص من سعد زغلول ! . إن من الطبيعي أن يفكر الإنجليز في التخلص من سعد . ولكن المسألة لا يكتفى فيها بالاستنتاج . إننا نريد أن نثبت هنا كيف اتحدت إرادة السلطان وإرادة الإنجليز على أن مصلحة الطرفين في التخلص من سعد زغلول بعد أن عاد إلى مصر في أبريل عام ١٩٢١ ، واستقبل استقبال الفاتحين وأصبح كذا وصفته جريدة التيمس يوم وصوله (أعظم رجلى في العالم) !

وقال عبد العزيز فهمي في مذكراته . . . استقبل الشعب سعد زغلول استقبال

القائمين، أى أنه لم يبق في البلد أمير ولا وزير ولا حفير إلا هرع الملاقاته.. رؤوس عالية تنحنى.. وتثبت سعد بأنه رئيس الأمة، فله رئاسة الوفد، فنبه عدلى إلى أن دعواه خطيرة، لأن للأمة رئيساً واحداً، هو - إذ ذاك - عظمة السلطان فؤاد.. وعلى الرغم من ذلك أبى سعد إلا الرئاسة، ولما كانت إجابته إلى طلبه مستحيلة، يأبأها كل نظام، فقد رفضها عدلى. عندئذ قامت القيامة، وأخذ سعد يخطب قائلاً عبارته المشهورة: «إن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس!»

فهل يكنى كل هذا... لا.. بل يجب أن نشعل عدة أعواد أخرى من القباب لئرى على ضوءها ما كان يجرى وراء الستار! وهنا نجد أن خير ما تفعل هو أن نأتى بصورة كاملة للموقف في مصر بعد أن بدأ الخلاف يدب بين سعد زغلول وعدلى.. فقد حدث أن دعا سعد زغلول في تلك الأيام عدداً من أعضاء حزب العمال في مجلس العموم البريطانى الذى يمثل المعارضة لزيارة مصر، ليشهدوا بأنفسهم سياسة حكومتهم الفاشية ضد الشعب المصرى، وكيف أنها فرضت على أغلبية الشعب المصرى المفاوضات الذين يفاوضونها في الاستقلال، بغير إرادة هذا الشعب، حتى أصبح «جورج الخامس هو الذى يفاوض جورج الخامس» بتعبير سعد زغلول المشهور. وأصبحت حكومة «عدلى يكن» بفزع من هذه الدعوة، وإلى أعتمد هنا على مذكرات مستشار عدلى يكن باشا نفسه في المفاوضات في تلك الأيام، وهو الدكتور يوسف نحاس الذى صحبه مع الوفد الرسمى إلى إنجلترا وفرنسا. وهنا نحن نشعل العود الأخير من علة الكبريت لئرى على ضوءه ما يجرى في الظلام!

ثروت يستنجد . . بعدلى يكن !

كتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته : صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث : صفحتي ٥٤ و ٥٥ :

« دعاني عدلى يكن باشا إلى الغداء في فندق (ماچستيك) بمدينة فيشي . تحدثنا طويلا . نفى كل منا لأننيه مكنون قلبه . تلقى عدلى خطاباً من الوزارة الخارجية البريطانية جاء فيه أن ثروت (نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية) لا يوافق على سفر أعضاء من البرلمان البريطاني إلى القصر المصري ، وذلك خشية أن يكون وجودهم سبباً في اضطراب الأمن العام ، على أن لورد كيرزون (وزير الخارجية البريطانية) لا يستطيع أن يأبى عليهم جوازات السفر ، اللهم إلا إذا طلبت الحكومة المصرية إليه ذلك رسمياً ، لأن منهم تصرف خطير ضد الحرية ، بيد أن عدلى يكن باشا رئيس الوزراء لا يريد أن يتحمل تبعه هذا الطلب الصريح الرسمى .

فأعددت مشروع رد قلت فيه : « إن أولئك البرلمانيين يستطيعون السفر ، ولكن بصفتهم الشخصية . على ألا يباح لهم التحرى في المسائل السياسية أو التدخل في أمورنا الداخلية ، لأنه ليست لهم صفة رسمية ، أو توكيل لذلك ، وأن زغول سيستخدمهم في إذكاء الاضطرابات القائمة ، فما يساور ثروت من مخاوف له ما يبرره ، وفضلاً عن ذلك فإن البلاد قد أعلنت بكل صراحة استنكارها لكل تدخل أجنبي في مسائلنا الداخلية ، وما علينا إلا أن نضع تحت نظر لورد كيرزون هذه الاعتبارات ، تاركين له الحرية في أن يرفض التصريح بإعطاء جوازات السفر ، أو أن يقيدها بشروط . وقد تسلم عدلى منى مشروع الخطاب الذى وضعته ، على أننى لم أعلم النص الذى

وضعه بالاشتراك مع رشدي باشا نائب رئيس الوزراء ، وكان (على) قد استدعاه من أجل ذلك .

ولم تستطع حكومة المحافظين أن تمنع نواب المعارضين من حزب العمال من السفر إلى مصر . . وسافروا إلى مصر فعلا . وبدأ سعد يقوم برحلات في الأقاليم ، ومعه نواب حزب العمال ، الذين يشهدون بأنفسهم من استقبال الشعب كيف أن حكومة لويد جورج تفاوض حكومة على يكن التي تمثل الأعيان فقط ! . . وأبرق ثروت برقية سرية إلى على يكن يقول له فيها : « إن حكمدار بوليس بورسعيد الإنجليزي حاول أن يمنع سعد زغلول من الزيارة فصاح فيه سعد : « أنت جبان ! » وتراجع الحكمدار . وشتم سعد زغلول الحكومة »

* * *

وكتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته صفحة ٦٠ : « ذهبت لمقابلة على صباح يوم ٢ أكتوبر ، فلما التقينا قلت له : « كيف تسمح حكومتنا بأن تُشتم على ملأ من الناس ؟ وأن يُرمى حكمدار البوليس — وهو يقوم بتأدية واجبه — بأنه جبان والحكومة لا تحرك ساكناً ، ولا تتخذ أية إجراءات بشأن هذه التصرفات المثيرة ؟ . . إن نفوذ سعد يمتد ، وأسهمه في صعود ، وإن وصول النواب البريطانيين — وقد كنا نتوقع أن يكون وجودهم صدمة للوفد — قد شد أزره ، وقوى من نفوذه ، كل ذلك يعجز وأنت يا باشا صامت لا تقول شيئاً » ، وطالبت بتوجيه نداء إلى الأمة ناشدتها أن تغلذ إلى السكينة والاتحاد . وكان عبد الحميد بدوي (باشا) حاضراً أثناء الحديث ، فعارض رأيي قائلاً : « إن سواد الشعب لا يستسيغ مثل هذا النداء ، وقد يكون من الأجدي أن نوجه نداء إلى سعد شخصياً ، أما أن نتوجه إلى البلد بنداء ، فقد يؤوّل هذا بأننا قد أصبحنا من المستضعفين » . فرددت قائلاً : « إن ما لاحظته على وقدنا ،

والإسكندرية احتفالا عظيما ، وخرجت لتحييتهم في الطرقات جموع غفلة الألوان ،
مختلفة الأشكال ، وقد سارعت الحكومة فأصدرت الأوامر المشددة لمنع المظاهرات .
وعلى الرغم من ذلك ، فإن شرمكات صغيرة تطوف الشوارع هاتفة اسعد والاستقلال ،
ويظهر على الحكومة شيء من التردد المتوسف ، فقد وجهت وزارة الداخلية إلى سعد
زغلول يوم أمس كتابا مفاده أن زيارته للمدينة طنطا غير مرغوب فيها ، لأسباب
تتعلق بالأمن العام ، ونفس هذا التنبيه قد أعطى إلى مستر سوان (أحد زعماء حزب
العمال البريطانى) وزملائه ، من الجنرال كوينجريف (القائد العام لقوات الاحتلال
فى مصر) . . وفى المساء حصل تغيير كلى ، فإن هذين الحظرين اللذين انتشر
أمرهما انتشارا عظيما وصارا حديث الناس ، قد ألغيا ، وأصبح سعد والنواب البريطانيون
أحرارا فى تنقلاتهم يذهبون حيث يشاءون . ولك أن تتصور الأثر المكدر الذى أحدثته
هذا التراجع فى أنحاء البلاد ، والتشجيع الذى ظفر به أصدقاء سعد ، ويؤكدون أن
هذه التعليقات الأخيرة مصدرها لندن ، وعلى كلى حال فإنه فشل غير مستحب
للحكومة لأنه يقلل من هيبتها ، وكان بالاستطاعة تفادى هذه السقطة ، مادامت
الحكومة عالة منذ أمد بعيد بالمهدف الحقيقى الذى تهدف إليه زيارة النواب البريطانيين
لمصر ، وإنى شخصيا لنجمل متالم من كل ذلك . . »

ثم يقول الدكتور يوسف نحاس فى صفحة ٦٩ : « وبعد أن اطلع صدق على
هذا الخطاب قال لى : « إن من بين أعضاء وفدنا كثيرا من منتقديه ، منهم محمود
عزى وزير الحرية الذى تفوه بالكلمات الآتية : « إن مفاوضاتنا يعضون فى مفاوضاتهم
كما لو كانوا نساء ! » . . وأكد لى صدق أن هذه الكلمات قد قيلت فعلا ! »

الاستخفاف بالصحافة وعدم اكتراثه للرأى العام وللجماهير ، إن هذه الروح هي أكبر عدو لنا ، وهي أشد إضراراً بنا من أى شىء آخر ، ولا يصح فى الأذهان أن نقول إن الجمهور لا يفهم ، ويجب علينا ألا ندع وسيلة ما من شأنها أن تشعر البلاد بوجودنا ، وأنتا لم نحد - ولن نخيد - ولا قيد شعرة عن برنامجنا ، وهذا النداء سيكون وثيقة من الوثائق التاريخية .

ويظهر أن بدوى لا يعبأ كثيراً بالتاريخ ، إذ أنه قال هازاً كئفيه : « ها . . ها . . التاريخ » !!

ذهبت إلى عدلى فى الساعة الثالثة بعد الظهر فقال لى إنه قد وصلت أخبار جديدة أكثر تفاؤلاً ، « وأن روح المصريين يا عزيزى لعظيمة جداً ، فقد أبرق إلى ثروت أن سعداً قد قبل مقابلة فاترة فى بورسعيد ، وأن فشله فى المنصورة كان ذريعاً » . . ولكن ثروت نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية كان يندع من القاهرة عدلى يكن رئيس الوزراء فى باريس ! فالواقع أن الشعب خرج كله لاستقبال سعد زغلول وضيوفه فى الأقاليم !

يتفاوضون كالنساء !

وفى مذكرات الدكتور يوسف نحاس صفحة ٦٨ :

باريس - الثلاثاء ٤ أكتوبر سنة ١٩٢١ :

« زرت إسماعيل صدق باشا فى غرفته ، وأطلعت على كتاب وصلنى من أشيل صقلى (رئيس تحرير جريدة الحورنال ديكير) جاء فيه أن مستر سوان وزملاءه النواب البريطانيين هم بين ظهرانينا منذ خمسة أيام ، وقد احتفل بهم فى القاهرة

الأمير عمر طوسون

في هذا الوقت أيضاً بدأ كبار الملاك ينفضون نهائياً عن سعد زغلول ، وينضمون إلى معسكر عدلي يكن . وفي صفحة ٧٠ كتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته يقول :

« باريس - الأربعاء ٥ أكتوبر سنة ١٩٢١ : اجتمعت بعدل أنا وإسماعيل صدقي ، وقلت له إن محمود أبو النصر كتب إلى بأن البرنس عمر «لوسون قد تخلى عن سعد وأخذ يتقدمه . فقال لي عدلي : « عرفت الآن لماذا أرسل إلى عمر طوسون برقية تحزية في وفاة قريبة لي قرابة بعيدة ! » .

الإنجليز سيقبضون على سعد

وكتب الدكتور يوسف نحاس في مذكراته صفحتي ٩٥ و٩٦ :

« الأربعاء ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ : في الساعة الثانية والنصف قابل المستر لويد جورج (رئيس الوزراء البريطاني) عدلي يكن باشا (رئيس الوزراء المصري) وكان كيرزون وزير الخارجية مع المستر لويد جورج ، فاستأذن كيرزون بالانصراف . واعتذر لويد جورج بأنه غير متمكن من اللغة الفرنسية واستحضر آتسة لترجم الحديث ، ولكنها لم تكن بتخلق اللغة الفرنسية حذقا يمكنها من اضطلاعها بمهمتها ، فاضطر عدلي أحيانا أن يصحح ترجمتها . . وقال لويد جورج لعدلي : « إن مايلذر زغلول ضدنا في مصر من بذور الحق قد نفرتنا ، وأجفل رأينا

العام والبرلمان والوزارة .. وإن زغلول لا كبير عدو لاستقلالكم ، وإنه لرجل لا يحمل ..
ونحن نثق بك ولكن ليس لنا الثقة بوزارة برئاسة زغلول .

ثم قال الدكتور يوسف نحاس : « إن عدلى لتساوره الشكوك خشية أن يلقي
البريطانيون القبض على زغلول ! »

• • •

وفي صفحتى ٩٣ و ٩٤ كتب الدكتور يوسف نحاس مستشار عدلى باشا
فى مذكراته : « استرضيت مع عدلى باشا فى سيارته ظهرا ، فأقريت حاله المعنوية
متداعية ، وعادته آلام معدته التى كان يشكو منها ، فأخبرت أسرى عنه . . .
سلمت معه بأن القوضى ضاربة أطناها فى البلاد ، وأبدت شديدة أسنى لضعف
ثروت وقلت إنه كان من الواجب عليه أن يحول بين سعد ورجلته إلى الصعيد .
فكان جواب عدلى أن المستر سكود الذى ناب عن اللورد ألبني (المندوب السامى
البريطانى) فى أثناء تغيبه فى إجازة ، عارض هذا المنع الذى أصدره ثروت ، فلم
يكن فى وسعه إلا التسليم ، وهذا لشما هو يفيض ! . . . »

• • •

انتهت مذكرات الدكتور يوسف نحاس مستشار عدلى يكن فى المفاوضات .
ولكن ماذا فعل ثروت باشا عندما أصر أحد النواب العمال على أن يسافروا مع
سعد زغلول إلى الأقايم ؟ . . هنا وضعت الحطة للتخلص من سعد زغلول !
خطة المحاولة الأولى لاغتيال سعد ، التى نستنتج منها أن سعداً أشار إليها فى السطور
السته المشطوبة فى مذكراته : . وهنا تنتهى علية الكبريت التى معنا . . قد أشعلنا
كل أعواد الخشب التى كانت فيها !

أراد الملك قتل !

لا تزال السطور الستة في مذكرات سعد زغلول مطموسة . إننا أضأنا شعاعا بسيطا في ظلامها الدامس ، وليلها الأسود ، ولكننا لم نستطع أن نفهم كل النور ! إن خبراء الخطوط الذين فحصوا السطور المشطوبة تبينوا فيها حرف « ك » في آخر كلمة ملك ، مكتوبا في هذه السطور خمس مرات ، بنفس الطريقة التي يكتب بها سعد زغلول كلمة « الملك » ، ومعنى هذا أن سعد كرر في هذه السطور الستة المشطوبة اسم الملك فؤاد خمس مرات ! فالمحدث المشطوب — إذن — كان عن الملك . . . وقد قلنا إن سعد زغلول كان يتصور دائما ، منذ عام ١٩٢١ أن السلطان فؤاد — الذي أصبح فيما بعد الملك فؤاد — اتفق مع عبد الحالق ثروت باشا (نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية سنة ١٩٢١) ومع الإنجليز ، على قتله . . . ولكن لم يكن لدى سعد زغلول دليل على الجريمة . . . كان لديه وقائع ، وشبهات ، وشكوك ، وريب ، وكان لديه كذلك نقطة اغتياله كما قدمها له جهاز معلوماته في أثناء رحلته في الصعيد . . . ولقد رأى سعد زغلول من التصرفات التي حدثت في رحلته ما جعله يتأكد من هذه المعلومات ، ويعتقد أن خطة اغتياله كانت مسألة متفقا عليها بين جميع السلطات !

. . .

وقد تلقى سعد زغلول في أثناء رحلته في الصعيد مذكرة من جهاز المعلومات في الثورة ، وتترك للأستاذ محمد الأنصارى عضو الجهاز السرى للثورة ١٩١٩ أن يروي في مذكراته ما حدث :

« انتدبت من الجهاز السرى لمراقبة سعد زغلول في رحلته النيلية إلى الصعيد .
وقبل أن نصل إلى أسبوط تلقيت من جهاز المخابرات في الثورة مذكرة خطيرة
بأمرت بعرضها على القور على سعد زغلول وهذا نصها : « وضع محمد بدر الدين
مراقب الأمن العام خطة لقتل سعد زغلول في الصعيد ، وعرض الخطة على ثروت
باشا رئيس الوزراء بالنياحة ووزير الداخلية فأقرها ، وعرضها على الورد أفندي المنتدوب
السامى البريطانى فأقرها ، وعرضها على السلطان فؤاد ، فأقرها ، باختيار أن هذا هو
الطريق الوحيد للخلاص من الثورة ! . . وكانت الخطة في متبى البساطة :

- ١ - أن يرتدى عدد من الخفراء ملابس الأهالى .
- ٢ - أن يحدثوا شغباً في أسبوط عند وصول سعد زغلول .
- ٣ - أن يكذب محمد بدر الدين إلى سعد زغلول بحذره من التزول من
الباحرة النيلية في أسبوط ، مخافة الاعتداء على حياته من الجماهير !
- ٤ - أن يصدق سعد زغلول أن الجماهير تريد أن تعتدى عليه ، فيستحدى
الحكومة وينزل إلى أسبوط ، ليظهر بأنه الزعيم الشعبى . .
- ٥ - يحدث شغب ، ويطلق الرصاص ، ويصاب سعد زغلول برصاصات . .
وتصبح الحكومة غير مسؤولة عن قتله لأنها حذرتة ! » .

هذا هو ما ورد في مذكرات الأستاذ محمد الأنصارى عضو الجهاز السرى
لثورة ١٩١٩ . ولكن كل هذه التفاصيل استنتاجات أو أخبار حصل عليها جهاز
المخابرات للثورة في تلك الأيام ، وقدمها إلى سعد زغلول . . ولكنها ليست إثباتات
يمكن أن يعتمد عليها التاريخ في إصدار حكمه في جريمة كهذه !

• • •

وكتب الأستاذ محمد الأنصارى في مذكراته :

« وحدث بعد ذلك أن وصل إلى الباخرة ضابط بمصرى من قبل الأميرالاي محمود سامى «مد الأورطة المصرية المراقبة على شاطئ النيل في أسيوط ، وسلمنى رسالة سرية من محمود سامى إلى سعد زغلول هذا نصها : «بلغتنا معلومات أن الحكومة تريد اغتيالكم عند وصولكم إلى أسيوط . إن ضباط الأورطة وبنودها مخططون أن يحموكم بأرواحهم . إننا نطلب أن ترسو الباخرة « نوبيا » في حدود الشاطئ المحدد للأورطة ، لتكون في حمايتها وحراستها ، حفاظا للحياة زهيئا من مؤامرة الاغتيال » . وعرضت الرسالة السرية على سعد زغلول ، فأمر بأن ترسو الباخرة حيث طلب الأميرالاي محمود سامى ، الذى كان من أنصار ثورة ١٩١٩ . ولكن محاولة اغتيال سعد زغلول استمرت . . وقد أطلق الرصاص فعلا على الباخرة في المكان الذى كان يقف فيه سعد زغلول ليخطب إبلهاهير أ ولكن الرصاصة لم تقتل سعد زغلول ، وإنما قتلت أحد أنصار الحكومة وهو نجفير تنكر « . . »

انتهت هذه الصفحة من مذكرات الأستاذ محمد الأنصارى عضو الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .

خطاب إلى السلطان

وقد كتب سعد زغلول خطابا إلى السلطان فؤاد يحث فيه على حكومته وريثتها في انقلاب بأنها : « عدت أخيراً إلى أخطر الوسائل ، وأشدّها سلباً للعلمانية ، وضراً بالنظام ، ذلك أنها أباحت لبعض المتشبهين للوزارة بأن يستأجر بعض الأشرار ، ويؤويهم بأسلحتهم وعصبيهم في أسيوط ، لإحداث بعض الشغب

عند قدومنا ، وفعلنا أحدثوه بأن هدموا الترنات التي كانت منصوبة ، وضربوا المختطفين ، وأغرقوا بعضهم ، وأسألوهم الآخرين . وتأكدنا أن الإشارة التي أعطيت لارتكاب هذا الشغب كانت من أحد المكلفين بحفظ النظام ، وعرض القبض على المشايخ السفاكين ، أمر مراقب الأمن العام بمنى من التزول إلى المدينة ، وكتب إلى " بلك " ، ولم أؤد معارضته منة لفتة ، وضنا لأيام ملككم أن تخضب بالدماء ، فبارحنا أسويط إلى جرجا .

« غير أننا علمنا في أثناء الطريق من مصادر موثوق بها ، أن مدير جرجا أخبر مراقب الأمن العام (محمد بدر الدين) بأنه سيحدث في سوهاج عند قدومنا إليها أشد مما حدث في أسويط ، وأنه أمر مأموري المراكز بأن يرسلوا المتشردين والمشبوهين مع الأسلحة إلى سوهاج ، كما أنه جمع فيها أغلب صاكر بلاد المديرية ، وأكثر خفرائها ، في رى الأهالي ، وكلف كل قنبلة أن يستحضر من ناحية عدد من الأقارب بنبايتهم ، وتنتقل في المراكز أمس ، وعقد عدة اجتماعات حث الناس فيها على أن يعارضوا بالقوة زيارتي لمدينة سوهاج » .

• • •

وفي صفحة ٣٧١ من كتاب سعد زغلول للأستاذ العقاد قال : « كان مدير الأمن العام والمفتش الإنجليزي يطوفان الأقاليم لتحريض كل من يأنسون فيه معارضة لسعد على المقاومة ، والاستعداد للمهاجمة . وفي أسويط أعدت الإدارة مئات من الخفراء لابسين الملابس الأهلية ، مزودين بسلح الحكومة . وأرسلت في دار على مقربة من مرمى السفينة أناسا من أتباع السراة المنبشرين عن الوفد المصري - يتجهونهم للخدمة والعصبة لا للرأى السيامى والعقيدة » .

وفي صفحة ٣٧٢ من نفس الكتاب : « وبينما كانت جماهير القرى تلتق بأقفسها

في غمار النيل ، وتستهدف الضرب والقتل والفرق لتسيح إلى الباخرة وتسمع سعد زغلول تنافها ودعائها ، كان المديرين والموظفون في كل مكان يحولون بين سعد والزول إلى البرصانة من الجهادير ، ومحافظة على حياته من الأعداء السياسيين .. ولم لا ؟ . . ظل عددا من هؤلاء كان مستعدا في غمار المجتمعين بأسير لإطلاق الرصاص على سعد ، والنتيجة بجماته ، بين الخفاء المشغولين بالمحافظة على النظام والجهادير المشغولة بالدفاع عن نفسها أو الملهولة من هول الحادث الشنيع ! ،

من الذي أطلق النار ؟

وعندما أطلقت النيران في أسير قتل أحد الخفاء المتنكرين وقيل إن الذي أطلق الرصاص هو الأستاذ حامد جودة . وتقدم حامد جودة فعلا معرّفا بالقتل طالبا سماع الشهود من الفريقين ، حتى يكشف بذلك المؤامرة كلها ، فأبى المحقق أن يدون في محضر التحقيق هذا الإقرار . وكان سعد زغلول يؤكد أن الرصاص أطلقه رجال الحكومة ، وأنه هو الذي كان مقصوداً بهذا الرصاص ! . . وكان ثروت باشا نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية يؤكد أن هذه تخيلات في رأس سعد زغلول . . وأن الذي أطلق الرصاص هم أنصار سعد وحدهم ، وأن الخفير قتل برصانة أحد أنصار سعد زغلول ! . . وجاء النائب العموي وقال إنه حقق المسألة وثبت أن الرصاص أطلق من أنصار سعد زغلول فعلا ، وأن الرصانة التي قتلت الخفير هي من رصاص أنصار سعد زغلول ! . . . ووجدت الحكومة بتقديم أنصار سعد زغلول إلى محكمة الجنايات بتهمة القتل العمد !

واجتمع الوزراء برئاسة ثروت وبم حضور النائب العام ، وبحشوا في تقديم سعد زغلول نفسه إلى محكمة الجنائيات بتهمة أنه المحرض على إحداث شغب في أسبوط ، وأنه حرض على الاحتفاء على رجال السلطة التنفيذية ، وأن أنصاره هم الذين أطلقوا الرصاص ، وقتلوا خفير الحكومة | وتحمس الوزراء لتقديم سعد زغلول إلى محكمة الجنائيات ، وتحمس معهم النائب العام الذي تول بنفسه التحقيق ! . . وكان المقصود من هذا تغطية مؤامرة اغتيال سعد زغلول في أسبوط ! . . وفيجأة توقف التحقيق ، وبقي السر في هذا التوقف مكتوما من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٥٨ ، عندما نشر الدكتور « سيدنى سميت » الطبيب الشرعي مذكراته ، وهو الذي فحص جثة الخفير وجثث اللين أصيبوا بالرصاص في أسبوط ، وظهرت الحقيقة ! وفي صفحتي ٨٨ و ٨٩ من المذكرات يقول الدكتور سيدنى سميت بالحرف الواحد :

« كان سعد زغلول يقوم برحلة خطافية في الصعيد عندما وقعت بعض الاضطرابات ، وأطلقت النار على بعض الأهالي ، وأدت تحريات النيابة إلى أن كل الضحايا أصيبوا بنيران أنصار سعد زغلول . وفحص الدكتور عامر الجثث فلم يطمئن إلى صحة استنتاج النيابة ، وأرسلت العينات إلى معمل الطب الشرعي لفحصها ، فلم يظهر من العلامات التي بالجثث أنها ناتجة من رصاص مسدسات أو شحنة من طلقة نارية . بل كانت العلامات مطابقة لطلقات المربعة الشكل التي يستخدمها خفراء الحكومة الرسميون واستطعت أن أتأكد من ذلك عندما اكتشفت طلقة أحد الخفراء ملتصقة بالدم في داخل أحد الأتواب ! وقدمت تقريراً برأني إلى النيابة العامة ، وقلت إن النار أطلقت من رجال الحكومة لا من رجال سعد زغلول أو كان من الواضح أن هذا التقرير يزجج الحكومة كثيراً ، لأن الحكومة

أعلنت في تصريحات رسمية علنية أن أنصار سعد زغلول هم الذين أطلقوا النار ! .
وأرسل النائب العام في طلبى ، وسألنى النائب العام : « لماذا تفترض يا دكتور أن
خبراء الحكومة مسئولون عن هذه الوفيات بإطلاق النار ؟ إن أمامى دليلا حاسما
على أن أنصار سعد زغلول مسئولون وحدهم عن إطلاق النار ، وعن كل طلقة
من الطلقات » . قلت : « قد يكون الأمر كذلك يا صاحب السعادة ، ولكن إذا
كان هؤلاء الناس قد قتلوا بيد أنصار سعد زغلول ، فلا بد أن أنصار سعد زغلول
مزدودون بأسلحة حكومية وبلخائف حكومية ! » قال النائب العام : « يؤسفنى أن
تقف هذا الموقف ، وإنى أود - نظرا للأدلة التى عرضتها عليك - أن أعيد النظر
فى تقريرك ! » . قلت : « يا صاحب السعادة ، إن تقريرى يتعلق بما وجدته فعلا ،
ولن أعيد النظر فيه . إن ما تفعلونه بتقريرى أمر لا يهمنى ، ولكنى لا أستطيع أن
أغير التقرير ! »

« وهذا ما كان . ألغت الحكومة المحاكمات التى كانت على وشك أن تبدأ ،
وأخشى أن يكون تقريرى قد وضع على الرف ، إذ أننى لم أسمع عنه كلمة بعد
ذلك ! » .

• • •

انتهت مذكرات الدكتور سيدنى سميث كبير الأطباء الشرعيين فى مصر
فهل يكتفى هذا لإثبات أن ثروت باشا ، وبدر الدين مراقب الأمن العام ، اللذين كانا
يعملان مع السلطان والورد اللبى ، هما اللذان دبوا اغتيال سعد زغلول ؟ !
لا بد من وثيقة أخرى تؤيد كل هذا ! لا بد من اعتراف ، أو شهادة مكتوبة تقول
صراحة إن ثروت باشا وبدر الدين دبوا فعلا اغتيال سعد زغلول فى أثناء رحلاته فى
الأقاليم فى تلك الأيام . . . وهنا نجد مذكرات قاضى كان رئيسا لحكمة استئناف

مصر ، إن فيها الدليل الخطير ! ففي مذكرات عبد العظيم راشد باشا رئيس محكمة استئناف مصر ، ووزير الأشغال السابق ، كتب في يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٨ ، بعنوان « حديث مع محمود يوسف رشاد باشا » :

« قال لي محمود رشاد باشا إن ثروت باشا ، عند زيارة سعد باشا للمنصورة — وكان رشاد باشا عندئذ مديرا للدقهلية — كان ثروت يريد قتل سعد باشا بالفعل ، لأن بدر الدين بك (مراقب الأمن العام) يومئذ حضر إلى المنصورة وأسر الأمر إلى حكمدار البوليس قائلا له : « نريد أن نخلص من سعد باشا هنا » ، فنقل الحكمدار الأمر إلى المدير (محمود رشاد باشا نفسه) . وحضر حمام يقول إنه يريد أن يمشي في حطة سعد باشا ومعه ١٥٠ نفرا من البحر الصغير لينادوا : « يحيا عدلي باشا ! » . وعلم المدير محمود رشاد باشا أنهم يحملون نبايت ، وقال المدير للمحامي أمام بدر الدين ، إنه إذا فعل ذلك فسوف يحبسوه هو ومن معه . وصعدت اعترض بدر الدين ، وطلب في النهاية إلى المدير رشاد باشا أن يطلب تعليقات ثروت باشا (وزير الداخلية) تليفونيا ، وأبى المدير رشاد باشا ذلك . ثم تلى المدير رشاد باشا تليفونيا من ثروت باشا يقول له : « سيحضر عندكم سعد باشا ، وبالطبع سيحصل هيجان في الخيمة ، والباقي معروف ! . فاهمني ؟ » . . ويفسر رشاد باشا (مدير الدقهلية يومئذ) ذلك مع ما قاله بدر الدين للحكمدار ، بأن ثروت باشا كان يريد قتل سعد زغلول ! » .

ثم تمضي مذكرات عبد العظيم راشد باشا فتقول : « وأضاف رشاد باشا إلى ما تقدم أنه لام محفوظ باشا على ما صنع نحو سعد باشا بأسبوط . ويقول رشاد باشا إن جواب محفوظ باشا كان بمثابة اعتراف ، حيث قال : « إنه طلب منه قتل سعد باشا ، ولكنه رفض ! » .

انتهى ما كتبه المرحوم عبد العظيم راشد باشا رئيس محكمة استئناف مصر في مذكراته . وقد كان سعد زغلول واقفا من المؤامرة التي دبرها السلطان فؤاد والإنجليز وثروت باشا لاغتيا له ، وعهدوا إلى محمد بدر الدين بالتنفيذ . ولقد أطلق محمود النحاس عضواً للجهاز السرى لثورة ١٩١٩ الرصاص عقب ذلك يشهور على محمد بدر الدين ، فأصابه في صدره بجروح بليغة ولم يقتله . . وعندما مات بدر الدين بعد ذلك بثلاث سنوات موتاً طبيعياً ، بأزمة قلبية في قطار بفرنسا ، وكان الملك قد أنعم عليه بلقب الباشوية ، وأصبح بدر الدين باشا ، كتب سعد زغلول في مذكراته يوم الجمعة ١٢ يونيو سنة ١٩٢٥ يقول :

« نعت أخبار أوروبا وفاة بدر الدين باشا في السكة الحديد بين مرسيليا وباريس . وكثير من الناس شمتوا فيه ، ولكن لا ينبغي أن يشمت في الموت شامت ، لأنهم مصيبة عامة لا يخلو منها إنسان ، ولا يعرف أحد متى تنزل به ، ولا بأي أرض تدركه . على أن الشمتة في عمومها ، من أخلاق الأذنياء ، لا من صفات الشرفاء . . »

انتهت قصة محاولة اغتيال سعد زغلول الأولى . . ولكننا نريد أن نثبت أن الملك فؤاد أراد أن يقتل سعد زغلول مرتين ، وأن السطور المشطوبة في مذكراته تشير إلى ذلك . والمحاولة الأولى قد وقعت عام ١٩٢١ ، وبعد أن فشلت المحاولة بشهور قبض الإنجليز على سعد ونفوه إلى عدن ثم إلى سيشل ، ثم إلى جبل طارق . وهنا قد يقول قائل : « لعل الملك فؤاد أراد ، في المرة الأولى ، أن يقتل سعد زغلول بالرصاص في عام ١٩٢١ ، ولعله في المرة الثانية أراد أن يقتله سياسياً » . .

والواقع أن الملك فؤاد تحالف مع الإنجليز ووزارة زيور باشا وأعلنوا الحرب على سعد زغلول بعد استقالته عقب مصرع السردار . . وكانت حرباً شعواء ، قاسية ، مستمرة ، وحشية ، استعملت فيها كل الوسائل والأسلحة للقضاء على سعد زغلول

وثورة ١٩١٩ . . . وفي مذكرات سعد زغلول صورة هذه الحرب ، وأسبابها ، وهي صورة أيضاً عن الطبقة العالية وأصحاب المناصب الكبيرة ، الذين لا يستطيعون أن يصمدوا للظفان ، ولا أن يشتوا أمام الاضطهاد ، وكيف جاء وقت من الأوقات كان كبار موظفي الدولة يعاملون بسعد زغلول كنبرؤ ، يخشون مصافحته ، ويتخفون من محادثته ، خشية أن يغضب السلطان !

وكتب سعد زغلول في مذكراته يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٥ : « الحالة العامة الآن في البلاد رديئة جداً ، فإن الحكومة أصبحت استبدادية ، بالمعنى المطلق ، فهي لا تحترم حقاً ، ولا عدلاً ، ولا قانوناً ، ولا تحجم عن أى متكر يحقق غرضها ، وغرضها إلغاء النهضة القومية ، وإماتها ، بحيث ينصرف الناس عن الاشتغال بالسياسة ، ويعملون عن المطالبة بالاستقلال عدولاً تاماً ، ويستبدلون الحركة العامة التي ابتدأوها ، وخطت بهم خطوات واسعة ، بالسكون المطلق عنها ، وبذلك ينهياً لما الوصول إلى الحصول على مجلس نواب من المسلمين الذين لاهم لهم من الحياة ، إلا أن يملأوا بطونهم وجيوبهم ، وحينئذ تتمكن من الاتفاق مع الإنجليز على ما يرضيهم ! . . . والوسائل التي توصل - في اعتبارها - إلى هذا الغرض متعددة ومختلفة ، ومنها الترغيب والترهيب للموظفين ، بترقية كل من يكون فيه استعداد لأن يتخلى عن ذمته وعقله للحكومة ، فلا يستحسن إلا ما استحسنه ، ولا يستقبح إلا ما استقبحه ، ولا يتردد في تنفيذ ما أرادت ، مهما كان فيه من الظلم والفساد ، أو بحرمان كل من قعدت ذمته عن اتباع هواها ، وأيت أخلاقه أن يظلم ظلمها ، من كل ترقية ، وإبعاده عن مكان راحته ، إلى مكان تكون متوافرة فيه أسباب الشقاء ، أو برفته ، أو تنزيل درجته . . . ومنها تعطيل مصالح الذين يكون فيهم شعور وطني وحياة قومية ، وضرب من يمكن ضربه منهم ، وسجنهم ، والتمثيل بهم ، بسبب ، وبغير سبب ، وتلقيق التهم الباطلة عليهم ! »

وكتب سعد زغلول في مذكراته يوم ٣ يونيو سنة ١٩٢٥ : « كنت أمس بمأتم إبراهيم سعيد باشا ، وجلست بجانب الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر ، وشرحت منه الحظر . محادثتي ، فأردت أن أفسد عليه حذره ، فأقبلت عليه ، أسأله معنى آية كان يتلوها المقرأ من القرآن ، فأخذ بشرحها : ولكن بصوت عال ، علوا مخالفا لعادته ، ولا ينبغي أن يكون عليه مجلس يتلى فيه القرآن ! . . وفهمت من عملية صوبه ، أنه يريد بها الإشهاد على أنه لم يحادثني في غير أمر شرعي ! . . وعند خروجي من الخيمة رأيت أحد المديرين ، فلم يكذب يسلم حتى ولتى مسرعا ولا عدت من التزهة إلى المأتم ، مرجع من المنصرفين من المأتم من أمامي سراعا ، حتى لا يسلموا ، وما عرفت منهم أحدا . أوردت ذلك إشارة لما ألم بالنفوس من ضعف ، وما حل بالعزائم من خور . وليس هذا وحده دليل هذه الحالة ، ولكن أدلتها لاتخفى . ولقد يصعب على أن أفهم أن الإنجليز يسارعون إلى خطة تقويتنا من هذا الضعف وتخرجتنا من هذا المأزق ، لأنهم يكونون إذن حقيق ، وما عهدناهم كذلك . إن تلك غمة ليس لما إلا هناية الله تكشفها ! »

• • •

وفي يوم ٥ يوليو سنة ١٩٢٥ كتب سعد زغلول في مذكراته يقول : « لا أمل أصلا إلى ما تناقله المقرَّبون من دار المنسوب السامى ، ويعطوفون به على الأذعان ، من أن الإنجليز غير راضين عن الحالة الحاضرة ، ويريدون تبديلها ، وأنهم غير راضين عن الملك ومحل قهته نشأت باشا . . يقولون هذا ، ولا يأتون بقصة لعدم هذا الرضاء ، وكل الدلائل تدل على أن جلالتهم سائر في طريق تؤدي إلى غايتهم ، وهي التي ترى إلى إضعاف الحركة الوطنية ، بل إلى إزالتها . وهذا حزب الاتحاد ،

يتقدم كل يوم في هذا الطريق ، بما تجمع له الإدارة من الأمراء ، وما تنفق إليه من الأعضاء ، وما يبيت في صدور الناس من الخوف من الملك ، ومن اتقاء غضبه ، يعلم الاستمرار في مناصرة السعديين والإنسلاخ عنهم ، إلى هذا الحزب المشنوم . نعم هذا اعتقادي ، ولولا بقية حياة في كثير من الناس ، لانتسوا منهم (الإنجليز) إقناذهم . ولكن هل يتقد القبط القار إذا وقع في الفخ ؟ وهل يبقى اللص على مال طلبه منه المروق ؟ . . يارب ! لا سبيل للنجاة إلا منك ، وبالاتكال عليك ، ولوت شريف ، خير من ذلك !

• • •

ولكن الذي قرأناه بين السطور المشطوبة يوحي إلينا بأن محاولة القتل لم تكن محاولة قتل سياسي فقط ، وإنما هي محاولة قتل بالرضا ! وأن الملك فؤاد حاول أن يقتله مرتين ! . وضود قلب صفحات مذكرات سعد زغلول من آخرها ! إننا نقف فجأة أمام إحدى صفحات مذكراته في عام ١٩٢٦ ، ونجد فيها شيئاً ، أو أشياء ، قد تصلح أن تكون خيطاً يوصلنا إلى ما نريد . إن سعد زغلول يكتب يوم الأربعاء ١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ما يأتي : « كان قد زارني محمد عب باشا (صديق الملك فؤاد) ووزير المالية السابق من بضعة أيام ، واستمعني ببعض عبارات لينة ، ووجدت من نفسي حطفا عليه ، ولكنني سمعت أمس من محمد محمود خليل عبارات عنه لا تطمئن الخاطر من جهته ، وتشير إلى أنه من أنصار السراي وأعداء الوفد . وقد غابت عن ذاكرتي هذه العبارات ، ولكن أثرها باق في النفس . وبهذه المناسبة يؤسفني أن تصور أملا في الذين تبخلوا عنا ، ونلاحظ أن ما لاحقتنا من أذى ، كان مصيره ما عملنا من خير . حضر الباشا المذكور عند وصولنا إلى هذه النقطة ، واستأذن علينا في الصعود إلينا فأذننا له ، ونحن في انتظار لقائه ، جعل الله منه خيراً ! . .

وجاء محب ، وقال إنه من بضعة أيام قابل الملك ، فرجده متأثراً من التهجيم عليه ،
فدافع عنى أمامه ، بما لم أفهمه تمام الفهم . وقال محب إنه تكلم فى الأمر مع 'همل'
باشا طويلا ، ولكنى لم أفهم منه ما الذى انتهى إليه كلامهما . وكل ما فهمته منه ،
وهو كثير الكلام ، وكثير التكرار ، أن الاتفاق مع الملك لازم لمصلحة الأمة ،
وأنه يجب السعى إليه ، فوافقت كل الموافقة على ذلك ، وأوضحته له أننى لم أقبل
شيئا ضد هذا (الملك) . . وأنه أحزننى أن يستغل الملك حادثة السردار ضدى ،
وأن يصرف همه لإسقاطى ، ولكن الله لم ينجح مسعاه ، وأظهرنى عليه مرتين
ولا أدرى لماذا هو ضدى ، مع أنى لا أحاسه فى شيء ، ولا أزعجه على شيء ،
فله عرش الأصناف ولى عرش القلوب ، أعرف أيهما أرفع ! لقد حافظت على احترامه
ووقفت عند الواجب له . وحدث أنى استفهمت فى أحد الأعياد ما إذا كان يقابلنى
إذا حضرت ، فلم أفر بخطاب . وإنى أحترمه ، ولكن لا أعبد إلا الله . ومن
المستحيل أن أذهب إليه بغير دعوة منه إلخ : . وجاء فى كلامى له أن الملك
لا يملك أن يعطينى مايرضىنى ، فلا أرغب فى رتبة ، ولا نيشان ، ولا وظيفة ،
ولا أريد إلا أن أموت حرا ، كما ولدت حرا ، وسيان هدى غضبه ورضاه إلخ . . .

• • •

انتهى ما كتبه سعد زغلول فى مذكراته يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢٦ ، وبهنا
من هذه السطور ثلاثة ، هى قول سعد : « أحزننى أن يستغل الملك
حادثة السردار ضدى ، وأن يصرف همه لإسقاطى ، ولكن الله لم ينجح مسعاه ،
وأظهرنى عليه مرتين » .. فاهما المراتان اللتان أظهر الله فيهما سعد زغلول على الملك
فزاد وجهه بفشل فى مسعاه ! ؟ إننا عرفنا المرة الأولى فى محاولة اغتيال سعد زغلول
فى عام ١٩٢١ أثناء رحلاته فى الأقاليم . . فاهى المرة الثانية ؟ . . لعل سعد

زغلول يقصد محاولة اختياله في يوليو سنة ١٩٢٤ عندما كان رئيسا للوزارة . ولكن الغريب ، والمريب ، أن سعد زغلول لم يكتب في مذكراته سنة ١٩٢٤ كلمة واحدة عن حادث إطلاق الرصاص عليه في ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ ، ولا عن التحقيق الذى يجرى ، ولا عن القاتل ، ولا عن الممرض ا . . : مسع أن سعد زغلول اعتاد في مذكراته أن يكتب كل شيء : إذا أصيب يبرد ، إذا أصيب بحسر هضم ، إذا ارتفعت كمية السكر ، إذا أصيب بأرق ، إذا ارتفعت درجة حرارته .. ولكنك لا تجد كلمة واحدة في تلك السنة كلها عن الرصاصات التى أطلقت عليه ، لا بعد الحادث ، ولا بعد خروجه من المستشفى ، ولا بعد ذلك بشهر ، أو بشهرين أو ثلاثة أشهر !

وتقلب مذكرات سعد زغلول في عام ١٩٢٥ . . فجأة تتوقف قليلا ! في يوم الجمعة ١٢ يوليو سنة ١٩٢٥ ، كتب سعد زغلول في مذكراته يقول : « في مثل هذا اليوم من العام الماضى ، كان الاعتداء على حياتى في محطة القاهرة ، وكان لهذا الحادث رجة عظيمة ، في مصر وأبنائها . واليوم ليس له ذكر ، لاني جريدة ، ولا في كتاب » . إن هذه السطور القليلة فيها مرارة ، ولكن فيها شكاً وريبة ! . . ما هو السر في الستار الذى أسدل فجأة على محاولة اختياله سعد زغلول ؟ وإذا هذا الصمت المريب ؟ إن سعد زغلول يبدو في هذه السطور كأنه يرى أن سرا خفيا هو الذى أدى إلى إسفال الصمت والنسيان على هذا الحادث الخطير . . فلمصلحة من هذا الصمت الذى يبدو فيه من الرثرة أكثر من الكلام ؟

ولكن بعد صفحات من المذكرات يبرز بطران غريبان بين هذه السطور الكثيرة ! في يوم الأربعاء ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٥ كتب سعد في مذكراته عن علاقة حسن نشأت بمحمود إسماعيل في قضية السردار ، ثم قال : « وأكاد لي أس

وإنما مما يقول ، فإن كل ما كتبه عن الإشاعات ، عن التحقيق في قضية السردار مثلاً ، ظهر أنه منقول عن التحقيقات بدقة ! فما الذي جعل سعد زغلول يسجل هذه الإشاعات المتواترة ؟ لابد أن لديه معلومات - أو على الأقل شكوكا - في أن تدبير إطلاق الرصاص عليه كان من حسن نيات باشا ، وهو وكيل للأوقاف ومستشار للملك ، ولكن هل حسن نيات باشا هو الذي دبر الاغتيال ، وهل دبره بدون علم الملك ؟ ! وهل من المعقول أن يقتل الملك رئيس وزرائه ؟ إن والد الملك فؤاد فعل هذا الشيء مع وزيره الأول ! ! . في صفحة ٧٤ من كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعي « عصر إسماعيل » يروي المؤلف أن الخديو إسماعيل قتل وزيره الأول إسماعيل صديق باشا وزير المالية ، فاستدعاه إلى قصر حابدين وصحبه إلى قصر الحرية ، حيث قبض عليه وأمر بقتله ، وألقي بجثته في النيل . وقال الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في ذلك : « ولمعنى إن هذه الوسيلة في التخلص من الرجل ، ليست بما تستسيغه الشرائع والنظم والأخلاق ، فإن اغتيال الناس غدرا عمل لا يليق أن يصدر من النبلاء بله الملوك والأمراء . فهل يمكن أن نستنتج من هذا أن الملك فؤاد أراد أن يفعل مع رئيس وزرائه سعد زغلول ما فعله جده محمد علي من قبل ، وما فعله أبوه ؟ »

ولكن لماذا يحاول الملك فؤاد قتل رئيس وزرائه سعد زغلول ؟ لقد كان سعد يحاول أن يخلع السلطان فؤاد في الثورة ، وحاول أن يخلع الملك فؤاد وهو في جبل طارق ، وحاول أن يكون من حق الشعب تعديل مواد الدستور وبينها النصيب الخاصة بالعرش . ثم جرت الانتخابات وقال سعد زغلول الأغلبية ، وتظاهر الملك فؤاد بأنه سيحترم إرادة الأمة . . وراح فؤاد يتظاهر بصداقة سعد زغلول ، فلماذا يدبر اغتياله ؟ . . إن سعد زغلول مفسر على اتهام

الملك . . . وقد كتب اتهامه الأول انشأت باشا بأنه هو الذى دبر حادث إطلاق الرصاص عليه ، وهو رئيس الوزراء ، كتبه سعد فى مذكراته يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ . وبعد ذلك بخمسة أيام فقط عاد سعد يكتب هذا الاتهام بصورة أقوى وأوضح . فقد كتب سعد زغلول فى مذكراته يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ما يأتى بالحرف الواحد : « لقد غدر الملك بى ، وقابل إخلاصى له بالنكابة بى ، ويظهر أنه كان ينوى لى السوء من أول الأمر ، وإنما كان يعاننى حتى قبل وتواتر ، خصوصاً فى هذه الأيام ، أن نشأت هو الذى دبر حادث الاعتداء على حياتى ، وأن الإنجليز اشتبهوا فى ذلك ، وهم مهتمون بالبحث عنه مع مقتل السردار » . انتهى ما كتبه سعد زغلول . ولكن الإنجليز لم يهتموا وقتها بالبحث عن دبر إطلاق الرصاص على سعد زغلول . . . لأنهم كانوا يعرفون . . . ولأن المسلس الذى أطلق منه الرصاص على سعد زغلول اختفى . . . واختفى فى جيب شخص يعرفه الإنجليز جيداً . . . فمن هو ؟ .

من الذى أخفى المسلس ؟ . . ومن الذى دبر الجريمة ؟

فى صباح يوم السبت ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ دخل سعد زغلول محطة القاهرة ليركب القطار إلى الإسكندرية . الجماهير مزدحمة . المتاعفات تدوى بحياة سعد زغلول . الشعب يتزاحم لتحيته . جدران وأسقف المحطة تهتز من صراخ الشعب الذى يدوى كالرعد ! وفجأة انطلقت عدة رصاصات ! وإذا بسعد زغلول يضع يده على صدره والدم يسيل منه . . . إن شاباً يرتدى بدلة رمادية برز من إحدى عربات الدرجة الثانية وأطلق الرصاص على سعد زغلول ، فأصابه فى ساعده الأيمن وبس أعلى الثدي ، ودخلت رصاصة تحت القلب . وقبضت الجماهير على المعتدى ، وكادت تقتك به .

وأُقتله البوليس بصموية ! وظهر أن اسمه عيد الطيف عبد الحنانى ، وهو طالب طب
 ياحلى جامعات ألمانيا ، وفضل إلى القاهرة قبل وقوع الحادث بشهر ، وعمره ٢٢ سنة .
 وقتل سعد زغلول إلى قاعة الاستراحة في المحطة ، وللم يترقب منه . ورأى سعد
 الناس ييكون ، فقال لهم : « لا نخزنوا ، إذا مات سعد فإن مبدأه لا يموت ، أنتم من
 بعلى فاستمروا في تنفيذ برنامجكم الوطنى . لنتم في سبيل الوطن .. نموت
 نحن وليحى الوطن ! لا تكتبوا ولا تهتموا . إلى الأمام دائما ، إلى الأمام ! »
 وقتل سعد إلى المستشفى ، واستطاع الأطباء استخراج رصاصة . ولكن الرصاصة
 الثانية بقيت في جسده لم يستطيعوا استخراجها لأنها كانت تحت القلب . وبقيت
 في موضعها إلى أن مات سعد بعد ذلك بثلاثة أحوام . . إن إطلاق الرصاص
 على رئيس الوزراء يحدث مثله في كل بلاد العالم ، إن جميع قادة العالم تعرضوا لحوادث
 الاغتيال والمحاولات الاغتيال . . ولكن الشئ الغريب أن المسلس الذى استعمله الحنانى
 في محاولة اغتيال سعد زغلول ، اختفى . . على الرغم من أن الحنانى أكد أن ليس
 له شركاء . . ولكن الشئ الأقرب أن الأستاذ محمود سليمان غنام الذى شهد
 في التحقيق بأنه رأى الضابط إنجرام بك يضع المسلس في جيبه ، وإذا بالضابط
 الإنجليزي ينكر في التحقيق أنه وضع المسلس في جيبه ، ويقول إنه وضع في جيبه
 يد منشته السوداء التى كسرت في الزحام . . وأكد محمود غنام أنه رأى إنجرام
 بك يأخذ المسلس من يد الحنانى ، ويضعه في جيبه . . وجاء عدد كبير من الشهود
 يدلون بهذه الشهادة نفسها . . وأمر النائب العام بوضع إنجرام بك بين عدد
 من ضباط البوليس الإنجليزي ، وأجرى عملية عرض له أمام الشهود . . وإذا بالشهود جميعا
 يخرجون إنجرام بك ، ويقولون إنه هو الذى أخذ المسلس من الحنانى ووضعه في جيبه !
 والشئ الغريب الثانى أن حسن نشأت باشا وكيل وزارة الأوقاف يومئذ سارع

إلى حضور التحقيق ، ليلا ونهارا . بينا وكيل الأوقاف ليس له علاقة بالتحقيقات وكل ما هو معروف عنه أنه أقرب المقرين للملك فؤاد ومستشاره الأول ، وسيطه لدى سعد زغلول ! . . . والشئ الغريب الثالث أن القصر الملكي كان مهتماً بإثبات أن عبد اللطيف عبد الخالق مجنون، وجاء الطبيب الإنجليزي الدكتور روجن باشا كبير أطباء الأمراض العقلية يشهد بأن عبد اللطيف عبد الخالق مجنون ! . . . والشئ الغريب الرابع أنه الذين كانوا يشرفون على التحقيق من رجال البوليس كانوا تحت إمرة إنجرام بك وكيل الحكماء الذي أخفى المسدس أداة الجريمة في محاولة اغتيال رئيس الوزراء . . . والشئ الغريب الخامس أن البوليس لم يظهر اهتماماً بأن يعرف الذين كانوا على علاقة بالطالب عبد اللطيف عبد الخالق في ألمانيا ، والذين شجعوه على العودة فجأة إلى القاهرة بدون سبب معقول . وأن إنجرام بك قال من اليوم الإعلان المتهم مجنون ولا داعي للبحث عن شركائه ، فإذا لم يكن له شركاء فأين اختفى المسدس ؟ هذا سؤال لم يحاول إنجرام بك ولا غيره الإجابة عليه !

والشئ الغريب السادس أنه بغسد استقالة سعد زغلول مباشرة ، حفظ التحقيق ! . . . والشئ الغريب السابع أنه بعد أن أودع عبد اللطيف عبد الخالق مستشفى الأمراض العقلية . صدر أمر من المستشفى بأن يمنع أى شخص من زيارته، إلا بعد الاتصال بصاحب النذولة أحمد زيور باشا رئيس الوزراء الجديد ووزير الداخلية ! . . . والشئ الغريب الثامن أنه بعد ذلك بعامين نشرت مجلة السياسة الأسبوعية مسابقة في الشطرنج ، فإذا بالفائز الأول فيها هو عبد اللطيف عبد الخالق فزيل مستشفى المجانين . والمفروض أنه مجنون ، فكيف يستطيع مجنون أن يحل مسابقة عويصة في الشطرنج ؟ هذا سؤال لم يستطيع أحد أن يجيب عليه ! ! . . . والشئ الغريب التاسع أنه عرف بعد أن أذيع أن الملك فؤاد أرسل إلى سعد زغلول رسالة

لناسبة إصابته يتولى له فيها: «إن صحتك آمن شيء في الدولة» بعد هذه الرسالة الرقيقة عرف أنه عندما جاء خبر إطلاق الرصاص على سعد إلى الملك فؤاد - وكان يومها في قصر المنتزه في الإسكندرية - قال الملك فؤاد لسعيد ذو الفقار باشا كبير الأتماء ، تليفونيا : « اذهب وزر سعد باشا . . فإذا كانت إصابته قاتلة فتستمر التشريفات . وإذا لم تكن قاتلة ، تلغى التشريفات ! . . » وذهب سعيد ذو الفقار باشا ومعه الدكتور محمد شاهين باشا طبيب الملك الخاص إلى المستشفى ، وعرفوا أن الإصابة غير قاتلة . . وصدر الأمر بإسقاط تشريفات عيد الأضحى !

وكان سعد زغلول يشعر أن في جريمة الاعتداء على حياته شيئا مربيا . . ثم بدأت المعلومات تتسرب عن تدبير حادث الاعتداء ، ومن هنا كتب سعد زغلول في مذكراته يقول إن الإشاعات تواترت عن أن حسن نشأت هو الذى دبر الأختيال . . فلقد قيل إن عواصم أوروبا كانت في ذلك الوقت مليئة بمجوسيس القصر الملكى ، وبرجال الملك فؤاد ، قد انتهز الملك الفرصة - قبل الانتخابات - ولأ جميع مناصب المفوضيات المصرية في الخارج برجال القصر ، وعاسيب القصر وعملاء القصر ! وكان نشاط هؤلاء العملاء على أشده في ألمانيا ، بسبب نشاط جمعيات الطلبة فيها ، وبسبب ما تردد يومها من أن للخطير السابق اتصالات ببعض المصريين في ألمانيا . . وحدث أن عرف أحد عملاء القصر الطالب عبد الطيف عبد الحامى الذى كان يدرس الطب ، ثم تحول إلى دراسة الكيمياء وعرف أنه غيبول وأنه مغرور وأنه مصاب بداء العظمة فراح يملأ رأسه بأفكار : هى أنه يستطيع أن يقضى على سعد زغلول ، وأنه إذا تخلص منه استطاع أن يؤلف حزبا ، ويترجمه ويحقق لمصر ما لم يستطعه سعد زغلول ! . . والذين عرفوا عبد الطيف عبد الحامى في ألمانيا من الطلبة المصريين يقولون إنه كان من السهل التأثير عليه ، سهل الانقياد وهو

فى الوقت نفسه غريب الأطوار ، مملوء بأفكار العظمة . وأنه يرغب فى أن يقوم بعمل ضخم . واتصل عميل القصر الملكى بالملك فؤاد . وعرض عليه الفكرة ، فرحب بها الملك . . واتصل الملك بصديقه إنجرام بك فرحب بالفكرة . فالإنجليز السعدون يريدون أيضا التخلص من سعد زغلول . وكان الملك فى تلك الأيام قد ضاق بسعد زغلول بسبب الخلاف بينهما على تعيين أعضاء مجلس الشيوخ . الملك يقول إن هذا من حقه ، وسعد زغلول يقول إن الملك يملك ولا يعيكم . وأن هذا من حق الوزارة لا من حق الملك . . وهدد سعد باستفتاء الشعب . ونقض الملك لسعد زغلول !

وكان جميع الموظفين الإنجليز فى الحكومة المصرية ساخطين . لأن الوزراء يتدخلون فيما لا يعينهم . . وقد تعود الموظفون الإنجليز أن يكونوا هم الحكام . . وبدأ سعد زغلول فعلا يتخلص منهم واحدا واحدا . . وتضايق الإنجليز . لأن سعد زغلول اتصر على الملك فى معركة تعيين الشيوخ . وكان هذا فى الأيام الأولى لتأليف الوزارة . وتظاهر الملك بأن هذه المسألة لم تترك أثرا فى نفسه . ولكنه أضمرها ضد سعد زغلول . . ثم كان أن جرى بعبد اللطيف عبد الحائق إلى القاهرة ، وبكى فيها بضعة أسابيع يراقب سعد زغلول . ثم أعلن فى الصحف أن سعدا سياتفر فى يوم السبت إلى الإسكندرية ، ليعبر تشرىفات عيد الأضحى . وحددت الصحف موعد السفر . وكانت هذه هى الفرصة المطلوبة . . ثم ذهب عبد اللطيف عبد الحائق مع رجل القصر الخفى إلى محطة القاهرة ، وأطلق عبد اللطيف عبد الحائق الرصاص . . وانتزع إنجرام بك المسلس منه ووضعه فى جيبه ، ثم انتهز فرصة الزحام وأعطاه لرجل القصر الخفى الذى كان مع عبد اللطيف عبد الحائق فى المحطة !!

ومنى هذا بوضوح أن هناك شركاء كانوا يعلمون بالحادثة وموعده ، وأنهم أشاعوا على الفور أن أرميا هو الذى ضرب سعد زغلول بالرصاص ، لتحويل الأنظار

عن القصر . . ثم لما فشلت هذه المحاولة قال رجال القصر أنفسهم — وفي مقدمتهم سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمراء — إن القصر لديه معلومات بأن هذه حركة دبرها الخديو عباس مع رجال الحزب الوطني، وأن نشأت باشا قال نفس هذا الكلام للمحققين الذين اتجهوا لهذا الاتجاه الكاذب، وتاهوا فيه. ثم عندما تبين للملك أن المحققين تأكلوا من أن هذا الاتهام مختلق . . أوعز إلى زوج ابنته محمود فخري باشا وزير مصر المقروض في باريس بأن يبرق للحكومة المصرية بأن هناك مؤامرة من الخديو عباس لخلع الملك فؤاد . وبعد ذلك استدعى حسن نشأت باشا محمود فهمي القيسى مدير الأمن، وأبلغه أن لدى القصر معلومات بأن هناك مؤامرة لقلب نظام الحكم! . وإذا بالتحقيق يتوقف في محاولة اغتيال سعد زغلول، وينقلب إلى تحقيق في مؤامرة دبرها الخديو لخلع الملك! . . وهي مؤامرة وهمية لا أساس لها!

وبين يدي مذكرات المرحوم مرقص حنا باشا وزير الأشغال في وزارة سعد زغلول، وأحد أعضاء الوفد الذين حكم عليهم بالإعدام . . إنه يكتب بتاريخ يوم السبت ١١ يوليو سنة ١٩٢٤ فيقول: « الساعة ٧ و١٠ صباحا، كنت أنا والغرابي (نجيب باشا الغرابي وزير الأوقاف) بالصالحون الملحق بقطار الساعة ٧ والدقيقة ١٥، في انتظار باقي الوزراء للسفر إلى الإسكندرية لحضور التشريفات في اليوم التالي وهو يوم العيد، وإذا بهتاف من الجماهير العديدة ينبثنا بحضور سعد، تلاه حضور حاجب علي صجل، متزعج انزعاجا شديدا وأخبرنا أن سعد أطلق عليه الرصاص. فنزلنا مهرولين نحوه، واخترقنا الجماهير للوصول إليه. وجلدناه محمولا على كرسى، وأوصل إلى قاعة من قاعات المحطة، ومع الدكتور حسن كامل، ثم حضر مظلوم باشا (رئيس مجلس النواب). ثم كشف الدكتور على صدره فلذا به مصاب في ثديه وذراعه اليمنى، والدماء تسيل منهما. وقد كان

حافظاً لكل قواه ، ويوصينا بأن نستمر من بعده على مبدئه ، ويوصى الجماهير بأن تستمر في جهادها إلى الأمام .

وطال بنا الانتظار ، ولم يحضر طبيب ولا جراح ، ولم يهينوا له ما ينقل عليه إلى المستشفى . وأخيراً نقل على كرسيه إلى عربة المستشفى ، فأبى سعد أن يحمل إليها ، فتمل في الأتومبيل إلى مستشفى (بابايانو) . ونظراً لأنه معطل بسبب سفر الدكتور ، نقل إلى مستشفى الدكتور على إبراهيم رامز ، وهناك بقي إلى أن خرج منه يوم الخميس ١٧ يوليو .

« وثبت من قرائن التحقيق أن الجريمة دبرت في برلين وفي مصر ، بواسطة الحزب الوطني أو بعض رجاله ، بالاتفاق مع الخديو . والحجة الظاهرة أنهم يريدون إحداث اضطرابات ، حتى يتمكن الخديو من الرجوع إلى العرش ! وقد كان المقروض من المؤامرة قتل سعد زغلول والوزراء وأعضاء الوفد وإحداث اضطرابات ، وللوصول إلى الغرض الأخير أشاعوا بعد ارتكاب الجريمة أن القاتل «أرمي» الجنسية ، ليفسوا الجماهير إلى الالتحام مع الأجانب ! . . وقد انتشرت الإشاعة في لحظة واحدة في جميع أنحاء القطر ، مما يدل على أن هناك تدييراً لنشرها فجأة في كل مكان . ومن الغريب أن المسلس الذي ارتكبت به الجريمة وطمطه بعض الطلبة أضحى . . بعد أن أخذه بالقوة عسكري بوليس . . (انتهت مذكرات مرقص حنا باشا)

ومذكرات مرقص باشا التي كتبت في يومى ١٢ و ١٧ يوليو سنة ١٩٢٤ قاطعة بما استنتجته سعد زغلول بعد ذلك من أن المراد كان إطلاق إشاعة الخديو والحزب الوطني وقبل ذلك الأرمي ، للتضليل وإخماء أن القصر هو الذى كان وراء إطلاق الرصاص على سعد . . ولقد ثبت أن الحزب الوطني بعيد عن هذا الحادث ، وثبت أن الخديو عباس لا علاقة له بهذا الحادث . ولم يكن له من القوة والنوذ والسلطان ما يعمل في

استطاعة أنصاره القلائل أن ينشروا هذه الإشاعة في جميع أنحاء القطر في وقت واحد! ... وإنما الملك فؤاد نفسه هو الذي كان يملك هذه القوة في تلك الأيام!

• • •

وفي يوم الأحد ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٤ كتب مرقص حنا باشا في مذكراته:
« الساعة ٣ بعد الظهر : بعد أن تناولنا الغداء في منزل سعد حجاز واصف غالى باشا (وزير الخارجية) الوزراء ، وأطلعنا على تلغراف وصله من محمود فخري سفير مصر في باريس ، أخبره فيه أن شخصا يدعى (كرياس) أبلغه أن هناك مؤامرة لقتل الملك والوزراء ، وإحداث اضطرابات في يوم ١٥ أغسطس يقوم بتنفيذها قائد تركي موجود بفندق الكونتنتال تحت اسم مستعار ، واسمه الحقيقي أحمد شكرى باشا ، وآخر أرمي يدعى (تكران) موجود في لوكاندة (ولمسور) بالإسكندرية تحت اسم مستعار ، وثالث موجود بشارع العباسية نمرة ١٧ ، ورابعة تدعى « إمليا فلنتينا » مقيمة بشارع الرمل نمرة ٨٤ ، واثنان موجودان على ظهر باخرة آتية من أمريكا وتصل إلى مصر في أواخر يوليو ، وأن أوراق هذه المؤامرة موجودة بشارع العباسية وبشارع الرمل ! . . . وأن هناك آخر ترسل إليه الخطابات باسم مستعار من شباك البوسطة . . . وقد أعلن سعد أنه قادم للإسكندرية يوم الثلاثاء ليحضر يوم الجمعة لأوروبا للاستشفاء ثم للمفاوضات ، إن تهيأت الظروف لصالح مصر » .

انتهت مذكرات مرقص حنا باشا ، وقد ثبت بعد ذلك أن هذه المؤامرة من أولها إلى آخرها لا أساس لها من الصحة ! وأن المقصود بها صرف النظر عن التحقيق الذي يجري فيمن هو الذى وراء إطلاق النار على سعد زغلول ، ومن هو الذى أخطئ المسلس ؟ . . . هذا كله هو الذى جعل سعد زغلول يتهم في مذكراته الملك فؤاد ونشأت باشا بأنهما دبرا اغتياله !

حضر إلى في ليلة من الليالي ، وكنت في الإسكندرية ، وأخبرني أن هناك محاولة لاختيالي ووضعوا حراسة مشددة لمدة أسبوعين على منزلي ، ولكن لم يحدث شيء . . .
وسألتها : « ألم تحقق النيابة معك في هذا الموضوع خلال التحقيق معك في حادث السردار ؟ » وأجاب حسن نشأت : « لم تسألني النيابة في حادث السردار إلا عن واقعة واحدة ، هي إذا كان عبد الحليم البيلي جاء يطلب مني قتل محمود إسماعيل من متهور إلى القاهرة ؟ »

• • •

ونستأذن الدكتور حسن نشأت في أن تقطع باقي التقرير لنقول إنه يبدو أن سيادته قد نسي نظراً لأن الحادث وقع منذ أربعين سنة ، ولكن الوثائق لا تنسى أبداً :
إن بين يدي صورة فوتوغرافية للتحقيق التي أجراه المرحوم محمد طاهر نور باشا النائب العام في قضية مقتل السردار مع حسن نشأت باشا . . وقد استغرق ١٩ صفحة في القضية ، من صفحة ٢٧١ إلى صفحة ٢٨٩ ، واستمر ثلاث ساعات إلا ١٥ دقيقة (طبقاً لما جاء في نص التحقيق) . ولم يسأل النائب العام في هذا التحقيق الدكتور حسن نشأت كشاهد ، بدليل أنه لم يطلب منه أن يحلف اليمين . . فقد بدأ النائب العام التحقيق في صفحة ٢٧١ بما يأتي : « فتح المحضر في يوم الأحد ٢٢ جماد الآخر ١٣٤٤ الموافق ١٠ يناير ١٩٢٦ الساعة التاسعة و٣٠ دقيقة إفرنكي صيلحا ، بالمكان والمدينة السابقة . . حيث استحضرننا حسن نشأت باشا ، وبسؤاله قرر اسمه كما ذكر أن عمره ٣٧ سنة ومولود ومقيم بمصر » . ثم بدأت الأسئلة ، لم يذكر فيها النائب العام أن حسن نشأت باشا أقسم اليمين ، فالنائب العام إذن كان يسأله كمتهم ، لا كشاهد ! .. هذا أولاً . . أما مسألة الرصاص فقد ورد في صفحة ٢٨١ من التحقيق مع حسن نشأت باشا ما يأتي بالحرف الواحد :

س : (من النائب العام) هل تذكر لا كنت وكيلًا لوزارة الأوقاف أنه ضبط
رصاص بأحد الدواب الموجودة بالمكتب الذى يشتغل فيه محمود إسماعيل ؟

ج : (من حسن نشأت باشا) فى يوم من الأيام قررت ضم قسم إلى قسم آخر ،
وهو قسم الإيرادات إلى قسم الزراعة . وعند نقل الأمتعة من غرفة إلى الغرفة الجديدة ،
أحضر لى - لا أذكر إذا كان إبراهيم بك فهمى وقتها ، أو مصطفى أفندى الماحى
سكرتيرى - نحو عشرين رصاصة من حجم رصاص ريفولفرات (مسدسات)
الحبس المصرى ، فى جريدة لا أذكر اسمها ، وإنما التفت إلى تاريخها فكان
سنة ١٩١٩ . وقال لى إن هذا وجد فى دولا ب فى إحدى الغرف . بنوار مكتب
محمود إسماعيل . وكان هذا فى أوائل سنة ١٩٢٣ أو أوائل سنة ١٩٢٤ لا أذكر ،
ولم أعر اسم محمود إسماعيل أى اهتمام أكثر من غيره . غير أنى تذكرت التحقيق
الذى كان يعمل فى مسألة خطاب تهديد أرسل لبحى باشا إبراهيم فطلبت منهم
أن يسألوه ، فعادوا وقالوا لى إن الدولا ب معد لاستعمال جميع الموظفين الموجودين فى
هذه الغرفة ، ولا يمكن البت بالمرة فى أنه لمعد لإسماعيل . ولما رأيت أن الجريدة
الملفوف فيها الرصاص هى من سنة ١٩١٩ . فكرت أن أحد الموظفين كان عنده
هذا الرصاص فى سنة ١٩١٩ . ولما صدرت أوامر السلطة العسكرية بإعدام ما يوجد
من هذا ، أخفاه فى الوزارة . وهذا لم يمنعنى من اتخاذ الاحتياطات . فقد حضر
عندى القيسى باشا فى حينها بمكتبى وأخبرته بالمسألة ، وطلبت منه أن يلتفت ويراقب
محمود إسماعيل هذا . وقد قال لى إن منزله فتنش بالفعل فى مسألة خطاب التهديد ، وأنه
مراقب بالفعل ، وترك الأمر .

وفى صفحة ٢٧٩ ينتهى التحقيق مع حسن نشأت . . وفى نفس الصفحة يبدأ

تحقيق مصطفي حننى بك رئيس النيابة مع محمود فهمى القيسى باشا مدير الأمن العام الذى خلف اليمين ، ثم بدأ سؤاله طبقا لما جاء فى صفحة ٢٩٠ :
 س (مصطفى حننى بك) : هل تذكرن سعادتك أن حسن نشأت باشا أبلغكم أمرا يتعلق بمحمود إسماعيل فى سنة ١٩٢٣ أو سنة ١٩٢٤ ؟

ج (من محمود فهمى القيسى باشا) : أما فى سنة ١٩٢٣ فلا يمكن أن يكون حصل تبليغ فى أولائها ، لأنى انتهيت للعمل بصفى وكيل للأمن العام فى ٥ أبريل من السنة المذكورة ، وعلى كل حال فلم أبلغ عن شيء خاص بمحمود إسماعيل المذكور فى نفس السنة ولا فى سنة ١٩٢٤ .

س (من مصطفى حننى بك) : حسن نشأت باشا قرر فى أقواله أنه فى زيارة من سعادتك له أبلغكم خبر العثور على رصاصات فى دولا ب بالقرب من مكتب محمود إسماعيل وطلب من سعادتك مراقبة هذا الشخص ، والاتصالات إليه ؟
 ج (من محمود فهمى القيسى باشا) : لا ، لم يحصل !

انتهى ما نقلناه حرفيا من محضر التحقيق فى قضية السردار . ومن الغريب أنه فى هذا التحقيق بالذات وردت جملة عجيبة على لسان حسن نشأت باشا فى صفحة ٢٨٧ من التحقيق أثارت اهتمام النائب العام للدرجة أنه وضع بجوارها علامة (+) . وهذه الجملة التى قلها نشأت فى التحقيق هى بالحرف الواحد : « لو أراد شخص عاقل إسقاط سعد باشا نهائيا ، ألم يكن قتله أسهل من قتل السردار ؟ » . وهنا يحسن — أمانة للتاريخ — أن أقبل سؤال النائب العام وجواب حسن نشأت كما هو :
 س (من النائب العام) : هل علمت بأن شفيق منصور قرر فى التحقيقات الأولى أن محمود إسماعيل كان محرضا على ارتكاب الجريمة من أشخاص يكرهون سعد باشا ويقصدون بها إسقاطه ؟

ج (منه حسن نشأت باشا) : قرأت هذا في الجرائد العلنية . وأخبره
سخيفا إذا كان المقصود بذلك هو شخصي لأنه ماذا يقصد بمثل هذه الجريمة ؟
إن كان إسقاط سعد باشا أى تقديمه استقالته فقد قلحها بالكتابة فعلا يوم ١٤ نوفمبر ،
وما زالت موجودة في محفوظات الديوان المال ، لأنه سوى عليه أن يسحبها . أما إذا
كانوا يريدون بالإسقاط إسقاطا في نظر الأمة . فأظنهم يعلمون أنه لا يمكن إسقاط
سعد باشا بمثل هذا . وفوق هذا لو أراد شخص عاقل إسقاط سعد باشا نهائيا لم
يكن قتله أسهل من قتل السردار ؟

انتهى محضر التحقيق في قضية السردار ، ونعود إلى رد الدكتور حسن نشأت
عن الاتهامات ، سأله أحمد زين ومحمد فهمي عبد اللطيف : « الذين حضروا
التحقيق في قضية إطلاق الرصاص على سعد زغلول يقولون إنك حضرت هذا
التحقيق وأنت وكيل وزارة الأوقاف ، فلماذا تحضر التحقيق وتتهم به هذا الإهمام ،
وليس من اختصاصات منصب وكيل وزارة الأوقاف التحقيق في جريمة محاولة قتل
رئيس الوزراء ؟ » . وأجاب حسن نشأت : « أنا لم أحضر التحقيق في جريمة محاولة قتل
اغتيال سعد زغلول . والذي حدث أن الملك فؤاد لاحظ تباطؤا في التحقيق ،
وإظهارا لعطفه على رئيس وزرائه ، أرسلني أسأل عن السبب فقال لي سعد زغلول
إن المسألة انتهت ولا يعتدى على سعد زغلول إلا بمنون ! »

وهنا نستأذن الدكتور حسن نشأت في أن نقطع تقريره لحظة لنقول إنه جاء
في كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد « سعد زغلول » صفحة ١٥٣ ما يأتي بالحرف
الوحد . « وأشرف على التحقيق بعض الوزراء . واستمر على الإشراف عليه حسن
نشأت باشا وكيل وزارة الأوقاف يومذاك . وبعد بحث طويل أحيل الجاني إلى
الكشف الطبي ، فقرر الدكتور روجن كبير الأطباء العقلين أنه بمنون ، وتقرر

احتضاله في مستشفى المجاذيب، وهو الملعن الوحيد على الوزراء الذي صار إلى هذا المصير .

انتهى رد الدكتور حسن نشأت نائب رئيس الديوان الملكي في عهد الملك فؤاد وانتهى ردنا عليه !

• • •

وتلقيت من السيد فؤاد صالح رئيس إدارة تفتيش الثيابات سابقا الكتاب التالي:

« كنت أعمل مع مستر هيوز مدير إدارة الثيابات ، وعندما وقع حادث الاعتداء على سعد زغلول انتدبت لحضور العرض ، وتحقيق واقعة اختفاء المسلس ، وكانت الإشاعات بدأت تتهم الملك فؤاد والإنجليز بأنهم أرادوا قتل سعد زغلول . وسأمل الناس من سر اختفاء المسلس، وجاء شهود يشهدون بأنهم رأوا المتهم ينفى بالمسلس عقب إطلاق الرصاص على رصيف المحطة، وأن إنجرام بك وكيل الحكمदार التقط المسلس ووضعه في جيب بتطلونه الخلقى . واستدعت الثيابة إنجرام بك معه ثلاثة من الضباط الإنجليز يشبهونه في الطول، والعرض - فقد كان فارغ الطول يمتلئ بالجسم - وأجرت الثيابة في حضوري العرض في الغرفة التي يشغلها الآن موظفو نيابة أمن الدولة بالدور الثاني بمحكمة مصر . . وإذا بجميع الشهود يعرفون على إنجرام بك ! وكان من بينهم الضابط حسين فخري الذي كان يعمل بلورا لرئيس الوزراء . ثم انتقلت مع رئيس الثيابة إلى الغرفة المجاورة . . ووجه رئيس الثيابة سؤالا لإنجرام بك ، فلماذا لإنجرام بك يهدده بالرفق ! . . وأكد الضابط حسين فخري أن إنجرام أخذ مسلس القاتل ووضعه في جيب بتطلونه الخلقى ! وراح إنجرام يشتم أمام المحقق ، وروى كرويا أراد أن يضربه به ! . . وجلست وأثبتت كل هذا في التحقيق وأقبلت المحضر ، وسلمته إلى المرحوم سيد مصطفى باشا رئيس الثيابة وقتئذ :

ثم اختفى المفسر من ذلك التاريخ ! ولا يوجد له أثر في النيابة ! ولقد وجدت من مباشرى التحقيق أن الجريمة تمت بتدبير من الملك فؤاد والإنجليز ، وإنجرام بك هو الذى رسم الخطة ، وهو الذى طلب من عبد اللطيف عبد الحالى ادعاء الجنين !

ولم أعلن هذه الشهادة للحق والتاريخ . .

فؤاد صالح

رئيس إدارة تفتيش النيابة سابقا

وهنا نفتح قوساً كبيراً !!

إن حادث إطلاق الرصاص على سعد زغلول وهجر البوليس عن أن يكشف عن شركاء الجنائي أو يجد المسلس الذى ارتكب به الحادث ، كان يجب أن يفتح مبنى قاعة ثورة ١٩١٩ لحقيقة خطيرة وهى أن الجهاز الرسمى للدولة لا يمكن الاعتماد عليه . وكان من الخطأ أن الجهاز السرى للثورة توقف عن العمل بعد تولي سعد رئاسة الوزارة ، فإن هذا الجهاز الذى كان يقاتل ، ويكشف عن المؤامرات ، ويقوم بعملية المخابرات للثورة ، كان يجب أن يبقى تحت الأرض فى الوقت الذى تنهوى فيه الثورة المحكم ! ولقد كان سعد زغلول على حق عندما تولي الوزارة ولم يختر فى أول الأمر أى عضو من أعضاء الجهاز السرى فى وزارته ، وإذا كان سعد زغلول يتحدى الإنجليز ويختار اثنين من قادة الجهاز فى منصب وزير المعارف وفى منصب وكيل الداخلية فإن هذه المظاهرة الوطنية أفقدت الجهاز السرى فاعليته . فلم يكن من الممكن أن يتولى أحمد ماهر وزارة المعارف ويدبر الجهاز السرى فى الوقت نفسه

أو أن يتولى النقراشى منصب وكيل الداخلية وإدارة الأجهزة الأخرى السرية . إن العمل فى الجهاز السرى لثورة يحتاج إلى تفرغ ، يحتاج إلى ١٤ ساعتهن للعمل المتواصل ! وقد كان يحسن أن يكتبنى أحمد ماهر والنقراشى بعضوية البرلمان ، وبإصلاح تنظيم الجهاز السرى ، استعدادا ليوم موعود ! . فإن الثورات تخطئ خطأ كبيرا إذا وضعت كل أوراقها فوق المائدة ، بل يجب أن تحتفظ دائما بورقة مغطاة فى يدها ، تستطيع أن تكسب بها فى الوقت المناسب ، وتستطيع أن تتحرك بها إذا شلت الأجهزة العلنية ، أو توقفت عن العمل نتيجة إصابتها بضربة مفاجئة !

ولسنا نعرف ما الذى جعل سعد زغلول يغير - بعد سبعة أشهر - سياسته فى الحكم عن سياسته فى الثورة . فالمرءف أن سعد زغلول عارض فى أن يكون أحمد ماهر والنقراشى عضوين فى الوفد ورفض أن يوقعا قرارات الوفد التى كان يوقعا باقى الأعضاء ، فبنينا إلى سيشل أو يحكم عليهما بالإعدام ، أو يعتقلا فى قشلاق قصر النيل أو فى الواحات بينا كان سعد زغلول قد أعطاهما تفويضا بأن يتوليا اختيار أعضاء الوفد من قائمة تركها معهما قبل نفيه إلى سيشل ، تموى قائمة بأسماء الطبقات التى تحمل كل واحدة منها محل الأخرى إذا اعتضلت أو حكم عليهما بالإعدام !

فكيف رأى سعد زغلول أن اللذين لهما حق اختيار أعضاء الوفد لا يكونان عضوين فى الوفد ؟ السبب أنه أراد أن يبعد الجهاز السرى للثورة عن الظهور . أن يقيه قوة خفية تعمل تحت الأرض ولا تصل إليها يد الإنجليز . . وقد بدعش القارى إذا علم أن اسم النقراشى وأحمد ماهر لم يظهر كعضوين فى الوفد إلا بعد وفاة سعد زغلول ! وعندما أريد انتخاب خليفة له ، قال الأعضاء : كيف لا يكون فى الوفد العضوان اللذان توليا اختيار أعضاء الوفد ؟ وعندما فقط ظهر

اسما ماهر والتقراشي كمضربين في الوفد . فإذا كان هذا هو مبلغ حرص سعد زغلول على بقاء الجهاز السرى بعيدا عن القيادة السياسية الظاهرة ، وعن الظهور على مسرح السياسة ، فلماذا لم يستمر سعد على هذه الطريقة الثورية البعيدة النظر ؟ . . لو حدث هذا لما أفلتت الخلية التي اغتالت السردار من سيطرة الجهاز السرى ، ولوجد قادة الجهاز السرى وقتا للسيطرة على جميع الخلايا ، وتنظيمها وإعدادها لليوم الذي يصطدم فيه سعد مع الملك ، أو مع الإنجليز ! . . ولو كان لابد من الاستفادة من الذين يديرون الجهاز السرى بإشرافهم في وزارة الثورة ، فقد كان لابد من تخصيص عضو آخر في الجهاز لتولى هذه القيادة . . وعندئذ كان في استطاعة الجهاز السرى - وهو تحت الأرض - أن يحفظ للثورة انطلاقها واندفاعها وقدرتها على الضرب واستعدادها للانطلاق . . ولا حدث الشلل للثورة عقب القبض على أحمد ماهر والتقراشي وعبد الرحمن فهمي . . إن الذي يدير الجهاز السرى للثورة لا يجوز أن يكون وزيرا ، أو وكيل وزارة ، أو في أى منصب كبير في الدولة . ويجب أن يشعر أن العمل الخفي الذي يقوم به أهم بكثير من العمل الذي يقوم به الوزير ! . . ولا نشك في أنه لو حدث هذا لاستطاع الجهاز أن يكشف بميوته المؤامرة على قتل سعد زغلول ، والمؤامرة على اغتيال السردار ، ومؤامرة الملك مع الإنجليز . . ولكن الخطأ أن أعضاء الجهاز السرى تحولوا إلى سياسيين وخرجوا على المكشوف ، وانقل نشاطهم من تحت الأرض إلى منبر البرلمان . . وهكذا انقطع التيار الكهربائي الذي يربط القاعدة بالقيادة ، وتحول الجهاز السرى إلى جهاز سياسى يدير الانتخابات ، ويرشح النواب ، ويشترك اشتراكا واضحا في الحكم . . ولا يمكن أن يقال هنا إن سعد زغلول أراد أن يسترضى قادة الجهاز السرى بتعيينهم وزراء . . فإن الذين يتعاملون ويسمون حتى إنهم يتصارعون

على الموت ، لا يصغرون ويتزلزل لتنافس على مقاعد الوزارة . . الذين كانوا يتطلعون إلى المشاق ، لا يخفون عيونهم طمعا في مقاعد الحكم . . ومن هنا نعتقد أن أكبر خطأ للثورة سنة ١٩١٩ أنها أوقفت نشاط جهازها السرى بعد أن تولت الحكم . ليس معنى هذا أن يستمر الجهاز في القيام بارتكابه الحوادث . . ولكن معناه أن يبقى النظام السرى ويلهم نفسه ، وينظم صفوفه ، ويزيد عدد خلاياه ، ويكون أشبه بالقلب للثورة : ينبض ويتحرك ويدير أعضاء الجسم ، دون أن تراه العين !

وهذا هو الذى كان يحدث في ثورة ١٩١٩ . . كان الوفد واللجنة المركزية الوفد هما الصورة التى تظهر أمام الجماهير : توقع البيانات ، وتلقى الخطب ، وتقيم الزيارات ، وتوقع الاحتجاجات . . بينما الجهاز السرى يقوم بالأعمال الخطيرة والأساسية للثورة، ولتصور ماذا كان يحدث لو أن الجهاز السرى تحرك بعد مصرع السردار ؟ . . ما كان رئيس الوزراء أحمد زور يستطيع أن يبقى في الحكم ٢٤ ساعة . . وما كان الملك فؤاد يستطيع أن يبقى على العرش بضعة أيام . . وما كانت بريطانيا يبورجها وأساطيلها ومظاهراتها الحرة في الشوارع بقيادة أن توقف انطلاق ثورة ١٩١٩ ونحوها من ثورة إلى حركة سياسية ، تتبع الأساليب السياسية في المظاهرات والاحتجاجات والانتخابات . . وقد يكون علو سعد زغلول أنه يشعر بأن الشعب لم يكن مستعداً للقبول المستمر . . لقد كان يشكو بعد مصرع السردار من روح التخاذل من كثيرين من الذين حوله . . ومن أن عدد زائريه قد قل . . وأن الحماسة قد خفت . . ولكن الرد على ذلك أن وجود الجهاز السرى كان قادراً أن يحول هذا التحول إلى نشاط ، وهذا السكين إلى حركة ، وهذا التواكل إلى انطلاق . . ولا توقفت الثورة ، وأصبح كل مدافعها إقادة

زعهاء الجهاز السرى من المشتقة ! ولا ترك الجهاز السرى الملك يدبر المؤامرات لاختيال
زعم الثورة ، ويتحالف مع الإنجليز لإبادة سعد !

وهنا تقفل القوس الكبير ! ! .

لقد بقى المسلسل الذى انطلق فى صدر سعد زقلول لغزا !

وبقى الرجل الذى صحب القاتل إلى المحطة لغزا !

وبقى جنون القاتل لغزا !

إلى أن جاء سعد زقلول فى المذكرات . يقول إن الملك فؤاد هو الذى دبر
اختياله ! . ومن الطريف أن الأطباء الذين قرروا أن عبد اللطيف عبد الحالى
مجنون ، ذكروا فى تقاريرهم أن من دلائل جنونه - كما ورد فى صفحة ٥ من تقريرهم - أنه
فكر فى تأليف حزب ضد دولة سعد باشا وأغلبية البلاد ! فقد رأى خمسة أطباء أن
هذا دليل على الجنون ! وكان تاريخ هذا التقرير ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ . وبعد ٤٥ يوما
قطعت - أى فى أوائل يناير ١٩٢٥ - ألف الملك فؤاد حزب الاتحاد . . وكان هدفه
أن يكون ضد سعد وأغلبية البلاد !

ولم ير أحد وقتها سببا لاقتراح إحالة صاحب الجلالة إلى مستشفى المجاذيب !
ولقد كان من أخطاء الجهاز السرى أنه عجز عن الكشف عن المسلسل
المختفى ، وهو الذى كشف عن مئات من الخبايا والأسرار . وكان يضرب المثل
بقوة جهاز المعلومات للثورة وكفائته ، حتى إنه لم يحدث مرة أن قررت السلطة
المسكوية البريطانية اعتقال أحد أعضاء الجهاز السرى ، أو أحد زعماء الثورة ،
إلا وعلم به جهاز المعلومات قبل تنفيذ القرار ! . فكان يختفى من يتقرر
أن يختفى . . وكانت الأوراق السرية كلها تحرق قبل أن يدخل رجال السلطة البريطانية
وفتشون المنازل فلا يثرون على أى ورقة هامة . . ولا أى دليل !

الوثائق الخطية



أين السلطان

فوالله اني من جملة الذين يملكون جوارحه الختة العباد. ثم في الارض الجاهية يسي
من سواد البحر والطين القويدي من البحر بن ساد في الاستاذ في القل السخرة واكن
الجم الطرى ويهرجت الحق وتامد العبد وان في (الخير) عي وقد اقول حيث
عمرت الاستاذ والفتن من السلاسل التي كسر من لسانا كره الاملة

عليها أمر لي قلم والامة في مآكم ومناجيب واجرامات فرده نفس يا دور لك والامة بحرم
عليها (وطن) ان شئ اكثر من غصه من انشد ابتعادنا افا الميسم ووطنهم من التكايف
والذلات

أقوم على رأس القبة وجيل لا يتعدى -سور الامه وجرى عيلاد من لا تغفل قلبه الصخري
صوت مرعفت يكونا الهامة

[illegible]

أخذاً أن تصور بهما، أخذاً من شدة أعباءهما، فإذا كانت الأمانة تهم إلى منزل أحد
فقلوبهم ويرجع الفضل في تركه ووجه حال حربه إلى (أحد الجانبين)، لينظر على موت (أحد) أن كان من
الظالمين

مرض نصب - (مكة مصر للنصب) على قبري لآل الحسين رضي الله عنهم ويطعمهم (صديق) يوجد
الآن في من ماله ورجل له، لا بد من أنموذك ثاثة شهر القربة؛ فيجدوا على الكرسي،
يسوا على هذه القربة في أمي الرحوم الله .

و حضرت - ادا بد دتی (الاجزی) ثلاث عروض . حضرت فجدد و حضرت آئینه انبی من
 از من و ابی - (مسکونی فخر و غریب) من یاس کرد . زت آئینه غریب و غریب روسیاه

économique, et cette raison-maître : « L'Alsace n'a jamais pu passer de la Haute-Silésie. Au contraire, la Pologne n'en a pas besoin. »

Il y a plus : la *raison* allemande soutient que la Pologne elle-même n'est qu'un *territoire* de population indiscutablement polonaise. Elle nous enseigne ainsi le pouvoir d'un motif hors de sa place. « Indiscutablement ! » Qu'est-ce qui, à ce compte, est indiscutablement polonais ; quel pays, quelle province est indiscutablement - quoi que ce soit ? *Sigh*, que *se* qui est allemand. Ainsi Danzig et ses environs, la Prusse orientale, la Prusse occidentale, *Westphalie* et les cercles qui l'entourent. - *Tüft* *ist* que l'Allemagne veut garder *essentiellement* allemand, tout ce qu'elle ne veut pas *perdre* n'est point indiscutablement polonais. Comment renoncerait-elle à *Weser*, *puisque*, à tous les coups, elle y gagne ? Elle y *gagne* un *plus* : « En raison de l'affirmation que la Haute-Silésie, *quoique* habitée par une *plupart* de Polonais *car* *sa* proportion est 2 à 1 (125000 contre 65000, d'après le recensement allemand de 1910), *devrait* rester allemande, accorde la lettre d'apaisement. — et la *Réponse* est bien plus explicite, — les Puissances consentent à ce *qu'il* la question de savoir si la Haute-Silésie doit faire partie de l'Allemagne ou de la Pologne soit *déterminée* par le vote des habitants eux-mêmes. — Au *pro-fuso*, elle y a gagné du charbon : « Afin d'empêcher que l'Allemagne ne soit *arbitrairement* privée des matières nécessaires à son *industrie*, un article a été ajouté au traité, prévoyant qu'elle produits minéraux, y compris le charbon, produits dans tout *le* territoire de la Haute-Silésie, pourrait être achetés par l'Allemagne. — *En même* *temps* *disons* que par les *travaux* eux-mêmes *ils* *se* *gagnent* ! » La séparation prévue de la majeure partie de ce territoire *constitue* une violation, que rien ne justifie. *Voilà* l'organisation géographique et économique de l'Empire allemand. « *Par conséquent*, *intéressant*, *intéressant* l'Empire allemand ! *Il même* »

En Alsace-Lorraine, Dieu merci, il ne gagne ou ne regagne et ne *perd* pas un pied, pas une pierre. La lettre d'apaisement est muette sur ce sujet, à quelques réciprocités, appuyées de clauses et spéciales conditions. *Voilà* que l'Allemagne se voit *compensément* abondamment. La *Réponse* se contente de répondre en *réponse* que non seulement la question *politique* qu'elle ne sera pas posée. Sur le terrain *technique* de la terre, s'il n'est pas fait de concessions *nécessaires* se rappelle qu'à la suite d'une des *travaux* *politiques* *est*, le comte de Broch-Jost-Rantzau, une *question* a *nécessairement* été faite, en

تعليمات معذ رغول بالبحر السرى الى الجهاز السرى

لم أفتح فيه لمدة أربع وأربعين سنة
ولكنني اعتقدت انه أفتح في الدولة مرة بعد ان ورد الي
في اوراق المرحوم سعد زغلول السري التي ينشرها
السيد المستشار مطلق امير في اخبار اليوم
وبما قبلت معتظرا ان اذكر لذلك مرة في حياتي
قصة التعليلات السري التي كان يرسلها
زغلول مع بائير لا قياره الثورة بالقاهرة
مصاديق دوما
المستشار مطلق امير
ابن

خطاب من الرجل الذي كان يحمل رموز تعليلات الثورة سنة ١٩١٩

عزيزي المستشار مطلق امير
تحية لمير
لهذه قصة من قصص المرحوم السري
في ثورة ١٩١٩ اقدم اليك لتكلم
انه تعرف صفحة سرية من صفحات
ثبات الثورة
دار جوبيل التوثيق في وضع امير
صورة لانه الثورة بين يدي الحبل
الحاضر
١٩١٩/٨/٢٦
٤٩

خطاب من الشاب الذي أتى قبيلة على رئيس الوزراء يوسف وجبة باشا سنة ١٩١٩

کتابخانه عمومی

[illegible][illegible]

صورة ومكثرا في هذه كرات سعد وغلول السرية وفيها يروي قصة لقائه مع الرسول البريطاني بمقرب

فهرست

٥ مقدمة الكتب المتنوع
	الفصل الأول :
٩ * سعد زغلول يعمل لإعلان الجمهورية !
	الفصل الثاني :
٦٥ * الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .. كيف تم تكوينه وما هي أعماله ؟
	الفصل الثالث :
٨٥ * الثورة ترد على الارهاب الاتجلىزى
	الفصل الرابع :
١٠٧ * حرب القنابل والاغتيالات !
	الفصل الخامس :
٢١٥ * القبض على رئيس الجهاز السرى : التهمة هي : خلع السلطان !
	الفصل السادس :
٢٣١ * لزومة في لندن من أجل عبد الرحمن فهمى !
	الفصل السابع :
	* خطة جديدة للجهاز السرى يرسمها سعد في المنى بين جبل طارق والزقاقين
٢٦٧ * مهريب الرسائل السرية في الأحفية !
	الفصل الثامن :
٣٢٧ * دور المرأة المصرية في الجهاز السرى
	الفصل التاسع :
٣٨٧ * المسلسل الذى اختفى بعد إطلاق الرصاص على سعد !

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٨٥٦ / ١٩٩٠

التراقيم الدولى 3 - 0081 - 08 - 977 ISBN

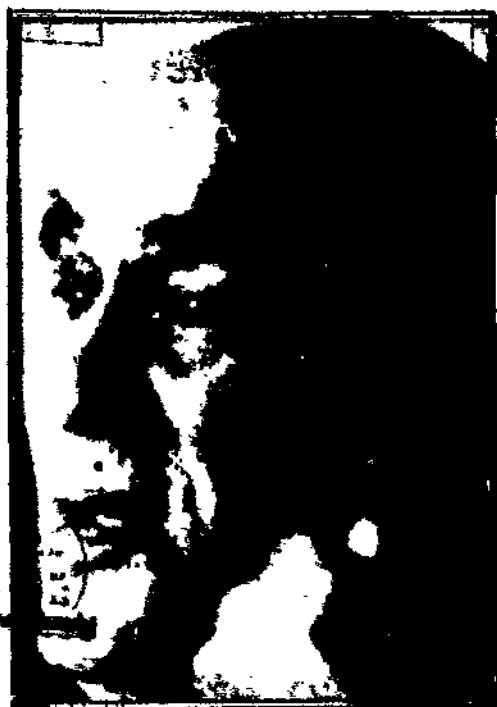
« تصدر مطبوعات كتاب اليوم »

الكتاب الممنوع

أسرار ثورة ١٩١٩

[في جزئين]

للكاتب الكبير
مصطفى أمين



انتظر صدوره في يناير

الكتاب الممنوع

.. في هذا الكتاب ملحة ثورة ١٩١٩ خاصة جانبها الخفي
كيف دارت الحرب الخفية بين الجهاز السري للثورة وبين مخبرات
بريطانيا التي كانت غفلى وفنتد : كيف استنطاع شعب فقير جانح
ان يمرغ اكبر قوة وفنتد في الوحل : لقد نال زعماء الثورة وزعماء
جهازها السري صامنون دائما لان الوقت لم يكن مناسباً لاداعه
اسرارها

واخيرا .. نشر مصطفى امين الاسرار الكبرى للثورة في هذا
الكتاب . في عام ١٩٦٣ بدا محاوله نشر هذا الكتاب ولكن قراراً
صدر وقتها بمنعه . كان مصطفى امين شاهداً على احداث الثورة
منذ البداية ، إذ ولد في بيت الامة وعاش فيه . تم وجد نفسه بعد
ذلك صديقاً لزعمائها الذين انتمنوه على اسرارهم . ومن خلال هذا
الموقع الفريد يقدم دراما الثورة . وجوانبها السرية جدا .
وتراجيديا الشهداء البسطاء الذين سقطوا . ستقرأ عن كل منهم في
هذا الكتاب الذي كان ممنوعاً . واصبح الآن متاحاً للجميع

(مطابع الاخبار)

٥
جنيهات